

كِتَابُ الْجُلَّةِ السَّيَرَاءِ

لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُضَاعِيِّ

الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْأَبَّارِ

(٥٩٥ - ٦٥٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٦٠ م)

الجزء الأول

وَيُضَمُّ تَرَاجِمُ أَهْلِ الْمَنَاتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ

حققه وعلق حواشيه الدكتور

حُسَيْنُ مُؤَنِّسٍ

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب بجامعة القاهرة

ومدير معهد الدراسات الإسلامية بمدير



جميع الحقوق محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى - سنة ١٩٦٣

كتاب
الحفلة السيرة

هذا العمل

مهدى إلى ذكرى أستاذى

عبد الحميد العبادى

أول من علمنا حرفاً عن الأندلس

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

تمهيد :

عاش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعى المعروف بابن الأبار بين سنتي ٥٩٥/١١٩٩ و ٦٥٨/١٢٦٠ ، أى ثلاثاً وستين سنة هجرية (إحدى وستين سنة ميلادية) ، وهو عمر طويل نسيباً ، وأتيحت له الفرصة ليصيب من العلم أوفر نصيب سمح به زمانه ، ووصل إلى الوظائف الكبرى في عتقوان شبابه ، وظل بعد ذلك صدرأً في بلده بالنسبة وفي كل مكان حل فيه ، وأوتي من الذكاء وبعده الفهم وقوة الذاكرة وبلاغة اللسان ما كان كفيلاً بأن يهيئ له حياة سعيدة ، أو مستقرة على أقل تقدير ، ولكنه خُلِقَ ذا طبع قلق ونفس حائرة وقلب ذى طمّاح بعيد المطّارح ، فلم يقر له حال منذ أيقع إلى أن مات ، ولم يسعد من حياته الطويلة إلا بفترات قصار معظمها وهو دون الثلاثين ، ثم ما زالت الخطوب تنزل بساحته وما زال يعينها على نفسه حتى تكدرت حياته ما بقي له من أيام العمر بعد ذلك ، وانتهى به الأمر إلى مصرع فاجع على يد من خدمه وملاً الصفحات بمديحه ؛ فلو أننا بحثنا عن مثال لرجل لم ترحمه أيامه ولا رحمته نفسه لما كان هذ المثال خيراً من ابن الأبار .

ولكن الأجيال التالية لعصر ابن الأبار كانت أرفق به من أيامه ومن نفسه ، فتعاقب الناس على إنصافه وتكريمه والإشادة بذكره ، فترجم له أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت ٧١٤/١٣١٤ - ١٣١٥) في « عنوان الدراية » (ص ١٨٣-١٨٧) وابن خلدون في تاريخه (٦/٢٨٣-

٢٨٥) ، والمقرى في «نفح الطيب» (٣/٣٤٦-٣٤٧) و «أزهار الرياض» (٣/٢٠٥) ، وأبو علي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي في «تاريخ الدولتين» (ص ٢٠ - ٢٧) ، ومحمد بن شاعر الكتبي في «فوات الوفيات» (بولاق، ٢/٢٨٢-٢٨٤) ، وذكر حاجي خليفة بعض مؤلفاته في أربعة مواضع من كشف الظنون (٢/١١٥ و ٢٣٦ ، ٣/٥٢٧) .

هؤلاء جميعاً أثنوا على ابن الأبار وقدروه قدره الصحيح كواحد من أكبر من أنجبهم الأندلس في ميادين التاريخ والأدب وعلوم الإسلام ، وأنصفوه من قاتله وأجمعوا على أنه قتل مظلوماً ، بل وصفه بعضهم بالشهيد .

وفاقت عنايةُ المحدثين بابن الأبار عنايةَ الأقدمين ، فتبينوا من فضائله كمؤرخ وكاتب أكثر مما تبينه السابقون ، وصاحب الفضل في ذلك دون شك هو المستشرق الهولندي المعروف راينهاردت بيتر - آن دوزي ، فقد وقف عنده وقفة طويلة في كتابه الصغير المسمى «مقدمة للبيان المغرب» :

Introduction au Bayan al - Moghrib, Leyde 1848.

وقرر أنه مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة ، وأنه حافظ جمع فأوعى ، وحفل صدره من العلم بالمغرب والأندلس وتاريخ الإسلام عامة ما لم يصل إليه إلا القلائل من علماء القرن السابع الهجري ، وأن أسلوبه الأدبي قوى جميل فيه فحولة ندرت بين أهل عصره .

ثم عاد فأكد هذا الرأي ووفى ابن الأبار حقه من التقدير في تعليقاته على الترجمة اللاتينية للنصوص الخاصة ببني عباد أصحاب إشبيلية :

Scriptorum Arabum Loci de Abbadides, (Lugdoni Batavorum, 1852) II, 46—47.

ونشر تراجم الأندلسيين من الحلة السيرة في كتابه المسمى :

Notices sur quelques Manuscrits Arabes (Leyde, 1847—1851) pp. 29 sqq.

مع مقدمة قصيرة عن ابن الأبار أحال فيها إلى ما كتبه عنه في مؤلفاته الأخرى .

وكان نشر دوزى لهذه القطعة من الحلقة ، بالإضافة إلى ما نشره منها في جامع الكتابات عن بني عباد منهاً لأهل العلم إلى قيمة ابن الأبار وأهمية ما كتب ، فأقبل الناس يبحثون عما بقي من آثاره يدرسونها بالعناية الجديرة بها وينشرون ما تيسر لهم منها . وأول من فعل ذلك بعد دوزى ماركوس جوزيف مولر في كتابه المسمى :

Beiträge Zur Geschichte der Westlichen Araber. (München, 1866)
Heft I, 161—192 ; heft II, 193—360.

ووقف مولر بتراجمه عند أحمد بن أبي الأغلب محيلاً بعد ذلك إلى قطعة من « الحلقة » كان قد نشرها أماري في المكتبة الصقلية (ص ٣٣ وما يليها) ، ووضح أن مولر كان ينوى متابعة نشر تراجم أهل المغرب من « الحلقة » في جزء ثالث من كتابه ، ولكنه لم يفعل ، فبقيت هذه التراجم دون نشر . وكان دوزى قد نشر بضع تراجم أندلسية من « الحلقة » ذيولاً على بعض أبحاثه في كتابه المعروف :

Recherches sur l'histoire et la Littérature de l'Espagne pendant le moyen - âge, 3e éd. Paris, Leyde 1881. Vol. I., appendices X, p. XIX ; XX, p. XLVIII ; XXIV, p. LVI — vol. II, appendices II, p. XXVII ; IX, p. XLVI.

وكان الراهب اللبناني ميخائيل الغزيري نزيل إسبانيا وواضع الفهرس الأول للمخطوطات العربية في مكتبة الإسكريال قد نبه إلى أهمية مخطوط « الحلقة السيرة » الموجود بهذه المكتبة ونشر ترجمة لاتينية لقطعة صغيرة منه :

M. CASIRI *Bibliotheca Arabico - Hispana Escorialensis*, Vol. II, p. 163, n. MDCCXXV.

ونشر كذلك قطعة من مخطوط كتاب آخر لابن الأبار هو التكملة :

Ibidem, Vol. II, n. MDCCXXX.

ثم عكف المستشرق الإسباني فرانيسكو كوديرا على نشر مخطوطتين لابن الأبار ، أولهما « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفى » ، المكتبة الأندلسية رقم ٤ :

Bibliotheca Arabico Hispana; tomus IV, Madrid 1886.

وثانيهما كتاب التكملة لكتاب الصلة :

Bibliotheca Arabico Hispana, t. V—VI, Madrid 1889.

وقد نشر في هذين الجزئين التراجم التى يضمها المخطوطان رقم ١٦٧٥ و١٦٧٨ من مخطوطات مكتبة الإسكريال وهى التراجم من حرف الجيم إلى حرف الميم (علدا بعض الحروف بين العين واللام) . وقد عثر على هذه التراجم الناقصة فى مخطوط يحمل رقم ١٧٣٥ فى مكتبة الجزائر ، فقام على نشرها م . أ لاركون وأنخل جنتال بالثيا فى مدريد سنة ١٩١٥ :

M. ALARCON y C. A. G. PALENCIA : *Apéndice a la edición Codera de la Técmila de Aben al-Abbar en Miscelanea de Estudios y Textos Arabes*, Madrid 1915.

وبقيت الحروف من الألف إلى التاء ثم من اللام إلى الياء ، فأما الأولى فقد عثر عليها ألفريد بيل ومحمد بن شنب فى فاس ونشراها فى الجزائر سنة ١٩٢٠ :

IBN AL-ABBAR, *Técmilat as-Sila*. Texte arabe d'après un ms. de Fez. Tome I complétant les deux volumes édités par Codera, Alger 1920.

وعثر محمد بن شنب على قطعة تضم فاتحة التكملة فنشرها فى المجلة الإفريقية سنة ١٩١٨ :

M. BEN CHENEB, *L'Introduction d'Ibn al-Abbar à sa Técmila*. Revue Africaine, 1918 p. 300.

وقد قدم كل من كوديرا وألاركون وجنتال بالثيا وألفريد بيل ومحمد ابن شنب لما نشروا من نصوص لابن الأبار بمقدمات ودراسات ضافية ، فنخص منها بالذكر مقدمتى كوديرا للمعجم ولما نشر من التكملة ، فهما دراستان شاملتان عن ابن الأبار وحياته وأعماله وقدره بين من أنجب الأندلس من أعلام .

وعند ما كتب فرديناند فستنفلد كتابه المعروف عن مؤرخي العرب
اختص ابن الأبار بمادة طيبة :

F. WÜSTENFELD, *Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882, p. 129.

وفي الترجمة الإنجليزية التي قام بها بشكوال دجيانجوس للمجلد الأول
من « نفح الطيب » للمقرى (طبعة أوروبا) تعليق طويل عن ابن الأبار
وأعماله :

PASCUAL DE GAYANGOS, *The History of the Mohammedan Dynasties in Spain*, II, 528.

وكتب ميكيلي أماري مادة قصيرة عن ابن الأبار في الجزء الأول من
تاريخ مسلمي صقلية ، ثم نشر قطعة منه خاصة بفتح صقلية في المكتبة
الصقلية (رقم ٥٢) ، وأشار إليه سيمونيت في معجمه :

F. J. SIMONET, *Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes*. Madrid, 1888, CCXXIV.

وعندما كتب البارون فون شاك كتابه البديع عن شعر عرب الأندلس
وصقلية وفنهم ، أشاد بابن الأبار وترجم إلى شعر ألماني سينيته المشهورة في
استصراخ أبي زكريا الحفصي لنجدة الأندلس :

ADOLPH FRIEDERICH VON SCHACK : *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sizilien*. 3 Auflage, Stuttgart, 1871.

وعن شعر فون شاك ترجم نفس القصيدة إلى شعر إسباني خوان قاليرا
عند ما ترجم الكتاب كله إلى الإسبانية :

JUAN VALERA, *Poesía y Arte de los Arabes en España y Sicilia*. 3a ed. Sevilla 1881, I, 162.

وأوفي مادة كتبت عن ابن الأبار في غير العربية هي تلك التي كتبها
پونس بويجس في معجمه عن المؤرخين والجغرافيين من أهل الأندلس :

FRANCISCO PONS BOIGUES, *Ensayo bio - bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos árabe - españoles*. Madrid, 1898, nu. 253 pp. 291 - 296.

ونضيف إلى هذا العرض لما كتب عن ابن الأبار في غير العربية مادتي كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج ١ / ٤١٦ والملحق ١ / ٥٨٠ (يلاحظ أنه أخطأ في اسمه فجعله أبا علي بن محمد بن علي بن أبي بكر بن الأبار) ، ومادة دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى وقد كتبها محمد بن شنب (٣٧٤/١ ب و ٣٧٥ ا) ، والفقرة الخاصة به من كتاب تاريخ الفكر الأندلسي (فقرة رقم ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠ من ترجمتنا العربية) ، ثم المادة القصيرة التي اختصه بها كليمان أوار في كتابه عن تاريخ الأدب العربي (ص ٢٠٤) .

أما المحدثون من العرب ، فأول من نبه منهم إلى مكانة ابن الأبار هو جرجي زيدان في كتابه القيم عن «تاريخ الأدب العربي» ، فقد اختص ابن الأبار بمادة قصيرة في الجزء الثالث من ذلك التاريخ (ص ٨٤ من الطبعة الجديدة بتحقيق الدكتور شوقي ضيف) أشار فيها إلى مكانته كمؤرخ ، وهي على صغرها مادة طيبة تضع ابن الأبار في مكانته بين مؤرخي الغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري .

ثم تناول ابن الأبار المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد فكتب عنه كتاباً ضخماً (٣٨٤ صفحة) نال به جائزة مولاي الحسن لسنة ١٩٥١ ، ونشر الكتاب في نفس العام في تطوان ، وعلى الرغم من أن هذا التأليف كان أول عهد المؤلف بالدراسات الأندلسية ، إلا أنه عرف كيف يجمع الأصول اللازمة للكتابة عن ابن الأبار ويفيد منها ، فدرس عصره وشخصيته ومؤلفاته دراسة طيبة تدل على اجتهاد وصبر ، وقد أفدنا فائدة كبيرة من هذا الكتاب .

ثم تناول موضوع ابن الأبار الأستاذ ألفريد البستاني فنشر « المقتضب » الذي صنعه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي لكتاب ابن الأبار المسمى « تحفة القادم » في مجلة المشرق (السنة الحادية والأربعون ، يوليو - سبتمبر ١٩٤٧) وقدم له بدراسة قصيرة .

وبعد ذلك بعشر سنوات أعاد الأستاذ إبراهيم الإيباري نشر نفس النص ، وعلى نفس مخطوطة الإسكريال (رقم ٣٥٦) وقدم له بمقدمة طيبة تتضمن بحثاً عن حياة ابن الأبار وأعماله ودراسة لذلك « المقتضب » ، وكلاهما عمل طيب مشكور .

وفي سنة ١٩٥٩ تقدم السيد أنيس عبد الله الطباع ببحث له عن ابن الأبار للحصول على الدكتوراه من جامعة مدريد ، وأجيز عليه ، ثم طبع ترجمة عربية [للبحث بعد ذلك في بيروت .

وأخيراً ، في سنة ١٩٦١ ، قام الدكتور صالح الأشر بنشر « إعتاب الكتاب » لابن الأبار ومهد له ببحث مستفيض عن حياة ابن الأبار وعصره ومؤلفاته وكتاب إعتاب الكتاب .

فهؤلاء تسعة عشر رجلاً من أهل العلم من المحدثين في الشرق والغرب عرفوا قدر ابن الأبار وقاموا على خدمة نصوصه وصرفوا من الجهد ما تيسر لهم في التعريف به وبأعماله وخصائصه وميزاته ، وكلهم أجمعوا على ما قرره دوزي من أنه يعتبر بحق من أكبر من أنجب الأندلس من أهل العلم ومن أولاهم بالثقة والتقدير .

ولم يصب هذا الحظ من أعلام الأندلس إلا القلائل ، بل كان حظ ابن الأبار من التقدير أكبر من حظوظ مؤرخين يزيدون عنه أهمية مثل أحمد بن محمد الرازي وابن حيان وابن بسام ، فإن واحداً من هؤلاء لم يظفر من الباحثين بكتاب خاص عنه في حين ظفر ابن الإبار بكتابين . وتلك عناية من القدر بهذا الرجل الذي يشعر الإنسان وهو يقرأ تاريخ حياته أنه لم يعرف قدر نفسه كما عرفه الآخرون .

* * *

حياة ابن الأبار :

وقد قص معظم هؤلاء حياة ابن الأبار في تطويل أو في اختصار ، وتشابه هذه التراجم في محتواها ، لأن المراجع التي تعتمد عليها في الترجمة له

متشابهة في مادتها لا يضيف واحد منها شيئاً جديداً ، وهي لا تخرج عما أتينا به في الفقرة الخاصة به من «تاريخ الفكر الأندلسي» (ف ٨٦ ص ٢٧٧ - ٢٨٠) ، ويبدو من هذه التراجم أن حياة ابن الأبار واضحة خالية من المضلات ، وربما كان هذا صحيحاً عن نصف حياته الثاني ، أي منذ وصوله إلى تونس إلى مصرعه ، ولكن النصف الأول من حياته في حاجة إلى دراسة ، وخاصة ما يتعلق منه بمأساة بلنسية ونصيب ابن الأبار في الأحداث التي انتهت بتسليمها .

ونبدأ من البداية ، فنجد الغبريني يقول إن أصله من أجردة ، وفي نسخة أجره ، ولا نجد قرية أو موضعاً في إقليم بلنسية بهذا الاسم ، ولكن محمد بن شنب ناشر «عنوان الدراية» يقول في تعليق له : في نسختين «أجره» والصواب «تُورِيّة» ، ولاندرى علام استند في هذا التصويب ، لأن تورية أو التوريا هو الاسم اللاتيني والإسباني لنهر بلنسية الذي يسميه العرب بالنهر الأبيض ، ويسمى في بعض النصوص الإسبانية بهذا الاسم العربي Guadalaviar ، وليست هناك قرية باسم تورية في ناحية بلنسية . ويضيف الغبريني عن أجردة هذه : «وهي وما والاها دار القضاة في الأندلس» ، ولم نجد ما يؤيد هذا في «جمهرة الأنساب» لابن حزم : وصحة الاسم أندّه ، فقد ذكر ابن الأبار في ترجمته لأبيه (التكملة رقم ١٤٤١) أنه «من أهل أندّه وسكن بلنسية» . وأندّه Onda اليوم مدينة صغيرة في مديرية قسطليون Castellón de la Plana ، وتقع على ٢٠ كيلومتراً غرب قسطليون قاعدة المديرية ، وكانت أندّه على أيام المسلمين تابعة لكورة بلنسية :

وترجمة ابن الأبار لأبيه تلقى ضوءاً على أصله وحياته الأولى ، فقد كان أبوه عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاة من أهل العلم والدين ، درس على أجلاء أهل العلم في عصره وأجاز له الكثيرون منهم رواية كتبهم ورواياتهم ، قال ابن الأبار : «وكتب إليه القاضي أبو بكر بن أبي جرة يحيز له ولي معه جميع روايته مرتين ،

إحدهما في غرة رجب سنة ٥٩٧ هـ ، والثانية في منتصف ذي القعدة من العام المذكور ، وأنا إذ ذاك ابن عامين . وأشهر مولدى عند صلاة الغداة من يوم الجمعة في أحد شهرى ربيع سنة ٥٩٥ هـ . وهذا أدق تحديد وجدناه لتاريخ ميلاد ابن الأبار مع ما في العبارة من تضارب ، فهو يقول أولاً أنه كان في منتصف ذي قعدة سنة ٥٩٧ هـ ابن سنتين ، أى أنه ولد في ذي قعدة سنة ٥٩٥ هـ ، ثم يقول إنه ولد في أحد شهرى ربيع من نفس السنة ، فإذا كان قد ولد في ربيع الأول منها فإن هذا الشهر يقابل ديسمبر ١١٩٨ ، وإذا كان قد ولد في ربيع الثانى فهو من مواليد يناير سنة ١١٩٩ .

ثم يقول ابن الأبار عن أبيه : « وكان رحمه الله - ولا أزكيه - مقبلاً على ما يعنيه ، شديد الانقباض بعيداً عن التصنع ، حريصاً على التخلص مقدماً في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجد به ، صاحب ورد لا يكاد يهمله ، ذا كراً للقراءات ، مشاركاً في حفظ المسائل ، آخذاً فيما يستحسن من الأدب ، معدلاً عند الحكام ، وكان القاضى أبو الحسن بن واجب يستخلفه على الصلاة بمسجد السيدة من داخل بلنسية . قرأت عليه القرآن بقراءة نافع مراراً ، وسمعت منه أخباراً وأشعاراً ، واستظهرت عليه مراراً أيام أخذى على الشيوخ ، يمتحن بذلك حفظى ، وناولنى جميع كتبه ، وشاركته في أكثر من روى عنه . وسمعتة يقول : حضرت شيخنا أبا عبد الله ابن نوح ، وقد زاره بعض معارفه ، فسأله عن أحواله ، وبالحق في سؤاله ، فجعل يحمد الله ويردد ذلك عليه ، ثم أنشد متمثلاً :

جرت عادة الناس أن يسألوا عن الحال في كل خير وشر
فكلُّ يقول بخير أنا وعند الحقيقة ضد الخير

... حدثنى أبى رحمه الله غير مرة أنه ولد بأندلس سنة ٥٧١ (١١٧٥ - ١١٧٦) ، وتوفى ببلنسية وأنا حينئذ بغير بطليوس عند الظهر من يوم الثلاثاء الخامس لشهر ربيع الأول سنة ٦١٩ (٢١ مارس ١٢٢٢) ، ودفن لصلاة العصر من يوم الأربعاء بعده بمقبرة باب بيطالة وهو ابن ثمان وأربعين

سنة ، وحضر غسله أبو الحسن بن واجب وجماعة معه ، وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جليلاً ، نفعه الله بذلك .

وإذن فقد نشأ ابن الأبار في بيت علم ودين وعفاف ، ولكنه لم يكن من بيت رياسة وولاية : ولو أن ابن الأبار سار على نهج أبيه في الانصراف إلى العلم والانقطاع له لانتفع بحياته بأكثر مما قدر له ، ولكنه انصرف وهو في مطالع شبابه إلى السياسة وطلب الوظائف والجاه في ظروف ضيقة عسيرة على الحاكمين والمحكومين معاً ، فأصابه من ذلك بلاء شديد .

وقد أحصى الدكتور عبد العزيز عبد المجيد شيوخ ابن الأبار وترجم لكل منهم ، ولهذا فسكتني بالقول بأنه أخذ القرآن والقراءات عن أبيه ، وأخذ الفقه والحديث والمسائل وعقد الشروط عن أبي عبد الله محمد بن أيوب بن نوح السرقسطي (٥٣٠ - ٦٠٨ / ١١٣٥ - ١٢١٢) ، وعن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زاهر (توفي في رجب ٦٣٤ / ١٢٣٧) ، وأخذ الحديث أيضاً عن أبي الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي (٥٣٧ - ٦١٤ / ١١٤٢ - ١٢١٧) وعلى هذا الشيخ أخذ « الأخبار » أي درس التاريخ ، وهو العلم الذي بلغ ابن الأبار فيه شأوه ، ولابن الأبار شيخ آخر في التاريخ هو أبو سليمان داوود بن سليمان .. بن حوط الله الأنصاري (٥٥٢ - ٦٢١ / ١١٥٧ - ١٢٢٤) ، فقد كان ابن حوط الله من المعنيين بالأخبار ومن كتبوا فهرسة لشييوخهم ؛ وأخذ النحو والأدب عن محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري (٥٦٣ - ٦١٠ / ١١٦٧ - ١٢١٣) وعن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم البكري (توفي سنة ٦٢٨ / ١٢٣٠) وأبي عامر نذير بن وهب بن لب بن عبد الملك بن نذير الفهري (٥٥٨ - ٦٣٦ / ١١٦٢ - ١٢٣٨) وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مطروح القيسي (٥٧٤ - ٦٣٥ / ١١٧٨ - ١٢٣٧) ، وقد أورد ابن الأبار في ترجمته لابن مطروح هذا خبرين لها أهمية بالنسبة لحياة ابن الأبار نفسه ، ولتاريخ

بلنسية في أيامه أيضاً ، وذلك أنه ولي قضاء دانية في آخر عمره ، ثم عزل عنه وتولاه بعده ابن الأبار سنة ٦٣٣ / ١٢٣٥ - ١٢٣٦ ، ثم استعفى ابن الأبار من قضاء دانية ، فعاد إليه ابن مطروح لفترة قصيرة إذ أنه توفي سنة ٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨ « والروم محاصرون بلنسية » .

غير أن أكبر أساتذة ابن الأبار وأبعدهم أثراً في حياته هو أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم بن حسان الحميدى الكلاعى (٥٦٥ - ٦٢٤ / ١١٦٩ - ١٢٢٧) ، فقد كان أبو الربيع كبير علماء بلنسية في عصره ، وإليك سيرته كما رواها ابن الأبار في « التكملة » لتستبين النواحي التي أعجبت ابن الأبار في شيخه هذا واجتهد في الأخذ بها ، قال بعد ذكره شيوخته : « ...وعنى أتم عناية بالتقيد والرواية ، وكان إماماً في صناعة الحديث بصيراً به ، حافظاً حافلاً عارفاً بالجرح والتعديل ، ذا كراً للمواليد والوفيات ، يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال ، خصوصاً من تأخر زمانه وعصره . وكتب الكثير ، وكان حسن الخط لا نظير له في الإتقان والضبط مع الاستبحار في الأدب والاشتهار في البلاغة ، فرداً في إنشاء الرسائل ، مجيداً في النظم ، خطيباً فصيحاً مفوهاً مدركاً حسن السرد والمساو لما يقوله مع الشارة الأنيقة والزى الحسن . وهو كان المتكلم عن الملوك في مجالسهم والمبين عنهم لما يريدون على المنبر في المحافل . ولى خطابة بلنسية في أوقات . وله تصانيف قصيرة في فنون ، وله كتاب « الاكتفاء مما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء » في أربعة مجلدات ، وكتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله ، وكتاب في أخبار البخارى وترجمته ، وكتاب « الأربعين » وتصانيف سوى ذلك كثيرة في الحديث والأدب والخطب ، وإليه كانت الرحلة في عصره للأخذ عنه . أخذت عنه كثيراً ، وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع ، وحضنى على هذا التاريخ . (أى كتاب التكملة) وأمدنى من تقييداته وطُرفه بما شحنته به . مولده في رمضان سنة ٥٦٥ ، واستشهد بكائنة أنيشة على ثلاثة فراسخ من بلنسية ،

وكان أبدأً يحدثنا أن السبعين منتهى عمره لرويا رآها ، وهو آخر الحفاظ والبلغاء المترسلين بالأندلس : قلتُ : أكثرُ هذا عن ابن مسدى ، وقال : لم ألقى مثله ، كان مبرزاً فى فنون » (ترجمة رقم ١٩٩١ ، التكملة ٢ / ٧٠٨ - ٧٠٩) .

وأبو الربيع سليمان هذا نموذج لطراز من أهل العلم فى الأندلس تستطيع أن تسميهم « شيوخ » العصر أى الذين انتهت إليهم الصدارة فى علوم الدين والفقه والفتيا فى أيامهم ، ويصدق على كل منهم ما قاله ابن الأبار عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن الجند : « ... وكان فى وقته فقيه الأندلس وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع ، لا يجاريه أحد فى ذلك ولا يدانيه » (التكملة رقم ٨٢٥ ج ١ ص ٢٥٩) . والخصائص الرئيسية لأولئك الشيوخ غزارة العلم وصدق الإيمان ، وشرف البيت واتصال الرياسة فيه ، وفصاحة اللسان والقدرة على الكتابة والخطابة فى بلاغة ، ثم الاهتمام بشؤون الجماعة الإسلامية والأخذ من السياسة بنصيب ، مع التزام الحق والسمت والعفاف .

وفى عصور الأندلس الأولى ، أيام الإمارة والخلافة ، كان أولئك الشيوخ عمداً من عمد السultan ، كما نرى فى حالات عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى اللبثى وأصمغ بن خليل . أما بعد زوال الخلافة وانتشاب الفتنة وتلاشى السultan السياسى العام فقد أصبح أولئك الشيوخ رموزاً على السultan الوحيد الباقى وهو سلطان الدين والعلم ، وصاروا رموزاً على قوة الدين وسيادته ومعد الآمال فى بعث الدولة وعودة هبة الإسلام فى شبه الجزيرة ، فهم عمد الدين وجماعته ، وهم فى واقع الأمر زعماء الجماعة الإسلامية الأندلسية وقادتها الحقيقيون . وكلما زاد السultan السياسى تخلخلاً ازداد أولئك الشيوخ جلالاً وزاد شعورهم بمسئولياتهم ، فلم يعودوا مجرد فقهاء بل زعماء أيضاً يتحلون بما تتطلبه الزعامة السليمة من صدق وإخلاص وجراءة واستعداد لبذل النفس فى سبيل الجماعة الإسلامية ، مع الحرص على العلم وهو عماد سلطانهم الأول .

وقد يتقارب اثنان أو ثلاثة من الفقهاء في صفاتهم ، ولكننا نجد في الغالب تسليماً لواحد بالرياسة والتقدم . ففي أيام أبي علي الحسين بن سكرة الصدفى (٤٥٤-٥١٤/١٠٦٢-١١٢١) عاش أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجرد (٤٥٠-٥٢٠/١٠٥٨-١١٢٦) ولكن الزعامة كانت لأبي علي بن سكرة الصدفى ، وقد دفع ثمنها باستشهاده في معركة كُتُنْدَة . وقد عاصرها أبو بكر بن العربي ، وكان من أجل العلماء وأوفرهم هبة ، ولكنه فر من معركة كُتُنْدَة ثم أقحم نفسه في السياسة ، ولم يستطع لهذا أن يرث مكان الصدفى وإنما ورثه القاضي عياض بن موسى بن عياض (٤٧٦-٥٤٤/١٠٨٣-١١٤٩ ، ٥٠) ، وقد ثبتت زعامته عند تصديه للموحدين وصموده للحق ونفيه إلى المغرب . ثم كان شيخ الجيل الثانى أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجرد (٤٩٦-٥٨٦/١١٠٢-١١٩٠) وكان رجل الأندلس وشيخه غير مدافع على أيام أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور ؛ ثم انتقلت المشيخة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد (٥٢٠-٥٩٥ / ١١٢٦-١١٩٩) وكان بينه وبين الموحدين من الخلاف ما أدى إلى الإساءة إليه ونفيه ثم عودته ؛ ثم كان الشيخ بعد ذلك أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى (٥٦٥-٦٣٤/١١٦٩-١٢٣٧) شيخ ابن الأبار ، وقد استشهد مجاهداً في سبيل الإسلام في معركة أنيشة .

ونصل إلى أيام ابن الأبار ، فنجد سائراً في طريق أولئك الشيوخ ناظراً إلى سيرهم آخذاً بالأصول التى ساروا عليها ، ولكن الظروف في الأندلس كانت قد تغيرت مع الأيام تغيراً حاسماً جعل استمرار هذا الخط الجليل مستحيلاً ، فإن الجماعة الإسلامية نفسها - التى بقيت متماسكة رغم كل شيء حتى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى - أصيبت بكوارث كبرى حلت عقدها وضعفت كيائها السياسى والاجتماعى ولم يتماسك ما بقى منها في منطقة غرناطة إلا بعد فترة طويلة من الفوضى والكوارث المتوالية .

عصر ابن الأبار

ذلك أن الصراع الطويل بين الإسلام والنصرانية حول مصير الأندلس تحدد مصيره بصورة حاسمة في نهاية العقد الأول من القرن السابع الهجري إثر معركة العقاب (١٥ صفر ٦٠٩ / ١٧ يوليو ١٢١٢) بعد قرابة القرنين من صراع ضارٍ أنفق الجانبان الإسلامى والنصرانى فيه أقصى ما استطاعا من الجهد فى سبيل أراض عظيمة وبلاد كبرى أراد القدر أن تحرم ممن ينهض من أهلها لجمع أمرها والدفاع عنها . وقد كان هذا الصراع سجالا بين مد وجزر طالما وقف المرابطون فى الميدان ، ثم مال الميزان وشالت كفة الإسلام بعد زوال أمر هذه العصبة من المجاهدين أولى القوى وحلول الموحدين محلهم .

وقد بذل الموحدون ما استطاعوا ولكنهم كانوا أولا وقبل كل شيء أصحاب إمبراطورية كبرى تمتد حدودها من طرابلس فى الشرق إلى مشارف المحيط الأطلسى من الأشبونة إلى ما يعرف اليوم بالسنگال ، وكان على الموحدين أن يظلوا على أهبة الحرب على هذه الحدود المترامية وفى داخل إمبراطوريتهم نفسها ، وكان من المستحيل ماديا أن يستمروا محاربين بنفس القوة فى جهات متعددة كهذه ، وكانت الجبهة الأندلسية أضعف جهاتهم وأحفلها بالخطر ، لأن أهل الأندلس أنفسهم كانت قد أكلتهم الحروب والفن المتوالية وفقدوا روح الوحدة وحرموا القادة الصالحين فى وقت كانوا فيه أحوج ما كانوا إلى قادة قادرين ، لأن ممالك إسبانيا النصرانية كانت تقوى على حسابهم يوماً بعد يوم ، وقد أسعدها الحظ بملوك وأمراء أقوىاء ذوى همة ووعى إلى الهدف الذى يجمعهم رغم ما كان بينهم من خلافات .

وخلال القرن الهجرى السادس نرى بوضوح ممالك إسبانيا النصرانية تنتظم وتقوى وتثبت فى أقاليمها وتجمع قواها وتتقدم إلى الجنوب بخطوات ثابتة وعن سياسة واضحة أعانهم البابوية فى رسمها ، وشدت أزرهم بلاد

أوروبية أخرى نهضت واستقرت أمورها قبلهم ، ومن هنا فقد كان الصراع غير متكافئ بوجه من الوجوه .

وقد تماسكت جبهة الأندلس الإسلامى بعد توضحيات كثيرة أيام خلفاء الموحدين الثلاثة الأول ، ثم تداعت على أيام الرابع منهم وهو محمد الناصر ابن أبي يعقوب يوسف المنصور (٥٩٥ - ٦١١ / ١١٩٩ - ١٢١٥) وظهر هذا التداعي في صورة انهيار سريع بعد معركة العقاب ، وقد كانت قاصمة الظهر للدولة الموحدين في الأندلس والمغرب أيضاً .

كان الناصر يشعر قبل هذه المعركة باستحالة الاستمرار في الدفاع عن دولة مترامية الأطراف كهذه ينتصب لها أعداء ذوو خطر على كل شبر من حدودها بل في كل ناحية من نواحيها ، فاختر واحداً من خيرة الموحدين وأقامه حاكماً عاماً على كل الجناح الشرقى من إمبراطوريته ، وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص (سنة ٦٠٣ / ١٢٠٦ - ١٢٠٧) . وكان هذا الإجراء في حقيقته تقسيماً للدولة إلى دولتين ، لأن أبا محمد عبد الواحد ابن أبي حفص وخلفاءه لم يلبثوا أن أصبحوا دولة قائمة بنفسها .

ولو أن محمداً الناصر استأنى قبل أن يخوض معركة العقاب لكان من الممكن أن يكون حظه فيها أحسن ، ولكنه سار إليها وقسمة الإمبراطورية ما زالت في الطريق ، ثم إن فتنة بنى غانية كانت قد أفسدت الجانب الشرقى من الأندلس ، وكان لا بد بعد القضاء عليها من تنظيم وترتيب واستجماع قوى : ولكنه - رغم حسن نيته وإخلاصه للدولة وللإسلام - لم يكن بالقائد العسكرى الذى تتطلبه جبهة مهيضة يقف فيها خصم عنيد أضرت به الرغبة في الانتقام لهزيمة يوم الأرك .

ودخلت في المعركة عوامل أخرى كانت كلها على محمد الناصر ، منها أن رؤساء المقاتلين معه - سواء من الموحدين أو الأندلسيين أو جماعات عرب الهلالية - لم يقدروا أهمية المعركة ولم يدر بخلد أحد منهم أن مصير

الأندلس كله كان في الميزان في ذلك اليوم ، فانساقوا مع عصبيات ونوازع شخصية وغير شخصية ، ومنها أن صناعة السلاح والدروع وفن الحرب بصفة عامة كان قد تقدم تقدما بعيدا في إسبانيا النصرانية نتيجة للاتصال الوثيق مع بقية بلاد غرب أوروبا . ومن هنا دارت على المسلمين هزيمة قاصمة واصطلى أبرياء المقاتلين والمتطوعة بنار حاصدة أكلتهم أكلا ، وربما كان عدد من استشهد من المسلمين في تلك المعركة أكبر من عدد من استشهد في أى معركة في تاريخ الإسلام كله حتى ليقول صاحب روض القرطاس إن السائر في ريف المغرب بعد ذلك كان يقطع المسافات الطويلة دون أن يرى رجلا ، لأن زهرة الرجال راحت صرعى في ذلك اليوم الأسيف .

وأمثال هذه المعارك تخلف في النفوس آثاراً لا تمحى ، فإن القلائل من الأندلسيين الذين نجوا من السيوف في ذلك اليوم تفرقوا إلى بلادهم وقد استقر في نفوسهم شعور بأن الأمر قد ضاع ولا حيلة في تلافيه ، والأخير يرتجى من الرؤساء والقادة أمام عدو مستأسد متفوق ، أى أن معنوية المناضلين عن الجبهة الإسلامية ضعفت وخامرها الخوف من العدو ، ومن ثم فلا غرابة بعد ذلك أن نجد الفئة القليلة من النصارى تستولى على البلد الإسلامى الكبير دون مشقة بل دون قتال في كثير من الأحيان ، لأن اليأس والخوف ملأ قلوب الناس ، ولم يعد لهم ما يحفظ عليهم الأمل في البقاء إلا التفافهم حول من وُجد في بلادهم من الشيوخ الذين ذكرنا بعضهم .

وفي أيام أبى يعقوب يوسف المستنصر - خليفة الناصر وخامس خلفاء الموحدين - تلاشت بقية الأمل في الموحدين ، فقد نجم لهم بنو مرين وبدأوا معهم صراع المصير في المغرب ، ولم يكن للموحدين مفر من أن يتجرعوا نفس الكأس التى جرعوها هم للمرابطين في مثل هذه الظروف قبل قرابة القرن من الزمان .

وخلال السنوات العشر التي دامها حكم هذا المستنصر تغيرت نفسية أهل البيت الموحدى وأشياخ حركتهم ، فلم يعودوا بيتا متحدا تجمعهم معنوية واحدة وإنما أمراء وأشياخا اقتعد كل منهم قاعدة من قواعد الملك الموحدى أو وظيفة من وظائفه الرئيسية في مراكش وعينه متجهة إلى عرش الخلافة يمني نفسه بها أو يمنيها بها من حوله ، ويتمنى في نفس الوقت فساد الأمر على من تولى هذا العرش . وقد ظهرت هذه المطامع بصورة خاصة عند بعض من بقى من أولاد أبي يوسف يعقوب المنصور وأبناء عمومته أولاد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن .

وقد ابتلى الأندلس في أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجريين باثنين من أبناء يعقوب المنصور ، هما : أبو محمد عبد الله وكان يتولى مرسية ، وأبو العلا إدريس وكان يتولى قرطبة ؛ وشاركهما في هذا الطمع وأرأى عليهما فيه ابن عمهما عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن الذي عرف أهل بيته بالبياسيين ، وكان يتولى إشبيلية ثم بلنسية ؛ وسار في طريقه اثنان من أبنائه هما أبو زيد عبد الرحمن وقد خلف أباة في بلنسية وشاطبة ودانية وجزيرة شُقر ، وأخوه عبد الله الذي اشتهر بالبياسى وكان يتولى إشبيلية . أى أن أوائك النفر من البيت الموحدى كانوا يتقاسمون ملك ما بقى للإسلام في الأندلس ، ولو أخلصوا وصدقوا واتحدوا لأغنوا في الحفاظ على هذا الباقي ، ولدام لهم الملك الذى اقتعدوه .

ولكن شيطان الطمع والخلاف غلب عليهم ، فنهض أكبرهم أبو محمد عبد الله بن أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وأنكر بيعة الموحدين في مراكش لعم مسن له هو أبو محمد عبد الواحد في ذى الحجة ٦٢٠ / مارس ١٢٢٤ ، ونادى بنفسه خليفة بعد شهرين من ولاية عبد الواحد وتلقب بالعاذل ، وأيده أخوه أبو العلا إدريس صاحب قرطبة وابن عمه عبد الله البياسى صاحب إشبيلية ، وتوقف عن البيعة له ابن عمه أبو زيد عبد الرحمن

ابن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية وما والاها (وهو أخو عبد الله البياسي) . وعبر العادل البحر وخلع عمه عبد الواحد واستقر خليفة في مراكش ١٢٢٢/١٢٢٥ ، وكان يتوجس خيفة من ناحية ابن عمه أبي عبد الله البياسي ، فأضاف إليه قرطبة استرضاءً له ، ولكنه لم يكن ليرضى بأقل من الخلافة ، فما هي إلا شهور حتى خلع طاعة العادل ، وأيس من عون الموحدين فانضم إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة ، وسلم له عددا من بلاد المسلمين منها قيسجاطة Quesada وباجة Baza ولوشه Loja ، ثم سار بمن معه من القشتاليين ليهاجم أبا العلا إدريس في إشبيلية ، فثبت له هذا ورده خائبا (صفر ٦٢٣ / فبراير ١٢٢٦) ، فغضب على غير هدى حتى قام عليه أهل قرطبة وقتلوه ، إذ تراءى إلى علمهم أنه خلع الإسلام ودخل في النصرانية .

ولم يطل الأمر للعادل بعد ذلك ، لأن خلافا شديدا نجم بينه وبين رجال دولته وقادته من الموحدين فقبضوا عليه ثم قتلوه بعد ١٤ يوما (٦٢٤ / ١٢٢٦ - ١٢٢٧) : وفي هذه الأثناء كان أخوه أبو العلا إدريس قد نادى بنفسه خليفة من إشبيلية ، وتلقب بالمأمون وخاض نحرار حروب طويلة مع محمد بن يوسف بن هود الذي كان قد نادى بنفسه أميراً على الأندلس كما سيحىء . ثم صور للمأمون رأيه الفائل ألا معنى للبقاء في الأندلس أو محاولة الحفاظ على ما بقى منه ، فجمع من عنده من جند في إشبيلية ومن كان منهم في قرطبة وجيان وما إليها وعبر البحر إلى المغرب وبويع له بالخلافة في شوال ٦٢٤ / سبتمبر ١٢٢٧ . ولم يتمتع هذا المأمون بالأمان يوما واحداً ، إذ قام عليه المنافسون من كل ناحية وقضى سنوات حكمه القصير (٥ سنوات و ٣ أشهر) في حروب وهروب ومنازعات ووقائع حتى أдал الله منه بابنه المسمى عبد الواحد المتلقب بالرشيد .

والمهم لدينا أن الدولة الموحدية انتهت في الأندلس بتصرف المأمون

هذا ، فلم يبق من أمرائهم فيها إلا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله ابن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الذى ذكرناه ، وكان يملك بلنسية وشاطبة وجزيرة شقر ، أى معظم شرق الأندلس . أما بقية بلاد الأندلس الباقية ، وحدّها الشمالى مجرى الوادى الكبير ، فقد وقفت مكشوفة لا يدفع عنها أحد ، فتجمع مشايخ كل بلد وذوو الهمة من رجاله وتولوا أمر بلدهم والدفاع عنه قدر الطاقة ، أو اختاروا من يقودهم ، وأظهر أولئك الرؤساء محمد بن يوسف بن هود الجذامى الذى سنتكلم عنه .

وهكذا بدت جبهة الأندلس كلها من مرسية إلى إشبيلية مكشوفة أمام أعداء أقوياء لا يتقصهم الحافز للتقدم والاستيلاء على هذه البلاد الكبيرة التى وقف أهلها والخوف ملء قلوبهم تحت رحمة الأعداء .

وقد سار التقدم النصرانى فى ذلك الحين ، ابتداء من العقد الثالث من القرن السابع الهجرى / العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى ، فى ثلاثة تيارات : الأول وجهته غرب الأندلس وتولاه أمراء البرتغال ، والثانى وجهته حوض الوادى الكبير وتولاه ملوك قشتالة ، والثالث وجهته شرق الأندلس وتولاه ملوك أرغون . وكانت هذه الممالك الثلاث تختلف فيما بينها وقد تقع الحروب بين جيوشها ، ولكنها كانت تقف صفّاً واحداً إذا تعلق الأمر بحرب مع المسلمين ، وكانت البابوية تعمل فى جد لصراف ملوكها عن النزاع مع إخوانهم فى الدين وتوجيه أنظارهم نحو الغنائم السهلة التى تنتظرهم إذا ساروا جنوباً .

أضف إلى ذلك أن هذه الممالك الثلاث رزقت منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر إلى منتصف الثالث عشر ملوكا ذوى قدرة وسياسة وتصميم على مواصلة الحرب مع المسلمين ، وطالت إلى جانب ذلك أعمار الكثيرين منهم ، فانفسحت أمامهم الآجال للعمل والتجربة واكتساب الخبرات وتعويض الهزائم إذا وقعت ، ففيا بين سنتى ١٠٧٢ و ١٢١٤ (٤٦٥ -

٦١١ هـ) - أى قرابة القرن ونصف - حكم قشتالة ثلاثة ملوك كبار فى نسق ، لم تتخلل أيامهم إلا خمس عشرة سنة حكمها الملكة أوراکا بعد ألفونسو السادس ، وهؤلاء الملوك هم ألفونسو السادس والسابع والثامن ، وهذا الأخير حكم وحده ٥٦ سنة (١١٥٨ - ١٢١٤) عاصر خلالها أربعة من خلفاء الموحدين هم يوسف ويعقوب المنصور والناصر والمستنصر ، وفى هذا الحكم الطويل ضاهاه خايه الأول المعروف بالفتح ملك أرغون ، فقد حكم ٦٣ سنة (١٢١٣ - ١٢٧٦) وفرناندو الثالث ملك قشتالة فقد حكم ٣٥ سنة (١٢١٧ - ١٢٥٢) .

وفرناندو الثالث هذا يكاد أن يكون أشد ملوك إسبانيا النصرانية عزماً فى مواصلة الحرب ضد المسلمين ، وهو الذى استولى على قواعد الوادى الكبير الرئيسية : أندوخر Andujer وبيّاسة Baeza (٦٢٣ / ١٢١٧) وقرطبة (٢٣ شوال ٦٣٣ / ٢٩ يونيو ١٢٣٦) وجيان (٦٤٤ / ١٢٤٦) وقرمونة ، ثم استولى على إشبيلية (٦٤٦ / ١٢٤٨) . فأما قرطبة فقد سقطت على أهون سبيل ، وقاومت إشبيلية مقاومة عنيفة ولكنها قصيرة ، أما جيان فقد أخذت دون أن يجرد سيف من قرابه .

ولم ينجم بين مسلمى الأندلس خلال النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى إلا مغامرون أوتى بعضهم شجاعة ونجدة ، كان كل منهم يعمل منفرداً ويجرى فى نشاطه على غير هدى ، ولم يسلم واحد منهم مع ذلك من الخسوم والأعداء من إخوانه ، مما ضيع جهودهم وقصر أيامهم ؛ وأكبر هؤلاء جميعاً محمد بن يوسف بن هود الحذامى ومحمد ابن يوسف بن نصر بن الأحمر .

وابن هود هذا - وقد تسمى بسيف الدولة وتلقب بالمتوكل - نموذج من زعماء الأندلسيين فى ذلك العصر (سيترجم له ابن الأبار فى الحلقة) . ظهر وقد نادى المأمون الموحدى بنفسه خليفة فوقعت بينهما حروب طويلة ، ثم انسحب المأمون من الميدان فانضم الكثيرون من جند الأندلسيين الذين كانوا يعملون فى صفوفه إلى سيف الدولة المتوكل بن هود ، فاستقل هذا

بمرسية وجمع قوة عسكرية طيبة ودعا للخليفة العباسي وأتته من بغداد الخلعة والواء ، فحاز شرق الأندلس كله ، ورهبه النصاري وأطلقوا عليه اسم ثافادولا (سيف الدولة) وطرده من مرسية أميراً موحدياً كان يدعيها لنفسه هو أبو العباس بن أبي موسى بن عبد المؤمن ، وهزم السيد أبا زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن صاحب بلنسية واضطره إلى الدخول في طاعته ، وأصبح زعيماً لمن بقي من المسلمين في الأندلس . وقد أرخ له ابن الخطيب في « أعمال الأعلام » بأوفى مما فعل ابن الأبار في « الحلة » ، ويهمننا من كلامه عنه قوله : « وجرت على ابن هود هزائم شهيرة ووقائع مذكورة ؛ أوقع به السلطان أبو عبد الله (محمد بن يوسف) بن نصر ثلاث مرات آخرهن سنة ٦٣٣ أو ٦٣٤ ، وكان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بشرق الأندلس سنة ٦٣٥ ، فهزمه المأمون هزيمة كبيرة ، ولأذ منه بمرسية وامتنع بها ، إلا أن المأمون شغله أمر الفتنة الواقعة بمراكش ، فصرف وجهه إليها ، وثاب الأمر لابن هود ، فدخلت في طاعته المرية ، ثم غرناطة ، ثم مالقة . وفي سنة ٦٢٧ تحرك بفضل شهامته في جيوش عظيمة من المسلمين لإصراخ ماردة ، وقد نازها العدو وحاصرها ، ولقي جيش العدو بها وطاغيته ، فلم يتأنّ — زعموا — حتى دفع بنفسه العدو ، ودخل في مصافه ، وفقده الناس لما غاب عنهم ، فلم يرجع إلا وقد انهزموا مدبرين ، وكانت هزيمة شنيعة ، واستولى العدو على مدينة ماردة يومئذ ... »

فهذا رجل تصدى للأمر وأثبت شهامة ونجدة ، ولكن أنداده من المسلمين تصدوا له وواقعوه المرة بعد المرة ، ثم خذله جنده ، وكان من الطبيعي لهذا ألا يوفق إلى شيء ذي أثر .

وبينما كان ابن هود يقطع الجزيرة من شرق لغرب كان قائد آخر هو محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر يجمع صفوفه في بلده أرجونة قرب جيان ويستعد لحربه والحلول محله . ظهر ابن الأحمر سنة ٦٢٩ / ١٢٣١ — ١٢٣٢

ثم تقدم وملك جيان سنة ٦٣٠ / ١٢٣٢ - ١٢٣٣ ثم قرطبة ثم إشبيلية ، ثم استقر في غرناطة (٦٣٥ / ١٢٣٧ - ١٢٣٨) فصاقت الأمور بين الرجلين ووقعت الحرب بينهما وهلك فيها من المسلمين كثيرون . وكان ابن الأحمر سياسياً بعيد النظر ، استبان من أول الأمر أنه لن يستطيع الثبات في جبهة الوادي الكبير ، ولهذا اتجه نحو غرناطة ، وعول على أن يجعلها قاعدة ملكه مكتفياً بالطرف الجنوبي من شبه الجزيرة ، ولهذا حالف ملوك قشتالة وعاونهم واعترف لهم بالرياسة عليه مما نفر المسلمين منه ، فطرد أهل قرطبة ثم لإشبيلية جنده ، فلم يحفل كثيراً وركز همه في إقليم غرناطة . وعلى الرغم مما وقع بين ابن هود وابن الأحمر من حروب فإنه يمكن القول بأنه لو لم يكن سيف الدولة المتوكل بن هود لما استطاع الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر أن ينشئ مملكة غرناطة ، فقد شغل ابن هود القشتاليين وأخافهم خوفاً شديداً ، وحفزهم على موالاته خصمه ابن الأحمر وتأييده ، وفي ظل هذا التأييد قامت مملكة غرناطة ، وأنسا الله في عمرها بعد ذلك قرنين من الزمان .

* * *

شرق الأندلس

وكان شرق الأندلس يجتاز فترة قلقة مضطربة من تاريخه منذ ذهاب أمر المرابطين وحمى الموحدين ، فقد نجمت فيه سلسلة من أفذاذ القادة والمغامرين أكبرهم أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردانيش ، وكان أبوه في أوليته من قواد المرابطين يعمل في صفوف يحيى بن غانية ، وكان له بلاء عظيم في موقعة أفراغة ، فلما مات بدا لمحمد بن سعد أن يستقل بشيء من شرق الأندلس ، فاستقر في مرسية وحازها من جمادى الأولى ٥٤٢ / أكتوبر ١١٤٧ . وكان فارساً نجداً عظيم البأس ، تمكن بالاتفاق مع أكناد برشلونة من أن يسود شرق الأندلس كله لقاء إتاوة سنوية ثقيلة قدرها مائة ألف دينار ، كما يقول ابن الخطيب في « أعمال الأعلام » ، وشد أمره بمصاهرة نفر من الثائرين بشرق الأندلس منهم يوسف بن هلال وكان قد

استقل بحصن مطريش وإبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك الذي
انترى ببعض حصون إقليم مرسية مثل شقوبش وشقورة ، ثم انقلبوا عليه
ووقعت بينهم فتن طويلة يقص ابن الأبار في « الحلة » وابن الخطيب في
« أعمال الأعلام » وابن عذارى في الجزء الثالث من « البيان المغرب »
طرفاً منها .

ولجأ محمد بن سعد في أثناء ذلك إلى النصارى فاعتضد بهم واتخذ لنفسه
جنداً منهم وأثقل على رعيته بالضرائب ، فنفر منه الناس ، وتخلّى عنه
أخوه أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش ودخل في طاعة الموحدين
أيام أبي يوسف يعقوب المنصور . ووجد محمد بن سعد نفسه وحيداً دون
نصير وقد علت به السن وقاربه الموت ، فكاتب أبا يوسف يعقوب وتخلّى
له عن مرسية وبقية ما بيده وأرسل أولاده إلى الخليفة الموحدى وأوصاه
بهم ، فرق يعقوب المنصور لهذا الصنيع وقرّب أبناء محمد بن سعد وأقام
كبيرهم أبا القمر هلال بن محمد بن سعد عاملاً على إشبيلية ، وتزوج ابنة
لمحمد بن سعد تسمى الزرقاء في ربيع الأول ٥٧٠ / أكتوبر ١١٧٤ فحظيت
عنده وكان لها أبعد الأثر في بقاء بنى مردانيش في السلطان ، وأقام عمها
أبا الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش أميراً على بلنسية وأخاه غانم بن
سعد بن مردانيش أميراً على أسطول الموحدين في سبتة . وبعد موت محمد
ابن سعد أصبح رأس البيت أخوه أبو الحجاج .

وفي أيام محمد الناصر هبط أمر أبي الحجاج بن سعد بن مردانيش ،
ولكنه ظل أميراً على بلنسية حتى سنة ٥٨٢ / ١١٨٦ . وكان له أولاد كثيرون
أهمهم أبو الحملات مدافع وأبو المظفر غالب وأبو الحارث سبع وأبو سلطان
عزيز وأبو ساكن عامر وأبو محمد طلحة ، وكان كل منهم يتولى حصناً
أو ناحية من نواحي بلنسية ومرسية .

وفي سنة ٦٠٧ / ١٢١٠ أقام محمد الناصر أبا عبد الله بن أبي حفص

عمر بن عبد المؤمن واليا على بلنسية ثم خلفه عليها ابنه أبو زيد عبد الرحمن ،
والمراجع تخطط بين أبي زيد هذا وعم له يحمل نفس الاسم ، ولكن أبا زيد
العم لم يكن قط أميراً على بلنسية ، إنما كان أميراً على ميورقة سنة ٥٩٩ /
١٢٠٢ - ١٢٠٣ ثم توفي بعقب ذلك بعد تاريخ طويل في دولة الموحدين ،
أما أبو زيد المراد هنا فهو ابن عبد الله بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ،
وهو أخو عبد الله البياسي الذي ذكرناه ، وقد نشأ هو وأخوه وبقية
بيته في بياسة فعرفوا لذلك بالبياسيين ، وكانوا فريقاً قليل الإخلاص شديد
الأنانية حريصاً على الحياة والملك بأي ثمن .

وقد رأينا ما فعله عبد الله البياسي من حرب المسلمين والانضمام إلى
القشتاليين ثم الذهاب إليهم جملة ؛ ولم يكن أخوه أبو زيد هذا بأحسن منه ،
فقد أمسك ناحيته بعون النصارى وأداء الإتاوة لهم ، وبفضلهم استطاع
التغلب على بني مردانيش ، فاكنتي أكبرهم أبو الحملات مدافع بن
أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردانيش بحصن أْبْدَه ، وقد استشهد في
بعض المواقع شاباً ، فخلفه ابنه أبو جميل زيان بن أبي الحملات وضيق
على أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن أبي حفص عمر في بلنسية ،
فأيس هذا من المسلمين جملة ، فهو على خلاف مع الموحدين لا يستطيع
طلب عونهم أو اللجوء إليهم ، والمسلمون في بلنسية كارهون له يتربصون به
الدوائر ، ففكر في اللجوء إلى أنصاره من النصارى وخاصة خايمة الأول
صاحب أرغون ، وذهب إليه ليفاوضه في معاونته ، ولكن خايمة لم يجد فيه
ما يستحق العناء ، ولإزاء هذا عرض عليه أبو زيد أن ينتقل إلى بعض حصونه
ويقم فيه تابعاً له ، وتم الاتفاق على ذلك ، واستقر في حصن شُبْرُب ،
ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه دخل هناك في النصرانية ، وهو أمر نستبعده ،
لأن مفارقة الدين في سن مثل هذه أمر غير يسير ، خاصة من أمير موحدي
مهما كان طبعه ورأينا فيه . واستقر الأمر في بلنسية لأبي جميل زيان
ابن مردانيش .

وقد كتب ابن الأبار لأبي عبد الله والد أبي زيد عبد الرحمن ، ثم كتب لأبي زيد وخرج معه للملاقة الملك خايمة ، ثم رجع وحده عندما رآه يفضل مباينة دار الإسلام والإقامة في بلاد ملك أرغون . وقد سكت ابن الأبار عن هذه الواقعة سكوتاً غريباً ، فلم يقل شيئاً ينير لنا هذه النقطة الهامة ، والمهم أنه عاد إلى بلنسية وعمل كاتباً لأبي جُحيميل زيان بعد ذلك .

وكانت بلنسية إلى ذلك الحين أسعد حالا من غيرها من كبريات مدائن الأندلس ، فقد نفعها قيام بني مردانيش وابن همشك وبني هود وابن الأحمر في إقليمها أو قريباً منها ، لأن أولئك الرجال أخرجوا سقوطها وصرفوا الغزاة إلى غيرها مما كان أسهل منها ، وأتاحوا لأهلها بضع سنوات من الهدوء والأمان النسبيين ؛ نقول النسبيين لأن الوقائع في إقليمها كانت على قدم وساق ، وكان أهلها يخرجون للقاء الأعداء كلما أمكنهم الفرصة .

وكانت سن ابن الأبار إذ ذاك بعد الثلاثين بقليل ، وكان من شخصيات بلده الظاهرين ، فهو واحد من كبار العلماء ورجال الأدب ، وهو كاتب الرسائل للأمير أبي جُحيميل زيان بن مردانيش ، وكان يلتقى بأصحابه من العلماء وكبار أهل البلد في قصر الإمارة ؛ من أولئك العلماء الذين ارتبط معهم برباط الصداقة أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عَميرة الخزومي وأبو الحجاج يوسف البياسي .

فأما ابن عَميرة فقد ولد في بلنسية سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ أى أنه كان أكبر من ابن الأبار بن خمس عشرة سنة ، وقد رحل إلى المشرق للدراسة ولقاء الشيوخ ، وعاد إلى بلده ليتولى القضاء في شاطبة ثم في ميورقة حتى سنة ٦٢٧ / ١٢٣٠ إذ حضر تسليم الجزيرة لقوات خايمة الأول ملك أرغون ، وكتب كتاباً عن « كائنة ميورقة » بقيت لنا منه فقرات طويلة في « نفع الطبيب » للمقرى ، وقد غادر بلنسية بعد سقوطها سنة ٦٣٦ / ١٢٣٨ ، وتوجه إلى المغرب حيث كتب للرشيد الموحدي وتولى القضاء في بضع نواح ، ثم انتقل إلى إفريقية حيث كتب للمستنصر الحفصي إلى أن

توفى سنة ٦٥٨ / ١٢٦١ أى فى نفس السنة التى توفى فيها ابن الأبار .
وقد أورد القلقشندى فى « صبح الأعشى » نص رسالة كتبها ابن عميرة
هذا عن « طاغية الإفرنج » والمراد به هنا خايمة الأول ملك أرغون الذى
استولى على ميورقة قبل أن يستولى على بلنسية . والغالب أن ابن عميرة اضطر
للعمل فى الكتابة للملك خايمة بعد سقوط ميورقة وهو فيها ليحقق دمه ،
حتى إذا أتيحت له فرصة الخروج منها والعودة إلى دار الإسلام فعل ،
والحكاية تبقى رغم ذلك مستغربة مستنكرة من رجل فى مكانة أبى المطرف بن
عميرة ، والفرق عظيم على أى حال بينه وبين رجل كأبى الربيع سليمان بن سالم .
وأما أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصارى البياسى فقد ولد
فى بلنسية فى ربيع الأول سنة ٥٧٣ / ١١٧٧ أى أنه أكبر من ابن الأبار
بأثنتى عشرة سنة ، وكان أديباً حافظاً اتجه إلى الأدب والتاريخ بصورة
خاصة ، وهاجر إلى تونس بعد سقوط بلده بلنسية واستقر فى تونس يعلم
ويؤلف ، وأثرت عنه كتب مثل « الإعلام بالحروب الواقعة فى صدر
الإسلام » و « الحماسة » وغيرهما ، حتى مات فى ذى الحجة سنة ٦٥٣ /
يناير ١٢٥٦ هـ .

* * *

سقوط بلنسية

فى ذلك الحين كان الخطر يقترب من بلنسية يوما بعد يوم ، لأن مملكة
أرغون التى اتحدت مع إمارة قطلونية أيام ملكها پدرو الثانى أصبحت خلال
النصف الأول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى من أقوى
ممالك شبه الجزيرة وأهمها ، لأن عرش أرغون كان يضم — إلى جانب إقليم
سرقسطة وحوض الإبره — دوقيتى پروفنسة وروسيون فى جنوبى فرنسا ،
وكان ملكها پدرو الثانى قد استولى على طركونة وطرطوشة وأطل على حدود
إمارة بلنسية . وتوفى پدرو الثانى قتيلا فى معركة موريت Moret بجنوبى فرنسا
مخلفا ابنه الوحيد خايمة أو جاقه Jaime فى وصاية أمه مارية د موبلييه ، وكانت

تعيش في روما منذ طلاقها من زوجها ، فلما ماتت في أبريل ١٢١٣ تركت ولدها في وصاية البابوية . وكان لهذا الوضع أثره البعيد في تاريخ مملكة أرغون أيام خايمه الأول ، لأنها اعتُبرت إقطاعية تابعة للبابوية واعتُبرت حروبها مع المسلمين حروباً صليبية ، وكان البابا إنُسِنْتُ الثالث هو الذى تولى بنفسه رعاية شؤون الصبي خايمه حتى بلغ سن الرشد وتولى الملك ، وقد نذب البابا للوصاية على العرش رجلاً من رجاله هو پدرو دِ بِنِشْنْتُو دِيَّان كنيسة سنتا ماريا دِ أكيرو ، فأقبل واستقر في لاردة وعقد هدنة مع المسلمين ، وأُتاب عنه في الحكم والوصاية على خايمه سانشو دوقَ پروفنسة وكان ابناً لرامون بيرنجير الرابع .

وفي سنة ١٢١٨/٦١٥ بلغ خايمه سن الرشد ولقب بالأول ، وبدأ في نفس السنة كفاحه الطويل ضد المسلمين ، فسار نحو بِنِشْكُلَه Péniscòla واستغلبها ، وكانت تلك أول ما سقط في يده من توابع بلنسية . ثم حفزه نفر من تجار برشلونة ومندوب البابا ونفر من أشراف مملكته على غزو جزيرة ميورقة ، فجرد حملة من مائة فارس وألف راجل ، واعتُبرت الحملة حملةً صليبية ، وتمكن من الاستيلاء على الجزيرة بأيسر جهد في ١٤ صفر ٦٢١ / أول يناير ١٢٣٠ ، والمراجع النصرانية تذهب إلى أن الغزو تم قبل ذلك بشهر أى في منتصف المحرم ٣١ / ديسمبر من نفس السنة . وعلى سهولة هذا الفتح فقد رفع من شأن خايمه — أو « جاقم » كما يسميه ابن الأبار — إلى مصاف كبار الفاتحين ، وأصبح يلقب بالكونكيستادور أى الفاتح . ولم تسقط الجزيرة كلها بسقوط قاعدتها ، إذ استمرت الحرب هناك سنوات تم خلالها القضاء على كل مقاومة .

وعقب ذلك مباشرة اتجهت أنظار خايمه نحو بلنسية ، وقد حرضه على هذا أوجو فولكالكير Hugo Folcalquer رئيس فرسان الداوية في مملكة أرغون ونفر من الأشراف ، فسار نحو منطقة بلنسية في سنة ١٢٣٢ (٦٣٠ —

٦٣١ هـ) : واستولى على آره Ares ثم مُرِلَّه Morella في نفس السنة :

وفي شوال ٦٣٠/ يوليو ١٢٣٣ استولى على بُريانة Burriana بعد حصار بالبر والبحر ، ثم أعاد إخضاع بنشكله وبُوليش Polpes وقسطليون Castellón وبريول Borriol وكويثاس Cuevas وبين رومان Vinromá وألقلوطن Alcaluten وبيلافورنس Vilafornés ووصلت غارته إلى ضفاف نهر شقر وناحية البلاط Albalate . وفي سنة ٦٣٣/ ١٢٣٤ استولى على مُصارَة بلنسية ، وفي العام التالي حاول الاستيلاء على قُليارة Cullera دون نجاح ولكنه ملك حصنين يشرفان على بقاع بلنسية هما مُنكاده Montcada ومُشروس Museros .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ، أى في سنة ١٢٣٨ (٦٣٦ - ٦٣٧) ضرب معسكره بين بلنسية وقرية مجاورة لها تسمى جراو Grau وعول على ألا يريم حتى يستولى على البلد . وتدفقت إليه النجذات من شتى البلاد التابعة له ، بل أقبل لعونه مقاتلون من نربونة ونفر من فرسان قشتالة .

ويغلب على الظن أن ذلك الموضع الذى ضرب الملك خايمة معسكره عنده هو جبل أنيشة أو أنيجة الذى يسميه ابن عبد المنعم الحميرى عقبة أنيشة ويسمى في النصوص الإسبانية إلبويش el Puig وتقوم عليه قرية تحمل نفس الاسم ، وتقع هذه العقبة على ٢٠ كيلومتراً شمالى بلنسية في الطريق إلى مريبطُرُ التى تعرف باسم سَاجُونتو Sagunto . وأحس أبو جُميل زيان بالخطر الداهم ، وانتهز فرصة ابتعاد الملك خايمة عن معسكره ، فخرج في جمع عظيم من مقاتلى بلنسية فيهم نفر من الشيوخ والفقهاء ، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة . وقد استبسل البلنسيون في القتال ، ولكن أعداءهم أداروا عليهم خدعة كبيرة ، إذ أقبلت طائفة منهم من بعيد حاملة راية الملك وأشاعت أنه عاد بجيش كبير ، ففت ذلك في عضد المدافعين عن بلدهم وأيقنوا بالهزيمة وأخذ الكثيرون في الفرار . وفي هذه الفوضى استشهد من المسلمين كثيرون من بينهم أبو الربيع

سليمان بن سالم الكلاعي ، وكان قد بلغ السبعين من عمره ، ولكنه بقي في الميدان إلى آخر المعركة ، وظل يثبت الناس ويدعو الفارين إلى العودة حتى قتل ، وكان ذلك في ٢٠ ذى الحجة ٦٣٤ / ١٣ أغسطس ١٢٣٧ . وكانت تلك آخر محاولة كبيرة قام بها البلنسيون لإنقاذ بلدهم .

ولم يحضر ابن الأبار هذه الواقعة ؛ إذ لو حضرها لقال ذلك ، فقد ذكرها في « التكملة » وفي « الحلة » . وأحس أبو جميل زيان أنه لن يستطيع الثبات وحده ، فقرر إرسال سفارة إلى أبي زكريا الحفصي صاحب إفريقية (تونس) وندب لها ابن الأبار ، وتلك هي السفارة التي أنشد فيها ابن الأبار قصيدته المشهورة :

أدركُ بخيلك ، خيل الله ، أندلساً إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهي قصيدة طويلة فيها من التكلف ما يكاد يصرف قارئها عن الحال
الحزن الذي قبلت فيه ، ولكنها على أى حال حققت الهدف من إنشادها ،
فقد تحمس أبو زكريا وأرسل إلى بلنسية بضع سفن مشحونة بالمال والعتاد
والزاد .

وكان خايه قد ضيق الحصار حول بلنسية في أثناء ذلك ، ووصل الأسطول الحفصي وحاول النزول في موضع جراو قرب بلنسية في ٤ محرم ٦٣٦ / ١٨ أغسطس ١٢٣٨ ، ولكنه وجد الموضع حافلا بجند النصارى فأرسل قائد الحملة أبو يحيى بن أبي حفص عمر الهنتاقي المعروف بالشهيد إلى أبي زكريا الحفصي يعلمه بالحال واتجه هو بالسفن إلى دانية وأرسي فيها في ١٢ محرم ٦٣٦ / ٢٦ أغسطس ١٢٣٨ وترك لأهلها الطعام والسلاح اللذين كان يحملهما ، أما المال فقد عاد به إذ لم يجد من يتسلمه منه . ومن الغريب أن أبا بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب الذي سترجم له ابن الأبار في الحلة بايع لنفسه على مرسية في نفس اليوم الذي وصل فيه الأسطول الحفصي إلى جراو ولقب نفسه بضياء السنة وعلى مسافة قصيرة منه بلد إسلامي يحتضر ! ولو في هذا الرجل ومن حوله

من السنة أثارة لحف لنجدة إخوانه ، ولكن إلى هذه الحال من سخف العقول وصل الناس في تلك الأيام ، والدول لا تسقط عن قلة عدد وإنما عن سقوط الهمم وضياح النخوة وموت الإحساس . ومما يستلفت النظر ويدعو إلى الاعتبار أن لسان الدين بن الخطيب سخر من ابن خطاب هذا وقال إنه قبل الإمرة بمرسية « مع قطع صبي المهدي ورضيع الثدي بسوء عقبي من يتحمل ذلك يومئذ » ، وابن الخطيب ذاته سيزج بنفسه مهالك ومعاطب ومطامع يقطع نفس « صبي المهدي ورضيع الثدي » بسوء عقباها ، ومع هذا لم يذكر ولم يتعظ ، وانتهى بنفسه إلى مصرع شبيه بمصرع ابن خطاب .

ويذهب ابن الخطيب إلى أن الحصار طال حتى « نفذت الأقوات واستولى الجوع وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق » ، والواقع أن الحصار لم يطل حتى بلغت الحال هذا المبلغ ، ولكن القتال كان ضارياً عنيفاً وخاصة بعد معركة أنيشة ، ثم إن فرقاً من فرسان أرغون كانت لا تكف عن الغارة على البلد وانتساف ما حوله من معسكرها عند عقبة أنيشة ، وكانت أعدادهم تتزايد يوماً بعد يوم حتى أصبح معسكر ملك أرغون كأنه مدينة كبيرة خف إليها التجار من كل صوب ، وقد أتى بعضهم من موبلييه ، وأخيراً استقر رأى أبي جميل زيان على التسليم ، وتم ذلك في ١٧ صفر ٦٣٦ / سبتمبر ١٢٣٨ ، وقد اشترك ابن الأبار في المفاوضات وكتب بنفسه العقد كما حكى في « الحلة » : وقد نص الاتفاق على أن يغادر من أراد من المسلمين بلده خلال ٢٠ يوماً بأمواله وأسبابه ، « وابتدئ بضعة الناس ، فسُيروا في البحر إلى نواحي دانية ، واتصل انتقال سائرهم براً وبحراً ، وصبيحة يوم الجمعة ١٧ من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه ، وعند ذلك استولى عليها الروم » .

استقر أبو جميل زيان وابن الأبار معه في دانية ، ويبدو أن ابن الأبار حاول أن يجد عملاً عند بعض الرؤساء فيما بقي من مدن الأندلس ، فقد أورد

المقرى فى «أزهار الرياض» رسائل منه إلى بعضهم (٢٢١-٢١٦/٣) ، ولكنه لم يوفق ، فعول على مفارقة الأندلس جملة إلى إفريقية والتماس الأمان . بلد ذاع له فيه صيت منذ زيارته الأولى ، وقد فعل فعله أبوالمطرف بن عميرة وأبو الحجاج يوسف البياسى وغيرهم كثيرون ، ولم يكن الأندلس قد ضاع كله ولا انقطع منه الرجاء ، ولكن هكذا كان تصرف الكثير من علمائه وقادة السياسة والرأى فيه : نجوا بأنفسهم مخلفين الصغار والضعفاء وأهل الأرياف والمدن ، وهناك فى ظلال الأمن والدعة طفقوا يكتبون مراثى نثرية أو شعرية يعبرون فيها عن أسف متكلف ، وليس هناك أبعد عن الصدق من هذه المكاتبات المنظومة أو المثنوية بين ابن الأبار وأبى المطرف بن عميرة فى رثاء بلنسية .

أما أبو جميل زيان فقد تمهد له الأمر فى دانية ، ولكن الملك خايمة اتجه إلى الجنوب فاستولى على كندية Gandía فخاف أبو جميل وأرسل إليه يعرض تسليم لقمنت Alicante فى مقابل تنازل الملك عن جزيرة ميورقة ، فرفض خايمة لأن الاتفاق كان قد تم بينه وبين ملك قشتالة على أن تكون بلنسية آخر ما يستولى عليه من بلاد المسلمين ، والباقي من نصيب قشتالة . ثم حاصر شاطبة حصاراً قصيراً وأقلع عنها عائداً إلى مونبلييه .

وأقام أبو جميل رئيساً لدانية ، وما زال يدبر وهو فيها لرئيس مرسية أنى بكر عزيز بن أبى مروان بن خطاب ، حتى ثار به الناس وبايعوا لأبى جميل ، ثم قُتل ابن خطاب فى رمضان سنة ٦٣٦/أبريل ١٢٣٩ فأصبح أبو جميل رئيس دانية ومرسية ، وظل فى الأولى حتى سار فارس ألمانى اسمه Carroz ممن كانوا يعملون فى خدمة الملك خايمة فانتزعها منه سنة ٦٤٢/١٢٤٤ . وأما مرسية فقد ظل أميراً عليها داعياً للخليفة العباسى ، ثم دخل فى طاعة محمد بن يوسف ابن نصر بن الأحمر ، وظل على هذا وقتاً قصيراً ، ثم بدا لابن الأحمر فعزله عنها ، فتركها ومضى إلى تونس حيث عاش بقية عمره .

أما هذا الاتفاق الذى أشرنا إليه بين ملكى أرغون وقشتالة فقد تم فى بليدة تسمى المرسى *Almirza* من أحواز بلنسية فى ٢٥ مايو ١٢٤٤ (ذى القعدة ٦٤١) وهو يدل على أن الاستيلاء على ما بقى من قواعد المسلمين فى شرق الجزيرة لم يعد حرباً بل تقسماً ، هذه لهذا وتلك لذلك ، وأدهى من ذلك أن هذا الاتفاق تم بينهما توثيقاً لمصاهرة عقداها ، فقد اتفقا على أن تزوج الأميرة فيولانت ابنة خايمة الأمير ألفونسو بن فرناندو الثالث ملك قشتالة ، ونص الاتفاق على أن تكون شاطبة جزءاً من شوار العروس ، ولم تكن شاطبة قد سقطت بعد ! وبعد مفاوضات طويلة كادت تؤدى إلى الحرب استقر الملكان على اتفاقية المرسى هذه ، وقد نصت على أن يعطى خايمة لصهره بيانة *Villena* وساش *Sax* وكاوديت *Caudete* وبُغرس *Bugarras* وأن يتنازل ملك قشتالة عن إنغيرة *Enguera* وموشنت *Mogente* ، وأن تكون بلنسية وتوابعها من نصيب أرغون ، ومرسية وتوابعها وما يليها جنوباً من نصيب قشتالة ، ووضع حد فاصل بين الناحيتين ، فتبعت مرسية بلاد المنزل *Almansa* وسرذول *Sarazul* وحوض نهر كبرينول *Cabrinol* ، وتبعت بلنسية بلاد قسطلة *Castalla* وأبيار *Biar* وريو *Relleu* وسشونة *Saxona* والأرش *Alarch* وفينسترات *Finestrat* وطُرش *Torres* وبولوب *Polop* ومواله *Muela* ، وكلها مواضع صغيرة بين حوضى نهري شقر *Jucar* وشقورة *Segura* .

وقد انتقد مؤرخو قطلونية ذلك الاتفاق وقالوا إنه أخرج مملكة أرغون من ميدان الحرب مع المسلمين وأقفل فى وجهها سبيل التوسع جنوباً على حسابهم ، ولكن خايمة الأول كانت أمامه مشاكل كثيرة فى بلاده المترامية ، ولم يكن يستطيع المضى فى حرب المسلمين إلى أكثر مما مضى ، ثم إن مرسية وما يليها جنوباً كان أمرها استقر بعض الشيء بعد قيام أبى جُميل زيان بالأمر فيها ويبيعه للخليفة العباسى ودخوله فى طاعة محمد بن يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وكان مركز هذا قد استتب وأصبح قادراً على مواصلة

الحرب للدفاع عن كيانه ، وكان ابن الأحمر إلى جانب ذلك تابعاً للملوك قشتالة ، فلم تكن مواصلة الحرب معه بالأمر اليسير ، ومهما يكن من الأمر فقد ختم خايمة أعماله في هذه الناحية بالاستيلاء على شاطبة في أبريل ١٢٤٨ (محرم ٦٢٦) ليقدمها في شوار بنته بعد ذلك .

* * *

ابن الأبار في إفريقية

غادر ابن الأبار إذن بلاد الأندلس قاصداً بلاد الحفصيين ، ويذهب الغربي إلى أنه ذهب أولاً إلى بجاية « ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف وألف ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له » . ويبدو أن إقامته ببجاية كانت قصيرة ، لأنه يذكر في ترجمة نذير بن وهب بن لب أن هذا الأخير توفي في العشر الأوسط من شعبان ٦٣٦ / مارس ١٢٨٩ « بعد ستة أشهر من الحادثة على بلنسية ، وأنا حينئذ بحضرة تونس في توجهي إليها » أي أنه أقام ببجاية ثلاثة أشهر أو أربعة انتقل بعدها إلى تونس ليكون كاتب المستنصر الحفصي .

وتذهب المراجع إلى أنه تولى كتابة الإنشاء والعلامة ، و « العلامة » هي عبارة التوقيع التي تضاف إلى المكاتبات السلطانية وترفع إلى السلطان ليضع عليها خاتمه ، ويقال إن ابن الأبار كتب العلامة فترة من الزمن وكان يكتبها بخطه المغربي ، ولكن السلطان أبا زكريا يحيى رغب في أن تكون بالخط المشرق ، ولهذا أمر بأن يكتب ابن الأبار بإنشاء المكاتبات ويدع العلامة لأحمد بن إبراهيم الغساني ، وكان يحسن الكتابة بالخط المشرق ، فغضب ابن الأبار لذلك واستمر يكتب العلامة على ما ينشئه من رسائل ، فعوتب في ذلك وروجع ، فاستشاط غضبا ورمى القلم من يده وأنشد :

اطلب العز في لظي وذو الذل (م) ولو في جنسان الخلود

وحمل الخبر إلى السلطان ، فصرفه عن العمل وأمره بلزوم بيته .
هكذا نجد الخبر في كل مراجعنا على طريقتها في تحليل الحوادث

تعليلات سطحية ظاهرة التكلف ، والحقيقة أن ما جرى لابن الأبار كان حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين المهاجرين وشيوخ تونس من موحدين وغير موحدين ، بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزله وعلمائه . فقد كان الأندلسيون يحسون أنهم أعلم من غيرهم وأقدر ، ومن ثم فهم أولى بالتكريم وبالمناصب . ثم لأنهم كانوا يتوقعون ممن نزلوا عليهم مراعاة وعظفاً عليهم مواساةً لهم فيما أصابهم في بلادهم . أما أهل المغرب وتونس ومصر وبقية أهل المشرق فكانوا يرون أن أولئك المهاجرين أولى بأن يتواضعوا ويقنعوا بما وجدوا في أوطانهم الجديدة ، ثم لماذا يطلبون أن يمتازوا على غيرهم ما داموا قد أصبحوا مواطنين في البلاد التي نزلوها ؟ هذا كان مدار الخلاف الحقيقي ، نلمحه في صور شتى في تراجم الأندلسيين الذين هاجروا إلى بلاد إسلامية بعد ضياع بلادهم ، ويندر أن نقرأ لواحد من أولئك الأندلسيين شيئاً إلا لمسا فيه المرارة التي نشأت عن خيبة الرجاء في المهجر ، وأمثلة ذلك كثيرة عند علي ابن سعيد وأبي الخطاب بن دحية وأثير الدين أبي حيان وأبي بكر الطرطوشي وابن خلدون والمقرئ وغيرهم .

ولكن الخلاف بين الأندلسيين والبسديين كان أوسع مدى وأبعد أثراً في تونس عاصمة الحفصيين ، فقد كان عدد من نزلها من الأندلسيين عظيماً ، وكان الكثيرون منهم سلاثل أسر عريقة لها في تاريخ الأندلس السياسي والعلمي أثر بعيد ، وقد ذكرنا أبا المطرف بن عميرة وأبا الحجاج البياسي ويضيف ابن خلدون أبا مروان أحمد الباجي من أعقاب أبي الوليد وأبا عمر ابن الجلد من أعقاب أبي بكر بن الجلد وغيرهم . وكان هؤلاء يتجمعون عصبة واحدة على العلماء من أهل البلد ومشايخ الموحدين يحاولون الاستئثار من دونهم بالوظائف الكبرى ومراتب الشرف ، وفي أيام أبي زكريا يحيى الحفصي تجمع هؤلاء حول عمه أبي القاسم بن أبي زيد وكان رجلاً طامحاً إلى السلطان لا يفتنى مطامعه ، وكان له مع أبي زكريا أخبار ووقائع ، ومن

ثم فقد كان الشك يحوم حول الأندلسيين ، وكانت الواقعة فيهم تجد أذنًا صاغية من هذه الناحية .

وقد حرص معظم من ذكرنا من مهاجرة الأندلسيين على أن يبتعدوا عن السياسة ما أمكن ، وانصرفوا إلى العلم أو غيره من المشاغل التي لا يثير الاجتهاد فيها مخاوف أولى السلطان ، ولكن ابن الأبار لم يستطع سلوك هذا السبيل ، فقد كان بطبعه رجلاً طموحاً إلى السلطان والجاه وعرض الدنيا ، ولو رجلٌ "غيره حوى في صدره من العلم ما حوى لحمد الله على الأمان الذي صار إليه والكرامة التي لقيها وانصرف إلى التأليف والإقراء ، ولكن سوء طالع له غلب عليه ، فقد كان إلى طموحه وطمعه سريع الغضب حديد اللسان تصدر عنه المساءة وكأنه لا يشعر ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما وصل إلى إفريقية نزل في ميناء بنزرت ، وكتب إلى أبي عبد الله بن أبي الحسين وزير أبي زكريا الحفصى ينبئه بمجيئه ويمت إليه بصلة صداقة قديمة بدأت عند ما زار ابن الأبار تونس في المرة الأولى ، وكان يحسب أن والد الوزير متوفى فنتعته في الخطاب بالمرحوم ، فنبهوه إلى أنه في قيد الحياة ما يزال ، فضحك وقال : « إن أباً لا تُعرف حياته من موته لأبٌ خامل » ، ولم تعدم هذه الكلمة من يحملها إلى الوزير — طبعاً — فآلمته ، وتحدث إلى السلطان في أن يستقر ابن الأبار في بجاية ، ففعلاً ذهب ابن الأبار إليها وأمضى فيها بضعة أشهر ثم استقدمه أبو زكريا إلى تونس وألحقه بخدمته .

ولم يقلع ابن الأبار عما جبل عليه من إيذاء الناس بلسانه ، ويبدو أنه كان ممن ينزون الآخرين بالكلام القارص أو النقد المهين في خفية وتستتر حاسبين أن أمرهم لا يفتضح ، وأمرهم في الحقيقة لا يخفى على أحد ، ومن هنا لقبه خصومه بالفأر ، ويغلب على الظن أن وجهه كان صغيراً نحيلاً ومن هنا قال فيه أحد خصومه وهو أبو الحسن علي بن شلبون المعافى البليسي :

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع
ع الناس صادرةً من الأبار
أو ليس فأراً خالقةً وخليقة؟
والفأر محبوب على الإضرار

فأجاب ابن الأبار سريعاً :

قل لابن شلبون مقالَ تنزهٍ : غيرى يجاريك الهجاءَ ، فجارٍ
إنا اقتسمنا خطيتنا بيننا فحملتُ برّةً واحتملتُ ، فجارٍ !

ثم إن ابن الأبار كان شديد الاعتداد بنفسه دائم الفخر بالأندلس
وتفضيله على إفريقية ، قال ابن خلدون : « وكان في ابن الأبار أنفة وبأو
وضيق خلق » ، ومن هنا زهد فيه أبو زكريا الحفصي وأراد أن يبعده
عن ديوانه ، وأيده في ذلك أبو الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني ، فتعلل
السلطان بحكاية خط العلامة هذه حتى لا يراه ، إذ كان صاحب العلامة
يعرض الكتب عليه ، ولكن ابن الأبار لم يفهم ، وأصر واستمسك ،
ثم ذهب به الغضب إلى التمثل بالبيت الذي يفضل فيه العز في اللظى على الذل
في جنان الخلود ، ولم يكن هذا منه إلا تشدقاً بألفاظ ، فلو كان في الحقيقة
ممن يفضلون العز في اللظى لأقام في الأندلس ، فهناك فعلاً كان اللظى في
الحروب التي لا تسكن وهناك أيضاً كان العز في ظلال السيوف .

وليت ابن الأبار استمسك بهذه العزة بعد أن أبعد وألزم داره !
بل سعى سعيّاً حثيثاً في العودة إلى الذل في جنان السلطان ، بل أنفق الوقت
في رسالة استعطاف طالت حتى صارت كتاباً هو « إعتاب الكتاب » تذلل
في فاتحته فأسرف في التذلل ، ثم أخذ يقص حكايات كتاب سبق إليهم
غضب السلاطين ثم حلت بهم نعمة الرضا فأعتبوهم . وقد استشفع ابن
الأبار بولي العهد أبي يحيى زكريا ، وكان في أيام أبيه شاباً مستضعفاً دائم
الخوف من إخوته محمد وإبراهيم وعمر وأبي بكر (وكلهم ولى بعده)
ومن أبناء عمه محمد بن عبد الواحد المعروف بالبحاني لعظم لحيته ، ولهذا
كان حريصاً على أن يكسب لنفسه أنصاراً يشدون أزره ، فسرّه أن يستشفع
به ابن الأبار فكلم أباه في أمره فأعاده إلى الرضا .

وشاءت الأقدار أن يموت أبو يحيى زكريا هذا قبل موت أبيه بسنة
واحدة (٦٤٦ / ١٢٤٨ - ٤٩) وأن يصير الأمر بعد ذلك إلى أبي عبد الله

محمد ثاني أولاد أبي زكريا ، وهو الذى عرف بالمستنصر أو المنتصر ، وظل ابن الأبار فى عمله ولكنه استمر على دأبه فى تنقص الناس وخاصة أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغسانى ، وكان قد أصبح وزير المستنصر ، فاجتهد هذا حتى أصدر السلطان أمره بإبعاد ابن الأبار إلى بجاية ، فذهب إليها وانصرف إلى التأليف فترة من الزمن أنجز فيها كتاب « التكملة » الذى كان قد بدأه فى الأندلس ، وهذه الإقامة فى بجاية هى التى أتاحت للغبرنى فرصة الترجمة لابن الأبار ضمن من حل من العلماء ببجاية ، وهى أحسن وأوفى ترجمة له بين أيدينا .

وفى هذه الفترة أيضا نعتقد أنه أتم كتاب « الحلة السراء » ، ومن المقطوع به أنه بدأ يكتبه فى تونس عقب استقراره فيها ، فهو فى فاتحته يتحدث عن شعر للسلطان أبي زكريا يحيى وولى عهده أبي يحيى ، وكانا يقرضان الأبيات منه بين الحين والحين ، وقد صنفه ابن الأبار تمجيذاً لشاعرية السلطان وابنه وتدليلاً على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء والسلاطين والأمراء ، فهذا الكتاب ، مثل « إعتاب الكتاب » ، كتاب مناسبة ، ولكنها كانت مناسبة سعيدة ، لأنها أتاحت الفرصة لهذا الحافظ الواعى ليسجل شيئاً من محفوظه الغزير . وفى الكتاب إشارة إلى أنه كان ما زال مشغولاً بكتابته سنة ٦٤٦/١٢٤٨ - ٤٩ وهى السنة التى توفى فيها ولى العهد أبو يحيى ، وربما يكون قد أتمه قبل وفاة أبي زكريا ، ولكن العجلة التى تبدو فى الباب الأخير من الكتاب تدل على أنه أتمه بعد هذه السنة بمدة قصيرة ، وفى الغالب أيام إقامته الثانية فى بجاية .

ولا ندرى كيف وفق ابن الأبار إلى رضى المستنصر ، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لرسائل مديح كتبها من بجاية يشيد بالمستنصر وأعماله ، وقد أورد المقرئ فى « أزهار الرياض » رسالة لابن الأبار بمناسبة تمام حفر القناسة المؤدية إلى الحدائق التى أنشأها أبو زكريا الحفصى خارج تونس ، والرسالة

تدل على أن ابن الأبار كتبها من بعيد وأرسلها إلى السلطان . ولم تكن حال ابن الأبار في بجاية سيئة ، فقد لقيه هناك على بن سعيد المغربي ؛ وقال بعد أن أشار إلى سنيته وتوفيقه فيها وإعجاب الناس بها : « إلا أن أخلاقه لم تعينه على الوفاء بأسباب الخدمة ، فقلصت عند تلك النعمة ، وأخر عن تلك العناية ، وارتحل إلى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرتب ، خال من حلى الأدب ، مشغل بالتصنيف في فنونه ، متنفل منه بواجبه ومسئونه ، ولى معه مجالسات آتق من الشباب ، وأبهج من الروض عند نزول السحاب . . . » (القدح المعلى ، برواية المقرئ ، ٢٨٢/٤)

وعاد ابن الأبار من بجاية إلى تونس ، ومن حسن الحظ أنه أنهى هناك كتابيه الرئيسيين « التكملة » و « الحلة » ، والغالب أنه ترك نسخاً من هذا وذاك هناك ، فنجا الكتابان من الدمار . وكان حرياً بابن الأبار بعد ذلك أن يلين خلقه ويضبط لسانه ويخفف من دعواه ، ولكنه مضى على سابق عهده من الكبرياء وحدة اللسان ، وربما كانت هذه دعوى من خصومه الكثيرين وخاصة أحمد بن إبراهيم الغساني وزير المستنصر الأثير عنده ، ولم يكن الغساني ليطمئن له جنب وابن الأبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد ، وكان المستنصر رجلاً كثير المخاوف يتوقع الشر من كل ناحية إذ أن أعداءه والمديرين عليه كانوا كثيرين ، وكان ابن الأبار قبل ذلك من أتباع أخيه المتوفى ، فلم يكن هناك أيسر على الغساني من اتهم ابن الأبار بالتدبير على الدولة ، فيحل بذلك دمه للسلطان ويفرغ منه بأهون سبيل .

نقول هذا لأن عقوبة القتل التي أنزلها المستنصر بابن الأبار لا يمكن أن تعلل بما يقال من أنه سمع السلطان مرة يسأل عن مولد ولده أبي زكريا يحيى الذى تولى السلطة بعده وتلقب بالوائثق ، فجاء ابن الأبار فى اليوم التالى برقعة فيها تاريخ الولادة وطالعتها ، ويضيف بعض مؤرخينا أن هذا

الطالع كان نحساً ، فاستشاط السلطان غضباً من فضوله وتطفله ، وكان ذلك سبب حتفه ؛ نقول إن ذلك كله لا يفسر لنا غضب المستنصر على ابن الأبار غضبا يؤدي به إلى قتله ثم إحراق شلوه وكتبه ، فهذا التصرف لا يصدر عن غضب بل عن خوف ، وأصحاب السلطان في تلك العصور لم يكونوا يقتلون إلا لخوف على أنفسهم وعروشهم ، أما ما عدا ذلك فيكفي فيه الإبعاد أو السجن أو المصادرة وما إلى ذلك .

ولهذا فلا بد أن التهمة التي دبرت لابن الأبار كانت تهديد السلطان أو الاشتراك مع نفر في ذلك ، لأننا حتى لو فرضنا أن ابن الأبار قال بيت الهجاء الذي تنسبه إليه المراجع ، فإن ذلك لا يبرر الحقد الذي ظهر من المستنصر . ولا بد كذلك أن السعاية به بدأت منذ عودته من بجاية إلى تونس ، فقد كان السلطان لا يطبق النظر إليه ، فكان يستفتيه فيما يريد من بعيد ، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه ، وكان ابن الأبار « يشكو من ذلك ويتألم وينعى على الزمان سوء حظه :

علت سني وقدرى في انخفاض وحكم الرب في المربوب راض
إلى كم أسخط الأقدار حتى كأني لم أكن يوماً براص »
ثم تجيء النهاية إثر حادثة مولد ولي العهد وطالعه التي ذكرناها ، ويذهب ابن خلدون بعد ذكرها إلى أن وشايات الحساد أوغرت صدر السلطان عليه وأوهمته أنه يتوقع المكروه للدولة وتهمه بالنظر في النجوم ، فقُبِض عليه وقام الكاتب أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودفاتره ، فعثر فيها على بيت شعريقول :

طغى بتونس خلفٌ سموه ظلماً خليفة

وعثر عنده أيضاً على كتاب في التاريخ فيه ما ينسب إلى السلطان ، فأمر بضربه بالسياط وقتله وإحراق مؤلفاته ، فقتل ضرباً بالرماح صبيحة.

الثلاثاء ٢١ من المحرم سنة ٦٥٨ وأحرق شلوه ، وأخذت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ، وكانت نحواً من خمسة وأربعين تأليفاً (تاريخ الدولتين للزركشى ، ص ٢٧)

والحق أن الإنسان ليدعش من قسوة ذلك العقاب الذى أنزل بآبى الأبرار ، فمثل هذه العقوبة ما كانت تنزل إلا بأعداء السلاطين ذوى الخطر ، أو الذين ناوأوهم وحاربوهم وكادوا يقضون عليهم ، ولا تتصور مهما ذهبنا مع الخيال أن ابن الأبرار بلغ هذا المبلغ فى كراهة المستنصر والتدبير عليه ، ولكن الذى لا شك فيه أن الوشاية فى حقه صورته فى تلك الصورة ، فكانت النتيجة هلاكه على أبشع هيئة نتصورها ، وهذه واحدة من جرائم أولئك السلاطين ووزرائهم ممن حملوا فى رقابهم من أوزار المساكين ودماء الضحايا ما يصممهم إلى الأبد فى حساب الأخلاق وحساب التاريخ .

عاش ابن الأبرار ثلاثاً وستين سنة هجرية ، اثنتان وأربعون منها فى الأندلس والباقي فى المغرب ، ولم يسعد فى هذا ولا ذلك ، فأما فى الأندلس فقد عاش مروع السرب يحوم فوقه شبح الموت فى كل حين ، وكتب لرجال لولا سوء الزمان لما كان لهم إلى الإمارة سبيل ، ومدح غيرهم ممن لا يستحقون مجرد الذكر فضلاً عن المديح ، ثم فقد وطنه وخرج بما حملت يده إلى المغرب حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسوء خلقه وتطلعه إلى الوظائف والجاه ، فلم يسعد فى وطنه الحديد ولا هداً باله ، وانتهى أمره إلى هذه النهاية الفاجعة ، ولا عجب أن يلقبه بعض المؤرخين بالشهيد ، وهذه الشهادة لا تحق له لموته مظلوماً فحسب ، بل لأن حياته كلها كانت استشهاداً طويلاً على يد الأيام .

* * *

مؤلفات ابن الأبرار

ألف ابن الأبرار كتباً كثيرة ، أحصى معظمها بروكلمان والمرحوم عبد العزيز عبد المجيد فى كتابه عن ابن الأبرار والأستاذ إبراهيم الإيبارى فى

مقدمته للمقتضب من تحفة القادم والدكتور صالح الأشر في مقدمة تحقيقه لإعتاب الكتاب ، وفي ثبت الكتب الوارد في آخر تحقيقنا هذا ذكر كتب أخرى لابن الأبار ، وله رسائل وأشعار كثيرة أورد الكثير منها من أرخوا له وخاصة المقرئ في « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » والغبريني في « عنوان الدراية » .

والناظر في أسماء كتبه التي ضاعت - وعددها ٣٩ - وكتبه التي وصلت إلينا - وعددها ستة - يلاحظ أنها في ثلاثة فنون : الحديث والأدب والتاريخ . فأما كتبه في الحديث فلم يصل إلينا منها شيء يعيننا على تقديرها قدرها الصحيح بين كتب هذا الفن ، وربما كان أهمها هو « المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح » ، فقد كان معاوية هذا من أوائل فقهاء الأندلس وقضاها ، وقد ذكره ابن سعد في طبقاته وأثنى عليه ومن ثم فإن أحاديثه تعتبر من العوالى ، وطالما تأسف من جاء بعده من الأندلسيين على ضياع أحاديثه وعلمه .

وأما كتبه في الأدب فلم يبق منها إلا مقتضب تحفة القادم الذى عمله البلفيقي ، وهو مختصر سيئ الصنع ، استغنى البلفيقي فيه عن معظم النثر ولم يبق إلا هيكل جافاً يتكون من أسماء وبضعة أشعار ، وهذه لا تعين على تقدير ابن الأبار بين أصحاب كتب الأدب .

أما ميدان ابن الأبار الحقيقى فكان التاريخ والتراجم بصورة خاصة ، وكتبه الأربعة الباقية في هذا الفن تشهد بملكة عظيمة في هذا الميدان ، ولا تتجلى هذه الملكة في كتاب كما تتجلى في « الحلة السبراء » وهو غرة كتبه دون جدال ، ولابن الأبار فيه لحات وإشارات واستدراكات تدل على أنه كان مؤرخاً حقاً عارفاً بتاريخ الإسلام حافظاً له قارئاً لكتبه ، وهو يستدرك فيه على نفر من أئمة المؤرخين أخطاء لا يتنبه لها إلا عالم متمكن ذو ملكة واعية .

وقبل أن نفرغ لكتاب الحلة نقف وقفة قصيرة عند كتابي « التكملة
لكتاب الصلة » و « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » .

واضح أن « المعجم » كتب قبل « التكملة » ، كتبه ابن الأبار بعد أن
نضج تكوينه العلمي ، ونظن أن ترتيبه الزمني بين مؤلفاته يجيء بعد « معدن
اللجين في مرآتي الحسين » ، فقد أشار إلى هذا الكتاب في كتبه التالية ،
وموضوع « معدن اللجين » — كما يدل عليه عنوانه — من تلك الموضوعات
التي تستهوي أفئدة الشباب بسبب غلبة العاطفة عليهم ، وقد كان ابن الأبار
طاليباً ، ولكنه لم يكن شيعياً ، فإن الطالب هو الذي يميل بعواطفه إلى أهل
البيت ويأسى لما أصاب الكثيرين منهم أسى عاطفياً ولا يتعدى ذلك ،
ومعظم كبار مؤرخينا على هذا الاعتبار طالييون ، وأما الشيعي فهو الذي
يتبع مذهب الشيعة ويميل عن السنة ، وقد ذهب المقرئ إلى أن كتاب
« در السمط في خبر السبط » تشتم منه رائحة التشيع ، وقد بالغ في هذا
الوصف ولا شك ، فإن الكتاب بين أيدينا وليس فيه إلا هذه العاطفية
البريئة التي نجدها عند المقرئ مثلاً .

وكتاب « المعجم في أصحاب أبي علي الصديقي » كتاب فريد في نوعه
من بين ما وصل إلينا من التراث الأندلسي ، لأنه لم يؤلف مثله ، بل لأنه
أكمل كتاب أندلسي من هذا النوع وصل إلى أيدينا . فقد ألف القاضي
عياض كتاباً في شيوخ أستاذه أبي علي الصديقي هذا ، فأراد ابن الأبار أن
يكمل العمل بتأليف كتاب في أصحاب أبي علي ، أي تلاميذه ومعاصريه
ومن تبادل معهم العلم . ولو وجدنا كتاب عياض لا اكتملت لنا مدرسة
من مدارس العلم كانت فخراً للأندلس يتوسطها شيخها أبو علي بن سكرة
الصديقي ومن حوله شيوخه ثم معاصروه وتلاميذه ، والصديقي جدير بهذا
التقدير كله ، فإنه لم يكن شيخاً واسع العلم كريم الخلق فحسب ، بل كان
مجاهداً باسلاً لقي الشهادة في معركة كُتبت على ما ذكرناه .

وابن الأبار في « المعجم » دقيق الدقة كلها : دقيق في رسم الأسماء وتواريخ الميلاد وتعداد الشيوخ ، ودقيق أيضاً في المنهج الذي اتبعه ، فهو يرتب أسماء المترجم لهم على حروف المعجم (مع بعض خلاف قليل مقصود كإيراد اسم أحمد قبل إبراهيم) ، وهو بعد أن يفرغ من حرف يحصى عدد من ذكرهم فيه ، وإذا أهمل حرفاً نبه إلى أنه لم يجد فيه « معروفاً من هؤلاء الرواة ولا مكرراً » ، أو « ليس في هؤلاء الرواة من أول اسمه دال أو ذال » ، وعدة المذكورين في الحروف الثلاثة : الجيم والحاء والخاء ثلاثة عشر ، منهم في التكملة تسعة رجال . وعدد التراجم التي في هذا المعجم ٣١٥ .

ويفهم من العبارة السابقة أن كتاب « التكملة » كتب قبل « المعجم » . والراجح — على حسب ما استبان لي — أن كتاب « التكملة » كتب على فترات ، ففيه مواد يبدو بوضوح أنها كتبت قبل سنة ١٢٣٢/٦٣٠ — ١٢٣٣ ، وأخرى كتبت بعد هذا التاريخ وقبل هجرة ابن الأبار إلى المغرب ، وثالثة كتبت وهو في بجاية . وهذا معقول بالنسبة لكتاب كبير مثل « التكملة » . صحيح أنه يفهم من فاتحة الكتاب — كما نشرها محمد بن شنب في « المجلة الإفريقية » (سنة ١٩١٨) ص ٣١٧ — أن الفراغ من كتاب « التكملة » كان في أول المحرم سنة ١٢٣٣/٦٣١ — ٣٤ ولكن في الكتاب مواد كتبت وابن الأبار في تونس أو بجاية ، مما يدل على أن ابن الأبار فرغ من صورة أولى من الكتاب في أول المحرم ٦٣١ ثم عاد إلى الكتاب فأكمله ووضعها في الصورة التي وصلت إلينا وهو في بجاية للمرة الثانية .

وكتاب « التكملة » استتم لما بدأ به أبو الوليد عبد الله بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (٣٥١ — ٩٦٢/٤٠٣ — ١٠١٢) من الترجمة لعلماء الأندلس ، وواصل العمل أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الأنصاري (٤٩٤ — ٥٧٨/١١٠٠ — ١١٨٢) ثم استتم ما فاتة

فى كتاب لم يصل إلينا هو كتاب « ذيل الصلة » يذكره ابن الأبار فى « المعجم » ، ثم جاء ابن الأبار فتصدى لاستكمال ما فات سابقه ومواصلة التراجم إلى أيامه ، وواصل العمل من بعده محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى المراكشى المعروف بابن عبد الملك (٦٣٤ - ٧٠٣ / ١٢٣٧ - ١٣٠٣) ثم واصل هذا العمل الجليل أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الزبير (٦٢٧ - ٧٠٨ / ١٢٢٩ - ١٣٠٨) وختمه ابن الخطيب بكتابه « عائد الصلة » .

وتكمل هذه السلسلة مؤلفات أخرى فى نفس موضوع تراجم علماء الأندلس مثل « جذوة المقتبس » للحميدى و « بغية الملتبس » للضبى و « معجم شيوخ ابن العربى » لابن الأبار (لم يوجد إلى الآن) وغيرها .

وهذه الكتب كلها — فيما عدا الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى — تتبع منهجاً واحداً فى الترجمة ، فتذكر الرجل باسمه الكامل وكنيته ونسبته وبلده الذى ولد فيه أو الذى منه أصله والبلد الذى سكنه إن كان قد نزل بلداً آخر ثم شيوخه وما قرأ عليهم ، ثم تلاميذه ومن أخذ عنه ، وتختتم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها وتاريخ الميلاد ومكانه إذا تيسر .

وهذه فى الحقيقة ليست تراجم بالمعنى المعروف ، إنما هى سجلات بالأسماء وتواريخ الميلاد والوفاة والشيوخ ، فلا تعطى فكرة واضحة عن المترجم له إلا فيما ندر ، فليس فيها — إلا فى القليل جداً — إشارات إلى حياة الرجل وما وقع له أو صفاته وخصائصه كرجل له صفات وخصائص ، بل ليس فيها — إلا فى النادر أيضاً — تلك الطرائف والحكايات الصغيرة التى نجد نماذج منها فى « تاريخ القضاة » للخشنى أو « رياض النفوس » للمالكى أو « الإحاطة » لابن الخطيب أو سلسلة كتب الوفيات المشرقية التى بدأت بابن خلكان ، ومن ثم فإن قيمتها للتاريخ السياسى والاجتماعى للأندلس محدودة ، بل فائدتها فى التعريف بالرجال أنفسهم قليلة .

ولكنها على أى حال أكثر فائدة من المواد التى يتضمنها الكثير من كتب على بن سعيد وكتاب « الخريدة » للعماد الأصفهاني أو الكنية الكامنة لابن الخطيب ، فهذه مجموعات مختارات وليست تراجم أو مواد ذات قيمة تاريخية .

وفى هذه الحدود تتساوى كتب ابن الفرضى وابن بشكوال وابن الأبار وابن الزبير فى الدقة والإنقان ، وربما شفى ابن بشكوال على صاحبيه فى تراجمه بسبب ملكته التاريخية الواضحة . وابن الأبار على هذا الاعتبار واحد من أعلام مؤرخى العلم فى الأندلس ومرجع من المراجع التى لا يستغنى عنها مؤرخ له خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بصفة خاصة .

* * *

كتاب الحلة السираء :

ونتهى إلى كتاب « الحلة السираء » ، وهو دون شك أحسن كتب ابن الأبار وأعظمها فائدة ، بل هو من عيون ما ألف أهل الأندلس قاطبة ومن المراجع التى لا يستغنى عنها من يؤرخ له أو يكتب فى أى ناحية من نواحي الحياة فيه .

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن عنوان الكتاب الكامل : « الحلة السираء فى شعر الأمراء » ولم نجد ما يؤيد هذا فى المخطوط ولا عند الموثوق فيهم ممن كتبوا عنه ، ولهذا جعلنا عنوان الكتاب « الحلة السираء » فحسب ، ولو أن إكماله بعبارة « فى شعر الأمراء » معقول .

وقد قلنا فى أول هذه المقدمة إن صاحب الفضل فى اكتشاف القيمة التاريخية والأدبية لهذا الكتاب كان المستشرق دوزى ، وقد أثبتت الدراسات التالية حصافة دوزى عندما أشاد بقيمة الكتاب وخصائص صاحبه ، والكتاب الآن بين أيدي القراء يستطيع من يريد منهم أن يستبين بنفسه ما له من قيمة وما يوحى به من ثقة .

ولفظ «السَّيرَاء» الذى استعمله ابن الأبار فى العنوان لفظ نادر الاستعمال ولكنه جميل أحسن ابن الأبار فى اختياره ، وإليك ما ورد فى «لسان العرب» فى معنى هذا اللفظ :

«... وثوب مُسَيَّرٌ وشَيْئُهُ مثل السُّيُور ، وفى «التهذيب» : إذا كان مخططاً . وسَيَّرَ الثَّوبَ والسَّهْمَ جعل فيه خطوطاً ، وعُقَابٌ مُسَيَّرَةٌ مخططة . والسَّيْرَاءُ والسَّيْرَاءُ ضرب من البرود ، وقيل هو ثوب مُسَيَّرٌ فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، وقيل برود يخالطها حرير ، قال الشَّامُخ :

فقال إزارٌ شَرْعَبِيٌّ وأربعٌ من السَّيْرَاءِ أو اواقٍ نواجزُ

وقيل هى ثياب من ثياب اليمن : والسَّيْرَاءُ الذهب ، وقيل الذهب الصافى ، الجوهري ، والسَّيْرَاءُ بكسر السين وفتح الياء والماء بُرْدٌ فيه خطوط صُفْرٌ ، قال النابغة :

صفراءُ كالسَّيْرَاءِ أكملَ خَلْقُهَا كالغصنِ فى عُلوِّاته المتأوِّدِ

وفى الحديث : أهدى إليه أَكْيَدُ دومة حلة سَيْرَاء . قال ابن الأثير : هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور ، وهو فعلاء من السَّيْرِ القِدِّ . قال : هكذا روى على هذه الصفة . قال ، وقال بعض المتأخرين : إنما هو على الإضافة ، واحتج بأن سيويه قال : لم تأت فعلاءُ صفةً لكن اسماً ، وشرح السَّيْرَاءَ بالحرير الصافى ، ومعناه حلة حرير ، وفى الحديث : أعطى علياً بُرْدًا سَيْرَاءً وقال : اجعله مُخْرَأً ، وفى حديث عمر : رأى حَلَّةً سَيْرَاءً تباع ، وحديثه الآخر أن أحد عماله وفد عليه وعليه حَلَّةٌ مُسَيَّرَةٌ أى فيها خطوط من إبريسم كالسيور » (مادة سير ، ٦ / ٥٧) .

وإذن فالمراد بالعنوان : الحلة ذات خطوط من حرير ، وقد تكون هذه الخطوط صفراء فتشبه الذهب ، وإذا أخذنا برأى سيويه كان المعنى ثوب حرير صاف . وهو بطبيعة الحال كناية عن مادة الكتاب وما فيه من

الشعر ، وجدير بالملاحظة أن شعر الكتاب ليس كله لأمرأء ، بل فيه للكثير من شعر الوزراء والكتاب وأصحاب الجاه والعلماء .

وهذا الشعر كله جيد ، مما يدل على ملكة ابن الأبار كناقذ للشعر عارف بالجميل منه وغير الجيد . ولكن أهم من الشعر في الكتاب نثره ، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس من القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن السابع مع مادة تاريخية لا بأس بها عن أعلام مشاركة من أهل القرن الأول كان لهم نصيب في فتوح المغرب والأندلس .

وفي كل هذه المواد يبدو لنا ابن الأبار مؤرخاً فحلاً واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم ، وإذا استثنينا بعض المواد الأولى التي ينسب فيها ابن الأبار شعراً إلى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الملك بن مروان وبعض أجزاء الباب الأخير الخاص بمن لم يؤثر عنهم شعر ، تبيننا أن مادة التراجم كلها متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ ، ولا أذكر أنني قرأت لغير ابن الأبار في الأندلس شيئاً يدل على سعة العلم على هذه الصورة ، فهو متمكن غزير المادة سواء أكتب عن خلفاء بني العباس أم خلفاء الفاطميين أم أمرأء الأندلس وخلفائهما أم أمرأء الطوائف ومن عاصرهم . وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقداً يقظاً لا يمر بخطأ في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه ، وتبدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه كان بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي .

ومن حسن الحظ أن ابن الأبار تخلى عن السجع بعد فراغه من فاتحة الكتاب ، فجاء أسلوبه قوياً رصيناً بليغاً يرتفع إلى أحسن مستويات الأساليب العربية الصافية ، وأسلوبه هنا يشبه أسلوبه في « إعتاب الكتاب » . ومقارنة بين أسلوب الحلة وإعتاب الكتاب ونصوص الرسائل المسجوعة التي كتبها ابن الأبار وأورد المقرئ شيئاً منها تعطينا دليلاً على جناية السجع

على الأدب العربي ، فهذا ابن الأبار إذا كتب على سجيته دون تكلف أفصح وأبان وأفاد وأمتع ، فإذا تكلف وسجع أسفَّ وهبط وضاعت معانيه في جهد البحث عن السجعات .

وليس هذا موضع تحليل هذا الكتاب ، فهذه دراسة طويلة جديرة بأن يفرد لها بحث خاص ، ومثل هذا الكتاب تتبين مزاياه عند الحاجة إليه والبحث فيه .

* * *

المخطوط :

ولم تُبق الأيام من « الحلة السراء » إلا نسخة وحيدة هي هذه التي اعتمدنا عليها في هذا العمل ، وقد وقع في ظن بعض الباحثين أن هناك نسختين أخريين ، واحدة في مدريد والثانية في باريس .

وهذه النسخة الوحيدة الباقية هي المحفوظة في مكتبة الإسكريال برقم ١٦٥٤ ، وهي نسخة جميلة مكتوبة بخط مغربي على ورق حجمه ٢٧ × ٢٠ سنتيمترا ، في الصفحة ١٩ سطراً ، وعدد أوراقها ١٩٧ . وفي نفس المجلد ٣ ورقات أضيفت إليه خطأ من تاريخ يظن أنه لأحمد بن أبي الفياض المؤرخ الأندلسي ، والخلاف في نسبتها شديد بين الباحثين ، انظر :

P. MELCHOR ANTUNA, *Un Fragmento Árabe - Historico* (Biblioteca del Escorial); en CIUDAD DE DIOS. San Lorenzo del Escorial, tomo CXXXVII, 1921, p. 103 — 114.

وانظر أيضا فهرس المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال الذي وضعه هارتويج ديرنيور وراجعته وأكمله ليثي پروفنسال (باريس ١٩٢٨) ج ٣ ص ١٨٨ — ١٨٩ .

وتنقص المخطوط من أوله ورقتان أو ثلاث على الأكثر فيها خطبة الكتاب وشيء من فاتحته ، وابن الأبار يأتي فيها بنماذج من شعر أمراء من بني حفص ، والغالب أن بعضها للأمير أبي يحيى زكريا الذي كان ولياً للعهد ثم

توفى قبل وفاة أبيه أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاى فى سنة ٦٤٧ / ١٢٤٩ - ١٢٥٠ وانتقال الأمر إلى ابنه أبي عبد الله محمد الذى لقب بالمنتصر أو المستنصر .

أما النسخة التى ظن بعضهم أنها فى المكتبة الأهلية فى باريس فنسخة حديثة كتبها المستشرق الإسبانى خوسيه أنطونيو كوندٍ وعن هذه نقل المستشرق رينو نسخة صارت إلى ملك الجمعية الآسيوية الفرنسية ، ثم انتقلت إلى المكتبة الأهلية فى باريس (انظر جامع نصوص بنى عباد لدوزى ، ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) وقد استعان بها دوزى فى نشر ما نشر من الحلة ، ولكن بعضهم حسبها مخطوطة قديمة من الحلة وتحدث عنها بهذا الوصف .

وأما نسخة مدريد التى ذكرها بعضهم على أنها أصل من أصول الحلة فنسختان لا واحدة ، كتب الأولى منهما فى سنة ١٧٩٥ مستشرق إسبانى يسمى خوسيه أنطونيو بيثّر José Antonio Pellicer وكتب الثانية مستشرق إسبانى آخر يسمى يابلو أودار Pablo Hodar بتوجيه من ميخائيل الغزيرى ، وقد أصبح هذا الرجل بعد ذلك أستاذاً للغة العربية فى جامعة قلمرية Coimbra فى البرتغال ، وتوفى بها سنة ١٧٧٩ (انظر فهرس مخطوطات المكتبة الأهلية بمدريد الذى صنّفه جيّن رُوبليس Guillén Robles ، مدريد ١٨٩٨ رقمى ١٢ و ١٣ ص ٨ و ٩) .

ولا وجود كذلك لأى نسخة أخرى من الحلة فى أى مكتبة عامة أو خاصة أخرى بحسب ما وصل إليه علمى .

وهذه المخطوطة الوحيدة جميلة واضحة الخط ، ولولا هذا الحرص الصغير فى أولها وبعض ثغرات قليلة الأهمية فى سياق النص لكانت من أكمل ما وصل إلينا من المخطوطات . وقد وقع الناسخ أثناء النقل فى خطأ جر إليه السهو ، فانتقل فى أثناء ترجمة أبى عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضى إلى ترجمة أبى عبيد بن عبد العزيز

البكرى ، وكأنه كان ينسخ ترجمة الأول ثم مضى لبعض شأنه وعاد ففتح المخطوط فوقع على ترجمة أبي عبيد بن عبدالعزيز البكرى فلم ينتبه للأمر ومضى ينقل ، وبعد أن فرغ منه تنبه إلى أنه أسقط تراجم معظم أهل القرن الخامس ، فعاد واستتمها ! ومن حسن الحظ أنه لم يسقط شيئاً من الأصل . وقد تنبه إلى ذلك دوزى وبينه في الكلمة التي صدر بها ما نشر من الحلقة ، وراجعت الأمر مرة أخرى عند التحقيق ، ونهت على ذلك في موضعه .

وقد أفدت أكبر الفائدة من عمل دوزى وماركوس مولر في هذا الكتاب ، وقد جرى الناس على أن يذكروا الأول دون الثاني عند الكلام على الحلقة ، مع أن مولر في الحقيقة خدم ما نشر من النص خدمة طيبة وقد انتفعت من قراءته في كثير من المواضع ، ومن الحق أن أحبي هنا ذلك الجهد العظيم الذي بذله هذان المستشرقان الجليلان ، لا في تحقيق ما نشرنا من الحلقة فحسب ، بل لخدماتهما للدراسات العربية بصفة عامة ، ويكفى أن أحدهما - وهو ماركوس مولر - كان يستحب أن يسمى نفسه امراً القيس بن الطحان ، لأن امراً القيس في رأى البعض تعريب لماركوس أو مرقص ومولر معناه الطحان .

* * *

وبعد فهذا نص « الحلقة السبراء » كاملاً بين يدي القارئ مخدمواً على قدر ما سمحت به الطاقة وأعان الجهد ، ولقد طالما رجا الباحثون أن يجدوه ميسراً بين أيديهم ، فعسى أن يكون ما أنفقت من جهد محققاً للرجاء .

وقد أعانني في ضبط الشعر صديقي وأخي الدكتور محمود على مكى وكبل معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وأنا مدين له بهذا الفضل ، ووقف على طبع الكتاب في القاهرة صديقي مصطفى عبد المجيد صالح أكرمه الله بما صدق ونصح ، وتعاوننا نحن الثلاثة على تصحيح تجارب الطبع ، ونحسب أننا نقدم هنا نصاً يخلو من خطأ مطبعي يستحق الذكر .

وقبل أن أختتم هذه السطور يسعدني أن أحیی أخی السید حسن ایرانی
ناشر هذا الكتاب فقد أضفی علیه ذوقه وحبه للكتب ، وهو حب جدير
بالذكر والتنويه :

والله ینفعنا بجهدنا ویزیدنا من فضله وتوفیقه : وخیر ما نختتم به هذا
الكلام دعاء صادق بالرحمة والغفران لأبی عبد الله محمد بن أبی بكر
ابن الأبار :

مسین مؤنس

مدريد فی ۲۳ ذی قعدة ۱۳۸۳
۶ أبريل ۱۹۶۴

أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة
ومدير معهد الدراسات الإسلامية فی مدريد

كِتَابُ
الْحَفْلِ وَالسَّيْرِ

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

.....
 (*) [.....]

ابْنِي لِي الْجَدَّ آبَاءَ كِرَامٍ وَرَثْنَا مَجْدَهُمْ بَاعًا فَبَاعًا [١-١]
 وَهَذَّبْنِي الْإِبَاءَ فَقَاتَ طِرْفِي^(١) وَكُلُّ بَعْدُ يَجْرِي مَا اسْتَطَاعَا
 وَقَبْلَهُمَا مِمَّا يَصِلُ حَبْلَهُمَا وَيَصِفُ فَضْلَهُمَا :

وَمَا لِلنَّاسِ مِنَّا غَيْرُ رَغْبِي يُفْسِدُهُمْ رِفَاهًا وَاتِّفَاعًا
 فَيَمْنَعُهُمْ وَمَا شَعَبُوا مَضَامًا^(٢) وَيُوسِعُهُمْ وَمَا سَعَبُوا اتِّجَاعًا

وَلَهُمْ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَسَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْهُمْ :

أَجِثْ دَاعِيَتَيْهَا فَالْنَجِيبُ يُجِيبُ وَشُبَّ لَظَاهَا فَالْنَخِيبُ^(٣) يُخِيبُ

(*) ذكرنا في المقدمة أن المخطوط تنقصه أوراق من أوله ، قد لا تزيد على اثنتين ، هما أول الفاتحة ، ويبدأ الكلام في المخطوطة بهذه الآيات ، وهما من شعر أبي زكريا الحفصي الذي أهدى إليه ابن الأبار هذا الكتاب . وقد حاولت العثور على أصول هذه الأشعار ، فوجدت بعضها ولم أجد الباقي . ومن الواضح أن ابن الأبار تحدث في الصفحات الضائعة عن شعر الأمراء وكيف أنه دليل على امتيازهم وذكاؤهم وعلمهم ، وهو معنى سيعود إليه أكثر من مرة في سياق الكلام ، وقد بينا ذلك في المقدمة . وقد وضعت نقطاً بين حواصر مكان البياضات في الأصل ، واكتفيت بهذه الإشارة هنا تحاشياً لتكرار عبارة : « بياض في الأصل » .

(١) الطرف : الكريم من الخيل .

(٢) في الأصل : وما شغبوا مضاهها ، وقد قومناه كما في المتن . ومعنى الشطر على هذا هو أنه يحميمهم ، ومن تفرق منهم من الضميم (انظر مادة شَعَبَ في لسان العرب ، ٤٧٩/١ - ٤٨٠) .
 (٣) النخب : الحبان .

وَشِمَّ عَزْمَةً لَا يَغْمِزُ^(١) الْعَجْزُ مَنَّهَا
 وَلَا تَبْتَغِ الْعِلْيَاءُ إِلَّا بِأَبْيَضٍ
 وَأَسْمَرَ غِرٍّ شَبَّ الْوَقْعُ رَأْسُهُ
 وَإِنْ شَتَّ قُلْتَ النِّجْمُ تَوَجَّ رَأْسُهُ
 يَنْضَضُ صِلًا نَمَّ يَهْوَى كَأَنَّهُ
 وَصَفَاءُ رَبَّتْهَا الْجُبُوبُ^(٢) وَرَاوَحَتْ
 إِذَا عَجَجَ مَنَّاهَا أَقِيَمَتْ شَبَّتْهَا^(٣)
 فَإِنْ سَدِغَتْ بِالْكَفِّ^(٤) أَوْ قُلَّ خَطْوُهَا
 وَأَجْرَدَ يَسْتَجْلَى بِأَوْضَاحِهِ الْوَعَى
 فَذُو الْعَزَمِ فِي الْيَوْمِ الصَّعِيبِ يُصِيبُ
 لِعَرَبِيَّةٍ فِي هَامِ الْكُمَا غُرُوبُ
 أَلَا إِنَّمَا بَعْدَ الْقَشِيبِ مَشِيبُ
 فَلَاحَ لَهُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ثُقُوبُ
 رِشَاءُ لَهُ قَلْبُ الْكَمِيِّ قَلِيبُ
 ذَوَائِبُهَا فَوْقَ الْجُبُوبِ جَنُوبُ
 فَهِيَ سَرُوبٌ لَا يَرَى وَرُسُوبُ
 تَخْطُو بَيْنَهَا فِي الْحُرُوبِ رَحِيبُ
 وَقَدْ جَنَّا يَوْمَ الرُّكُوبِ عَكُوبُ^(٥)

(١) في الأصل : يغمز ، وقد صوبها ماركوس مولر (ص ١٦٢) : يغمز ، وهو

صحيح .

(٢) هذا البيت من مشكلات هذه القطعة نظراً للجناس اللفظي الذي أراده الشاعر . والبيت كله يدور حول القوس ووصفها . وقد ورد لفظ « الجيوب » هنا واضحاً في الأصل ، فلم نر ما يدعو إلى تغييره . وقد عدله مولر (ص ١٦٢) إلى « الجيوب » . وكذلك جعله حسن حسني عبد الوهاب عندما أورد هذه القطعة في كتابه « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » (الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩٤٤) ص ١٠١ . والجيوب هو الفرس المجيب أي المحجل إلى ركبي يديه وعرقوبي رجله . واعتقد أن الأصب هنا « الجيوب » والمراد بها الصدور . وسرد لفظ الجيوب في المصراع الثاني من البيت ، ولهذا فقد استبعدت أن يكرره الشاعر في بيت مرتين .

(٣) في الأصل : بناتها . وقد جعلها حسن حسني عبد الوهاب بناتها ، وفسر اللفظ بأنه قوائم الفرس ، وعلى هذا الأساس فسر « سرُوب » و« رُسُوب » . واعتقد أن الشاعر لا يزال يصف القوس ، وعلى هذا فقد صوبت اللفظ إلى « شَبَّتْهَا » ، وباقى البيت مفهوم على هذا التفسير .

(٤) أي شدت باليد .

(٥) المكُوب : النيار .

إذا ما استبحرَ الضربُ واشتَجَرَ القَنَا
 له من سَعَالِي الجِنِّ خَلَقَ مُطَهَّرٌ^(١)
 بِتِلْكَ يُقَالُ الوِثْرُ لَوْ حَال دُونَهُ
 / فَدَعَ عَنكَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَكُلُّهُمْ
 فَلَا تُورِدَنَّهُ وَرَدَكَ الصَّفْوُ إِنَّهُ
 [...] سَاوَى الرِّجَالِ قَبَائِمٌ
 [...] قَرِيبٌ يَعْرُدُ هَائِبًا
 [...] إِلَى الْخَلِيلِ مَحَلَّةٌ
 [...] يَدِيكَ فَإِنَّهُ
 [أَلَا فَا] اسْتَعْنِ واسْتَعْنِ بِاللَّهِ إِنَّهُ
 لَهٗ عِنْدَ تَمْحِصِ الْغُيُوبِ غُيُوبٌ [١ - ب]
 شَرُوبٌ وَعِنْدَ الْحَادِثَاتِ سَرُوبٌ
 لَهُ عِنْدَ هَبَّاتِ الْخَطُوبِ خُطُوبٌ
 وَيَبْأَى إِذَا الْحَقَّ النُّوْبُ يُوُوبٌ
 وَقَدْ جَعَلَتْ [...]
 سَوَاءٌ قَرِيبٌ فِي الْوَرَى وَغَرِيبٌ
 لَفَتَحَ بِتَقْدِيرِ الرَّقِيبِ قَرِيبٌ

ولهم — أيدهم الله — في استقبال حضرتهم العلية من بعض غزواتهم الميمونة :

يَرْجِفُونَ عَيْنِيكَ بِالْقَرَارِ
 أَلَا حَ الْبَرْقُ مُعْتَرِضًا فَعَارَتْ
 خَفَى بِسَرِي وَظَلِ الدَّمْعُ يَجْرِي
 وَهَابَ الْبَدْرُ أَنْ يَقْرَى دَجَاهُ
 وَسَاءَلِ مَسْنَدًا يَرْوِيهِ عَنَى
 سَقَى أَعْلَامَ تُونِسَ فَالْخَنَائِيَا
 فَوَاكِبِدَاهُ مِنْ شَوْقِ تَنَافَتْ
 وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا
 وَمِنْ شَرَطِ الْهَوَى رَعَى الذَّرَارَى
 نَجُومُ الْأَفْقِ مِنْ مَاءِ وَارٍ
 فَوَاخَرَبَاهُ مِنْ سَارٍ وَجَارٍ
 فَمَالَ عَنِ الشَّرَارِ إِلَى السَّرَارِ
 فَخَذَّه الزَّفِيرُ عَنْ أَدْكَارٍ
 فَمُقْتَبِلَ الْعَشِيَّةِ وَالْعَرَارِ
 نَهَائِيَّتُهُ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
 إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها ح . ح . عبد الوهاب : مطهر ، وكذلك فعل مولر (ص ١٦٣) .

(٢) لهوب جمع لهب ، وهو هنا : مهواة ما بين كل جبليين (اللسان ، ٢٤١/١) .

ومن قلائد المزرية بقلائد العقيان ، المزربية على فرائد الجان^(١) :

وحوزاء تستملى بنهدين أشرعاً ولا غرو أن يدعو هواها فأنبغة
تقول ، وقد رقت لما بي : أجازع وأنت جرى والأسنة مشرعه ؟
[٢ - ١] / فقلت لها : جفناك عزاً تجلدي ونهداك هذا نفس هيان موجعه
وما زلت ألقى القرن يعسل^(٢) رحمه فمن لي بمن يلقى الفؤاد بأربعة ؟

صدر هذا عنهم ، دامت سعادتهم . وقد أنشد بمجلسهم العلي للقاضي
أبي بكر بن العربي في مداعبه له من فتیان المثلثة هز رحمه عليه وأوماً به إليه :

يهز على الرمح ظبي مهفّف لعوبٌ بألباب البرية عابثُ
فلو كآب رمحاً واحداً لانتقيته ولكنّه رمحٌ وثالثٌ وثالثُ

كذا قرأت في ديوان شعرهم ، أدام الله تأييد أسرهم . وهما عندي للقاضي
أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية^(٣) ، أنشدنيهما القاضي أبو سليمان داوود
ابن سليمان بن حوط الله الأنصاري الحارثي^(٤) بمدينة بكدسية ، وهو إذ ذاك يتولى

(١) يشير ابن الأبار هنا إلى كتابي « قلائد العقيان » لابن خاقان و « فرائد الجان » أو
« الفرائد الجمانية » (طبع في القاهرة سنة ١٩٠١) لمعين الدين أبي نصر أحمد بن عبد الرزاق
الطنطرناني المتوفى سنة ٤٨٠ / ١٠٨٧ (انظر بروكلمان ، ملحق ١ ص ٤٤٦) .

(٢) عسل الرمح : هزه .

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المجاري ، من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد .
ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٨٢٥ / ١ / ٣٨٠) ووصفه بأنه « كان واسع المعرفة
قوى الأدب ، متفنناً في العلوم ، أخذ الناس عنه » . توفي سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ - ١١٤٨ .

(٤) هو داوود بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن خلف . . بن حوط الله
الأنصاري الحارثي من أهل أندلس (٥٥٢ - ٦ ربيع الآخر ٦٢١) ، من أكبر فقهاء الأندلس
في عصره وأوسعهم علماً وأكثرهم رحلة وشيوخاً . وهو من شيوخ ابن الأبار ، وقد ترجم
له ترجمة واسعة في تكملة الصلة ، رقم ٢٠٥ ص ٦٣ - ٦٥ . ولم يرد لأبي محمد عبد الحق بن
عطية ذكر في هذه الترجمة ولا في تكملة الصلة .

قضاءها . قال : « أنشدنا الشيخ أبو الحسين سراج بن عبد الله العماني ^(١) —
 — مراتٍ — للفقير القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية » ؛ وذكر البيتين ، إلا
 أن صدر أولهما في هذه الرواية « يهددني بالرمح ظبي مهفوف » ، وصدر ثانيهما
 « فلو كان رحماً واحداً لاتقيته » ، وباقيهما سواء ^(٢) . ولعن كان منهما ذلك
 فقد عدل به عن جادة الإجابة والزيادة .

ومن لزومياتهم السنية في غزلياتهم السلطانية :

بدت لك في ثوب يشف منجم أزيق — يا لله للحسن ! — أزرقا
 ولاحت ، وبدر الأفق في الأفق كامل فلم أدر أي راعى حين أشرقا
 خلا أنه لما رأى حسن وجهها تأنى قليلاً حين شام فأبرقا
 ودونهما صفو الغدير مسلسلاً فأقسم لولا رقة الوصل أخرقا
 ولما رنا نحو السجف جبل وجهها أطل على متن الغدير فأطرقا
 وزرّت عليه الشهب ثوب سمانه فقارب في التشبيه منها وأغرقا
 ونازعها ثوباً ولونا ورفعاً وبعداً وإشراقاً ووجهاً ترققا
 ومن رفيع الرصف وبديع الوصف قولهم ، لا زال يجارى الأقدار عدلهم
 ويبارى الأمطار طولهم :

/أعد نظراً حيث الرياض كأنها خدود الغواني أو قدود الكواكب [٢ - ب]

(١) سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج من أهل قرطبة ، يكنى
 أباً الحسين . ترجم له ابن بشكوال في الصلة (رقم ٥١٤ ، ج ١ / ٢٢٦) ولم يذكر نسبه
 العماني ، وقال عنه : « وكانت له عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها والقبض
 لمشكلها » مع الحفظ والإتقان لما جمعه منها . ولد سنة ١٠٤٧/٤٣٩ وتوفي في جمادى الآخرة
 سنة ١٠١٧/٥٠٨ .

(٢) روى البيتين المذكورين هنا أحمد بن محمد المقرئ في فصح الطيب (طبعة محيي الدين
 عبد الحميد ، ج ٢ ص ٢٣٣ في ترجمة أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي) بالصورة التي وردا
 فيها في النص ؛ وقد نسبها إليه .

تميل وليست بين كأس وقينة
وسال نعيم الماء بين اخضرارها
وإلا كما شق الكنهور بارق
قد اطرأت فيه المذائب دائماً
وللنرجس النضر اصفرار تخاله
يدب إليك الحسن في جنباتها
وللياسمين الغض في خضر بسطها
وللسوسن المبيض إصغاه آلف
وقد كللت أغصان نارنجها، فقل
وعطر منها النثر ما بلل الندى
ولماء في الدولاب - إن رمت وصفه -
تضمن سقي الروض رفها يعله
مقطرة الأرداف يغم نفحها
سماء، وجري الماء فيها مجرة
فدونكها تحتال زهواً ونصرة
ولهم - خلد الله سلطانهم - في طبق مملوء تائر زهر النارج والخابور،
وأكثر هذا التشبيه على البديهة :

بعثها وذكي العرف ألحفها
كأنما الزهر والخابور جزعه
قد راق منظره حسناً لملتفت
بردين من وضح الإصباح والشفق
شذرت تنائر في در من العنق
ورق مخبره عرفاً لمنشقي

ولهم — ظاهرَ الله نِعْمَةً لديهم — مما كَتَبْتُهُ بَيْنَ الْكَرِيمَتَيْنِ يَدِيهِمْ : [٣-١]
 خُذْهَا كَمَا تَمَّ عَرَفُ الرَّوْضِ بِالسَّحَرِ وَأَيُّظَ الطَّلِّ رَبًّا نَأْمِرُ الزَّهْرَ
 حَمَاءَ تَرْفُلُ فِي أَنْوَابٍ بَهْجَتِهَا تَفْتَرُّ عَنْ لَوَائِي عَذْبٍ وَعَنْ أَشْرِ^(١)
 زَفَقَتُهَا وَرَوَاقِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٌ كَانَهَا شَفَقٌ فِي هَالَةِ الْقَمَرِ

ومن الغارزم ، وسمعت منهم رضى الله عنهم :

سَحَرْتُ أَعْيُنُ الْجَاذِرِ لُبِّي وَاسْتَبَاحْتُ حِمَى فَوَادِي وَقَلْبِي
 [.] مِنْهَا اشْتَبَاهُ فَاظُنَّ التَّصْحِيفَ مِنْ بَعْدِ قَلْبٍ

وقد استوفوا حروف المعجم في هذا الباب ، فأتوا — أيدهم الله — [بما فيه]
 عبرة لأولى الألباب .

ولهم في الرثاء ، أدام الله أيامهم كما جعل مفاتيح الأقاليم سيوفهم وأقلامهم :
 تَصَبَّرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَوْلَى بِذِي حَجَرٍ وَإِنْ كَانَ حِجْرًا فَأَلَمْلَمْ إِلَى الْحِجْرِ^(٢)
 وَمَا زَالَتْ الْإَيَّامُ تَغْدُو عَلَى الْفَتَى فَطَوْرًا عَلَى بَشَرٍ وَطَوْرًا عَلَى بَشَرٍ^(٣)
 وَإِنْ سَأَلْتُمْ ، وَالظُّلْمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ فَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تُغَرَّ وَأَنْ تُغَرَّى
 مَرَى^(٤) الْحَزْنَ دُمْنِي أَنْ أَمَرَ حِبَالَهُ وَكَانَ قَدِيمًا لَا يُعِيرُ وَلَا يُمَرَّى
 وَعَهْدِي بِهَذَا الدَّمْعِ يَا عَيْنُ وَافِيًا فَهَلْ لَكَ فِي الْغَدْرِ الْمُبْرَحِ مِنْ عُذْرٍ ؟
 أَلَا مَنْ لَعِينٍ لَا يُنْهِنُهُ غَرْبُهَا أَلَا مَنْ لَسَحَ لَهَا يَمْلُ مِنَ السَّخَرِ ؟
 أَلَا تِلْكَ شَمْسُ الْجَوْ فِي الدَّوِّ^(٥) فَاعْجَبُوا أَلَا تَلَكُمُ إِدْمَانَةُ الْعَفْرِ فِي الْقَفْرِ

(١) تأشير الأسنان تحزيرها وتحديد أطرافها .

(٢) الحجر الأولى والثانية بمعنى العقل ، والثانية بمعنى حرام .

(٣) بسر الرجل وجهه : كَلَجَ .

(٤) مراة حقّه : جحدّه .

(٥) الدو : المفازة .

أَأَسْلُو وَهَذَا شَخْصُهَا حَشَوُ مُقْلَتِي وَأُنْسَى وَمَا تَفَنَكْتُ مَنِ عَلَى ذِكْرِ ؟
 لَنْ ضَمَّ مِنْكَ الْاَلْحَدُ ذَاتَا زَكِيَّةً لَقَدْ حُنِيَّتْ مَنِ الضَّلُوعُ عَلَى جَمَرِ
 سَابِكِيكِ مَا أَنْتَ فَقِيدَةُ بَكْرِهَا وَحَنَّتْ إِلَى وَكْرِ مُطَوَّقَةِ النَّحْرِ
 / [٢-ب] أَطَارِحُهَا شَجْوِي فَيُسَمِّدُ شَجْوَهَا فَتَحْسَبُنَا إِلْفِي مُصَابٍ لَدَى وَكْرِ
 وَمَالِي وَمَا لِلْعِيدِ لَوْلَا تَحَفُّلُ يُكَلِّفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنَ الصَّبْرِ
 فَمَنْ كَانَ ذَا هَدْيٍ وَهَدْيٍ لَعِيدِهِ فَعَنْدِي هَدْيٌ مِنْ مَدَامَعِي الْحُمْرِ
 يُغَادُونَهَا قُرْبَى لَنَحْرِ ثَلَاثَةً وَدَمْعِي مِنْ تَشْكَايِهِ الدَّهْرَ فِي مَحْرِ
 وَعَنْدِي وَلَا رَدٌّ زَفِيرٌ مَرْدَدٌ تَهْدِي لظَاهِ جَانِبِ الْبَشْرِ
 وَتَصْدِيقُ إِيْمَانٍ وَإِقْرَارُ مَوْقِنٍ وَتَسْلِيمُ مَرْبُوبٍ لَذَى الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ

ومن تصنيف لهم في الزهد جليل ، هو على انفرادهم في الكمال وسحر
 الكلام أوضح دليل :

يَعَجَّلُ الْإِنْسَانُ بِالْشَيْءِ ، وَهَلْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ عَجَلٍ ؟
 وَلِذِي الْعَدْلِ قَضَاءٌ فِي الْوَرَى يَتَقَاضَاهُ كِتَابٌ وَأَجَلٌ
 إِنَّ ظَفَرَ اللَّيْثِ يَدْمِي مِنْ رَدَى مِثْلَ خَدِّ الْخَوْدِ يَدْمِي مِنْ حَجَلٍ
 وَأَخُو الْغَفْلَةِ فِي غَفْلَتِهِ إِنَّ بَكَتْ وَرَقَاهُ غَنَى وَارْتَجَلْ

وإنما أورد منه الفرائد ، وأقصد إليه من القصائد ، وهما هي تضيق عنها
 المهارق^(١) ، وتضيء منها المغارب والمشارق ، وإما هذا إلماع بما أعوز العلماء ،
 وإسماع لما أسكت الحكماء .

ولما ظفرتُ من هذا المقصود الأحمد ، وسبقتُ إليه سبق الجواد إذا استولى
 على الأمد ، قصرته على ملوك إفريقيا وبلاد المغرب المضافة إليها ، وقدمتُ

القادمين في المائة الأولى من السلف الأول عليها ، لأنها من أوائل فتوح الإسلام ،
 ثم من منازل بدرِ التمام مولانا الخليفة الإمام ، أدام الله لهم نصر الأولوية والأعلام .
 وفي المائة الثانية صارت الأندلس دارَ إيمان ، فواليتُ ذكر ولايتها من ذلك
 الزمان ، ليوقفَ على جلالة شأنهم ، ويُعرفَ تمكن محلهم من البلاغة ومكانهم ،
 وذكرُ أنباءهم ، واختصرتُ أنباءهم ، هرباً من التطويل ، ورَهَباً للثقل ،
 إلا نُكِّنَّا لها باختيارها أحسن المواقع/وعيوناً هي باقتضاها أجولُ في المحافل [١-٤]
 وأولجُ في المسامع . وربما عرض ما يدعو إلى البسط فانتقض حُكم هذا الشرط ،
 ولا غرو أن أواقع الحذور ، فللكلام اضطراب يُبديح الحذور .
 وأبرزته مسوقاً على الحَقَب ، منسوقاً بحسب الرُتَب ؛ أعين للصدور صدرَ
 كل مائة ، وأبين من تميز في جماعة أو تحيز إلى فئة ، ليستوفي المتأدبين ، حتى
 من المتوثبين .

والذين ما عثرت على أشعارهم ، أفردت باباً لأخبارهم ، ولم أعرض لمن
 أعرضت عنهم الدولة الحفصية بالخلعان ، وانتزعت ما كان بأيديهم تراثاً لها
 من الملك والسلطان .

ثم [.] ^(١) الاسم الذي من خصائصه التأمين والتأمين وأشبهه
 [.] ^(٢) النصير والمشرع النصير حضرة مولانا الأمير [.] ^(٣) الأسعد
 الأطهر الأرضي أبو يحيى ولي عهد المؤمنين ^(٤) ، وعهدُ الولي في متابعات السنين ،

(١) بياض بقدر كلمتين .

(٢) بياض بقدر كلمتين .

(٣) هنا مكان كلمتين مبشورتين من الأصل ، وآثار البشر واضحة .

(٤) كذا في الأصل ، وصحته أبو زكريا يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الحفصي
 الملقب بالمستنصر ثاني أمراء الحفصيين (٦٤٧ - ٦٧٥ / ١٢٤٨ - ١٢٧٧) . وفي خدمة
 المستنصر عمل ابن الأبار . والإشارة هنا إلى ولي عهده أبي زكريا يحيى الذي خلفه على العرش
 سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦ - ١٢٧٧ وتولى بعده وتلقب بالوائق . وقد فرغ ابن الأبار من « الحلة
 السراء » خلال سنة ٦٤٩ / ١٢٥١ أو بعدها بقليل ، أي أيام كان أبو زكريا يحيى الوائق
 ولياً للعهد . (انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٢٩٦ / ٦) .

والملى^(١) وقد [...] مكارم الآباء بإنجاب كرام البنين . أجهد^(٢) في الاستظهار على شكر نعمته ، وأجهر آناء الليل وأطراف النهار بأن [يكون]^(٣) العمل خادماً النية في خدمته . وأقصى المأمول أن تأذن له^(٤) سيادته في القرب من سُدَّته ، وتقابل وفادته بالقبول ليسعد مداه بسعادة مدته . أبقاه الله ولواؤه منصور ، وكرم الخلال فيه محصور ، وشرف الكمال عليه مقصور ، والعيون والقلوب إليه ميل^و وصور ، بمنه .

(١) كذا في الأصل ، وصحة هذا اللفظ تتضح إذا عرفنا ما بعده ، وهو مضطرب في نسختنا .

(٢) بياض بقدر كلمة في معنى : عَهِدَات .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

(٤) الضمير هنا عائد على العمل .

المائة الأولى من الرحبرة

١ - عمرو بن العاصي، أبو عبد الله

قرأت بخط أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب الأشراف » من تأليفه : قال محمد بن سعد : قال الواقدي من خبر عمرو بن العاصي إنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً في صفر سنة ثمان - قبل فتح مكة بأشهر ؛ وكان الفتح في شهر رمضان - فوجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ثمان إلى ذات السلاسل في سرية ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عن جميعهم ^(١) . قال : ثم بعث به إلى ابني الجلندى بُعْثاً فأسلم ، وكان أميراً عليها . فلم يزل عمرو بُعْثاً حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وعمرو بن العاصي هو الذي فتح مصر ونواحيها في خلافة عمر / وعزله [٤ - ب]
عُثْمَانُ عَنْهَا .

وقال غير البلاذري : ثم صار من مصر حتى قدم بركة ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية ، على أن يبنيوا من أبنائهم

(١) انظر طبقات ابن سعد (طبعة دار صادر ودار بيروت . بيروت ١٩٥٧) :

في [جزيتهم « ما أحبوا بيعه »]^(١) [وعلى يديه تم فتح المسلمين]^(٢) لبرقة .
ثم غزا في سنة ثلاث وعشرين إطرابلس ، فحاصرها شهراً لا يقدر منها على شيء ،
ثم افتتحها في قصة غريبة ذكرها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
في تاريخه^(٣) ، وغنم ما فيها ولم يفلت الروم إلا بما خفَّ لهم في مراكبهم . وأراد
أن يُوجِّه إلى المغرب فكتب إلى عمر رضى الله عنه : « إن الله عز وجل فتح
علينا إطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين
أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فَعَلَّ »^(٤) ، فكتب إليه عمر ينهاء عن ذلك .

الظاهر من هذا الخبر تحيُّزُ إطرابلس من إفريقية^(٥) ، ولم تزل من أعمالها
قديماً وحديثاً . قال ابن عبد الحكم : « كان سلطان جُرْجِير من إطرابلس إلى
طَنْجَة » . وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضى الله عنه في هذا الكتاب .
ومن شعره يخاطب عمارة بن الوليد — أخا خالد بن الوليد — عند النجاشي ،

(١) أضفت كلمة « جزيتهم » هنا للسياق ، وأكلت النص من فتوح ابن عبد الحكم
(طبعة تورى) ص ١٧٠ - ١٧١ وفتوح البلدان للبلاذري (القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٢٢٤ .
(٢) عبارة الأصل هنا مضطربة . فبعد البياض الذى سددها (راجع الهامش السابق)
وردت كلمتا : « لبرقة إطرابلس » ، وهى عبارة غير صحيحة ، لأن برقة — إذ ذاك —
لم تكن تابعة لإطرابلس ، ومن ثم فهى لا تنسب إليها . ولما كانت كلمة إطرابلس ترد في آخر
السطر في المخطوط ، فقد رجحت أن ناسخاً أضافها كعنوان صغير في الهامش ، ثم أدرجها من أقب
بعده في المتن ، فاختل المعنى . فاستغنيت عنها ، وقومت النص بحسب ما أعرف عن فتح العرب
للمغرب .

(٣) راجع هذه القصة في فتوح ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر عنها
كتابنا « فتح العرب للمغرب » (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧) ص ٦١ .

(٤) راجعت النص على أصله عند ابن عبد الحكم (فتوح ، ص ١٧٢) وبقية النص :
« فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفركة ، غادرة (أيضاً : الغادرة)
مقبور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت » .

(٥) يريد أن إطرابلس داخلية في حوز إفريقية ، أى تبع لها .

وكانت قريش بعثتهما إليه يكلمانه في مَنْ قدم عليه من المهاجرين رضى الله عنهم ^(١) :

تَعَلَّمَ عُمَارُ أَنْ مِنْ شَرِّ شُبُهَةِ ^(٢) لِمِثْلِكَ أَنْ يَدْعَى ابْنُ عَمٍّ لَهُ انْتَمَى ^(٣)
لَنْ كُنْتُ ذَا بُرْدَيْنِ أَخْوَى مَرَجَلًا فَلَسْتُ بَرَاءَ لَابْنِ عَمِّكَ مُحْرَمًا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتْرِكْ طَعَامًا يُحِبُّهُ وَلَمْ يَنْتَهَ قَلْبًا هَائِمًا ^(٤) حَيْثُ يَمَّا
قَضَى وَطَرًا مِنْهُ ^(٥) ، وَغَادِرَ سُبَّةٍ إِذَا ذُكِرَتْ أُمَثَالُهَا تَمَلُّ الْقَمَا
وَقَالَ أَيْضًا فِي حُرُوبِ صَفِينِ :

شُبَّتِ الْحَرْبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا مَفْرَغَ الْحَارِكِ ^(٦) مَحْبُوكَ السَّبَجِ

(١) روى البلاذري في «أنساب الأشراف» (طبعة الدكتور حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩) ٢٣٣/١ - ٢٣٤ هذه الأبيات في خبر ما وقع بين عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد في الحبشة . وكان عمرو قد بعثته قريش مع عبد الله بن أبي ربيعة إلى الحبشة ليكيدها للمهاجرين المسلمين هناك ويفرغوا النجاشي بالتخلى عن حمايتهم ، بل القضاء عليهم . أما عمارة بن الوليد فكان قد خرج إلى الحبشة في تجارة له ، وركبا نفس السفينة ، وكانت مع عمرو امرأته ، فسعى عمارة في الاتصال بها . ووقع الخصام بين الرجلين ، فلما وصلا إلى الحبشة استطاع عمارة أن يتصل ببعض نساء النجاشي . ويبدو أنه كان بخيلا مفتونا بنفسه ، فلم يزل عمرو بن العاص يحتال عليه حتى حصل منه على ما يثبت اتصاله بتلك المرأة ، ثم أسرع بالأمر إلى النجاشي ، فغضب على عمارة ويقال إنه قتله . وفي هذه الأبيات يلوم عمرو بن العاص صاحبه عمارة على ما سولته له نفسه من العدوان على امرأة ابن عمه عمرو . والخبر كله مشكوك في صحته ، والأبيات - بالتالي - مشكوك في أصالتها .

(٢) في «أنساب الأشراف» : شيمة .

(٣) في «أنساب الأشراف» : ابنها ، وهي قراءة غير صحيحة .

(٤) في «أنساب الأشراف» : غاويًا .

(٥) في «أنساب الأشراف» : منها .

(٦) الحارك من الفرس : كاهله .

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدِّ فَإِذَا وَتَ الْخَيْلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجْ
جُرْشَعٌ أَعْظَمُهُ جَفَرْتُهُ فَإِذَا ابْتَلَّ مِنَ الْمَاءِ حَدَجٌ^(١)

وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :

مُعَاوِيَّ إِنِّي بَعْتُ دِينِي وَلَمْ أَنْلِ^(٢) به منك دنيا^(٣) ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَصْنَعُ
وَمَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا سِوَا ، وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تَعْطِي وَرَأْسِي مَقْنَعُ
فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِخُ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٤)

[٥ - ١] / قَالَ عَمْرُو هَذَا لِأَنَّهُ شَرَطَ عَلَى مُعَاوِيَةَ لَمَّا تَحَيَّزَ إِلَيْهِ - وَكَانَ مَعَهُ فِي حَرْبِهِ
لِئَلَّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَنْ يُولِيَهُ ، إِذَا ظَهَرَ ، مِصْرَ طُعْمَةً ؛ فَوَفَى لَهُ بِذَلِكَ .

وَرَوَى أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَخِيهِ وَهُوَ يَكْلِمُ عَمْرًا
فِي مِصْرَ ، وَعَمْرُو يَقُولُ لَهُ : « إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بِهَا دِينِي » ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : « أَتَمْنِي
الرَّجُلَ بَدِينِهِ فَإِنَّهُ صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ »^(٥) .

(١) لم أجد هذه الأبيات في كتاب « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم المنقرى (طبعة
عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٣٦٥ ، وهو يضم أكبر مجموع من الشعر قيل أثناء معارك صفين .
(٢) وردت هذه الأبيات في « وقعة صفين » ص ٤٤ . وقد ورد فيه هذا المصراع هكذا :
« معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل » .

(٣) في « وقعة صفين » : بذلك دنيا ، وفي مخطوط آخر : به منك .
(٤) وردت هذه الأبيات بنظام آخر في « وقعة صفين » ، وهما هي بعد البيت الأول :
فَإِنْ تُعْطِنِي مِصْرًا فَأَرْبِخُ بِصَفْقَةٍ أَخَذْتَ بِهَا شَيْخًا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
وَمَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا سِوَا ، وَإِنِّي لَأَخْذُ مَا تَعْطِي وَرَأْسِي مَقْنَعُ
وَلَكِنِّي أَغْضَى الْجَفُونَ ، وَإِنِّي لَأَخْذُ نَفْسِي ، وَالْخَادِعُ يُخْذَعُ
وَأَعْطِيكَ أَمْرًا فِيهِ لِلْمَلِكِ قُوَّةُ وَإِنِّي بِهِ إِنْ زَلَّتِ النَّمْلُ أَضْرَعُ
وَتَمْنَعُنِي مِصْرًا وَلَيْسَتْ بِرَغْبَةٍ وَإِنِّي بِذَا الْمَنْعُودِ قَدَمًا لِمُسْوَعُ

وقد ورد المصراع الثاني من البيت الرابع هكذا :

وَأَلْقَى بِهِ إِنْ زَلَّتِ النَّمْلُ أَضْرَعُ

(٥) أورد نصر بن مزاحم المنقرى حديث معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن العاص
وكلام عتبة بن أبي سفيان بتفصيل (ص ٤٤) وهو هناك يختلف في معناه ومبناه عما هو هنا .

فأقام على مصر إلى أن توفي في خلافة معاوية^(١) . وما يُعزى إليه :
 وَأَغْضَى عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَبْقِ لِلصِّلَحِ مَوْضِعًا
 فَإِنْ كَانَ عُودِي مِنْ نَضَارٍ فَإِنِّي لَا كَرِهَ يَوْمًا أَنْ أَحْطِمَ خِرْوَعًا^(٢)
 وأنشد له ابن إسحاق صاحب « المغازي » في يوم أُحُد ما لم أَر وجهًا لذكره .

٢ — ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد

ذكره أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي في الداخلين إفريقية من الصحابة
 رضى الله عنهم^(٣) ، وهم قريب من ثلاثين رجلا . وكان يخلف أباه على إمارة
 مصر ، إذ ورثها عمرو في خلافة عمر بن الخطاب [و] في خلافة معاوية . وهو صلى
 على أبيه عند وفاته ، ثم صلى بالناس يومَ الفطر . ولم يكن بينه وبين أبيه في السن
 إلا اثنتا عشرة^(٤) سنة ، وأسلم قبله ، وكان أحد فقهاء الصحابة وفضلائهم ،
 والكثيرين من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٥) .

(١) ورد بالهامش مقابل هذا السطر ما يلى : توفي بمصر ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين
 وهو ابن تسعين سنة ، ودفن بالمقطم من ناحية « الفج » ، وكانت طريق الناس إلى الحجاز .
 صح : من در السحابة للجلال الأسيوطي (كذا) .

(٢) جاء في « اللسان » : ... وكُن نَبِيثَ ضَعِيفٍ يَتَشَى خُرُوعَ : ٤٢٠/٩ .

(٣) انظر « رياض النفوس » لأبي بكر بن أبي عبد الله محمد المالكي (بتحقيق ناشر
 هذا الكتاب ، ١ - القاهرة ١٩٥١) رقم ٤ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) في « رياض النفوس » (ص ٤٣) : وكان بينه وبين أبيه في العمر ثلاث عشرة سنة .

(٥) ورد في الهامش مقابل هذا السطر بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي بمصر
 ودفن بداره سنة سبع وسبعين في خلافة عبد الملك وسنة اثنتان وسبعون سنة . صح : من در
 للصحابة . »

قال أبو محمد بن حزم الفقيه : روى عبد الله بن عمرو بن العاصي سبعة حديث .

وفي تاريخ ابن عبد الحكم أن عثمان رضى الله عنه كتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يؤمره على مصر [سنة خمس وعشرين] فجاءه الكتاب بالقيوم بقرية منها تدعى « دموشة » ، فجعل لأهل الجواب^(١) جُعلاً على أن يصبحوا به الفسطاط في موكبه . فقدموا به الفسطاط قبل أن يصبح [الصبح ، فأشار^(٢)] إلى المؤذن فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة ، لأنه كان خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبد الله بن سعد بالناس .

قال ابن عبد الحكم : يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد [ه - ب] بين يديه شمعة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه/شمعة . فالتفت عند القبلة فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد فقال : هذا بَغِيْكَ ودَسْكَ ! فقال عبد الله بن سعد : ما فعلتُ . وقد كنت أنت وأبوك تحسداني على الصعيد ، فتعال حتى أوليك الصعيد ، وأولَى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدكما عليه .

وكان عزل عمرو بن العاصي عن مصر وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين ، صدرَ خلافة عثمان رضى الله عنه . ومن شعر عبد الله بن عمرو في صفين :

فلو شهدتُ جُمْلُ مَقَامِي وَمَشْهَدِي بصَفِّينَ يوماً شابَ منه الذوائبُ
عَشِيَّةَ جَا^(٣) أَهْلُ الْعِرَاقِ كَانَهُمْ سَحَابُ ربيعٍ دَفَعَتْهُ الْجَنَائِبُ^(٤)

(١) في الأصل : الطواف ، والتصحيح من ابن عبد الحكم وأبي الحسن بن تغري بردي .

(٢) سقطت كلمات هنا ، فأضفت ما بين الحاصرتين ليتصل السياق .

(٣) في « وقعة صفين » لشعر بن مزاحم المنقري (ص ٤٢١) : غداة غدا .

(٤) في نفس المصدر : من البحر موج لجه متراكب .

وجئناهم نَزْدِي^(١) كَانَ صفوفنا من البحر مَدَّ مَوْجُهُ مُتْرَاكِبُ^(٢)
 إِذَا قُلْتَ : قَدْ وَلَّوْا سِرَاعًا ، بَدَتْ لَنَا كِتَابُ مِنْهُمْ فَارْجَحَنْتُ كِتَابُ^(٣)
 فِدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ سِرَاةَ النَّهَارِ مَا تُؤَلَّى الْمَنَّاكِبُ
 وَقَالُوا لَنَا : إِنَّا نَرَى أَنْ تُتْبَاعُوا^(٤) عَلَيَّا ، فَقُلْنَا : بَلْ نَرَى أَنْ تُضَارَبُوا^(٥)

هكذا وجدت هذا الشعر منسوباً إليه ، وخلاف هذه الحال كان [...] [.....] .
 على أن أبا الفتوح الطائي البغدادي قد حكى في كتابه « الأربعين حديثاً »
 مِنْ جَمْعِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ صَفَيْنَ ، وَكَانَ يُضْرَبُ بِسَيْفَيْنِ .
 وَالْأَصَحُّ هُوَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ [فِي خَبَرٍ يَسْنَدُهُ]^(٧) إِلَى ابْنِ

(١) رَدِّي فِي الْبَرِّ يَرْدِي إِذَا سَقَطَ فِيهَا أَوْ تَهَوَّرَ مِنْ جِبِل . وَفِي « وَقْعَةِ صَفَيْنِ » : نَمَشِي .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي « وَقْعَةِ صَفَيْنِ » هَكَذَا :

وَجِئْنَاهُمْ نَمَشِي صَفُوفًا كَأَنَّا سَحَابٌ خَرِيفٌ صَفَفْتُهُ الْجَنَائِبُ
 وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتٌ لَمْ يَوْرَدْهُ ابْنُ الْأَبَارِ هُوَ :

فَطَارَ إِلَيْنَا بِالرَّمَاكِ كَمَا هُمُوطُ طَرْنَا إِلَيْهِمُ وَالسَّيُوفُ قَوَاضِبُ
 (٣) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ هَكَذَا :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا : قَدْ وَكَلْنَا ! بَرَزَتْ لَنَا كِتَابُ حَرٍّ وَارْجَحَنْتُ كِتَابُ
 (٤) وَرَدَ هَذَا الشَّطْرُ عِنْدَ نَصْرِ بْنِ مَزَاحٍ الْمَنْقَرِيُّ هَكَذَا :

فَقَالُوا : نَرَى مِنْ رَأْيِنَا أَنْ تُتْبَاعُوا .

وَفِي الْأَصْلِ : أَنْ تُضَارَبَ ، وَلَا تُسْتَقِيمُ بِهِ الْقَافِيَةُ ، فَجَعَلْتُهُ كَمَا هُوَ فِي الْمَثْنِ .

(٥) أَوْرَدَ نَصْرُ بْنُ مَزَاحٍ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثَةَ أَيْتَاتٍ :

فَأَبْنَا وَقَدْ نَالُوا سِرَاةَ رَجَالِنَا وَلَيْسَ لِمَا لَاقُوا سِوَى اللَّهِ حَاسِبُ
 فَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ بَاكِيًا وَلَا عَارِضًا مِنْهُمْ كَيْفًا يَكَالِبُ
 كَانَ تَلَالِي الْبَيْضِ فِينَا وَفِيهِمْ تَلَالُؤُ بَرَقَ فِي تَهَامَةٍ ثَاقِبُ

(٦) بِيَاضُ بِقَدَرِ كَلِمَتَيْنِ .

(٧) أَضَفْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِلْسِّيَاقِ . وَالْخَبَرُ وَارِدٌ فِي « الْاِسْتِعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ »

لِأَبِي عَمْرِو يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ائْتَمَرِي (طَبْعَةُ الْمَطْبَعَةِ التِّجَارِيَّةِ عَلَى هَامِشِ « الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ
 الصَّحَابَةِ » لِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَلَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حَجَرٍ . الْقَاهِرَةُ ١٩٣٩) ٢ / ٢٤٠ .

أبي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي كَانَ يَقُولُ : « مَالِي وَلَصْفَيْنِ ؟ مَالِي وَلِقَتَالِ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أُنِي مَتُّ قَبْلَ هَذَا بَعْشَرِ سَنِينَ » . ثُمَّ يَقُولُ : « أَمَّا وَاللَّهِ مَا ضَرَبْتُ فِيهَا بِسَيْفٍ ، وَلَا طَعَنْتُ بِرِمْحٍ ، وَلَا رَمَيْتُ بِسَهْمٍ ، وَلَوُدِدْتُ أُنِي لَمْ أَحْضَرْ شَيْئًا مِنْهَا . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » . قَالَ أَبُو عُمَرَ : « إِلَّا أَنَّهُ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَتْ بِيَدِهِ الرَّايَةُ يَوْمَئِذٍ ، فَتَدَمَّ نَدَامَةً شَدِيدَةً عَلَى قِتَالِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ . قَالَ : وَأَقْسَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا شَهِدَهَا لِعَزْمَةِ أَبِيهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « أَطَعِ أَبَاكَ » . ذَكَرَ أَبُو عُمَرَ هَذَا ^(١) فِي كِتَابِ « الْإِسْتِيعَابِ فِي الصَّحَابَةِ » مِنْ تَأْلِيْفِهِ ، وَلَسَكُنَ الشَّعْرُ — مَعَ هَذَا — مَذْكَورَ لَهُ فِي مُصَنَّفِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ .

٣/ — عبد الله بن عباس ، أبو العباس ^(٢)

[١ - ٦]

غَزَا إِفْرِيقِيَّةً مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَشَهِدَ فَتْحَهَا ؛ ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ يُونُسَ فِي تَارِيخِهِ . ثُمَّ وَلَّى إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ اسْتَعْمَلَ أَخُوَيْهِ عُبَيْدَ اللَّهِ عَلَى الْيَمَنِ وَمَعْبَدًا عَلَى مَكَّةَ . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ مِنْ عُمرِ بْنِ الْخَطَّابِ مَكَانٌ . وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَقَدْ كَلَّمَهُ فِي حُظُوتِهِ لَدَيْهِ : « إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتَ » .

(١) انظر المصدر السابق ، ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) فوق هذا العنوان بخط مختلف عن خط المخطوط : « ط . توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة . وكان يسمى البحر لسمعة علمه . صح . من در السحابة » .

وكان يقول : « ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سُؤُول وقلب عَقُول » ؛ ويقول إذا سأل [ابن عباس] في الأمر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : [كيف تلومونني عليه بعد ما ترون ؟] ^(١)

وفي كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني أن عُمَيْيْنَةَ بن مرداس [ابن فسوة] الشاعر ، وهو المعروف بأبي فسوة ، أتى عبد الله بن العباس — وهو عامل لعلی بن أبي طالب على البصرة ، وتحتّمه يومئذ شَمِيلَةُ بنت جُنادة بن أبي أزيهر ^(٢) الزهرانية ، وكانت قبله تحت مجاشيع بن مسعود السلمي — فاستأذن عليه فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . فلما دخل على ابن عباس قال له : « ما جاء بك [إلّی] يا ابن فسوة ؟ » فقال له : « وهل دونك مقصداً ^(٣) أو وراءك معدى ؟ جئتك لتعينني على مروءتي وتصل قرابتي » ، فقال له ابن عباس : « وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ؟ والله لئن أعطيتك لا عيّنك على الكفر والعصيان ! انطلق ! فإنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك » ، فأراد الكلام فنفعه من حضر ، وحبسه يومه ذلك . ثم أخرجه عن البصرة ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ [عليه السلام] ، فلقى الحسن [بن عليّ عليه السلام] وعبد الله بن جعفر [عليهما السلام] فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرهما ، فاشتريا عِرْضَه بما أرضاه ، فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس من أبيات :

(١) استعنت في سد فراغ هذا الخبر بما ذكره ابن سعد في طبقاته في سيرة ابن عباس : « أخبرنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم . قال : فذكر أنه سأله وسأله ، فأجابه ، فقال لهم : كيف تلومونني عليه بعدما ترون ؟ » الطبقات ٢/ ٣٦٥ .

(٢) في الأغاني ١٩/ ١٤٣ : شَمِيلَةُ بنت جُنادة بن بنت أبي أزر الزهرانية .

(٣) في الأغاني ١٩/ ١٤٣ : وهل عنك مقصرا .

لَقِيتُ^(١) ابْنَ عَبَّاسٍ فَلَمْ يَقْضِ حَاجَتِي وَلَمْ يَرْجُ مَعْرُوفِي وَلَمْ يَخْشَ مُنْكَرِي
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ زَهْرَانَ لَمْ يَنْسَ حَاجَتِي وَلَسَكُنِّي مَوْلَى جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ
فَلَيْتَ قَلُوصِي أَغْرَبْتُ أَوْ رَحَلْتُهَا^(٢) إِلَى حَسَنِ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرٍ
[٦-ب] / إِلَى ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ يَا مُرَّ بِالْثَقَفِي وَلِلدِّينِ يَدْعُو وَالْكِتَابِ الْمَطْهَرِ
إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نَعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يُخْصَرْ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الْيَأْسَ مِنْهُ وَقَدْ بَدَتْ أَيَادِي سَبَا الْحَاجَاتِ لِلْمَتَذَكَّرِ
تَسَنَّمْتُ حَرْجُوجًا كَأَنَّ بُغَامَهَا أُجِيجُ^(٣) ابْنَ مَاءٍ فِي يَرَاعٍ مَفْجَرٍ
فَازَلْتُ فِي النِّسْيَارِ حَتَّى أَنْخَضْتُهَا إِلَى ابْنِ رَسُولِ الْأُمَّةِ الْمُتَخَيَّرِ
فَلَا تَدْعُنِي إِذْ رَحَلْتُ إِلَيْكُمْ بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تَصْدُرُونِي بِمَصْدَرٍ^(٤)

قال أبو الفرج : كان عُيَيْنَةُ هَذَا شَاعِرًا خَبِيثَ اللِّسَانِ مَخُوفَ الْمَعْرِه
فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَإِسْلَامِهِ ، وَكَانَ يَقْدُمُ عَلَى أَمْرَاءِ الْعِرَاقِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَيُصِيبُ مِنْهُمْ
بِشَعْرِهِ . قَالَ : وَكَانَ حَلِيفًا لِجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ . وَمِنْ شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،
وَكَانَ أَبُوهُ الْعَبَّاسُ أَيْضًا شَاعِرًا :

إِذَا طَارَقَاتُ الْهَمُّ ضَاجَعَتِ الْفَتَى وَأَعْمَلَ فِكْرَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ عَاكِرُ
[وَبَاكَرَنِي]^(٥) فِي حَاجَةٍ لَمْ يَجِدْهَا سِوَايَ وَلَا مِنْ نَسْكَبَةِ الدَّهْرِ نَاصِرُ

(١) هَذِهِ الْآيَاتُ وَارِدَةٌ فِي « الْأَغَانِي » : ١٤٤/١٩ . وَلَمْ يَوْرِدْهَا ابْنُ الْأَبَّارِ عَلَى تَوَالِيهَا ، وَإِنَّمَا اخْتَارَ مِنْهَا .

(٢) عِنْدَ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ : « فَلَيْتَ قَلُوصِي عَرِيتُ أَوْ رَحَلْتُهَا » . وَالْقَلُوصُ مِنَ النَّوْقِ : الشَّابَةُ .

(٣) الْأَغَانِي : أُجِيجُ .

(٤) الْأَغَانِي : لِمَصْدَرٍ .

(٥) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ أَكَلْتَهُ مِنْ كِتَابِ « الْعَمْدَةِ » لِابْنِ رَشِيقٍ (طَبْعَةٌ بِمَحْيَى الدِّينِ

فَرَجَتْ بِمَالِي هَمَّهُ مِنْ مُقَامِهِ وَزَالِيهِ هَمُّ طَرَوْقِ مَسَامِيرُ
وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى بَظَنِّهِ بَنَى الْخَيْرَ ، إِنِّي لِلَّذِي ظَنَّ شَاكِرُ
وَقَالَ أَيْضًا وَقَدْ عَمِيَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ : قَالَ أَبُو عَمْرِو
ابن عبد البر وغيره :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارُمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ
وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي بَابِ تَحْسِينِ مَا يَقْبُحُ .
وَقَدْ جُمِعَتْ قِطْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِي لِلْخَزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْإِمَامِيَّةِ ، الْمَوْسُومِ بِـ « قِطْعِ
الرِّيَاضِ فِي بَدَعِ الْأَغْرَاضِ » . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

عَمِيتُ جَنِينًا ، وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ مُصِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلَا
/ وَغَاضَ صَفَاهُ الْعَيْنَ لِلْعَقْلِ رَافِدَا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلَا [٧ - ١]
وَشِعَرَ كَفُورِ الرُّؤُوسِ لَامَسْتُ نَظْمَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلَا
وَقَالَ آخِرُ ، وَيُرْوَى لِأَبِي الْعَلَاءِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْخُصْرِيِّ :
وَقَالُوا : قَدْ عَمِيتُ ، فَقُلْتُ : كَلَّا وَإِنِّي الْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادُ الْعَيْنِ زَارَ سَوَادَ قَلْبِي لِيَجْتَمِعَا عَلَى فَهْمِ الْأُمُورِ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الْقُرْطُبِيُّ النُّحْوِيُّ — الْمَعْرُوفُ بِدُرُودٍ ، وَيُقَالُ
دُرُودٌ — وَكَانَ أَعْمَى ^(١) :

تَقُولُ : مَنْ لِلْعَمَى بِالْحُسْنِ ؟ قُلْتُ لَهَا : كَفَى عَنْ اللَّهِ فِي تَصَدِيقِهِ الْخَبَرَ

(١) ترجم له الحميدى فى جذوة المقتبس رقم ٥٥٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ والزبيدى فى
طبقات اللغويين والنحاة (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٥) ص ٣٢٣ ،
وقد ورد فى هذا الأخير أن الخليفة عبد الرحمن الناصر استأدبه لأبنائه ، وتوفى سنة ٣٢٤ /

القلب يدرك ما لا عين تدركه^١ والحسن ما استحسنته النفس لا البصر^٢
وما العيون التي تعمى إذا نظرت^٣ بل القلوب التي تعمى بها النظر^٤
ومن جَيد العذر — لولا شَوْبه بالهَجْر — قول الآخر :

قالوا : العمى منظرٌ قبيحٌ قلت : بفقدى لهم يهونُ
تالله ما في الأنام شيء تأسى على فقد العيون

كأنه أخذه من قول سعيد بن المسيّب وقد نزل الماء في عينيه ، فقليل له :
« لو قد حَتَمُها » ، فقال : « وعلى من أفتَحهما ؟ ... » . ومثل هذا قول المعري ،
وهو عندي من المنشد :

أبا العلاء بن سليمان إن العمى أولاك إحساناً
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير إنسانك إنساناً

٤ — عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان . وهو الذى ولى قتل
جرير^(١) ملكها واحتز رأسه وجعله في رحله ، وكبر فانهزم الروم في خبر طويل
ذكره مصعب بن الزبير في كتاب « قريش »^(٢) من تأليفه ، فوجه به ابنُ

(١) كذا ورد الاسم مضبوطاً بكسر الأول ، والشائع جرير بضم الحيم . وهو
البطريق جريجوريوس الذى كان قد استبد بأمر إفريقية بعد موت الإمبراطور هرقل وقبيل
فتح المسلمين للمغرب .

(٢) يريد أبا عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب الزبيرى وكتابه « نسب قريش »
(نشره ليثي پروفسال ، سلسلة ذخائر العرب ، رقم ١١ - القاهرة ١٩٥١) وأعاد نشره
في صورة أكل ومع فهارس أوفى الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢) والخبر
وارد فيه في ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

أبي سرح / بشيراً إلى عثمان ، فقدم عليه ، فأخبره بفتح الله ونصره ، وخطب [٧ - ب] يومئذ بذلك في مسجد المدينة على المنبر . قال مصعب : وبُشِّرَ عبدُ الله مقدمه من إفريقية بابنه خبيب بن عبد الله ، وهو أكبر ولده .

وقال ابن عبد الحكم : « بعث عبدُ الله بن سعد بالفتح عُقْبَةَ بن نافع ، ويقال بل عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح — فيقال إنه سار على راحلته إلى المدينة من إفريقية في عشرين ليلة »^(١) . قال : « وقد قيل إن عبد الله بن سعد كان قد وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقية ، فلا أدري أفي الفتح أم بعده ؛ والله أعلم »^(٢) .

ثم ولَّى ابنُ الزبير الخلافة بالحجاز والعراق وأكثر الشام ، بعد موت معاوية ابن يزيد بن معاوية . وكان قد خرج من المدينة مع الحسين بن علي — إثر موت معاوية بن أبي سفيان ، ممتنعاً من بيعته ابنة يزيد — وأقام يسلم عليه بالخلافة تسع سنين ، ثم قتله عبدُ الملك بن مروان على يد الحجاج سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

وحكى الزبير بن بكار في كتاب « نسب قریش »^(٣) له ، عن هشام بن

(١) انظر ابن عبد الحكم : « كتاب فتوح إفريقية والأندلس » طبعة جزئية من فتوح ابن عبد الحكم اقتصرت على فتح إفريقية والأندلس نشرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU مع ترجمة فرنسية عنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne* وهي المجلد الحادى عشر من سلسلة Bibliothèque Arabe-Française التي تنشر في الجزائر ، وهي طبعة جيدة ، تمتاز بتعليقات وشروح قيمة وفهارس دقيقة . والخبر المشار إليه وارد فيها في ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٠ .

(٣) المراد كتاب « جمهرة نسب قریش وأخبارها » لأبي عبد الله الزبير بن بكار (١٧٢ - ٧٨٨ / ٢٥٦ - ٨٧٠) وهو ابن أخى أبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ - ٢٣٦ / ٧٥٤ - ٨٥٦) صاحب كتاب « نسب قریش » الذى سبقت الإشارة إليه . وقد نشر =

عروة ، قال : كان أول ما أفصح به عمى عبدُ الله بنُ الزبير — وهو صبي —
السيف ، وكان لا يضعه من فمه . فكان الزبير بن العوام إذا سمع ذلك منه يقول :
أما والله ليكون له منه يوم ويوم وأيام .

ومن شعره المشهور عنه :

وكم من عدوٍ قد أراد مساءتي بغيَّبٍ ، ولو لاقيتُه لتندما
كثير الحنأ ، حتى إذا ما لقيتُه أصرَّ على إنمي وإن كان أقسما
وقال أيضا ، أنشده له أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « العمدة » من
تأليفه ؛ قال غيره : ويروى لعبد الله بن الزبير (بفتح الزاي وكسر الباء)^(١) :
لا أحسبُ الشرَّ جاراً لا يفارقني ولا أحزُّ على ما فاتني الودجا
وما لقيتُ من المكروه منزلةً إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا
ويروى أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليه :

رأيتُ كرامَ الناس إن كفَّ عنهمُ بحلمٍ ، رأوا فضلاً لمن قد نحلماً
/ ولا سيما إن كان عفواً بقدرةٍ فذلك أحرى أن يجِلَّ ويعظماً [هـ - ١]

= الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول من القسم الذي عثرنا عليه منه ، وهو نصف الكتاب
تقريباً (القاهرة ١٩٦٢) محققاً تحقيقاً جديراً بكل تقدير وثناء . وقدّم له بمقدمة وافية عن
الزبير بن بكار وحياته ومؤلفاته ، وقارن بين كتابه في أنساب قريش وكتاب عه في نفس
الموضوع ، وقارن كذلك بينه وبين كتاب « جمهرة أنساب العرب » لأبي محمد علي بن أحمد
ابن حزم . ومن أسف أن القسم الذي ينقل عنه ابن الأبار هنا لم نعث عليه بعد ، وهو الجزء الثاني عشر
من الكتاب — بحسب تجزئة الأصل — وأول الجزء الثالث عشر ، وهو يتناول أخبار عبد الله
ابن الزبير (راجع ص ٥ من الكتاب ، وهامش ١) .

(١) واضح أن المراد هنا رجل آخر غير ابن الزبير ، وقد راجعت هذه الفقرة
على أصلها في « العمدة » لابن رشيق (طبعة محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٤) ح ١
ص ٢٤ .

ولستُ بذى لؤمٍ فتعذر بالذى أتيت من الأخلاق ما كان أظماً
وإني لأخشى^(١) أن أنالك بالتي كرهت ، فيخزى الله من كان أظماً
فراجعهُ ابن الزبير :

ألا سَمِعَ الله الذى أنا عبْدُه وأخزى إلهُ الناس من كان أظماً
وأجراً^(٢) على الله العظيم بِجُرْمِه وأسرعهُ فى الموبقات تَعَجُّها
أغرَّكَ أن قالوا حلِيمٌ بِقدرةٍ وليس بذى حلمٍ ولكن تَحَلَّماً
وأقسمُ لولا بيعة لك لم أكن لأنقضها ، لم تنج مني مسأماً

ومما رويته من طريق ابن أبي الحسن بن صخر فى فوائده ، وقرأته على
الحافظ أبى الربيع سليمان بن موسى بن سالم السكلاعى بإسناده إلى عبد الله بن
المبارك ، قال : حدثنى يونسُ عن الزهرى ، قال : اجتمع مروان وابن الزبير عند
عائشة رضى الله عنها ، قال : فذكر مروان بيتاً من شعر ليبيد :

وما المره إلا كالشهابِ وضوئِه يعود رماداً بعد إذ هو ساطع
فتعجب منه . قال ابن الزبير : « وما تعجبك ؟ لو شئتُ قلتُ ما هو
أفضل منه :

فقوّض إلى الله الأمورَ إذا اعتَرَّتْ فبِالله - لا بالأقربين - تدافعُ »
قال مروان :

وداؤِ ضميرِ القلبِ بالبرِّ والثَّقَى ولا يستوى قلبان : قاسٍ وخاشع

(١) فى الأصل : لا أخشى ، والصواب ما أثبتناه . وقد صوبه كذلك على هذا النحو

ماركوس مولر ، ص ١٨٧ .

(٢) فى الأصل : وأجرى ، والصواب ما أثبتناه ، والمراد أجراً .

وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبد مصْلَمٌ
عُتِلَ لأرحام الأقارب قاطع
قال مروان :

وعبدٌ تجافى جنبه عن فراشه
يبيت يناجي ربه وهو راكع
قال ابن الزبير :

وللخير أهل يُعرفون بهديهم
إذا جمعهم في الخطوب الجامع
قال مروان :

وللشر أهل يُعرفون بشكلهم
تشير إليهم بالفجور الأصابع
فسكت ابن الزبير ، فقالت له عائشة : « ما سمعتُ مجادلة قط أحسن من هذه ،
ولكن لمروان إرث في الشعر ليس لك » .

٥/ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك

[٨ - ب]

غزا إفريقية مع ابن أبي سرح ، ووجهه إلى عثمان رضى الله عنه ، على ما ذكره
ابن عبد الحكم حسبما تقدم . وكان ابن أبي سرح قد كتب إلى عثمان يستأذنه
في غزو إفريقية ، فندب عثمان الناس بعد المشورة في ذلك . فلما اجتمعوا أمر عليهم
الحرث بن الحكم^(١) أخا مروان ، إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد بن
أبي سرح بمصر فيكون الأمر إليه .

(١) عند النويرى ، نهاية الأرب ، الجزء الخاص بالمغرب ، مخطوط رقم ٢٢ بدار
الكتب بالقاهرة ، ورقة ١٦٣ : الحارث .

ومن شعر مروان :

اعمل وأنت من الدنيا على حذرٍ واعلم بأنك بعد الموت مبعوثٌ
واعلم بأنك ما^(١) قَدَمْتَ من عملٍ مُحْصَى عليك ، وما خَلَفْتَ موروثُ
وقد أوردت ما دار بينه وبين عبد الله بن الزبير قبل هذا ؛ وهو القائل
أيضا بين يدي خلافته عند موت معاوية بن يزيد بن معاوية واضطراب
الأمور بالشام :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا
وذكر له الزبير بن بكار وغيره رجلاً في قتل الحسين بن علي حين قُدم
برأسه على المدينة ، تركتُ ذكره ؛ وكان أخوه عبد الرحمن بن الحكم من
فحول الشعراء .

٦ — ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

غزا إفريقية مع معاوية بن حُذَيج سنة أربع وثلاثين في آخر خلافة عثمان ،
وبعثه معاوية هذا إلى مدينة يقال لها « جُلُولَا »^(٢) في ألف رجل . « فحاصرها

(١) في الأصل : قد ، وصوبناه للمعنى .

(٢) جلولا أو جلولاء ، مدينة على بعد ٢٤ ميلا عن القيروان . وكانت مدينة كبيرة
فيها حصن بيزنطي قديم ، أصل اسمها Cululis . وقد وصفها البكري بأنها كانت مدينة
غنية كثيرة الأشجار والثمار ، وبها قصب السكر (وصف إفريقية ، طبعة دي سلان ،
الجزائر ١٩١٠) ص ٣١ و ٣٣ و ٥٨ . وقد ذكرها الإدريسي باسم جُلُولَة ، ص ٢٠ .

عبد الملك أياماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً . فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فكفرَّ بجماعة من الناس لذلك ، وبقى من بقي على مصافِّهم ، [وتسرع سرعان الناس] ، فإذا مدينة جلولاً قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها ، [وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج] ^(١) .

ولعبد الملك في تمنيه الخلافة وإجابة دعائه بذلك خبر غريب يدخل في باب الأمانى الصادقة ، وقد رويته عن الحافظ أبي الربيع بن سالم بقراءتي عليه من طريق أبي علي بن سُكْرَةَ الصدقي بإسناده إلى الشَّعْبِي ، قال : لقد رأيت عجباً : كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير ^(٢) وعبد الملك بن مروان . فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقم كل رجل منكم فليأخذ بالركن اليماني / ويسأل الله حاجته ، فإنه يُعطى من سعة ؛ قم يا عبد الله ابن الزبير فإنك أول مولود وُلد في الهجرة . فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك عظيم تُرجى لكل عظيم ، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ألا تميّتي من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم عليّ بالخلافة ؛ وجاء حتى جلس . فقالوا : قم يا مصعب بن الزبير ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رب كل شيء وإليك يصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء . ألا تميّتي من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سُكَيْنَةَ بنت الحسين ؛ وجاء حتى جلس . وقالوا : قم يا عبد الملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني فقال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين ذات النّبْت بعد القفر ، أسألك بما سألك

(١) نقل ابن الأبار هذه الفقرة عن فتوح ابن عبد الحكم (طبعة تورى ، ص ٩٣) وقد راجعتها على أصلها هناك وأكملت نقصها منه .

(٢) ورد في الهامش مقابل هذا السطر : ومصعب بن الزبير ، مع إشارة يفهم منها أن هذا الاسم ينبغي أن يدرج في المتن .

عبادك المطيعون لأمرك ، وأسألك بجرمة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خلقك ،
وبحق الطائفين حول بيتك ، ألا تميّنى من الدنيا حتى تولينى مشرق الأرض
ومغربها ، ولا ينازعنى أحد إلا أنيت برأسه ، ثم جاء حتى جلس . ثم قالوا :
قم يا عبد الله بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم إنك رحمان
رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك
ألا تميّنى من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي : فما ذهبت عيناى من
الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم أعطى ما سأل ، وبُشر عبد الله بالجنة ، ورويت
له . ومن شعر عبد الملك ، وقد هم بقتل بعض أهله ثم صفح عنه :

همتُ بنفسى هَمَّةً لو فعلتها لكان كثيراً بعدها ما ألومها
ولكننى من أسرة عَبَشِيَّةٍ إذا هى هَمَّتْ أدركتها حلومها

ويروى أنه لما بلغه إسراف الحجاج بن يوسف فى القتل ، وتبذيره الأموال
بعد ظهوره على عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، كتب إليه ينهائه ويتوعده ، وكتب
فى أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها	وتطلبُ رضائى بالذى أنت طالبة
وتحش الذى لم يحش مثلك لم تكن	كذى الدرّ ردّ الدرّ فى الصرع حالبة
/فإن ترّ منى وثبة أموية	فهذا وهذا — كل ذا — أنا صاحبه [٩ - ب]
وإن ترّ منى غفلة قرشية	فياربما قد غصّ بالماء شاربه
فلا تأمننى والحوادث جمّة	فإنك تجزئ بما أنت كاسبه
وإني لأغضى جفن عيني على القذى	وأزور بالأسر الذى أنا راكبه
وأملئ لذى الذنب العظيم كأننى	أخو غفلة عنه وقد جبّ غاربه
فإن أب لم أعجل عليه ، وإن أبى	وثبت عليه وثبة لا أراقبه

فجأوبه الحجاج برسالة وكتب معها :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى
وما لأمري يعصى الخليفة جنة
أسالم من سالت من ذي مودة
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة
وإن أنا لم أذن النصيح لنصح
وأعط المواسي [...]
فن يتقى بؤسى ويرعى مودتي
فأمرى إليك اليوم : ما قلت قلته
ومهما ترذ مني فأني أريده
[.....] بي على الرضا
أذاك ، فيؤمى لا توارى كواكبه
تقيه من الأمر الذي هو رأكبه
ومن لم تسأله فأني محارب
فقامت عليه بالصياح نوادبه
وأقص الذي دبّت على عقارب
ترد الذي ضاقت على مذهب
ويخشى [الردى] والدهر جم عجائبه
وما لم تقله لم أقل ما يقارب
وما لم ترذ مني فأني مجانب
مدى الدهر حتى يرجع الدرّ حاله

والذي أوردته من أبيات فمنقول عن إثبات ، ومجموع من تصنيفات أشتات ؛
وما كان مقولا عليهم ومنحولا إليهم ، فأنا برىء من عهده .

المائة الثانية

٧- أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس

دخل إفريقية في أيام بني أمية - وهو إذ ذاك سوقة - فراراً منهم ،
وملكها في خلافته بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وخُلع فيها وقتاً ، ثم عادت
إليه وولّاها الأغلب بن سالم التميمي ، جدّ الأغالبة المتداولين مُلكها إلى أن غلبهم
عليها عُبيد الله الشيعي فانقضوا به .

وكان يقال لأبي جعفر في صغره « مِقْلَاص » ، نُقب بذلك تشبيهاً بالمقلاص
من الإبل ، وهي الناقة التي تسمن في الصيف وتهزل في الشتاء ، وكذلك كان
أبو جعفر . حكى ذلك أبو الوليد القاسمي ، قال : وهو مقلوب العادة . وليس
في خلفاء بني العباس أعلم من أبي جعفر المنصور وعبد الله المأمون ، ثم بعدها
الرشيد والواثق ، ومن متأخريهم المسترشد بن المستظهر^(١) ؛ وأشهرهم أبو العباس
الراضي بن المقتدر .

(١) في الأصل : المسترشد من المستظهر ، والصواب ما أثبتناه . وهو أبو منصور
الفضل المسترشد بالله بن أبي العباس أحمد المستظهر بالله ، وهو التاسع والعشرون من خلفاء
بني العباس في بغداد (٥١٢ - ٥٢٩ / ١١١٨ - ١١٣٥) .

وأبو جعفر معدود في السكّلة من الملوك ، وكان يفرط في دعواه الاطلاع^(١) ،
ويقرّط بتقريظ نفسه الأسماح ، فمن قوله في بعض خطبه : « الملوك أربعة :
معاوية وكفاه زيادُه ، وعبد الملك وكفاه حجاجُه ، وهشام وكفاه مواليه ،
وأنا ولا كافٍ لي ! » . ولما عزم على الفتك بأبي مسلم صاحب دولتهم والقائم
بدعوتهم — وقد حُدّر من عاقبة ذلك — كتب إليه عيسى بن موسى بن علي
ابن عبد الله بن العباس مشيراً بالآناة ، وكان قد شاوره فيه :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا تدبُّرٍ فإن فسادَ الرأي أنْ يَتَعَجَّلَا
فقال المنصور يجيبه :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإن فسادَ الرأي أنْ يُتَرَدَّدَا
ولا تهملِ الأعداءَ يوماً بقدرَةٍ وبادرهم أنْ يملكوا مثلها غداً
وينظر إلى هذا قول عبد الله بن المعتز :

وإنْ فرصةٌ أمكنتْ في العدا فلا تَبَدَّ فِعْلُكَ إلَّا بها
/ فإنْ لم تَلِجْ بابَهَا مسرعاً أذاك عدوك من بابها
وإياك من ندمٍ بعدَهَا وتأميل أخرى ، وأنى بها ؟

[١٠ - ب]

وقال المنصور :

تَقَسَّمَنِي أَسْرَافٌ لم أفتَحْهُمَا بحَزَمٍ ولم تَعْرُكْ قُوَايَ الكِرَاكِرِ
وما ساور الأَحْشَاءُ مثْلُ دَفِينَةٍ من الهم رَدَّتْهَا عَلَيْكَ المَصَادِرِ
وقد علِمْتَ أَنبَاءَ عَدَنَانَ أَنِّي لَدَى مَا عَرَا مِقْدَامَةٌ مُتَجَاسِرِ

وقال أيضا يخاطب محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، حين خرجا عليه بالمدينة والبصرة :

بنى عمنّا ، لا نصنرَ عندكم لنا ولكنكم فينا سيوفٌ قواطعُ
فلولا دفاعي عنكم إذ عجزتمُ وبالله أحى عنكم وأدافع
لكنتم ذُنَابِي آلِ مروان مثلاً عهدناكم ، والله معطيٌ ومانع

٨ — عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان

الداخل إلى الأندلس ، ويقال له « صقر قریش » — سماه أبو جعفر المنصور بذلك — وكنيته أبو المطرّف ، وهو الأشهر في كنيته ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو سليمان .

هرب في أول دولة بني العباس إلى المغرب ، وتردد بنواحي إفريقية ، وأقام دهرأ في أخواله « نَفْرَة » من قبائل البربر ، وكانت أمه منهم « راح » ، ثم لحق بالأندلس في غرة شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وهزم أميرها يوسف ابن عبد الرحمن الفهري في يوم الخميس اتسع خلون من ذى الحجة من هذه السنة ، واستوسقت له الخلافة ليوم^(١) آخر يوم الجمعة يوم الأضحى وهو ابن ست وعشرين سنة .

ودعا لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الإمارة قُرْطَبَة ، ويقال إنه أقام أشهرأ دون السنّة يدعو لأبي جعفر المنصور ، متقيلاً في ذلك يوسف

(١) أي أن الأمر استقر له في مدى يوم واحد بعد انتصاره على يوسف الفهري : انتصر عليه يوم الخميس ٩ ذى الحجة ١٣٨ واستقر له الأمر في نهاية اليوم التالي وهو يوم الجمعة ١٠ ذى الحجة ١٣٨ .

[١١ - ١] الْفَهْرِيُّ الْوَالِي قَبْلَهُ ، إِلَى أَنْ أَفْرَدَ نَفْسَهُ / بِالْدَعَاءِ ؛ وَيُقَالُ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ ابْنَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ^(١) أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ عِنْدَ خُلُوصِهِ إِلَيْهِ فَقَبِلَهُ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ اسْمَ الْإِمَارَةِ ، وَسَلَكَ الْأَسْرَاءَ مِنْ وَلَدِهِ سُنَّتَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَهْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْفَاصِلِ لِدِينِ اللَّهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَسَمَّى بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ سَنَيْنٍ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَدُعِيَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اسْتَفْجَلَ أَمْرُهُ وَاسْتَبَانَ لَهُ ضَعْفُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ وَانْتِثَارُ سُلْطَانِهِمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُعْتَصِدِ مِنْهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مَرْوَانَ حَيَّانُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ حَيَّانٍ صَاحِبُ « تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ » .

وَمِنْ شَعْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ يَتَشَوَّقُ مَعَاهِدَهُ بِالشَّامِ ، أَنَشَدَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي تَارِيخِهِ :

أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَيْعُمُ أَرْضِي أَفْرَ مِنْ بَعْضَى السَّلَامِ لِبَعْضٍ^(٢)
إِنْ جَسَمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِي وَفَوَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِي
قَدَّرَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا فَافْتَرَقْنَا وَطَوَى الْبَيْنُ عَنْ جَفُونِي عُغْضِي
قَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْفِرَاقِ عَلَيْنَا فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي

وَقَالَ أَيْضًا فِي حَيَوَةِ بْنِ مُلَاسٍ الْحَضَرِيِّ^(٣) مِنْ جُنْدِ حِمصِ النَّازِلِينَ إِشْبِيلِيَّةً ، وَكَانَتْ لَهُ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ لَطِيفَةٌ فِي أَوَّلِ مَلَكَه :

(١) رَاجِعْ : الْمَصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ ، نَسَبُ قُرَيْشٍ ، ص ١٦١ .

وَابْنُ حَزْمٍ ، جُمُورَةُ أَنْسَابِ قُرَيْشٍ (بِتَحْقِيقِ لِيثٍ بِرُوفُنْسَالِ ، الْقَاهِرَةِ ١٩٤٨) ص ٨٠ .

(٢) الْأَصْلُ : إِلَى بَعْضٍ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « الْمَعْجَبِ » لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَائِثِيِّ ، طَبْعَةٌ

دُوْزِي ، ص ١٢ .

(٣) كَذَا وَرَدَ الْأَسْمُ فِي « الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ » أَيْضًا (طَبْعَةٌ لِيثٍ بِرُوفُنْسَالِ وَكُولَانَ ، لَا يَدْنُ

١٩٥١) ٥١/٢ . وَلَمْ يَظَلْ حَيَوَةُ عَلَى وِلَايَتِهِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِذْ أَنَّهُ ثَارَ عَلَيْهِ حَوَالِي ١٤٥ / ٧٦٢

وَتَغَلَّبَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةٍ وَاسْتَجَّتْ وَأَكْثَرَ الْغَرْبَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَاتَلَهُ قِتَالًا عَنِيفًا بَضْعَةَ أَيَّامٍ .

وَقَدْ كَادَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنْ يَنْهَزَمَ أَوَّلَ الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّهُ ثَبَتَ حَتَّى مَلَكَ نَاصِيَةَ الْمَعْرَكَةِ فَانْهَزَمَ حَيَوَةُ

وَمِنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَهَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ فَرِيشَ شَمَالِي قَرْطَبَةٍ ، وَمِنْ هُنَاكَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ -

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا غاب عنها حيوة بن ملامس
 أخو السيف ، قارى الضيف ، حقاً براهما عليه ، ونأفي الضيم عن كل بائس^(١)
 وحكى عيسى بن أحمد الرازي أن عبد الرحمن بن معاوية — أول نزوله
 منية الرصافة بقرطبة واتخاذها — نظر إلى نخلة مفردة ، فهاجت شجته وتذكر
 بلد المشرق فقال بديها :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل
 فقلت : شبيهى في التغرب والنوى وطول التناهى عن بنى وعن أهلى
 نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمُنتأى مثلى
 سقتك غواذى المزن من صوبها الذى يسبح ويستمرى السماكين بالوئيل
 / وقال أيضاً فيها :

يا نخل أنت غريبة مثل فى الغرب نائية عن الأصل
 فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطمع على خبل ؟
 لو أنها تبكى ، إذا لبكت ماء الفرات ومنبت النخل
 لكنها ذهلت ، وأذهلتى بغضى بنى العباس عن أهلى

وقد قيل إن الأبيات الأربعة الأول لعبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن
 بشر بن مروان بن الحكم ، قالها عند دخوله الأندلس فراراً من بنى العباس
 فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وقيل فى الأبيات الأخيرة إنها لعبد الملك

= يسأله العفو عنه . وثورة حيوة بن ملامس حلقة من صراع عبد الرحمن الداخل مع اليمنيين الذين
 ظنوا بعد وصوله إلى الإمارة بفضلهم (مع البربر) أن الدولة ستكون لهم ، وساءم أن وجدوا
 عبد الرحمن يريد أن ينتهج السياسة التى تتفق ومصالح العرش الذى أقامه ، سياسة إنصاف
 ومساواة بين السكان جميعاً . وقد انتهت ثورات اليمنيين بعبد الرحمن إلى الانصراف عنهم جملة ،
 والميل إلى الشامية وتفضيلهم .

(١) كذا فى الأصل ، وقد قرأها دوزى ، ص ٣٤ : يانس .

ابن عمر بن مروان بن الحكم ، وقد اجتاز في قصده قرطبة ، حضرة الأمير عبد الرحمن بن معاوية — [على] ما حكى الحافظ — بمدينة إشبيلية ، فرأى في موضع منها — يعرف بـ « النخيل » إلى اليوم — نخلة مفردة ، فالحقته^(١) رقة عند النظر إليها ، وقال بديهاً الأبيات المذكورة .

ومما يرُد هذا القول ويقوى نسبتها — أعنى الأبيات الأخيرة — لعبد الرحمن ابن معاوية ، ما حكى الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في تاريخه ، وقرأته على القاضي أبي الخطاب أحمد بن محمد بن واجب القيسى بمدينة بالنسية عنه قراءة عليه بحضرة قرطبة ، قال : قال أبو بكر محمد بن موسى بن فتح ، يُعرف بابن القَرَّاب^(٢) : دخلت يوماً على أبي عثمان بن القَزَّاز وهو يعاقب فقلت له : رأيت الساعة في توجهي إليك القاضي والوزراء والحكام والمدول قد نهضوا بجمعهم إلى حيازة^(٣) الجنة المعروفة بـ « رَبْنَالِش »^(٤) ، وهبها هشام للمظفر بن أبي عامر . قال : فقال لي ابن القَزَّاز : إن هشاماً لضعيف ، هذه الجنة المذكورة

(١) العبارة ابتداء من « حضرة الأمير » إلى هنا وردت في الهامش بخط مختلف مع إشارة في المتن إلى موضعها حيث جعلناها . وعند كلمة « الحافظ » كتب نفس الكاتب كلمة « صح » دون أن يعين اسم الحافظ الذي كتب عنده هذا اللفظ ؛ ويغلب على ظني أن المراد هنا أبو يوسف عمر بن عبد البر .

(٢) كذا في الأصل ، وقد جعلها دوزي ، ص ٣٥ : القَرَّاب ، والصحيح ما أثبتناه^(٣) .
(٣) الأصل حيازة ، وقد قرأها دوزي حيازة وفسرها بالخندق أو الفصيل (une digue) اعتماداً على ما ذكره فَمَيْسَرُزْ Weijers في شروحه على القطع التي نشرها من كلام ابن خاقان بعنوان *Loci Ibn Khacanis* ص ٢٣ وتعليق رقم ٦٦ ص ٨٣ .

(٤) الأصل : رَبْنَالِش ، وقرأها دوزي رَبْنَالِش والصحيح رَبْنَالِش وهي Rabanales ، ولا زال هذا الاسم يطلق على منطقة حدائق على خمسة كيلومترات شمال شرق قرطبة .

cf : LÉVI PROVENÇAL, *L'Espagne musulmane au X^e siècle*, (Paris, 1932), p. 225, note 3.

وقد روى نفس الخبر ابن بشكوال في الصلة في ترجمة سعيد بن عثمان بن أبي سعيد بن محمد ابن سعيد بن عبد الله بن يوسف البربري اللغوي الذي يعرف بابن القَزَّاز المذكور هنا (رقم ٤٦٢ ص ٢٠٦-٢٠٧) .

هي أول ناضل اتخذها عبد الرحمن بن معاوية ؛ وكان فيها نخلة أدركتها بسني ، ومنها تولدت كل نخلة بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية ، وقد تنزه إليها ، فرأى تلك النخلة فحنَّ : « يا نخل أنت غريبة مثلي » ، وذكر الأبيات إلى آخرها .

وحكى أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الحداثي » المؤلف للحكم المستنصر بالله من أشعار الأندلسيين ، قال : باغى أن بعض الوفود من قریش كتب إلى الإمام عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يستعظم حقه عليه بالرحم ويستقل حظه منه بالمستطعم^(١) ، فوقع في ظهر كتابه :

[١٢ - ١] / شتان^(٢) من قام ذا امتعاضٍ مُنتَضِي الشفرتين نَضَلَا
فجاء قفراً ، وشق بجرأ مُسَامِيَا لجةً ومَحَلَا
فشاد مجدأ وبزَّ ملكاً^(٣) ومنبرأ للخطاب فصلا^(٤)
وجنَّد الجندَ حين أودى ومصرَ المِصرَ حين أخلى^(٥)
ثم دعا أهله جميعاً^(٦) حيث اتقاؤا ، أن : هلم أهلاً^(٧)

(١) كذا في الأصل . وقد قرأها دوزي (ص ٣٥) بالمستطيع ، وهي قراءة أركن في الأصل . وفي نفس المناسبة يقول ابن عذارى : « ومن شعره البديع الرائق ، ما كتب به إلى بعض من طرأ عليه من قریش ، وكان قد استقل جرايته (في نسخة : جزايته) واستطال بقرابته ، وسأله الزيادة له والتوسعة ، فكتب إليه بهذه الأبيات . . . » البيان المغرب ، ٥٩/٢ .

(٢) قرأها دوزي هنا : سيان (ص ٣٥) وكذلك قرأ ليثي پروثنسال وكولان . انظر البيان المغرب ، ٥٩/٢ .

(٣) ورد هذا الشطر في صور شتى . في نفح الطيب : دبر ملكا وشاد عزا .

وعند ابن عذارى (٥٩ / ٢) : فبز ملكا وشاد عزا .

وفي مخطوطة أخرى من البيان : فشاد ملكا وشاد عزا .

(٤) عند ابن عذارى (٥٩ / ٢) : ونائرا للخطاب فصلا .

(٥) عند ابن عذارى (٥٩ / ٢) : وأجلا .

(٦) في نفح الطيب : ثم دعا أهله إليه .

(٧) الأصل : انتقاؤا ، وكذلك عند ابن عذارى .

فجاء^(١) هذا طريداً جوعاً شريداً سيفاً أباد قتلاً
فقال أماً ، ونال شيباً وحاز مالا ، وضماً شتلاً
ألم يكن حقاً ذا على ذا أعظم من منعم ومولى ؟
وبعض هذا الشعر عن ابن حبان ، وأوله عنده :

شقان من قام ذا امتعاض فشال ما قل^(٢) واضمحلاً
ومن غدا مضلتاً لعزم مجرّداً للمعدة نصلاً
فجاء قفراً ... البيت .

وبعده :

* فبزّ ملكاً وشاد عزاً *

إلا أن ابن حبان ذكر عن معاوية بن هشام الشيباني^(٣) ، أن جلّساء
عبد الرحمن القادمين عليه من قل^(٤) أهله بالشام ، حدثوه يوماً ما كان من

(١) الأصل : فجاد .

(٢) الأصل : قال ، وقد صوبه دوزي كما أثبتناه في المتن ، وهو أصح .

(٣) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
القرشي المرواني ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ويعرف بابن الشبانسيّة ، من جلة
الفقهاء والعلماء على أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط ، توفي سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١ (ابن
الأبار ، التكلة ، رقم ١٠٧٧ ص ٣٧٩) . ويعرف أيضاً بالشبانسي ، وهي نسبة حملها نفر
من سلالة هشام الرضي ثاني أمراء بني أمية في الأندلس ، أول من تعرفه منهم معاوية هذا ثم ابن
أخيه معاوية بن هشام بن محمد بن هشام ، وهو مؤرخ ومؤلف معروف ينسب إليه كتاب
في تاريخ دولة بني مروان في الأندلس وكتاب في نسب العلوية وغيرهم من قرشي سباه ب «التاج
السنّي في نسب آل علي » (انظر التكلة لابن الأبار ، رقم ١٠٧٨) . وقد ذكر ابن حزم
في « الطوق » من أبنائه هذا البيت أبا محمد قاهم بن محمد القرشي المعروف بالشبانسي . وقد ذهب
سانثيث ألبورنوث إلى أن الشبانسي مغرب عن sapientia أي العلم ، ولكن الغالب أنه نسبة إلى
موضع يسمى شبانيس ، وواضح أن الربط بين الشبانسي والشبانسية ولفظ سابينثينسيا مفتعل .
(٤) الأصل : جل ، وقد قرأها دوزي : من جوال أهله (ص ٣٦) .

الْعَمْرُ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ابن عمه أيامَ محنتهم ، وكلامه للعباس السَّاطِى بِهـ — ونَسَب ذلك إلى عبد الله بن علي ؛ وفي « الأوراق » للصولي أن السفاح عبد الله بن محمد بن علي تولى قتل العَمْر ، وقد نخر في مجلسه بمناقب قومه — وكَثُر القوم في وصف ذلك وعَجَّوا به ، فكأن الأمير عبد الرحمن احتقر ذلك في جنب ما كان منه هو في الذهاب بنفسه لاقطاع قطعة من مملكة الإسلام عن عَدُوِّه ، وقام من مجلسه فصاغ هذه الأبيات بديهة .

قال ابن الفرَج^(١) : وأتاه في بعض غزواته آت ممن كان يعرف كلفه بالصيد ، فأخبره عن غرائيق واقعة^(٢) في جانب من مضطارب العسكر وحرره إلى اصطيارها ، فقال :

دغى وصيد وُقِّع الغرائق / فإن هَتَمي في اصطيار المارق
في نفقٍ إن كان أو في حالق / إذا التظت لوافح الضوايق
كان لِفَاعِي^(٣) ظلٌ بندٍ خافق / غَنَيْتُ عن روضٍ وقصرٍ شامق

(١) المراد ابن فرج الجياني صاحب «كتاب الحقائق» وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني من أهل جيان ونزيل قرطبة ، وكان من شعراء عصر الحكم المستنصر ، وكان أخواه سعيد وعبد الله أيضاً شاعرين . ولا نعرف عن حياته إلا ما ذكره ابن خاقان في المطمح (القاهرة : ١٣٢٥) ص ٨٦ من أنه كان عنيف الخلق شديد الزهو بنفسه خليعاً ، وقد قربته الحكم المستنصر ثم بدرت منه بادرة دفعت الحكم إلى إيداعه السجن فظل فيه إلى أن مات . وقد ألف ابن فرج الجياني كتابه معارضاً لكتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني وإظهاراً لفضل أهل الأندلس على المشاركة .

انظر : الضبي ، بغية ، رقم ٣٣١ . المقرئ ، نفح الطيب (طبعة دوزي وكريل ورايت ودوجا) ٢٩٦/٢ و ٤٥٢ .

cf : ELIAS TERÉS, *Ibn Faraj de Jaén y su Kitāb al-Hadā'iq*. Al-Andalus, vol. XI (1946) fasc. 1, pp. 131 - 157.

(٢) قرأ دوزي : واقفة :

(٣) اللفاح والمُلفعة ما تُسَلِّفُ به من رداء أو لحاف أو قناع ، قال الأزهري : يجلل

به الجسد كله كسائه كان أو غيره (اللسان : ١٠/١٩٦) .

بالفقر والإيطان بالسراقدِ فقل لمن نام على التمارق :
 إن العلا شُدَّتْ بهم طارقِ فاركبْ إليها تَبَجِ المضائقِ
 أولاً ، فانت أرذل الخلائقِ

٩ — ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

وَلَى الخِلافة بالأندلس بعد أبيه يوم الأحد غرة جمادى الأولى من سنة
 إحدى وسبعين ومائة . وكانت وفاة أبيه وهو بماردة يوم الثلاثاء لست بقين
 من ربيع الآخر ، وبقرطبة وُلد له هشام هذا لأربع خلون من شوال سنة
 تسع وثلاثين ومائة ؛ ويعرف بـ « الرضا » لعدله وفضله ، ويكنى « أبا الوليد » .
 واستوزره أبوه عبدُ الرحمن وأخاه كبيره سليمان المولود بالشام تنويهاً بحالهما ،
 وأخذهما بالركوب إلى القصر ومشاهدة مجالس مشورته . وكانا يركبان متداولين
 ومتناوبين لا يجتمعان : فإذا كان يوم هشام ، تأهب حاضرو المجلس من كبار
 أهل المملكة [...]^(١) والإفاضة في الحديث إلى إنشاد شعر أو ضرب
 مثلٍ أو ذكر يوم من أيام العرب أو ذكر حرب أو اجتلاب حيلة أو حكاية
 تدير أو إحماد سيرة ؛ وإذا كان يوم سليمان خلا من ذلك كله ، وانبسط الحاضرون
 في غث الأحاديث وأخذوا في الدعاية .

ويروى أن رجلاً يعرف بالهوّارى دخل على هشام في حياة أبيه عبد الرحمن
 ابن معاوية — وهو مرشح للخلافة — فقال له إن فلاناً مات عن ضيعة تعود
 بكذا وكذا من الغلة ، وأنها تباع في دين أو عن وصية ، وهى ناعمة مثمرة وطيبة
 الأرض مخصبة ، وحضه على اشتريها . فقال له : « أنا أريد أمراً إن بلغته

(١) أسقط الناسخ هنا شيئاً ولم يترك يائساً .

غَنَيْتُ عَنْهَا ، وَإِنْ قُطِعَ بِي دُونَهُ خَسِرْتُهَا ؛ وَلَاصْطِنَاعَ رَجُلٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
اِكْتِسَابِ ضِيْعَةٍ . فَقَالَ لَهُ الْهَوَارِيُّ : / فَاصْطِنَعِي بِهَا تَجِدَ أَكْرَمَ مَصْطَنِعٍ « . [١٣ - ١]
فَأَمَرَ بِابْتِياعِهَا ^(١) ، فَأَشَارَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ إِلَى أَنَّ الاسْتِعْدَادَ بِالْمَالِ أَعْوَنَ عَلَى دَرْكِ
الْأَمَالِ ، فَأَطْرَقَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

الْبَذْلُ - لَا الْجَمْعُ - فَطَرَةُ الْكَرَمِ - فَلَا تُرْدُ بِي مَا لَمْ تُرْدْ شَيْمِي
مَا أَنَا مِنْ ضِيْعَةٍ وَإِنْ نَعَمْتُ ؟ - حَسْبِيَ اصْطِنَاعُ الْأَحْرَارِ بِالنَّعَمِ -
مُلْكُ الْوَرَى ، وَالْعِبَادِ قَاطِبَةً - لَا مَالِكَ بَعْضِ الضِّيَاعِ - مِنْ هِمِّي ^(٢)
تَفْيِضُ كَفْيٍ فِي السَّلْمِ بِحَوْزِ نَدَى - وَفِي سَجَالِ الْحُرُوبِ بِحَوْزِ دَمِ -
تَزَلُّ عَنْ رَاحَتِي الْبَدُورُ ، وَمَا تَمْسُكُ غَيْرَ الْحَسَامِ وَالْقَلَمِ
لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ - مَعَ نَشْدَانِ ضَالَّةٍ كَلَامِهِ - غَيْرَ هَذَا
الْمُنْشَدِ . وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا فَكَفَى دَلِيلًا عَلَى سَرَافِ الْحَبَاءِ وَشَرَفِ الْحَوْبَاءِ ، حَتَّى
كَأَنَّ أَعْشَى هَمْدَانٍ سَمِعَ بِطَوْلِهِ فَاعْتَمَدَهُ بِقَوْلِهِ :

رَأَيْتُكَ أَمْسٍ خَيْرَ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسٍ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَلِكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَهْدِ شَمْسٍ

١٠ - ابْنُ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّبْضِيِّ ، أَبُو الْعَاصِي

وَلَى بَعْدَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَةٍ .
وَكَانَ شَجَاعًا بَاسِلًا ، أَدِيبًا مَفْتَنًا ، خَطِيبًا مَفُورًا ، وَشَاعِرًا مَجُودًا ، تُحْذَرُ
صَوْلَاتُهُ ، وَتُسْتَنْدَرُ أَيْبَاتُهُ .

(١) السِّيَاقُ يَقْتَضِي هُنَا أَنْ تَقْرَأَ : بِابْتِيَاعِهَا لَهُ .

(٢) الْأَصْلُ : هِمَمِ .

وهو الذي أوقع بأهل « الرَبَضِ » فَنُسِبَ إليه ، وأمر بهدمه وتعطيله ، وصيّر ذلك وصيةً فيمن خلفه وعهداً على بنيه ما كان لهم سلطان بالأندلس . فلم يُعْمَرَ ولا اختُطَّت فيه دار إلى آخر دولتهم ، ثم بَعَدَهَا إلى أن ملك الروم قرطبة يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأقام على ذلك نحواً من أربعمائة سنة وثلاثين سنة ؛ ولا أعلمه إلا كذلك إلى اليوم .

وكانت وقعة الرَبَضِ الشنعاء يوم الأربعاء النجسة لثلاث عشرة خلت من [١٣-ب] شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين في آخر / خلافة الحكم ، ويوم الخميس بعده أمر بهدم الرَبَضِ القبلي الذي منه نشأت الفتنة ، فأعيد بطحاء مزرعة ، بعد أن قتل من أهله مقتلة عظيمة وأمر خلقاً جماً ، صلب منهم نحو ثلثمائة صُفُوا من إزاء « باب القنطرة » إلى آخر « المَصَارَة »^(١) مع ضفة النهر ، لم يرُ فيما سلف مُمَثَّلُونَ أكثر منهم عدداً ولا أهول منظرأ . وتماذى القتل والنهب للمنازلهم والتتبع لِمُسْتَخْفِيهِمْ ثلاثة أيام ، لم تُقَلْ لمن عُثِرَ عليه منهم عشرة ، وجرت عليهم خلافتها محن لا تضبطها الصفة . وكفَّ الحكم عن الحُرَمِ ووصى بهن فأجمل في ذلك ما شاء .

(١) باب القنطرة ، باب من أبواب سور قرطبة ، وكان قريباً من القنطرة - والمراد قنطرة الوادي ، أي الوادي الكبير - وهي القنطرة التي كانت تصل قرطبة بربضها الواقع على الضفة الأخرى من النهر ، وهو ربض شقندة ، مغرب من اللاتيني Secunda . وكان هذا الربض مسكن العمال وأهل الأسواق ، وفي هذا الربض قامت الثورة على الحكم بن هشام ، وانجلت عن هزيمة الثائرين وطرده أهله من الأندلس ، وهدم بيوته وتحویل جزء منه إلى مدافن عرفت بمقبرة الربض . ولم يعمر هذا الموضع إلا بعد أيام المسلمين ، ويقوم فيه اليوم حى من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم حى الروح المقدس Barrio del Espiritu Santo ، وعلى مدخل هذا الحى ، في مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة Castillo la Calahorra وقد أنشئ بعد أيام المسلمين . أما المَصَارَة Al-Musara فكان قبل الفتح العربي ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب غربي البلد على ضفة النهر ، ثم اتصلت بها ، وأصبحت جزءاً منها ، ولكنها ظلت خارج السور .

ولما انقضت الأيام الثلاثة أمر برفع القتل وتأمين القل ، على أن يخرجوا من حضرته قُرْطُبة ، فساروا عن أوطانهم كُلٍّ بحسب ما أمكنه . واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول ، في يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من شهر رمضان المؤرخ ، متفرقين في قِصَى الكُور وأطراف الثغور . ولحق جمهورهم بطلَيْطَلَة لخالفة أهلها الحكم ، ولجأ آخرون إلى سواحل بلاد البربر . وأصعدت منهم طائفة عظيمة — نحو الخمسة عشر ألفاً — في البحر نحو المشرق ، حتى انتهوا إلى الإسكندرية ، وذلك في أول ولاية عبد الله المأمون بن الرشيد ، فعَازَهم أهلها وذهبوا إلى إذلالهم ، فأبوا الضيم وثاروا بهم فغلبوهم ، وبذلوا السيف فيهم ، وقتلوا كثيراً منهم وسَطَوْا بهم سطوة منكرة ، وملكوا الإسكندرية مُدِيْدَةً . إلى أن ورد عبد الله بن طاهر أميراً على مصر من قِبل المأمون ، فصالحهم على التخلي عنها على مالٍ بذله لهم ، وخيَّروهم في النزول بحيث شاءوا من جزائر البحر ، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي . وكانت يومئذ خالية من الروم ، فاحتلوا إليها بِفَتْنَتِهِمْ ، ونزلوها فاعتمروها ، وجاءهم الناس من كل مكان فأوطنوها معهم .

وحكى ابنُ حَتَّان ، عن أبي بكر بن القوطية وغيره ، أن الحكم غَرَّبَ في بأساء حربه هذه — عندما حَيَّ وَطِيسُها وأعضل^(١) خَطْبُها — بنادِرةً من نواذر الصبر والتوطين على الموت ما سُمِعَ لأحدٍ من الملوك مثُلاًها : وذلك أنه في مقامه بالسطح^(٢) ، وعند بصره باشتداد الحرب وجُثُوم الكَرْبِ وسماعه قمعمة السلاح واتماء الأبطال ، دعا بقارورةٍ غاليةٍ لتُدْنِي منه ، فتَوَانَى بها عنه

(١) الأصل : أعطل ، ولم أجد له معنى هنا فعدلته على ما أثبت في المتن .

(٢) يريد سطح القصر ، وكان يرقب منه جواهر أهل الرض التي أقبلت تهاجه . وسطح

القصر كثير ورود في أخبار المروانيين الأندلسيين .

[١٤ - ١] خادمه المسمى « يَزْنَتْ »^(١) ، ظناً منه / أنه لهج في منطقته ، فصاح به وزجره ،
 — وفي رواية أخرى : فكانَّ الخادمَ شكَّ في طلبته واتهم سمعه ، فتوقف عن
 المضي لأمره ، فصاح به الحكم : انطلق يا ابن اللخناء فمَجَّلْ - فجاءه بالقارورة
 فأفرغها على رأسه ولحيته ، ولم يملك الخادم نفسه أن قال له : « وأية ساعة طيب
 هذه يا مولاي فتستعمله ، وقد ترى ما نحن فيه ؟ » فقال له : « اسكت لا أم لك !
 من أين يعرف قاتلُ الحكم رأسه من رأس غيره إذا هو حزه ، إن لم يفرق
 الطيب بينهما ؟ » . ثم استلَّام للحرب ، وأمر بتفريق السلاح والخيل على أجناده ،
 وأنهمهم لقتال من جاش به ، بعد أن كتبهم كتائب قوَّد عليها كباراً من
 قواده وأهل بيته ، فانهزمت العامة بعد قتال شديد ، ولم تكن لأحد منهم
 كرامة ؛ وكانوا كالذباب^(٢) كثرة .

قال : ولم ينل الحكم بعد وقعة الربض حلاوة العيش ، وامتنحن بعلّة
 صعبة طاولته أربعة أعوام ، فلتَّ غربه وأطالت ضنائه ، واحتجب فيها آخر مدته
 واستغاب ولده عبد الرحمن في تدبير ملكه ، فمات على توبة من ذنوبه وندم على

(١) كذا ورد الاسم في الأصل ، وورد في الأخبار المجموعة « بزنت » بالباء . وقد
 ذهب دوزي إلى أن يَزْنَتْ أو يَزْنَتْ هو الصورة العربية لاسم أبييرى روماني : Jacinto ،
 ولا زال هذا الاسم مستعملاً في إسبانيا إلى اليوم ، وهو مأخوذ من اللفظ اليوناني Hyacinthe
 ومعناه « ياقوت » . أما ريبيرا Julián Ribera فقد قرأه بالباء وكتبه في الترجمة الإسبانية
 للأخبار المجموعة Vicent وهي الصورة القطلونية للاسم المعروف Vincent . والقراءتان
 مقبولتان .

cf : DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides*. Nouvelle édition revue et mise à jour par E. Lévi-Provençal, Leyde, 1932 vol. I, p. 298 et note.

الخشنى ، تاريخ قضاة قرطبة ، بتحقيق خليان ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ . مقدمة الترجمة
 الإسبانية ص ٢١ .

(٢) في الأصل : كالذبا ، وهكذا تركها دوزي ، ص ٤١ .

ما اقترف منها بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الخميس لأربع بقين من ذى الحجة سنة ست ومائتين^(١) .

ومن شعره في ذلك يعذر نفسه بالدفاع عن ملكه والحماية لسلطانته ، وهو من أحسن شعر قيل في معناه :

رَأَيْتُ^(٢) صَدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا وَقَدِمًا لَأَمْتُ الشَّعْبِ مَذْكَتُ يَافِعًا^(٣)
فَسَائِلُ ثَعُورِي : هَلْ بِهَا الْيَوْمَ ثَغْرَةٌ أَبَادُهَا مُسْتَنْضِي السَّيْفِ^(٤) دَارِعًا
وَشَافُهُ عَلَى^(٥) الْأَرْضِ الْفَضَاءَ جَاجِمًا كَأَخَافِ شِرْيَانِ الْهَيْمِدِ لَوَامِعًا
تُنَبِّئُكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ بِيَوَانٍ ، وَقَدِمًا^(٦) كُنْتُ بِالسَّيْفِ قَارِعًا
وَأِنِّي إِذَا حَادُوا حَذَارًا^(٧) عَنِ الرَّدَى فَلَسْتُ أَخَا حَيِّدٍ عَنِ الْمَوْتِ جَازِعًا
حَمَيْتُ ذِمَارِي فَاتَهَكَّتْ ذِمَارُهُمْ وَمَنْ لَا يُحَامِي ظِلَّ خَزْيَانَ ضَارِعًا

(١) كانت ثورة الريض - أو هييج الريض ، كما تسمى في النصوص - بعيدة الأثر في سلوك الحكم الريضي بصفة خاصة وسياسة خلفائه من بني أمية الأندلسيين حيال أهل قرطبة وشعب الأندلس بصفة عامة . فأما الحكم فقد اتعظ بما وقع خلالها فلم يعد إلى الاستبداد والعسف والاستخفاف بالناس ، كما كان يفعل قبلها ، لأنه عرف أن سلوكه الأول واستخفافه بالماء هما سبب هذه الفتنة الكبيرة ، ثم إن إمرافه في القتل وإجلاء أهل الريض عن دورهم ثم هدمه وتحويله إلى أرض زرع ، كل ذلك كان بعيد الأثر في نفسه ، فإل إلى التقي للتكفير عما اقترف . وقد ظل على ذلك حتى توفي في ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠٦ / ٢١ مايو ٨٢٢ . وأما بالنسبة لسياسة خلفائه فقد تعلموا احترام الناس وحقوقهم وسلوكوا حيالهم سياسة لين وفهم واحترام ، فلم يقع مثل هييج الريض بعد ذلك .

(٢) قرأها دوزي : رأيت .

(٣) في النسخ : راقما .

(٤) في النسخ : العزم .

(٥) في الأصل : مع .

(٦) في النسخ : وإني .

(٧) في النسخ : جزاعا .

وَلَمَّا تَسَاقَيْنَا سِجَالَ حُرُوبِنَا سَقَيْتُهُمْ سِجَالًا^(١) مِنْ الْمَوْتِ نَاقِمَا
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقَوْا^(٢) مَنَایَا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعَا
[١٤-ب] / فهاك بلادي^(٣) إني قد تركتها مهاداً ، ولم أترك عليها منازعا

قال عثمان بن المثنى النحوي^(٤) المؤدب : قدم بعد الوقعة علينا عباس بن
ناصح^(٥) قُرْطَبَةَ أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِ ، فَاسْتَنْشَدَنِي شِعْرَ الْأَمِيرِ الْحَكَمِ
فِي الْهَيْجِ فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهُ ، فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيْتُهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ فَلَاقَوْا مَنَایَا قُدِّرْتُ وَمَصَارِعَا
قال عباس : « لَوْ أَنَّ الْحَكَمَ يَخْشَى^(٦) لِلْخُصُومَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ الرِّبْضِ
لَقَامَ بِمُذْرِهِ فِيهِمْ هَذَا الْبَيْتَ » . وَفِي رِوَايَةٍ^(٧) : إِذَا كَانَتْ الْخُصُومَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
أَهْلِ الرِّبْضِ أَجْبَرَتْهُ^(٨) ، فَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ لِيُحَاجِّجُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(١) النفع : سماً . والسَّجَلُ الدلو الضخمة المملوءة ماء (اللسان : ٣٤٦/١٣) .

(٢) النفع : فوافوا .

(٣) الأصل : سلاحي ، والتصويب من النفع .

(٤) عثمان بن المثنى من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الملك ، من أهل الأدب والنحو . رحل
إلى المشرق « فلقى جماعة من رواة الغريب وأصحاب النحو والمعاني ، منهم محمد بن زياد الأعرابي ،
أخذ عنه وعن غيره ، وقرأ على حبيب بن أوس (الطائي) ، وهو أبو تمام) وأدخله الأندلس -
رواية عنه ، وأدب أولاد الإمام عبد الرحمن بن الحكم وأولاد محمد . وعمر إلى أن بلغ ٩٩ سنة ،
[وتوفى رحمه الله سنة ٢٧٣ م (٨٨٧ م) ابن الفرضي ، علماء ، رقم ٨٨٩ ص ٢٤٩ .

(٥) عباس بن ناصح الثقفى الجزيري نسبة إلى الجزيرة الخضراء ، إذ أن الحكم الربضي
ولاه قضاءها . كان شاعراً نحوياً مؤدباً ترجم له ابن الفرضي (رقم ٨٧٩ ج ١ ص ٢٤٥) وقال
إنه رحل إلى الأندلس ولقى أبا نواس وسمع منه شعره . وترجم له ابن سميذ في المغرب (بتحقيق
الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة بدون تاريخ) ١ / ٣٢٤ . وانظر عنه : الدكتور إحسان عباس ،
تاريخ الأدب الأندلسي (بيروت ١٩٦٠) ص ٣٦-٣٧ .

(٦) الأصل : بجى ، وقد قرأها دوزي : يخشى .

(٧) في الهامش على اليمين مقابل هذا السطر - للخصومة في الربض .

(٨) الأصل : جبرته ، ويمكن قراءته أيضاً : أجبرته .

وله أيضا في ذلك :

غناهِ صَلِيلِ الْبَيْضِ أَشْهَى إِلَى الْأَذْنِ
 إِذَا اخْتَلَفَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا
 بِهَا يَهْتَدِي السَّارَى وَتَنْكَشِفُ الدَّجَى
 شَقَقْتُ غَمَارَ الْمَوْتِ تُخْطِئُ مَهْجَتِي
 إِذَا لَفَحَتْ رِيحُ الظُّهَامِ لَمْ يَكُنْ
 وَإِنْ لَمْ يَحْذُ حَصَنًا سِوَى الْفَرِّ مُقَدِّمٌ
 قَذَفْتُ بِهِمْ [مِنْ] فَوْقَ سَهْمَاءَ فَانْتَرَوْتُ
 فَسَارَ يَرَوِي كُلَّ صَدْيَانَ حَائِمٍ
 وَإِنْ عَنْ اللَّتْيَارِ مِنْ سَيْلَانِهِ
 هَنَاتُ بِهِ حَرَبًا تَقْشَعُ بِحُورِهَا
 وَهِيَ فِي النَّسِيبِ :

ظِلٌّ مِنْ فَرَطٍ حَبَّهِ مَمْلُوكًا
 إِنْ بَكَى ، أَوْ شَكَا الْهَوَى ، زَيْدٌ ظَلَمًا
 تَرَكْتُهُ جَاذِرُ الْقَصْرِ صَبِيًّا
 / يَجْعَلُ الْخَلْدَ وَاضِعًا^(٢) فَوْقَ تَرْبٍ
 وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكًا
 وَبَعَادًا يُدْنِي حِمَامًا وَشِيكًا
 مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ تَرِيكًا
 / هَكَذَا يَحْسُنُ التَّذَلُّلُ فِي الْحَبِ
 لِذِي يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكًا [١٥-١]

(١) الرَّدَن هنا صوت وقع السلاح بعضه على بعض (اللسان : ٣٧/١٧) .

(٢) المَزَنَةُ الْعَزَالُ هِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي تَهْمُرُ بِالنَّاءِ (اللسان : ٤٦٩/١٣) .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ لِابْنِ عَنَابَرٍ (٨٠/٢) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا

الْفِعْلُ هُنَاكَ : مَائِلًا .

(٤) فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ : لِلْحَرِّ .

وله في خمسِ جَوَارٍ من حظاياها ، كُنَّ مصطحبات فتفاضلن عليه وقتاً في طريق الغيرة وهجرته :

قُضِبَ من البان ماست فوق كُثبانٍ ولَّين^(١) عفى وقد أزمعن هجراني
ناشدتهن بِحَقِّي فاعتزمن على الـ مصيان^(٢) ، حتى حلامهن عصياني^(٣)
مَلَكْنِي مِلْكَ مَنْ^(٤) ذَلَّتْ عزائمُه للحب ذُلَّ أسيرٍ مُوتَقٍ عاب
من لى بِمُغْتَصَبَاتِ الروح من بدني يَغْصِبُنِي في الهوى عزى وسلطاني ١

١١ — إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن^(٥)

ابن علي بن أبي طالب

وُلِدَ لعبد الله بن حسن . وكان شيخَ بني هاشم في وقته إدريسُ الأكبر وأمه هِنْدُ بنت أبي عبيدة المَطلِبية ، وإدريس الأصغر هذا أمه^(٦) عاتكة بنت عبد الملك بن الحارث الحزومية ، وأخوَاه منها : عيسى وسليمان ؛ حكى ذلك أبو علي حسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيروانيُّ المعروف بالوكيل في كتابه « المغرب عن أخبار المغرب » واختصرته منه . وذَكَرَ أن إسحاق

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً في البيان المغرب لابن عذارى (٧٩/٢) . وقد جاء هذا اللفظ هناك : أعرض .

(٢) رواية البيان : الهجران .

(٣) رواية البيان : حتى خلا منهن هيماني .

(٤) في الأصل : مَلِكًا ، والتصويب من البيان المغرب .

(٥) الأصل : إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وهو خطأ ،

وقد صوبناه كما في المتن .

(٦) في الأصل : وأمه .

ابن عيسى كان على المدينة ، فلما مات المهدي وولّى موسى الهادي شَخَصَ وافداً عليه ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب^(١) ، فخرج عليه بها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن العلوي ، واستخفى العُمري حتى خرج الحسين إلى مكة في ذى القعدة سنة تسع وستين ومائة .

وكان قد حج في تلك السنة رجال من بني العباس ، منهم محمد بن سليمان ابن علي ، والعباس بن محمد ، وموسى بن عيسى ، وعلى المومس سليمان بن أبي جعفر ؛ فكتب الهادي إلى محمد بن سليمان يولّيه الحرب ، فالتقوا بفتحٍ ، وخلفوا عبيد الله ابن قُثم بمكة للقيام بأمرها . وكانت الوقعة يوم السبت ، يوم التَّروية ، فقتل الحسينُ القائمُ وسليمان بن عبد الله ؛ وانهزم الناس ففودى فيهم بالأمان ولم يتبع هاربٌ ، وحُزّت الرؤوس فكانت مائة ونيفاً .

وكان فيمن هرب يحيى وإدريس / ابنا عبد الله بن حسن ؛ فأما إدريس [١٥-ب] فلحق بالمغرب ولجأ إلى أهله فأعظموه ، ولم يزل عندهم إلى أن احتيل عليه ؛ وخلف ابنه إدريس بن إدريس ، فلكوا^(٢) تلك الناحية وانقطعت عنهم البعوث . وأما يحيى فصار إلى جبل الدَّيْنَمَ فأقام عند صاحبه ، إلى أن شخص إليه الفضل بن يحيى بن خالد في أيام الرشيد ، فأمنه وحمله إليه .

وقد قيل إن إدريس هرب إلى المغرب في أيام أبي جعفر المنصور ، عند قتل أخويه محمد وإبراهيم القائمين عليه بالمدينة وبالبصرة ، وأن أبا جعفر بعث إليه من سَمِه ؛ والصحيح أن ذلك كان في خلافة الهادي بالعراق ، وبعد عشرة أشهر وأيام منها ، وفي آخر خلافة عبد الرحمن بن معاوية بالأندلس ، وقبل وفاته بعامين وأشهر ، وأن إدريس وقع إلى مصر وعلى يريدها واضحٌ مولى صالح بن المنصور

(١) واضح أن المراد هنا غير عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة . انظر عن نسب

هذا المذكور في المتن «جهرة أنساب العرب» ص ١٤٣ .

(٢) كذا في الأصل ، والمراد إدريس بن إدريس وآله .

— وكان رافضياً — فحمله على البريد إلى أرض المغرب حتى انتهى إلى مدينة «وليلي»^(١) من أرض طَنْجَة ، فاستجاب له مَنْ بها وبأعراضها من البربر ، فلما وَلَّى الرشيد علم بذلك ف ضرب عنق واضح وصلبه ، ودسَّ إلى إدريس مَنْ أنس به واطمأن إليه ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية فاحتال حتى سمَّه .

واختلف فيمن سمَّ إدريس وما سُم فيه . فقيل : الشَّماخ المشامسي^(٢) مولى المهدي سمَّه في سنون^(٣) سقطت منه أسفانه لما استعمله ومات من وقته ، وسيأتي خبره بعد إن شاء الله . وقيل : بل سليمان بن جرير الرُّقِّي كان سبب سمَّه ، وكان إدريس به واثقاً فأتى من قبَله ، وهرب مع الرسل الذين أتوا في ذلك ، وطلب ففات .

ويقال : إن سليمان هذا — وكان يقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين — ناظرَ إدريس يوماً في شيء نخالفه ، ثم دخل الحمام ، فلما خرج بعث إليه سليمان بسمكة مشوية أنكر نفسه عند أكله منها ، فشكا بطنه وقال : «أدركوا

(١) وليلي ، وتطلق أحياناً وليلي — والأول أصح — مدينة أثرية في المغرب تسمى عند العامة قصر فرعون ، وتقع على ٣ كيلومترات شمال شرق بلدة مولاي إدريس التي تضم ضريح إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة ، وهذه الأخيرة على نحو ٢٠ كيلومتراً غربى فاس ، وهي من تأسيس المغاربة القداى الذين يسمون بالمرطانيين ، جعل منها الرومان مدينة زاهرة خصوصاً في عهد الإمبراطورية . اكتشفت آثارها سنة ١٨٧٣ وابتدأت عمليات الحفر بها سنة ١٩١٥ ولا تزال متواصلة إلى اليوم .

انظر : أحمد المكناسي : خريطة المغرب الأركيولوجية للمواقع الأثرية لما قبل التاريخ إلى ظهور الإسلام (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ .

والبكري : صفة إفريقية والمغرب ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) كذا في الأصل ، وقرأها ماركوس مولر : الشماسي ، ص ١٩٨ . وجاء في البيان

المغرب لابن عذارى : الشماخ مولى الهادي . . « وذكر أنه متطلب من شيعة العلوية » (١/٨٣) .

(٣) السنون كل مسحوق كانوا يستعملونه لدواء الأسنان .

سليمان ! « فأدرك ، وقيل له : « أجب ! » فامتنع ، فُضرب على وجهه بسيف ،
وضُرب أخرى على يده فانقطعت أصبعه ، وأفلت . وقيل : سُمِّ في طيب
تطيب به . وولده وأهل بيته يقولون : إنما سُمِّ في بطيخة . وهم وإن اختلفوا
في الشيء الذى سُمِّ به ، فهم مجمعون على أنه مات مسموما . ومن شعره :

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

/ فلنسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نتشكى ما يهول من النكب [١٦-١]

١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود

قال أبو الحسن على بن محمد النوفلى : توفى إدريس بن عبد الله وجارية
من جواريه حبلى اسمها كنزة ، فقام « راشد » مولاه - ويقال إنه مولى أخيه
عيسى بن عبد الله ، وهو الذى خرج به حتى أقدمه المغرب - بأمر البربر .
إلى أن ولدت الجارية غلاماً فسماه باسم أبيه « إدريس » ، وقام بأمره حتى بلغ
الغلام وأدبه ؛ وكان مولده فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة .

وتوفى راشد سنة ست وثمانين ، فقام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن إلياس ،
وأخذ بيعة البربر له يوم الجمعة فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، وهو ابن
إحدى عشرة سنة . وأسس مدينة القرويين^(١) سنة ثلاث وتسعين ، وخرج إلى

(١) يريد فاس القرويين ، أى فاس الأولى التى أنشأها القيروانيون ، وهى منسوبة
إليهم . وسيشئ مهاجرة الأندلس الذين خرجوا منها بعد هيج الربض ضاحية لفاس هذه تعرف
باسم فاس الأندلسيين ، وتسمى كل منهما عدوة فيقال عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين ،
ومنها معاً تتكون فاس . انظر بيان ذلك فى « البيان المغرب » لابن عذارى (٢/٢١١) .

نَفِيس^(١) في المحرم سنة سبع وتسعين ، ثم غزا نفزة وتلمسان وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة : سُمِّىَ في حبة عنب فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتى مات .

وعن غير النَّوْفَلِيِّ أن زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب هو الذي احتال عليه حتى اغتاله .

وعامة مَنْ في المغرب من الحَسَنِيِّين من ولد إدريس هذا ، ومنهم بنو سَحُود الخلفاء في قُرْطُبَة بعد الأربعمائة .

وذكر أبو بكر الرازي^(٢) أن إدريس بن عبد الله دخل المغرب سنة اثنتين

(١) نَفِيس ، هكذا ورد الاسم مضبوطاً في الأصل ، ولكن الأغلب نَفِيس . ذكرها البكري (ص ١٦٠) وقال إنها قرب أعماث وقال إنها تعرف بالبلد النفيس وأنها بلد كثير الأنهار والثمار ، « ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظراً » ، وقال إنها بلدة عامرة أهلة بينها وبين البحر مسيرة يوم ، أى حوالى ٤٠ كيلومتراً . وهو تقدير غير دقيق ، لأن وادى نفيس واد صغير معروف يصب في بحيرة جنوبي مراكش . ومكانها اليوم قرية صغيرة تعرف بالمدينة بين تانزلة ودركالة .

(٢) المراد أبو بكر محمد الرازي المؤرخ ، وهو أبو أحمد بن محمد الرازي وجد عيسى ابن أحمد الرازي مؤرخي الأندلس المعروفين .

وهذه العبارة ذات أهمية تاريخية كبرى ، فهي تقرر بوضوح أن الذى اختط فاس كان إدريس بن عبد الله أى إدريس الأول ، لا ابنه إدريس الثانى كما كان يظن اعتقاداً على كلام ابن أبى زرع مؤرخ فاس فى كتابه المعروف « روض القرطاس » . وقد ناقش الموضوع مناقشة شاملة ليثى پروئنسال فى بحثه القيم عن « اختطاط فاس » واعتمد على عبارة الرازى هذه وعبارات أخرى لابن القاضى فى « جنوة الاقتباس » والخزفائى فى « زهرة الآس » . وأثبت بالفعل أن اختطاط فاس كان على يد إدريس الأول فى رمضان ١٧٢ فبراير / ٧٨٩ . انظر :

E. LÉVI-PROVENÇAL, *L'Islam d' Occident*, chapitre 1 : *La Fondation de Fès*, pp. 3-41.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان : « دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس » ، ترجمه الدكتور صلاح الدين حلمى وراجعه الدكتور لطفى عبد البديع ، ونشرت الترجمة فى سلسلة الألف كتاب فى القاهرة سنة ١٩٥٧ .

وجدير بالذكر هنا أن « روض القرطاس » - رغم ما يتمتع به من مكانة بين مراجعنا - يعتبر من أحفلها بالأخطاء ، ولا بد من الحذر الشديد فى استعماله .

وسبعين في شهر رمضان هاربا بنفسه من أبي جعفر ؛ فنزل موضعا يقال له « وِلِيلِي » بوادي الزيتون ، فاجتمعت إليه قبائل من البربر فقدموه على أنفسهم وبنوا مدينة فاس ؛ وكانت أجرة شعراء ، ولما احتفرت أساساتها ألقي في بعضها فأسٌ فسميت بمدينة « فاس » وسكنها البربر ، فلم تطل أيامه وهلك سنة أربع وسبعين ومائة . وترك جارية حاملا منه ، فولدت بعده ابنا سمي بإدريس ابن إدريس ، ملك بعد أبيه مدينة فاس وطالت مدته ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ^(١) . كذا قال الرازي ، وقد تقدم التنبيه على غلط القائل بدخول إدريس المغرب في خلافة أبي جعفر المنصور .

ومن شعر إدريس بن إدريس يخاطب البهلول بن عبد الواحد المدغري ، ذاهبا إلى مراجعة طاعته ومحدرا مكر / إبراهيم بن الأغلب ، وهو الذي كان [١٦ - ب] أفسده عليه حتى قاتله البهلول :

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ومناك إبراهيم خرط قتاد
وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعو إلى طاعته أو الكف عن ناحيته ، ويذكره قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي أسفل كتابه :

أذكر إبراهيم حق محمد وعترته والحق خير مقول
وأدعوه للأمر الذي فيه رشد وما هو لولا رأيه مجهول
فإن أثر الدنيا فاني أمانه زلازل يوم العقاب طويل
وله ينشوق أهل بيته :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لضل في روعي أو ضل في جزعي

(١) لم تطل مدته على هذا ، فقد ولد سنة ٢٧٥ هـ وتوفي سنة ٣١٣ هـ .

وما أَرِيعُ إلى يَأْسٍ لَيْسَ لِي
إلا [.....] يَأْسٌ إلى طمع
وكيف يَصْبِرُ مَطْوِيٌّ هُضائمه
على وساوسٍ همٍّ غيرٍ منقطع
إذا الهمومُ توافَتْ بعد هجمته
كرَّتْ عليه بكأسٍ مرَّةَ الجرع
بأنَّ الأحبةُ واستبدلتْ بدمهم
هَمًّا مقيماً وشملاً غيرَ مجتمع
كأنني حينَ يجرى الهمُّ ذكرهمُ
على ضميري خجولٌ من الفزع
تأوى هموي إذا حرَّكتُ ذكرهمُ
إلى جوائحٍ جسمٍ دائمٍ الولع

١٣ — عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان

/وقيل أبو الوليد

[١٧-١]

قعيدُ جماعة آل مروان في وقته وفارسهم وشهابهم . قدِمَ من مصر على
عبد الرحمن بن معاوية في سنة أربعين ومائة ، أولَ ولايته بالأندلس ، وهو
في عشرة رجال من بنيهِ فرسانٍ ، فولاه إشبيلية ، وولَّى ابنته عبد الله موزُور ،
وأغنى في حرب يوسف بن عبد الرحمن الفهريِّ عند نكته وفراره من قرطبة
حتى قُتل .

وقيل : كان والياً على ماردة ، وابنه على لقنت . ولما زحف أهل حصن^(١)
إلى عبد الرحمن بن معاوية يطلبونه بثأر أبي الصَّبَّاحِ اليَحْصِي — وكان قد طاح
على يديه — أبلى عبدُ الملك هذا بلاءً حسناً ، وقُتل ولده أمية صبراً لما انحاز إليه
منهزماً : قدَّمه فضرب عنقه ، فهابه الجند وشدوا معه ومع سائر بنيهِ ، فكانت

(١) يريد أهل إشبيلية وناحيتها من العرب ، وكذلك كانت تسمى بعد أن أنزل أبو الخطار
الحسام بن ضرار الكلبي جند حصن ق إشبيلية .

الدبرة على أهل حصن ومن معهم ، وفتح الله على يديه فتحاً لا كفاء له ، وأجلت الحرب عنه جريحاً فأحظاه عبد الرحمن . وقيل : بل قتل ابنه المذكور في حرب يوسف الفهري حين^(١) انهزم وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ، ولم تقم له بعد قائمة ، فأحظاه عبد الرحمن وقدمه واستوزر بنيه عبد الله وإبراهيم وحكما ، وزوج ابنته كنزة^(٢) من ابنه هشام ولي عهده ، فقال عبد الملك في ذلك من قصيدة طويلة :

فيا زمناً أودى بأهلى ومعشرى لقد صيرت في أحشائنا لاذعاً جمرًا
ويزداد دهرُ السوء غشاً وظلمةً كأن على شمس الضحى دوننا سِتْرًا
إلى أن بدا من آل مروان مُقْمَرٌ أضاء لنا من بعد ظلمته الدهرًا
هيجانٌ أصيلُ الرأي ندبٌ مهذبٌ أقام لنا ملكاً وشد لنا أزرًا
وأثبت آمالاً وأثبت نعمةً وجئنا فالفينا الكرامة والبرًا
أنال وأغنى مُنعمًا متفضلاً وأصقى لنا مأمولاً أبناءه صِهْرًا
فنحن حوالئِه النجومُ نجمتُ إلى البدر حتى صرن من حوله حَجَرًا^(٣)

ومنها يذكر زفاف ابنته كنزة هذه :

لعمري لقد أهديتُ بيمضاء حُرَّةً إلى خير من أغلى بأثمانها المهرًا
/ لها حسبٌ يابى على كل مُقْرِفٍ ويرضى لها تلك الخضارمة الزهرا [١٧-ب]
وآل أبي العاصي همُ نظراؤها فأكرم بشمس أنكحت قمرًا بدرًا

(١) الأصل : حتى .

(٢) قرأها دوزى ، ص ٤٣ : كثرة .

(٣) الحجر هو السر والمانع (اللسان : ٢٣٩/٥) .

١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر

ابن مروان بن الحكم

كان أبوه بشر من أمراء الأموية ، فقتله أبو جعفر المنصور مع يزيد بن عمر
ابن هُبَيْرَة الْفَزَارِي آخر عمال بني أمية على العراق ، ونجا ابنه عبد الملك هذا
في قِلِّ القوم إلى المغرب ، فقصده الأندلس ، ودخلها في صدر أيام الأمير عبد الرحمن
ابن معاوية ، مع ابن عمه جَزَى بن عبد العزيز بن مروان أخى عمر بن عبد العزيز ،
وسكن جواره بقرطبة ، ويعرف بالبشرى . وهو القاتل في مقتل أبيه :

الست أنسى مصرعاً من والدٍ	سيدٍ ضخمٍ وعمٍّ مفتقدٍ
غادرته الخيلُ في معتركٍ	بين عمٍّ وأبٍ زاكٍ وجَدٍ
تنهك ^(١) الريحُ عليه بالضحى	وتعفيه أعاصيرُ الأبدِ
لم يردَّ الموتُ عنه إذ سما	نحوهُ كثرةُ مالٍ وعددِ
أُمويٍّ حكيمٍ عرفتُ	سورةَ المجد له علياً معدٍ
عاش في مُلكٍ عزيزاً دونه	حُجُبُ الملوكِ وأبوابُ الرصدِ
فانتحته بالمنايا فتوى	لِعوافي الطيرِ مسلوبِ الجسدِ

وله :

يا معشراً شغفَ الطعامُ قلوبهم
فهم طالحٌ نحو كُلِّ دُخانِ
يهدى لواءهم ويحمل بئندهم
في كل معتركٍ أبو سعدانِ

(١) سهكت الريح وسهكت الدابة سهوكاً جرت جرياً خفيفاً ، وقيل سهوكها استناتها

يمشى كمشي الليثِ راحَ عشيةً من غايهِ وأمامهِ شبِلانِ
لو يعرض الخطيُّ دونَ ولميةٍ مشروعةٍ في صدرهِ لَطِمانِ
لمضى بصادقِ نيةٍ وبصيرةٍ فيها وقلبٌ ^(١) مُشيعٌ شِيحانِ ^(٢)
| حتى يغيبَ في الثريدِ ذراعَهُ ويجوسها بأشاجعِ ^(٣) وبنانِ [١٨-١]

وله :

وَبِنَفْسِي مَنْ عِنْدَهَا الْيَوْمَ قَلْبِي عَاقٌ فِي حَبَالِهَا مَعْمُودُ
كَلِمَا قُلْتُ قَدْ تَنَاهَيْتُ عَنْهَا عَادَنِي مِنْ غَرَامِهَا مَا يَعُودُ
فَبِقَلْبِي مِنْ لَأَعَجِ الْحُبُّ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ سَقَمٌ وَحَزَنٌ جَدِيدُ

١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، أبو سليمان

كان بالأندلس في سلطان عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت له منه خاصةٌ
لم تكن لأحد من أهل بيته ، وولاه طَلَيْطَلَةَ وأعمالها ؛ وهو القائل يخاطبه
مُعَرِّياً بأبي الصَّبَّاحِ ^(٤) عليه :

يا ابن الخلائفِ إني ناصحٌ لكم في قتل ذِي إِحْنٍ يَرْتَادُ لِلنَّقَمِ

(١) قرأها دوزي (ص ٤٤) : وقلت .

(٢) شايح الرجل جد في الأمر ، والشَّيْحَانِ الذي يَتَهَمَسُ عَدُوًّا ، أراد
السرعة (اللسان : ٢٣٢/٤) .

(٣) الأشاجع هي الحيات ، جمع أشجع ، وقيل جمع أَشْجِيعَةٍ ، وأشجعة جمع شجاع وهو
الحية (اللسان : ١٠/١٠) .

(٤) هو أبو الصَّبَّاحِ بن يحيى اليمخضمي من كبار ايمنيين الذين أعانوا
عبد الرحمن الداخل على الوصول إلى الإمارة . وقد ولاه عبد الرحمن على إشبيلية ، ثم عزله

لَا يُفْلِتَنَّكَ فَيَاتِنَا بِيَاثِقَةٍ وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهِ تَبْرَأُ مِنَ السَّقَمِ
جَلَّ لَهُ عَضْبًا مِنَ الْهِنْدِيِّ ذَا شُطْبٍ إِنْ الصَّرَامَةَ فِيهِ فَعَالَةُ الْكِرَمِ

ذكر ذلك ابنُ حَيَّان ، وَقِيلَ إِنْ هَذَا الشَّعْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَرْوَانَ
ابن الحكم .

وَتَوَفَّى حَبِيبٌ هَذَا فِي أَيَّامِهِ ، فَشَهِدَ جَنَازَتَهُ وَمَعَهُ سِتَّةٌ مِنْ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا صَلَّى
عَلَيْهِ قَعَدَ وَهُوَ يُوَارَى ، فَالْتَمَسَتْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَأَى وَلَدَهُ هَشَامًا قَاعِدًا نَاحِيَةً
قَدْ [...] ^(١) فِي قَعْوَدِهِ ، فَقَالَ : « مَا هَذَا يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ أَيْدِفْنِي عَمَّكَ وَخَيْرُ
أَهْلِ بَيْتِكَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ ؟ قُمْ وَاشْدُدْ نَظَاقَ الْحَزَنِ عَلَيَّكَ ، فَلَنْ تَرَى فِي قَوْمِكَ
مِثْلَ أَبِي سُلَيْمَانَ » ، فَقَامَ .

وَكَانَ حَبِيبٌ مِنَ الَّذِينَ يَشَاوِرُهُمْ فِي رَأْيِهِ وَلِإِدَارَتِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَعَاوِيَةَ
وَيُدْنِي بِمَجَالِسِهِمْ مِنْهُ [وَيَضُمُّهُ] ^(٢) إِلَى خَاصَّتِهِ مِنْ نُقَبَاءِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ
وَمَوَالِيهِ .

* * *

نَرْجِعُ إِلَى ذِكْرِ الْأُمَرَاءِ مِنْ غَيْرِ الْهَاشِمِيَّةِ وَالْأُمَوِيَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ كَمَا شَرَطْنَا
فِي صَدْرِ الْكِتَابِ :

— عَنْهَا ، فَجَمَعَ أَنْصَارُهُ وَثَارَ عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَوْلَاهُ تَسَمَّامًا ، فَأَقْنَعَهُ بِالِاسْتِسْلَامِ
دُونَ قِتَالٍ ، وَأَتَى بِهِ قَرْطُبَةَ مَعَ ٤٠٠ مِنْ أَنْصَارِهِ دُونَ عَهْدٍ . فَلَمَّا اتَّقَى بَعْدَ الرَّحْمَنِ عَاتِبَهُ ، فَأَغْلَظَ لَهُ
أَبُو الصَّيْحَانِ فِي الْجَوَابِ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، وَقَتَلَ سَنَةَ ١٤٩/٧٦٦ .

انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٣/٢ .

(١) بِيَاضٍ بِقَدْرِ كَلِمَةٍ .

(٢) بِيَاضٍ فِي الْأَصْلِ .

١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ،

أبو الخطار (بالراء)

وَلِيَ إمارة الأندلس في سنة خمس وعشرين ومائة ، من قَبْلِ حنظلة بن صفوان بن نوفل الكلبي والي إفريقية لهشام بن عبد الملك ثم للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وكان قد ولي بإفريقية ولايات في إمرة بشر بن صفوان / الكلبي [١٨ - ب]
أخى حنظلة ، ويقال إن أهل الأندلس الشاميين والبلديين كتبوا إلى حنظلة بن صفوان والي إفريقية والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم عند اختلافهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطار هذا ، فأقبل إليهم حتى قدم عليهم ، فأطاعه أهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الأندلس جمعا^(١) إلى ولاية مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية .

ولم يقدِّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبيين على البلد عن دار الإمارة قُرطُبة ، إذ كانت لا تحملهم ، وأنزلهم مع العرب البلديين على شِبهِ منازلهم في كُور شاميهم . وتوسَّع لهم في البلاد :

فأنزل في كورتى أكَشُونُبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول ، وأنزل باقيهم في كورة تَدْمِير ؛

وأنزل في كورتى لَبْلَة وإشِبيلية جند خِص [مع البلديين] الأول أيضاً ؛

وأنزل في كورة شَذُونَة والجزيرة جند فلسطين ؛

وأنزل في كورة رَبة جند الأردن ؛

(١) الأصل : جمعا .

وأنزل في كورة البيرة جند دمشق ؛ وأنزل في كورة جَيّان جند قنشرين^(١) ؛

(١) هذه الإشارة تدل على أن الأندلس كان في ذلك الوقت المبكر مقسماً إلى كور محددة واضحة ، وقد ثبت هذا التقسيم كما هو إلى آخر أيام الخلافة ، مما يدل على أنه كان تقسيماً سليماً قائماً على أسس سليمة قديمة ، فلم يحتاج بعد إلى تعديل ، وهذا ما حدانا إلى القول في « فجر الأندلس » بأن العرب وجدوه قائماً ، فأقروه مع تعديلات طفيفة . وهذه الكور التسع هي التي عرفت بالكور المجندة ، وكلها واقعة على الوادي الكبير أوجنوبه أوفى مستواه ، وهي تكون معظم جنوب شبه الجزيرة . انظر عن حدودها « صفة الأندلس » للرازي التي لم تبق لنا إلا في ترجمتها البرتغالية والإسبانية ، وقد ترجمها ليثي پروفنسال إلى الفرنسية :

LÉVI-PROVENÇAL, *La Description de L' Espagne de Razi, Al- Andalus, XVIII (1953) pp. 59. sqq.*

وسنشير إلى هذه الترجمة دائماً باسم « صفة الأندلس للرازي » .

وقد أوردنا فيما بعد بيان معظم الأعلام الجغرافية الواردة في هذا النص (انظر فهرس الأعلام) فيما عدا أكشونية وباجة وتدميرية ، وفيما يلي التعريف بهذه الكور :

أكشُونِيَّة أو أخَشُونِيَّة (تكتب خطأ في بعض المراجع أشكُونِيَّة) اسم بلدة

رومانية قديمة في الموضع الذي يسميه العرب شَنْتَمَرِيَّة الغرب Santa Maria de Algarve التي تسمى حالياً فارو Faro جنوبي البرتغال . ويقال إن Ocsonoba الرومانية كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية Milrau في البرتغال التابعة لمركز Estoy . وقد أطلق اسم أكشونية في التقسيم الإداري الأندلسي على كورة تحتل الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة ، من نهر وادي آنة إلى المحيط الأطلسي (صفة الأندلس للرازي رقم ٥٤ ص ٩١) . وورد ذكر هذه الكورة في « التعليق المنتقى » على أنها مدينة ، أي كورة عسكرية (ص ٢٢) ، وفي حالة أكشونية تعتبر كورة بحرية عسكرية . وقاعدة هذه الكورة شِلْب Silves في البرتغال الحالية . وستكلم عنها وعن شنتمرية الغرب في موضعيهما (انظر فهرس الأعلام) .

انظر : دائرة المعارف الإسبانية ، مادتي Ocsonoba و Santa Maria de Algarve ، و « الروض المطار » مواد : أكشونية وشلب ، والترجمة الفرنسية والتعليقات .

باجة ، في البرتغال الحالية ، وتسمى اليوم : بيجا Beja وهي قاعدة مديرية ألينتيجو السفلى Baixo Alentejo ، وتقع على ١٤٠ كيلومترا جنوب شرق الأشبونة (لِشْبُونَة ، لِيسْبُونَا) وكانت في التقسيم الإداري الأندلسي كورة واسعة تشمل مديرية ألينتيجو السفلى الحالية في البرتغال وجزءاً من مديرتي بطليوس وولْبَة Huelva في إسبانيا الحالية .

انظر : صفة الأندلس للرازي رقم ٤٨ و ٤٩ ص ٨٧ - ٨٨ .

وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من المعجم طَمَعَةً .

وبقى العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسمةً سكنوا واغتبطوا وتمولوا^(١) .

= والتعليق المنتقى ص ٢١ .

والروض المعطار ، رقم ٣٥ ص ٣٦ - ٣٧ .

تُدْمِير : هو الاسم القديم لكورة مُرْسِيَّة نسبت إلى تَدْمِير أو تيودومير حاكم هذه الناحية أيام فتح العرب للأندلس ، والذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى احتفظ لنفسه فيها بشيء من الاستقلال (انظر فجر الأندلس ، ص ١١٢) ثم حولها عبد الرحمن الداخل إلى كورة عادية . وكانت قاعدة الكورة بلدة أوريُولَة Orihuela ، فلما اختطت مُرْسِيَّة سنة ٨٣١/٢١٦ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير يومئذ نقلت القاعدة إليها ، وسميت الكورة كلها كورة مرسية . وقد استبد بأمر مرسية وكورتها الموليان العامريان خيران وزهير بعد انتشار عقد الخلافة ، ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ، وانفصلت عنها بعد ذلك . وفي أواخر أيام الموحدین استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل ، وأصبحت تسمى في النصوص الإسبانية باسم مملكة مرسية El Reino de Murcia . وقد خرجت مرسية عن يد المسلمين نهائياً في جمادى الأولى سنة ٦٦٤/فبراير ١٢٦٦ على يد خايمه الأول ملك أرغون الملقب بالفتاح .

انظر :

MARIANO GASPARD REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* (Zaragoza, 1905).

وفي تعليقاتنا التالية تفصيلات أخرى كثيرة عن تدمير ومرسية . (انظر فهرس الأعلام) . رِيَّة ، وتكتب أيضاً رِيَّة وهو الأصح ، يظن أن أصل اسمها Regio أى إقليم . اسم كورة من الكور الصغيرة جنوب الوادي الكبير كانت تضم قواعد كبيرة مثل أرشدونة Archidona ومالقة (انظر صفة الأندلس للرازي ، رقم ٦٩ ص ٩٨ - ٩٩) . وقد ذهب دوزي إلى أن اسم الإقليم كان قبل العرب Malacitana Regio . ولم توجد مدينة باسم رِيَّة ، ولأن الإصطخرى أخطأ فاعتبرها مدينة ، وذهب ابن خلدون إلى أن رِيَّة اسم للملقة . والثابت - بشهادة ابن القوطية - أن رية اسم كورة عاصمتها أرشدونة . وقد اختفت الكورة في عهد الطوائف ، ولا وجود لها في «التعليق المنتقى» .

انظر البحث الطويل عنها في أبحاث دوزي ، ١٠ ص ٣١٧ - ٣٢٤ .

(١) جعلت هذا الخبر في فقرات متميزة للنص على أهميته . وقد نقله ابن الأبار عن أبي =

وطالعا موسى بن نصير وبلج بن بشرهما اللتان تعرفان بالأندلس بالجندين .
ثم لم يلبث أبو الخطار — مع مكانه من السداد — أن تعصب لليمانية
وفضلهم على المضرية ، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهة باجة في غرب
الأندلس في قصص طويلة ، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة ، بعد أربع سنين
وتسعة أشهر من ولايته ؛ وقيل : كانت ولايته سنة اثنتين وعشرين . ومن شعره :
أَفَاتُم بَنِي مِرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا وَفِي اللَّهِ - إِنْ لَمْ تُنْصَفُوا - حَكْمٌ عَدْلُ
(ويروى : إباءة بنو مروان ، والأول أولى)

كأنكم لم تشهدوا مَرْجَ رَاهِطٍ ولم تعلموا مَنْ كان ثَمَّ له الفضلُ
وقيناكم حَرَّ الْقَنَا بِنُحُورِنَا وليس لكم خيل سوانا ولا رَجُلُ
فلما بَلَقْتُمْ نَيْلَ ما قد أردتم وطاب لكم منا المِشَارِبُ والأَكْلُ
تعاميتُم عَنَّا بَعَيْنَ جَلِيَّةٍ وأتتم كَذَا ما قد عَلِمْنَا لها فَعْلُ
فلا تَأْمَنُوا إِنْ دَارَتْ الحَرْبُ دَوْرَةً وَزَلَّتْ عَنِ المِرْقَاةِ بِالْقَدَمِ النُّعْلُ
فَيَنْتَقِضُ الحَبْلُ الذِي قد فَتَلْتُمْ أَلَا رُبَّمَا يُلَوَّى فَيَنْتَقِضُ الحَبْلُ

[١٩-١]

قال أبو الخطار هذا الشعر ، لأن هشام بن عبد الملك ولي عبيدة بن عبد الرحمن
— ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين — إفريقية ،
وصرف بشر بن حنظلة الكلبي ، فوجدت لذلك اليمانية . ويقال إنه قدم
القيروان — ولم يكن عليها إذ ذاك سور^(١) — فألقى بشر بن صفوان قد تهيا

— مروان بن حيان كما نقله أيضاً ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق محمد عبد الله عنان ، الجزء
الأول ، القاهرة ١٩٥٥) ص ١٠٩ ، وابن عذاري في البيان المغرب ، ٣٣/٢ . وقد تصرف
فيه كل منهم بحسب منهجه في كتابه ، وأعتقد أن الصورة التي أورده فيها ابن الأبار من أصح
الصور التي ورد فيها . وقد ناقشنا هذا الموضوع وبسطنا القول فيه في كتابنا « فجر الأندلس » .
(١) - وردت هذه العبارة التي وضعناها بين شرطين في الهامش بخط مختلف .

تشهود الجمعة ولبس ثيابه ، فقيل له : « هذا الأمير قد قدم ! » ، فقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا تقوم الساعة » ، فما حملته رجلاه . ودخل عبيدة بن عبد الرحمن فجَمَعَ بالناس ^(١) .

وقيل إنه لما تتابع ولادة إفريقية والأندلس من قيس ، قال أبو الخطار هذا الشعر يعرض فيه بيوم مرج راهط ، وما كان من بلاء كلب فيه مع مروان ابن الحكم ، وقيام القيسية مع الضحاك بن قيس الفهري أمير عبد الله بن الزبير . فلما بلغ الشعر هشام بن عبد الملك سأل عن قائله فأعلم أنه رجل من كلب ، وكان هشام قد ولى إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أخا بشر المذكور ، فكتب إليه يأمره أن يولى أبا الخطار الأندلس . وهو الرابع عشر من ولاتها ، ثم ولى بعده ثوبة بن سلامة الجذامي ، ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهري — وكان خلعه بعبد الرحمن بن معاوية . وأنشد الحميدي في تاريخه الشعر ، وقال فيه : « أفادت بنو مروان » ، وقال : « إن لم تمدلوا » ، وقال : « وقيناكم حد القنا بسيوفنا » ؛ وقال في البيت الرابع وما بعده :

فلما رأيتم واعدَ الحرب قد خبا وطاب لكم فيها المشارب والأكل
تغافلتُم عنا كأن لم نكن لكم صديقا ، وأنتم ما علمت لها فُعلُ
فلا تعجلوا إن دارت الحربُ دورةً وزلّت عن المهواة بالقدم النعلُ

/ ولم ينشد البيت الأخير [١٩ - ب]

وقال أبو الخطار أيضا يخاطب الصميل بن حاتم السكلابي ، رئيس المضرية ورأس المتعصبين معها على اليمانية في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري :

(١) الخبر وارد بتفصيل في البيان المغرب لابن عذاري (٥٠/١) ونص الفقرة الأخيرة منه هناك : ودخل عبيدة فأخذ عمال بشر وأصحابه فحبسهم وأغرمهم ، وغلب بعضهم . وكان دخول عبيدة بن عبد الرحمن القيروان في ربيع الأول ١١٠ هـ / يونيو ٧٢٨ .
(٥ - م)

لَمَّا ابْنَ بَكَرٍ كَفَانِي كُلَّ مَعْضَلَةٍ وَحَطَّ عَنْ غَارِبِي مَا كَانَ يُوْذِنِي
 إِذَا اتَّخَذْتَ صَدِيقًا أَوْ هَمَّتَ بِهِ فَأَعْدَدْتُ حَسَبِي إِنْ شُئْتَ أَوْ دِينِي
 مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي وَفِي وَلَدِي لَا بَدَّ يَدْرِكُنِي لَوْ كُنْتُ بِالصَّيْنِ^(١)
 وَأَنْشُدْ لَهُ الْحَيْدَى :

قُلْتُ ابْنَ حَوَاسٍ يُخَيِّرُ أَتَنِي سَمِعْتُ بِهِ سَعَى أَمْرِي غَيْرِ غَافِلٍ
 قَتَلْتُ بِهِ تَسْمِعِينَ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ جَذُوعُ نَخِيلٍ صُرَّعَتْ بِالمَسَائِلِ
 وَلَوْ كَانَتْ المَوْتَى تَبَاعَ اشْتَرَيْتُهُ بِكُنِّي ، وَمَا اسْتَنْثَيْتُ مِنْهَا أَنَامِلِي

وحكى أبو علي الحسين بن أبي سعيد عبد الرحمن بن عبيد القيرواني المعروف بالوكيل في « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » من تأليفه ، أن عبيدة بن عبد الرحمن لما قدم القيروان أخذ عمالاً بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم وأغرمهم وتحامل عليهم . وكان فيهم أبو الخطار ، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إلى الأبرش الكلبي ، فدخل بها على هشام بن عبد الملك بن مروان فأنشدها ، فغضب هشام . وكان ذلك سبب عزل عبيدة عن إفريقية . قال أبو علي : وهذا الشعر مشهور بالمشرك كشهرة بالمغرب ؛ ذكره صاحب « كتاب الخصال » وجاء به بعض المؤلفين في اختياره ، وأتى به أبو الحسن المدائني ، وقال : لما أنشده سعيد بن الوليد الأبرش الكلبي هشام بن عبد الملك غضب وشم عبيدة وقال : « قبح الله ابن النصرانية ! » وعزله .

(١) الأصل :

مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِي مَالِي لَا بَدَّ يَدْرِكُنِي وَفِي وَلَدِي لَوْ كُنْتُ فِي الصَّيْنِ

وورد بصورته الصحيحة التي يستقيم بها الوزن في الحاشية .

١٧ - الصَّمِيلُ بن حاتم بن شَمِر بن ذى الجَوْشَن

الكلابي الضَّبَابِي ، أبو جَوْشَن

كان جده شَمِر من أشرف عرب الكوفة ، وهو أحد قَتَلَةِ الحسين بن على رضى الله عنهما ، والذى قدم برأسه على يزيد بن معاوية . وقَتِلَ المختارُ بعد ذلك — حين قام ثائراً بقتلة الحسين — جماعةً منهم ، فهرب شَمِر بولده وعياله ولحق بالشام فأقام بها فى عز ومنعة .

وقد قيل إن المختارَ قتل شَمِراً وفرَّ ولده / إلى أن خرج كلثوم بن عياض [٢٠-١] القُشَيْرى غازياً إلى المغرب ، فكان الصَّمِيلُ ممن ضُرب عليه البَعثُ فى أشرف أهل الشام ، ودخل الأندلسَ فى طاعة بلج بن بشر فلَّ أصحاب كلثوم^(١) .

(١) كان هشام بن عبد الملك قد ولى كلثوم بن عياض القشيري على إفريقية سنة ١٢٣٪ ٧٤٠-٧٤١ بعد عبيد الله بن الحبحاب ليتلافى أمرها بعد انهزام قوات ابن الحبحاب أمام ميسرة المدغرى فى معركة الأشراف وإقدام جند إفريقية على عزله . وقد دخل كلثوم إفريقية فى جيش عدته ثلاثون ألفاً ، يقال إن عشرة آلاف منهم كانوا من صلب بنى أمية ، وعشرين ألفاً من سائر العرب . « وكان مع كلثوم ابن أخيه بلج بن بشر . وقد انهزم هذا الجيش الكبير أمام خالد بن حميد الزناتى رئيس البربر الذى خلف ميسرة المدغرى . وقتل كلثوم بن عياض ومنافسه حبيب بن أبى عبدة وسليمان بن أبى المهاجر ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام إلى الأندلس ، وهزيمة أهل مصر وإفريقية إلى الأندلس » .

وقد نجا بلج بن بشر من المعركة ولبأ إلى سبتة فتحصن بها من البربر ، وظل هناك مع من معه من العرب حتى ساء حالهم واستجدوا بعبد الملك بن قطن عامل الأندلس ، فأذن لهم بعد أن كادوا يهلكون جوعاً ، واشترط عليهم أن يخرجوا من الأندلس بعد أن يفرغوا من حرب البربر الثائرين عليه فى الأندلس . ولكنهم لم يخرجوا ، وانتهى الأمر بتولى بلج بن بشر أمر الأندلس .

وكان شجاعاً ، نجداً ، جواداً ، كريماً . وهو الذي قام بأمر المضربة في الأندلس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار السكبي العصبية لليمانية ، إلا أنه كان رجلاً أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، وكانت له في قلب الدول وتدير الحروب أخبار مشهورة .

وحكى أبو بكر بن القوطية في تاريخه أنه سر بمعلم يتلو ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾ فوقف يفهم ، وكان أميناً لا يقرأ ، ونادى المعلم : « يا هناه ! كذا نزلت هذه الآية ؟ » ، قال : « نعم » ، قال : « فأرى والله أن سيشركنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة » .

وغلب على أمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري في ولايته ، وكان معه في حربه لعبد الرحمن بن معاوية بعد أن ولاه مدينة سَرَفُسطَة ثم طُلَيْطَلَة ؛ وهو القائل عندما أغار الطائيون على داره بِشَقْنَدَة يوم المَصَارَة عند انهزام الفهري واستخلاف عبد الرحمن :

ألا إن مالى عند طيٍّ وديعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
سَلُوا يَمَنًا عن فِعْلٍ رُمحي ومنصلي فإن سكتوا أثنتُ على الوقائعُ
أنشدها أبو بكر الرازي في تاريخه .

وتوفي الضَّمِيل في سجن عبد الرحمن بن معاوية سنة اثنتين وأربعين ومائة .

١٨- الأغلب بن سالم بن عقّال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر

كان ممن سعى في القيام بدعوة بنى العباس مع أبي مسلم وحارب معه [عبد الله بن]^(١) على ، وكان مع أبي جعفر المنصور في حصار ابن هُبَيْرَة

(١) أكلت المبارة على هذا التحول يتصل السياق . ولم أجد اسم الأغلب بين أنصار أبي مسلم -

وفي قتل أبي مسلم ، ويقال إنه الذي ضربه فأطار يده ، ثم تولى حزر رأسه^(١) ،
 ووجهه أبو جعفر المنصور مع محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي إلى قتال البربر .
 وهو أول [قدومه إلى]^(٢) إفريقية ، وكان عامل مصر ، وذلك في سنة
 أربع وأربعين ومائة . فخرج في أربعين ألفاً عليهم مائة وثمانية وعشرون قائداً من
 تحت يد ابن الأشعث ، منهم ثلاثون ألفاً من خراسان وعشرة آلاف من الشام
 — وقيل ألفان فقط من الشام . وقال المنصور : إن حدث به حدث كان الأغلب
 أميرهم بعده . فولى طُبْنَةَ / إلى أن خرج ابنُ الأشعث من القيروان في شهر [٢٠-ب]
 ربيع الأول سنة ثمان وأربعين — وكان قد بنى سور القيروان — فبعث أبو جعفر
 إلى الأغلب عهده بولاية القيروان ، فاستقامت له الأمور . ثم اضطربت بعقب
 ذلك لخروج أبي قُرّة البربري عليه واشتغاله بحربه ، [وخرج]^(٣) الحسن

الخراساني ورجاله . وقد أورد الطبري (طبعة المطبعة التجارية ، القاهرة ١٩٣٩) ج ٦ ص ٥٣
 قائمة بأصحاب أبي مسلم وقواده لم أجد من بينهم اسم الأغلب ، ولكنني وجدت مقاتل بن حكيم
 العكي ، وهو أبو محمد بن مقاتل العكي الذي تولى إفريقية قبل إبراهيم بن الأغلب ، فلعل ذلك
 هو السبب في قول المؤرخين أن الأغلب كان من رجال أبي مسلم . وربما كان من صفار رجاله
 فلم يذكر ضمن القواد والتقواء .

(١) لا وجود لهذا عند الطبري ، وهو أوسع مرجع لدينا عن قتل أبي مسلم : ١٣٧/٦ .
 (٢) عبارة « وهو أول [...] إفريقية » قلقة هنا ، وقد قومنها على هذا النحو للسياق .
 وعلى أي حال فهناك رواية ابن عذاري في هذا الموضع ، ويدلو أنه يأخذ من نفس المرجع الذي
 يعتمد عليه ابن الأبار هنا : « ذكر ولاية محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية : لما غلبت
 الصفريّة على إفريقية بعد أن قُتِلَتْ ورفجومة من قتلت من قرش وغيرهم ، خرج جماعة من
 عربها إلى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى أبو جعفر
 ابنُ الأشعث مصر ، فوجه أبا الأحوص ، فهزمته البربر ، كما تقدم ، فكتب أبو جعفر
 إلى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج إلى إفريقية في أربعين ألف . الخ » .

البيان ٧٢/١ (وكان ذلك سنة ١٤٤/٧٦١ - ٧٦٢) .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق .

ابن حرب الكندي عليه ، وخاطب القواد مَضْرِباً^(١) فلحق به منهم جماعةٌ وهو بتونس ، فأقبل إلى القيروان فدخلها . وبلغ الخبرُ الأغلبَ فأقبل في عدة يسيرة بمن أطاعه ، وكتب إلى الحسن :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني مقالاً يسير به إلى الحسن بن حرب
فإنَّ البغىَ أبعدُهُ وبالَّ عليك وقربه لك شر قرب
فإن لم تدعني لتتالَ سلماً وعفوى فادنُّ من طعنى وضربى^(٢)

ف قصد الحسنُ الأغلبَ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً انهزم الحسنُ عنه وكرَّ راجعاً إلى تونس ، ودخل الأغلبُ القيروان . ثم زحف الحسنُ إليه ثانيةً ، وخرج الأغلبُ من « باب أضرم »^(٣) فتوافق الفريقان ، فبرز الأغلب وقال :

(١) الأصل : مضرباً ، وقد صوبتها هكذا للسياق ، وكذلك فعل مولر . وإليك توضيحاً لهذه الأحداث نقلاً عن ابن عذارى (البيان : ٧٤/١) :

« وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ، وسبب ذلك أن أبا قرّة الصفري خرج في جمع كبير من البربر ، فسار إليه الأغلب في عامة القواد الذين معه ، وخلف على القيروان سالم بن سودة . فلما علم أبو قرّة أن الأغلب قُرب منه هرب ، وتفرق أصحابه ، وقدم الأغلب الزاب ، وعزم على الرحيل منه إلى تلمسان ، قاعدة زناتة ، ثم إلى طنجة . فكرة الجندُ المسير معه ، وقالوا : « قد هرب أبو قرّة الذي خرجنا إليه » وجعلوا يتسللون عنه إلى القيروان ، فلم يبق معه إلا نفر يسير من وجوههم . وكان الحسن بن حرب بتونس ، فلما خرج الأغلب يريد أبا قرّة ، كاتبَ جميعَ القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم إلى القيروان ، فدخلها ، وأخذ سالم بن سودة عاملها ، فحبسه . وبلغ الخبرُ الأغلبَ ، فأقبل في عدة يسيرة ، وكتب إليه يعرفه بفضل الطاعة ووبال المعصية ، فأعاد الجواب إلى الأغلب ، وفي آخره :

ألا قولوا لأغلبَ غيرَ سوءٍ مغلفةً عن الحسن بن حرب
بأن البغىَ مرتعه وخيم عليك ، وقربه لك شر قرب
فإن لم تتثن لتتال سلمى وعفوى ، فادن من طعنى وضربى

(٢) واضح أن الأبيات الواردة في الهامش السابق رد على هذه الأبيات . ويلاحظ القارئ تشابه شعر الأغلب وشعر الحسن بن حرب على هاتين الروايتين . والحقيقة أن ابن عذارى أخطأ فجعل أبيات ابن الأغلب للحسن بن حرب ، أما أبيات هذا فترد في ترجمته التالية .

(٣) من أبواب القيروان المعروفة .

أغدو إلى الله بأمره يرّضاهُ [لا خير في]
 إن يهَوِّنِي الموتُ ، فإنّي أهواهُ كلُّ امرئٍ يلقى يوماً [...]^(١)
 ثم شدّ على الميمنة في أحجابه ، فكشفها ، وانصرف إلى موقفه وهو يقول :
 أضربُ في القومِ ، ومثلي يضربُ فإن [يكن حرباً] فإنّي الأغلبُ
 لا أجزعُ اليومَ ولا أكذبُ^(٢)

ثم شدّ على الميسرة ، ففعل مثلَ فعله في الميمنة ، وانصرف وهو يقول :
 لم يبقَ إلا القلبُ أو أموتُ إنْ تَحْمَ لي الحربُ فقد حَمِيتُ
 وإنْ تولَّيتُ فإِنا بَقِيتُ
 ثم حمل على القلب ، فلم يُثْنِ حَذُّهُ ، حتى قُتلَ بسهم رُمى به ، وذلك
 في شعبان سنة خمس ومائة .

وبلغ المنصور موته فقال : « إن سيفي بالمغرب قد انقطع ، فإن دفع الله عن
 المغرب بريح دولتنا وإلا فلا مغرب » . وقال الحكم بن ثابت السعدي من ولد
 سلامة بن جندل يرثي الأغلب :

لقد أفسد الموتُ الحياةَ بأغلبٍ غداةَ غدا للموتِ في الحربِ مُعلماً
 / تبدّتْ له أم المنايا فأقصدتْ [فتى حين] يلقى الموتَ في الحربِ صمماً^(٣) [٢١-١]
 أخا غزواتٍ ما تزال جِياذُهُ تُصَبِّحُ عنه غارةٌ حيث يَمّا
 أنته المنايا في القنا فاخترمنهُ وغادرته في مُلتقى الخيل مسلماً
 كأن على أنثابه من دمانه عبيطاً ، وبالحذّين والنحرِ عندما
 فبات شهيداً نال أكرمَ ميته ولم يَبْنِ عُمرأ أن يطول ويسقما

(١) وردت هذه الأبيات في سياق الثر ، ولم ينتبه الناسخ إلى أنها شعر .

(٢) الشطر الأخير من هذا الرجز مكسور . وقد أضفت ما بين حاصرتين في الشطر الثاني للسياق والوزن ، وظهر أنه يخاطب الحسن بن حرب ، ومن هنا أخذت عبارة « يكن حرباً » .

(٣) ورد الشطر ناقصاً في الأصل فأكلته بما يقيم الوزن .

١٩ - الحسن بن حرب الكندي

كان بتونس ، ققام على الأغلب بن سالم — حسبما تقدم خبره — وخالفه وسار إلى القيروان فلم يدفعه أحد عنها حتى دخلها . وبلغ أبا جعفر المنصور تنازعهما ، فكتب إلى الحسن بن حرب يحضه على الطاعة . وكان من كبار القواد وأبطال الفرسان بإفريقية ؛ وهو القائل يجيب الأغلب عن أبياته المذكورة قبل :

ألا قولاً لأغلبَ غيرَ سِرِّ مُغلَظةٍ عن الحسن بن حربِ
بأنَّ الموتَ بينكمُ وبينى وكأسُ الموتِ أكره كلَّ شربِ
رويدكمُ ، فيومكمُ ويومى — وإن بعداً — مصيرها لقربِ

ثم تقائلا بعد ذلك ، فقتل الأغلبُ وصاح صائح : « مات الأمير ! » . وكان سالم بن سودة التميمي في الميمنة ، وهو ابن عم الأغلب ، فقال : « لا أنظر إلى الدنيا بعد اليوم » . ووقع في عسكر الحسن الصياح : « مات الأمير ! » فظن أن الحسن هو المقتول ، فولوا منهزمين ، وركبهم سالمُ بن سودة والمخارق بن غفار الطائي بالسيف ، فقتل من أصحاب الحسن مقتلة عظيمة ، واتبع هو فقتل بتونس . ويقال إنه أتوا به مقتولا إلى القيروان ، فضلبه المخارق يوم السبت آخر يوم من شعبان سنة خمسين ومائة .

٢٠ - يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

الأزدى العتكي ، أبو خالد

ولى إفريقية في خلافة أبي جعفر المنصور ، فأصلحها ورتب أمر القيروان .

وجدد أمر المسجد / الجامع . وكان غايةً في الجود مُمدِّحاً ، كثيرَ الشبه بمجده [٢١-ب] المهلب في حروبه ودهائه وكرمه وسخائه ، خاصاً بأبي جعفر المنصور ، وكان لا يُحجب عنه . وولّى ولاياتٍ كثيرةً قبل قدومه إلى المغرب ، منها : أرمينية ، والسند ، ومصر ، وأذربيجان وغير ذلك .

وقدم إفريقيةً من مصر — وكان والياً عليها — في ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائة إلى سنة اثنتين وخمسين^(١) . وحكى عنه [أنه] قال : لما ولاني أبو جعفر دخلتُ عليه فقال لي : « يا [أبا] خالد ، بادر النيل قبل خروج الرايات الصُفَر وأصحاب الدواب البُتَر »^(٢) .

(١) تولى يزيد بن حاتم مصر من يوم الاثنين ١٥ ذى قعدة ١٧/١٤٤ مارس ٧٦٢ إلى يوم السبت ١٨ ربيع الآخر ٣/١٥٢ مايو ٧٧٠ .

انظر : أبو المحاسن بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (طبعة دار الكتب بالقاهرة) ج ٢ (١٩٣٠) ص ١ وما يليها .

(٢) المراد بهذه الإشارة هنا العلويون ، وكان أبو جعفر المنصور مهموماً بأمرهم خلافةً كلها ، وعلى رغم ما أنزل بهم من مقاتل وبأنصارهم من أذى وتعذيب فقد ظل متخوفاً منهم إلى آخر أيامه . وكان أنصار العلويين في مصر كثيرين ، فكان المنصور يخشى أن يشعروا بها . فبادر إلى عزل حميد بن قحطبة وأرسل يزيد بن حاتم ، وكان من أقدر ولاته وأقربهم إلى نفسه . وقد كان أبو جعفر محققاً في تخوفه ، فنحن نقرأ عند أبي المحاسن : « وفي أيام يزيد بن حاتم المذكور ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وتكلم بها الناس ، وباع الكثير منهم لبنى الحسن في الباطن ، وماجت الناس بمصر ، وكاد أمر بنى الحسن أن يتم ، والبيعة كانت باسم علي بن محمد بن عبد الله (بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وعلى هذا هو ابن محمد النفس الزكية الذي قتله المنصور في المدينة وأخاه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥) .

وبينا الناس في ذلك قدم البريد برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة ، فنصب في المسجد أياماً » . (أبو المحاسن ٢/١٧٠) .

(٢-) وقد بلغ من خوف يزيد بن حاتم من دعاة العلوية أن منع أهل مصر من الحج سنة ١٤٥ هـ . ولم يوفق يزيد بن حاتم في القضاء على دعوة العلوية في مصر ، فعزله المنصور سنة ١٥٢ وأقام مكانه عبد الله بن عبد الرحمن حفيد معاوية بن حديج زعيم العثمانية في مصر وعدو علي بن أبي طالب أثناء الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان .

ثم استقدمه — بعد أن قُتل عمر بن حفص المهلبي — فولاه إفريقية والمغرب وشيخه إلى فلسطين ، فحسده الأمراء والرؤساء . وكان المنصور يقول : « ما أخطأت في شيء من تدبيري إلا في ثلاثة أشياء : تشييع يزيد بن حاتم . . . أرايت لو نكث ، أكان يحسن بي أن أرجع ، أو كان يحسن بي أن ألقى الجيش بنفسى ؟ ويوم الراوندية ^(١) وقوفى على باب الذهب . . . أرايت لو أن رجلاً رماني بسهم ، أليس دمي كان يذهب ضياعاً ؟ وقتلى أبا مسلم وأنا في الخرق ^(٢) ، ومعه أهل خراسان ثلاثون ألفاً يعبدون من دون الله . »

وفي يزيد هذا يقول ربعية بن ثابت الرقي من بني أسد — وقد وفد عليه — أياته السائرة في الناس إلى اليوم :

لَشْتَانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَغَرُّ بْنُ حَاتِمٍ
يَزِيدُ سُلَيْمٌ سَالِمٌ لِلَّالِ ، وَالْفَتَى أَخُو الْأَزْدِ لِلْأُمُوالِ غَيْرُ مُسَالِمٍ
فَهَمُّ الْفَتَى الْأَزْدِيُّ إِنْ لَافُ مَا لِه وَهَمُّ الْفَتَى الْقَبِيسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَتُّامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
يَرِيدُ بِالتَّمَتُّامِ — وَهُوَ الْمُتَرَدِّدُ فِي النَّاءِ — يَزِيدَ بْنَ أَسِيدِ السَّلْمِيِّ . سَمَاءُ الْمُبَرَّدِ ، وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةِ حَسَنَةِ يَقُولُ فِيهَا :

أَبَا خَالِدٍ أَنْتَ الْمَنُوءَةُ بِاسْمِهِ إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْعِظَامِ
كَفَيْتَ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَكُنْتَ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَزَاحِمِ

(١) الراوندية جماعة من شيعة فارس ينسبون إلى راوندقرب أصفهان ، أسرفوا في تشييعهم لعلي بن أبي طالب حتى قالوا إن الروح التي كانت في عيسى بن مريم حلت فيه ، ودعوا إلى تأليه الأئمة ، وذهبت جماعة منهم إلى عبادة أبي جعفر المنصور ، وقد حاربهم المنصور وقتل منهم كثيرين وحبس كثيرين أيضاً في سجون بغداد ، فاجتمعوا في السجن وكسروا أبوابه ، وخرجوا واتجهوا إلى قصر المنصور ، فخرج إليهم بنفسه ، فتكاثروا عليه ، وكادوا يقتلونه لولا أن أنقذه من بن زائدة الشيباني . وقد كافأه المنصور على ذلك بولاية اليمن . وإلى يومه هذا مع الراوندية يشير هنا . (راجع الطبري ، ج ٦ ص ٣٠٧ وما بعدها)

(٢) أي وأنا في وقت ثورة واضطراب .

ويقال إن ربيعة لما مدحه بهذه القصيدة استبطأ برّه وصلته فقال :

/أراني — ولا كفرانَ لله — راجعاً بخفي حنينٍ من يزيد بن حاتم [١-٢٢]

فبلغ ذلك يزيد ، فدعا به وقال : « انزعوا خفيه » ، فنزعاه وهو خائف من عقوبته على ذكره خفي حنين ، فلأها له دراهم ودنانير — وكانا كبيرين كأخفاف الجند — ثم وصله بعد ذلك بصلاتٍ جزيلة . وهذه القصة ^(١) شبيهة بقصة أبي العتاهية مع عمر بن العلاء ^(٢) حين امتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

إني أمنتُ من الزمان ورَبِّهِ لما عَلِمْتُ من الأمير حبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لَحَذَوْا له حُرَّ الحدودِ نعالاً
ما كان هذا الجودُ حتى كنتَ يا عمرُ ، ولو يوماً نزولُ لزالا
إِن الطايا تشتكيك لأنها قطعتْ إليك سَبَاسِياً ورمالا
فإذا وَرَدَنَ بنا وَرَدَنَ مُخِفَّةً وإذا صَدَرَنَ بنا صَدَرَنَ ثِقَالا
فتأخر عنه برّه قليلا ، فكتب إليه يستبطئه :

أصابتُ علينا جودك العينُ يا عُمَرُ وعزَّ لما نبغى التمامُ والنشرُ
سنزقيك بالأشعار حتى تملأها فإن لم تُفِقْ منها رقيقاك بالسَّوَرُ
وقال أيضا :

يا ابنَ العلاءِ يا ابنَ القَرَمِ مِرْداسٍ إني لأطريك في صَحْبي وجُلَاسِي
أثنى عليك — ولي حال تكذَّبني فيما أقول — فأستحي من الناس
حتى إذا قيل : ما أعطاك من صَدَدٍ ؟ طأطأتُ ، من سوءِ حالٍ عندها ، راسي
فأسر حاجته أن يدفع إليه المال ، وقال : « لا تدخله عليّ فإني أستحي منه » .
وروى أنه وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فحسدته الشعراء وقالوا : « لنا بيلاب

(١) الأصل : القصيدة .

(٢) هو عمر بن العلاء ، معتوق عمرو بن حريث (انظر : الأغاني : ٤٤/٣ و ١٣٧)

الأمير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا إلى بعض هذا » ، فاتصل ذلك به فأمر بإحضارهم وقال : « قد بلغنى الذى قلتى . وإن أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشبب فيها ، فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته . وإن أبا العتاهية أتى فشبب / بأبيات بسيرة ، ثم قال : إن المطايا تشتمكيك » ، وأنشد الأبيات . [٢٢ - ب]

ومن شعر يزيد بن حاتم :

ما يألف الدرهم المضروب خرقتنا إلا لَمَامًا قليلاً ، ثم ينطلقُ
يَمُرُ مرًّا عليها وهى تَلْفِظُهُ إلى امرؤ لم يُحَالِفْ خِرْقَتِي الْوَرِقُ^(١)
وتوفى فى شهر رمضان سنة سبعين ومائة .

٢١ - الفضل بن روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب^(٢)

ولاه الرشيد إفريقية ، فقدم على القيروان فى الحرم سنة سبع وسبعين ومائة . ويقال إنه لم يَلِ إفريقية أجملُ منه ومن أبى العباس عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب .

(١) وردت هذه الأبيات أيضاً فى البيان المغرب لابن عذارى (١ / ٨١)

(٢) هذا خامس رجل من آل المهلب يتولى أمر إفريقية للعباسيين . والحقيقة أنه منذ قتل الأغلب بن سالم بن عقال فى سنة ١٤٨ / ٧٦٥ إلى ولاية ابنه إبراهيم سنة ١٨٤ / ٨٠٠ ، إلى بدء الدولة الأغلبية ، كانت إفريقية فى يد رجال من بيت المهلب بن أبى صفرة فيما عدا فترات قصيرة جداً . وهذا البيت الذى تولى مصائر إفريقية خلال أعصب فترة مرت بتاريخها قبل الأغلبة جدير بدراسة وحده ، فقد كان رجاله عرباً خلصاً تتمثل فيهم صفات العرب الأولى فى أجلى صورها . كانوا شجعاناً كرماء ذوى ثبات وحزم وعزم ، وكانوا إلى جانب ذلك - وتلك هى الناحية السلبية من خلقهم - متهاونين لا ينظرون إلى بعيد ، ولا يفكرون فى خطة بعيدة المدى لتلافى الأخطار التى أحاطت بإفريقية على أيامهم ، إنما كانوا ينتظرون حتى تشتد الأزمة ويعظم الخطر فيهبون لدفعه فى بسالة وعزم وذكاء وحيلة ، ولم تكن تلك هى السياسة =

واستعمل على تونس المغيرة بن بشر بن روح ابن أخيه ، وكانت تونس نظيرة القيروان حتى إن أبا جعفر المنصور كان يقول : « ما فعلت إحدى القيروانين ؟ » ، يعنى تونس .

وكان المغيرة غريباً لا تجربة له بالأمر ولا معرفة بتصاريفها ، فاستخف بالجنود وسار فيهم بما أنكره ، فكتبوا إلى الفضل بذلك فلم يعزله عنهم ، فقدّموا — في قصة طويلة — عبد الله بن الجارود العبدى^(١) وأخرجوا المغيرة .

وكتب ابن الجارود إلى الفضل : « إلى الأمير الفضل بن روح من عبد الله ابن الجارود . أما بعد ، فإننا لم نُخرج المغيرة إخراجاً خلافٍ عن الطاعة ، ولكن لأحداث فيها فساد الدولة . فولّ علينا من رضاه ، وإلا نظرنا لأنفسنا . ووأسنا بالأسلاف^(٢) كما كانت الولاة تصنع بنا قبلك ، وإلا فلا طاعة لك علينا » . وكتب في أسفل الكتاب :

= الكفيلة بتأمين بلد استعرب أهله وأيقظ الإسلام فيهم وعياً بعيد المدى حفزهم على طلب الحكم والرغبة في الاستئثار به وإقامة دول عربية مستقلة . وقد قام تفكير الكثيرين منهم على مبادئ الإباضية ، وهى دعوة خارجية سياسية ترمى إلى إنكار حق الاستئثار بالحكم والخلافة على بيت معين ، وتجعل الحكم ولاية يتولاها الأصلح بترضى المسلمين ، وتدعو من ناحية أخرى إلى التعاون والتآخي بين أفراد الجماعة الواحدة . ولم يبرز عما الإباضية على هذه المبادئ ، وإن كان أتباعها قد طبقوها فيما بينهم وأنشأوا جماعات عربية إسلامية من التجار والزراع والصناع ، كما نرى عند إباضية جربة . وكان من الطبيعي ألا يستطيع ولاية بنى العباس من آل المهلب الثبات طويلاً أمام جماعات الإباضيين ، وكان أكبر ما أضعف الولاة حرص خلفاء بنى العباس على تقصير مدد ولائهم خوفاً من وثوبهم . وقد تبين بنو العباس خطأهم في ذلك ، وانتهوا إلى ترك إفريقية في يد إبراهيم بن الأغلب وأولاده تحت طاعتهم ، وبهذا بدأ عصر جديد في التاريخ السياسى لإفريقية الإسلامية .

(١) هو عبد الله بن الجارود بن عبدويه . وقد وهم ناشرا بن عذارى فجعله عبد ربه .

(٢) الأسلاف هنا مصطلح خاص لم أجده تعريفاً فيما بين يديّ من المراجع ، ولكنى فهمت من التفصيل الطويل الذى يقدمه النويرى عما وقع بين الفضل بن روح وعبد الله بن الجارود بن عبدويه أن الأسلاف كانت معاونات مالية يرسلها الولاة إلى الظاهرين من أهل النواحي =

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ الْفَضْلِ بْنِ رُوحٍ وَصِدْقُ الْقَوْلِ زَيْنٌ لِلرَّجَالِ
بَأَنَّكَ حِينَ وَلَّيْتَ ابْنَ بَشِيرٍ عَلَيْنَا غَيْرُ مَحْمُودِ الْفِعَالِ
فَوَلَّ سِوَاهُ أَوْ كُنْ رَهْنَ حَرْبٍ تَقْصُّ بِهَا عَلَى الْمَاءِ الزَّلَالِ
وَأِنْ لَمْ تَعْطِنَا الْأَسْلَافَ طَوْعًا أَجَبْتَ لَهَا بِكَرِّهِ بِالْعَوَالِي^(١)

فأجاب الفضل عن ذلك يرميهم بالخلاف ، ويؤنسهم من الأسلاف ،
وكتب في آخر كتابه :

[٢٣-١] / أَتَانِي عَنْكَ مَا سَتَنَالُ مِنْهُ وَبِأَلَّا إِنْ عَصَيْتَ عَلَى الْعِقَالِ
فَإِنْ تَرَجَعْتُ تَنْلُ سَلَمًا وَأَمْنًا وَإِنْ تَجَمَّحْتُ فَلَسْتَ بِمُسْتَقَالِ
وَإِنَّ لِمَنْ أَطَاعَ عَلَيْكَ فَضْلًا كَفَضْلِ يَدِ الْيَمِينِ عَلَى الشَّمَالِ
وَلَسْتَ بِمَدْرِكِ الْأَسْلَافِ حَتَّى تَنَاقَلَهُنَّ قَدَرًا بِالْعَوَالِي

ثم بعث عبد الله بن يزيد المهلبى والياً وضم إليه كثيراً من أصحابه . فأخرج
ابن الجارود جماعة يختبرون ما قدّموا له ، ونهاهم عن الحرب . فلقوهم بسبخة
تونس فقتل عبد الله — فى خبر يطول ذكره — وأسر القواد الذين معه . وأدى
ذلك إلى محاربة الفضل بالقيروان ، فغلب عليها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين .

ـ ورؤساء جماعاتها ليظلوا إلى جانب الولاة فى صراعهم مع الثائرين عليهم . وقد قطعها الفضل بن حاتم
وواله على تونس المغيرة بن بشر بن روح ، وهو ابن أخى الفضل .

انظر : التويرى ، نهاية الأرب ، الجزءان الخاصان بإفريقية والأندلس ، نشرها ماريانو
جاسبار ريمير فى :

Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino.
Granada.

ابتداءً من العدد الرابع (المجلد الخامس) سنة ١٩١٥ . والقطعة الخاصة بالحوادث التى نشير إليها
واردة فى العدد الثانى من المجلد السابع (سنة ١٩١٧) ص ١٢٧ - ١٤١ .

ونشير إلى هذا المرجع من الآن فصاعداً بعبارة : نهاية الأرب للتويرى .

(١) الأصل : بالعوالى . والعوالى هى السيوف .

ومائة ، وسُيِّرَ في أهل بيته ، ثم استُرْجِعَ من طريقه وهو متوجه إلى قابس ،
فجُبِسَ مع رَجُلَيْنِ من أصحابه ، ثم دخل عليه الجند فقتلوه في محبسه . ومن
شعر الفضل :

ومارَسْتُ هذا الدهرَ خمسينَ حِجَّةً وَنِصْفًا أُرْجَى قَابِلًا بَعْدَ قَابِلٍ
فَلَا أَنَا فِي الدُّنْيَا بَاغَتْ جَسِيمَهَا وَلَا فِي الذِّى أَهْوَى كَدَحْتُ بَطَائِلَ
وَقَدْ أَثْمَرَعْتُ فِينَا الْمَنَايَا أَكْفَهَا وَأَيَقَنْتُ أُنَى رَهْنُ مَوْتٍ مُعَاجِلَ

٢٢ — سعيد بن يزيد بن حاتم المهلبى

لَمَّا عَظُمَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ رُوحِ ابْنِ الْجَارُودِ وَخُرُوجِهِ عَلَيْهِ بِتُونِسَ وَزَحْفِهِ
إِلَيْهِ ، جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَقَالَ : « مَا تَرُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَا يُخْصِنُنِي دُونَكُمْ ؟ »
فكَثُرَتِ الْأَرَاءُ ، فَقَالَ ابْنُ عَمِّهِ سَعِيدٌ : « أَطْعَمَنِي الْيَوْمَ وَاعْصَنِي فِيمَا يَسْتَأْنِفُ .
سُدَّ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا إِلَّا بَابًا وَاحِدًا ، وَنُدْخِلْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَصَارُ سَنَةً .
فَوَاللَّهِ لَسْكَأَنِي أَنْظُرُ — إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ — قَدْ دَخِلَ عَلَيكَ مِنْ آمَنِيهَا
عِنْدَكَ » . وَقَالَ فِي ذَلِكَ يُخَاطَبُ الْفَضْلُ :

أَرَى الْحَرْبَ قَدْ مَدَتْ إِلَيْنَا بِسَاقِهَا وَقَلْبُكَ يَقْظَانُ شَبِيهَ بِنَاقِهَا
نَحْذَرُ لِنَهْوَودِ الْحَرْبِ أَهْبَةَ يَوْمِهَا وَشَمَّرَ لَهَا الْأَذْيَالَ قَبْلَ التَّنَادِ
/فَإِنْ كَفَتْ تَحْمِي الْغَرْبَ فَاشْدُدْ لَهَا الْقَوَى تَنْلُ ظَفَرًا ، أَوْ تَلَقَّ مَوْتَ الْأَكَارِمِ [٢٣-هـ]
فَلَيْسَ يُرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا نَفْسَنَا أَوِ النَّفْيَ عَنْهَا يَا ابْنَ رُوحِ بْنِ حَاتِمِ

وقال أيضا :

ألا قلْ لفضلٍ إنَّني لك ناصحٌ فلا تسمعنَّ مما يُشيرُ ابنُ واقدٍ^(١)
فإنك إن تسمعَ لأقواله تعدُّ إلى أسدٍ في كُبَّةِ الخيلِ لا يدُ
ستذكرُ قولي حينَ ليس بنافعٍ إذا شَمَّتِ الأرماحُ نحرَ القلائدِ
فخالقه الفضلُ فكان ما تقدم من أمره .

٢٣ — أخوه عبد الله بن يزيد بن حاتم

كان مع ابن عمه الفضل بن روح بن حاتم في حروبه بإفريقية ، ثم قُرفَ
عنده بمائة عدوه الخارج عليه ابن الجارود المعروف بعبُدويَّة ، ففعل صدرُ
الفضل عليه حتى كتب إليه :

أرى ألسنَ الحسادِ فيك كأنها سهامٌ تهوى من قسيِّ نِصالِ

(١) لم أستطع التعرف على ابن واقد هذا ، ولكن يغلب على ظني أن المراد به محمد بن يزيد
الفارسي ، وكان أول الأمر من رجال الفضل بن روح بن حاتم ، وكان سعيد بن يزيد بن حاتم
يشك فيه ويحذر عمه الفضل منه . وقد كان اختلاف آراء رجال الفضل سبب ضياع أمره ، وقد
أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله بعد أن ذكر القتال الأول بين الفضل وابن الجارود وحصار
هذا الأخير للقيروان : « فاجتمع الفضل مع بني عمه وخاصته ، وتشاور معهم في أمره فاضطرب
الأمر عليه ، ولم يصح له أمر » . وقد انتهى الأمر بدخول ابن الجارود القيروان واستيلائه على
الأمر ، ثم أخرج الفضل وأصحابه في حراسة نفر من رجاله ليخرجوه من حدود إفريقية .
ولكن ابن الجارود قتله بعد ذلك في شعبان سنة ١٧٨ / أكتوبر ٧٩٤ (ابن عذارى : ٨٨/١ -
٨٩) . وقبيل قتله حاول محمد بن يزيد الفارسي (وأظن أنه ابن واقد) الدفاع عن نفسه ،
وأشار على رجال ابن الجارود ألا يقتلوه ، فلم يسمعوا له . (التويري ١٢٧ - ١٢٩) .

يقولون قد كاتبت عَبْدُوِي^(١) في التي إذا نالها أولئك شر وبال
وقالوا وعدت القوم عند لقاءهم رجوعاً عن الهيجا بغير قتال
وليس الذي مفاك عَبْدُوِي كائناً فدعه ولا تركن لقول ضلال
ألا إني لم أمس فيك مُصَدِّقاً لأقوالهم ، والصدق خير مقال

فلما وردت الأبيات على عبد الله علم أنه اتهمه ، فأجابه بقوله :

لَعَمْرُكَ لولا ما اتهمت لما أتت قوارض أبداهن شر مقال
أظن ابن روح أني كنت قاطعاً يميني التي أسطو بها بشمال^(٢)
وهبني تناولت التي كنت خفتها فكيف اعتذارى فيك بعد فعالي^(٣)
فلا تحسبني مسلماً إن لقيتهم لأسياهم ظهري بغير قتال

فقال الفضل عند قراءة جوابه : « لو كان حسادنا يتركون التبغي على حال

لتركوه على مثل حالنا هذه » . ثم أخرجه إلى قتال عَبْدُوِي بن الجارود فهزمه

عبد الله بن يزيد ، ثم عاوده الحرب فهزمه عَبْدُوِي / وانصرف عبد الله إلى [٢٤ - ١]

(١) المراد هنا عبد الله بن الجارود بن عَبْدُوِي الذي أشرنا إليه ، وقد كان عدو الفضل
ابن روح وزعيم الخارجين عليه ، وتمكن من قتله وإخراج بقية بني المهلب من إفريقية وتولاها
سبعة أشهر انتهت في ربيع الآخر سنة ١٧٩ / يونيو ٧٩٥ بقدم هرثمة بن أعين أميراً على
إفريقية من قبل الزشيد . وقد قص النويري أعمال ابن الجارود إلى خروجه من إفريقية بتفضيل
(١٢٧ - ١٣١) .

هذا وضبط اسم عَبْدُوِي على هذه الصورة في شعر الفضل وابن عمه عبد الله يدل دلالة
واضحة على أن الاسم كان ينطق عَبْدُوِي متباعدة للنطق الفارسي ، لا عَبْدُوِي كما تعودنا أن نقرأ .
وهذا يؤيد ما ذهب إليه المستشرق إينو ليان من أن الأسماء التي تنتهي بـ « ويه » مثل سيبويه - ينبغي أن
تنطق سِيْبُوِيَه ونَفْطُوِيَه وخَالُوِيَه . وهكذا كان العرب ينطقونها كما ترمى في هذا الشعر .

(٢) في الأصل : بشمال .
(٣) في الأصل : بفعلال .

القيروان مفلولاً ، فكان مع ابن عمه الفضل إلى أن تكَلَّب عليه ابنُ الجارود ، ثم قتلَه بعد أن استرجعه من طريقه ، وأطلق عبد الله بن يزيد وأمره وأخاه المهب بن يزيد ونصر بن حبيب وجماعتهم بالتجهز والخروج من إفريقية ، فخرجوا إلى المشرق .

٢٤ — سليمان بن حميد الغافقي ، أبو داوود^(١)

فارس العرب قاطبة بالمغرب في عصره ، وأحسن الناس لساناً ، وأبلغهم إلى معرفة أيام العرب وأخبارها ، ورواية لوقائعها وأشعارها ، مع دعاية كانت فيه وعبث لا يدعه ؛ فُحِلَّتْ عنه في ذلك نوادر مستطرفة وحكايات مستملحة .

وخافه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري فسجنه وأخاه محمداً ، ولم يكن بدونه . وكان محمد — وهو أكبر من سليمان — والياً على الأربُس ، فثار على عبد الرحمن بن حبيب . وسرحهما إلياس بن حبيب — حين قتل أخاه عبد الرحمن^(٢) — وولى إفريقية بعده ، واستعان بهما في ذلك وعاش

(١) فرغ ابن الأبار بعد الترجمة لعبد الله بن يزيد بن حاتم من أمراء العصر الأول، في المغرب والأندلس الذين روى لهم شعر ، وبدأ بعد ذلك بالترجمة لمن عاصروهم من وجوه الناس ، من أثر عنه شعر ، وبدأ بسليمان بن حميد الغافقي هذا ، وكان معاصراً لعبد الرحمن بن حبيب الذى سنتحدث عنه في التعليق التالى .

(٢) عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري مغامر كبير قضى عمره كله في طلب الولاية والفتن والقلاقل في الأندلس والمغرب . وقد ظهر أمره بعد مقتل كلثوم ابن عياض القشيري في معركة حامية دارت بينه وبين خالد بن حميد الزناتى خليفة ميسرة المدغرى ، وأنصارها من الإباضيين والصُفريين ، وكان أبوه حبيب بن أبي عبيدة يتولى قتال خالد بن حميد الزناتى قبل أن يأتى كلثوم ويتولى القيادة دونه ، فقتل حبيب بن أبي عبيدة واختلف مع كلثوم ابن عياض القشيري ، وكانت النتيجة انهزام كلثوم ومقتله وفراق حبيب بن أبي عبيدة إلى =

سليمان [... ...]^(١) يزيد بن حاتم المهلبى فقصدا قسطنطينية . وهو القاتل في يوم أبى زرجونة^(٢) :

وما إن صددنا عنهم خوفَ بأَمِهِمْ وحاشا لنا أن نتقى بأسَ بَرِّبَرَا
وإنا إذا ما الحربُ أُسْعِرَ نارُها لَنَلتَقَى المنايا دارِعِينَ وحُسْمَرَا
ونغدُو بصبرٍ حينَ تشتجرُ القَنَا فلستَ ترى منا على الموتِ أصبرا
ولكن أردنا ذلَّ قومٍ تطاولوا علينا وأبدوا نخوةً وتكبِرا

= إفريقية بطائفة من فل الجيش وفرّ بلج بن بشر ابن أخت عياض بطائفة أخرى إلى الغرب حيث تحصنوا بسبته كما روي . وفى أثناء ذلك هرب عبد الرحمن بن حبيب إلى الأندلس ، وحاول الوصول إلى السلطان فيها ففشل ، فعاد إلى إفريقية فى جمادى الأولى سنة ١٢٧ ، وجمع نفراً من أنصار بيته - بيت عقبة بن نافع - وسار لمقاتلة حنظلة بن صفوان الذى تولى أمر إفريقية فى ربيع الآخر سنة ١٢٤ . وقد رأى حنظلة من سوء فعل عبد الرحمن وقلة تورعه عن أى عمل للوصول إلى السلطان ما جعله يعل العمل فى إفريقية فتركها فى جمادى الآخرة سنة ١٢٧/ مارس ٧٤٥ وانفرد بأمرها عبد الرحمن بن حبيب ، وثار عليه معظم رؤسائها ، فخاض معهم حروباً طويلة انتصر فيها ، وتمكن من أن يستصدر من مروان بن محمد أمراً بإقامته والياً على إفريقية والأندلس . ولما انتقل الأمر إلى العباسيين دخل فى طاعة أبى عبد الله السفاح ثم انقلب عليه . وكان يعينه فى ذلك كله إخوته إلیاس وعمران وعبد الوارث . ثم اختلف مع أخويه إلیاس وعبد الوارث ، فدبرا اغتيال أخيهما عبد الرحمن وإعادة الدعوة لبني العباس ، وتمكنا من قتله . وتولى الأمر إلیاس بن حبيب ، ولكن حبيباً ابن أخيه عبد الرحمن لم يسكت لمقتل أبيه وانضم إليه عمران ، ودارت رحى حرب طويلة انتصر فيها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمه إلیاس وقتله ، وتولى أمر إفريقية . وهرب عبد الوارث . أخو إلیاس وحليفه إلى قبيلة من البربر تسمى ورفجومة وأثارها على حبيب بن عبد الرحمن ، ولم يستطع هذا الثبات لورفجومة وزعيمها عاصم بن جميل ، فانهزم وقتل فى المحرم سنة ١٤٠/ مايو ٧٥٧ . « وكانت ولاية عبد الرحمن ابن حبيب ١٠ سنين وأشهر ، وولاية إلیاس ٦ أشهر ، وولاية حبيب بن عبد الرحمن سنة واحدة و٦ أشهر » . النويرى : ٤١ - ٤٦ .

(١) يياض بالأصل ، يمكن ملؤه بعبارة مثل « وبنوه إلى أيام » .

(٢) لم أجد تعريفاً بهذا اليوم فيما بين يديّ من المراجع .

٢٥ — عبد الله بن الجارود العبدي ، ويقال له عبديوه

لما غلب على القيروان ، وأخرج الفضل بن روح ثم رده وأرداه ، بعد صيته واستعلاظ أمره ؛ وزحف إليه مالك بن المنذر السكبي من « ميلة » في جند حصن ثأثرين بالفضل ، فصرع مالك بسهم في تقاتلهما ونجا ابن الجارود . ثم زحف إليه العلاء بن سعيد الملهبي من الزاب — ولم تكن لابن الجارود به طاقة — فصادفه قد خرج من القيروان ليلقي خليفة هرثمة بن أعين ، وقد قدمه بين يديه ، وذلك [٢٤ - ب] / مُستهل صفر سنة تسع وسبعين ومائة . وكان الرشيد لما بلغه خبر ابن الجارود قد وجه إليه من تلطف به حتى أقدمه عليه ، وكانت أيامه سبعة أشهر . وقدم هرثمة بن أعين والياً على إفريقية .

ومن شعره عند فتكه بمحمد بن الفارسي ، وكان من أصحابه ثم خرج عليه في أهل خراسان ومن أطاعه ، وتناهضا للحرب فسكر ابن الجارود به ، ودعاه إلى الكلام ، وأمر شجاعاً من فرسانه إذا رآه معه أن يفتك به ، فتم ذلك وانهمزم أصحابه . وقال ابن الجارود في ذلك ^(١) :

(١) سبق أن ذكرنا ابن الجارود وما كان من حربه مع الفضل بن روح بن حاتم . وجميع الرجال الذين ذكرهم ابن الأبار هنا ورد ذكرهم عند ابن عذاري (٨٦/١ - ٨٨) والنويري (١٢٧ - ١٣٠) . أما الحادثة التي أوجزها ابن الأبار هنا فقد أوردها النويري بتفصيل يهمني منه هنا أن محمد بن يزيد الفارسي — الذي يغلب على ظننا أنه ابن واقد أيضاً — كان من رجال الفضل بن روح بن حاتم وأنصاره ، ثم انقلب عليه وانضم إلى ابن الجارود طالما كان النبطان له . فلما أقام هارون الرشيد هرثمة بن أعين عاملاً على إفريقية أرسل معه رجالاته من ثقاته منهم يقطين بن موسى ، وكان من كبار جند الخراسانية ، وكان نفر كبير من جند إفريقية خراسانيين ، وبثأيديهم تمكن ابن الجارود من هزيمة الفضل بن روح بن حاتم ومن كان يؤيده من الجند العرب . وقد تمكن يقطين من إقناع ابن الجارود بالعودة إلى الطاعة ، ولكنه تلكأ في الخروج إلى بغداد . فلجأ يقطين إلى الخيلة . واتفق مع محمد بن يزيد الفارسي على أن =

لقد رامني ابنُ الفارسيّ بكيدِهِ فوافقَ أمضى منه عزماً وأكيداً
 عشيةً أدعوه^(١) لسمع منطقي فأعجزه إصدارُ ما كان أورداً
 فداريتُهُ حتى اطمأن جنائهُ وكنتُ امرأً مثلي أغار وأنجداً
 أشرتُ إلى ذى نجدةٍ^(٢) فانكفالهُ بأسمَرِ خطيِّ إذا مال أقصداً
 فما زال قابَ القوسِ إلا وعاملُ^(٣) من الرمحِ دامٍ بينَ خَضَنِيهِ^(٤) قد بدداً
 فقل للعلاء^(٥) : قد أصابتُ محمداً مَنِيَّةُ يومٍ ، فارتقبْ مثلاً غداً

= يترك ابن الجارود « ووعده بالتقدم وقيادة ألف فارس وصلة وقطية في أى المواضع شاء ، على أن يفسد حال عبد الله بن الجارود ، ففعل ذلك ، وسعى في إفساد الخواطر على ابن الجارود » ، وقد عرف ابن الجارود كيف ينتقم منه . فلما التقيا للحرب دعاه للتحدث معه كأنه يريد أن يعرض عليه أمراً قبل القتال ، فانخدع محمد بن يزيد الفارسي وخرج إليه ، وكان ابن الجارود قد أرصد له رجلاً من أنصاره يسمى أباطالب ، فانقض عليه أثناء الحديث وقتله .

(١) الأصل : يدعوه ، وقد قومتها للسياق .

(٢) الإشارة هنا إلى أبي طالب الذى ذكرناه .

(٣) عاملُ الرمحِ وعاملته صدره دون السنان ، ويجمع عوامل ؛ وقيل عاملِ الرمح

ما يلى السنان (اللسان : ٥٠٥/٤) .

(٤) كذا فى الأصل ، والحركات واردة فى المخطوط . ولم أجده فى المعاجم ، والأغلب

أنه « خَضَنِيهِ » ومعناه هنا : جَنِيْبِهِ .

(٥) هو العلاء بن سعيد ، كان والياً للفضل بن روح بن حاتم على الزاب ، فلما قتل ابنُ

الجارود الفضل بن روح بمعاونة الجند الخراسانية نهض قادة العرب بمن معهم للثأر منه ، وقد تولى ذلك شمدون القائد . وكان أول من استجاب للنداء أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي عامل

« ميلة » ، فالتقى مع ابن الجارود فانهمز وقُتل ، فأرسل شمدون إلى العلاء بن سعيد فاستقدمه

من الزاب ، وكان فى جنده عدد عظيم من البربر ، فأقبل العلاء بن سعيد إلى الأربس - وهو الموضع

الذى قتل فيه أبو عبد الله مالك بن المنذر - واجتمع بشمدون القائد وفلاح بن عبد الرحمن الكلاعى

وغيرهما من القواد . وفى هذه الأثناء أرسل الرشيد هرثمة بن أعين أميراً على إفريقية ، فأرسل

هرثمة يقطين بن موسى ، وكان من رؤساء جند الخراسانية ، ليقنع ابن الجارود بالدخول

فى الطاعة ، فلما أبلغه نبأ استعمال الرشيد هرثمة أجاب بالسمع والطاعة ، لكنه رفض الخروج =

وهو القائل أيضاً في مصرع مالك بن المنذر ، يخاطب العلاء بن سعيد
عند ما زحف إليه :

أفي كلِّ يومٍ نائزٌ قتلتُهُ بفضلٍ^(١) ، وما ينفكُّ للفضلِ نائزٌ
قضيتُ لنفسِي النَّذْرَ في قتلِ مالكٍ وإني لها قتلَ العلاءِ الناذرُ
فما للعلاءِ خيرةٌ في لقائنا وليس له في الناسِ إن فرَّ عاذرُ

٢٦ — مالك بن المنذر الكلبي ، أبو عبد الله

كان والياً على « ميلة » ، فدعاه جند حمص وغيرهم من العرب فأمرّوه
لطلب نثار الفضل بن روح . واجتمع إليه الناس والتقى هو وابن الجارود فانهزم
أصحابُ مالك ، فترجّل عن فرسه وشدّ في نفرٍ من أصحابه وهو يقول :

يا موتُ إني مالكُ بنُ المنذرِ أهتكُ حَشَوَ البَيْضِ والسَّنَوَرِ
[٢٥-١] / أَقْتُلُ مَنْ صَابَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرِ كَأَنِّي أَفْعَلُ مَا لَمْ يُقْدَرِ

= من إفريقية وقال : « . . . مع العلاء البربر ، فإن تركت الثغروثب البربر فأخذوه ، وقتلوا
العلاء ، ولا يدخله وال لأمر المؤمنين أبداً ، فأكون أشأم الخلق على هذا الثغر ، ولكن أخرجُ
إلى العلاء ، فإن ظفري فشانكم بالثغر ، وإن ظفرتُ انتظرتُ قدوم هرثمة . . . » ولم يستطع
ابن الجارود أن يهزم العلاء ، بل اضطر إلى مغادرة إفريقية . وقد استولى العلاء على القيروان
بعد ذلك ثم دخل في طاعة الرشيد وقال إنه صاحب الفضل في إخراج ابن الجارود من المغرب
وتخليصه منه ، فأجازه هرثمة بجائزة سنية ، وأرسل إليه الرشيد ١٠٠ ألف درهم سوى الكساء ،
وخرج يريد بغداد فأت بمصر ، وكان ذلك سنة ١٧٩ هـ ٧٩٥٪ . النويري ١٢٩ - ١٣٠ .

(١) يريد الفضل بن روح بن حاتم .

نفرج إليه ابن الجارود وهو يقول :

إِلَى فَاذُنْ ، مَالِكَ بْنَ مُنْذِرٍ أَنَا الَّذِي قَتَلْتُ رَبَّ الْمُنْبِرِ^(١)
جَرَعْتُهُ كَأْسَ الْحِمَامِ الْأَحْمَرِ فَاصْبِرْ سَتَلْقَاهُ وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ
فَقَتْلُ مَالِكٍ بِهِمْ وَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ .

٢٧ - العلاء بن سعيد بن مروان المهلبى

كان والياً على الزاب ، فأقبل منها لمحاربة ابن الجارود . ولما وصل إلى
الأَرْبُس اجتمع مع أهل الشام ، وبلغ ذلك ابن الجارود فقال : « أفي كل يوم
ثائرٌ قد قتلته » . . الأبيات الرائية المتقدمة ، وكتب إليه كتاباً معها لجوابه
العلاء عنه وقال يخاطبه :

الْعَمْرُكَ يَا عَبْدُؤَيَّ مَا كُنْتُ تَارِكًا دَمَ الْفَضْلِ أَوْ يَكْسُونِي التُّرْبُ ثَائِرُ
نَذَرْتَنِي دُمِي فَانْظُرْ إِذَا مَا لَقِيتَنِي عَلَى مَنْ بَكَأْسِيهَا تَدُورُ الدَّوَائِرُ
سَتَعْلَمُ إِنِّي أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي إِلَى أَيْ قَرْنٍ أَسْلَمْتُكَ الْمَقَادِرُ
ثُمَّ أَقْبَلَ الْعَلَاءُ فَصَادَفَ ابْنَ الْجَارُودِ قَدْ خَرَجَ إِلَى يَحْيَى بْنِ مُوسَى خَلِيفَةِ
هَرَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ ، فَكَانَ الْعَلَاءُ يَدَّعِي أَنَّهُ الَّذِي أَخْرَجَ ابْنَ الْجَارُودِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةِ .

(١) الإشارة هنا إلى الفضل بن روح بن حاتم أيضاً .

٢٨ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مزين الأودي^(١)

أصل سلفه من أكنشونية ، وصارت بها لعقبه رئاسة بعد افتراق الجماعة بقرطبة إلى أن غلب على آخرهم المعتضد عباد بن محمد صاحب إشبيلية .

وسكن إبراهيم هذا - وهو والد يحيى بن إبراهيم بن مزين الفقيه صاحب تفسير الموطأ - قرطبة ، وكان يتعاقب مع الحجاب وجلة الوزراء والقواد في أيام الحكم بن هشام . ثم ولاه إمارة طليطلة أعواماً متصلة ، وكان قد وليها قبله جدّه إبراهيم بن مزين الكاتب ، وابن الفرضي يجعل بنى مزين موالى [٢٥ - ب] رَملة بنت عثمان بن عفان / رضى الله عنه . وإبراهيم بن محمد هو القائل :

يَا أَيُّ أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ مَلِيحٍ لَيْسَ فِيهِ لَعْنٌ تَأْمَلُ «لَوْلَا»
رَوْضَةُ الْحُسْنِ فِيكَ تَزْهَى وَلَكِنْ كُلُّ حَوْلٍ يَنْبِقُ رِيْعُكَ حَوْلًا

٢٩ - محمد بن مقاتل بن حكيم العكي

ولاه الرشيد إفريقية بعد هرثمة بن أعين ، وكان - فيما يقال - رضيع

(١) بنو مزين أسرة معروفة في الأندلس ، وأشهر رجالها محمد بن عيسى بن مزين المؤرخ والفقيه المعروف . ولم أجد عن إبراهيم هذا إلا إشارة يسيرة يبدو أنها تدور على جدّه إبراهيم بن مزين أيضاً (الضبي ، بغية الملتبس ، رقم ٥٢١ ص ٢١٠) . أما يحيى ابنه فقد ترجم له ابن الفرضي وقال إنه مولى رَملة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من أهل قرطبة وأصله من طليطلة ، وهو تلميذ عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى والغازي بن قيس وطبقتهم ، لى أنه من الطبقة الثانية من مالكية الأندلس . وله كتب كثيرة ذكرها ابن الفرضي (رقم ١٥٥٦ ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧) توفي ١٢ جمادى الأولى ٢٥٩/ ١٧ مارس ٨٧٢ .

الرشيذ . وكان جعفر بن يحيى شديد العناية به ، فقدم القيروان سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان ، وكان أبوه مقاتل بن حكيم من كبار القائمين بالدعوة العباسية ، وحضر مع قحطبة بن شبيب حروب مروانية ، ثم قتله عبد الله بن علي لما خلع وأدعى الأمر .

ولم يلبث محمد بن مقاتل أن اضطرب أمره ، واختلف عليه جنده ، وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي — وكان عامله عليها ، وهو جد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام صاحب « طبقات إفريقية » — فزحف إلى القيروان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، فخرج إليه ابن العكبي فانهزم ، ودخل تمام القيروان في آخر رمضان المذكور ، فأمنه على دمه وماله على أن يخرج عنهم .

وكان إبراهيم بن الأغلب والياً على الزاب ، فنهض منها في نصرة محمد بن مقاتل . وعلم تمام أنه لا طاقة له به ، فتنخلى عن القيروان ورجع إلى تونس .

ودخل إبراهيم القيروان ، فبدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم صعد المنبر فخطب الناس وأعلمهم أن أميرهم محمد بن مقاتل . وكتب إليه فأقبل راجعاً^(١) .

وأراد تمام أن يحرّش بينهما فكتب إلى محمد بن مقاتل كتاباً في آخره^(٢) :
وما كان إبراهيم من فضل طاعة يرؤ عليك الشفر لكن لتقتلا
فلو كنت ذا علم وعقل بكيديه لما كنت منه يا ابن عك لتقبلا
فهما تشأ يمنعك منه ابن غالب ومهما يشأ فيك ابن أغلب يفعل

(١) أورد التويري (١٣١-١٣٢) وابن عذارى (٩٠/٢) الخبر بتفصيل . قال ابن عذارى : « فدخل ابن الأغلب القيروان ، وابتدر المسجد الجامع ، وصعد المنبر ، وكان بليغاً ، فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة محمد بن مقاتل ، وأنه هو أميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين ، وكتب إلى العكي يخبره بما فعل في حقه ، ويؤكد عليه في الوصول ، فأقبل راجعاً . »

(٢) راجع نص هذا الكتاب عند ابن عذارى : ٩١/٢ .

فجأوبه العكي بنقيض ذلك وكتب في أسفل كتابه :

[٢٦-١] / وإني لأرجو إن لقيت ابن أغلب غداً في المنايا أن تُفَلَ وتُقتَلَ
تُلاقِ فتى يستصحب الموت في الوغى ويحمي بصدر الرمح عزاً مؤثلاً
كأنك قد صاحت في بطن كفه من البيض محمود المهزة مفضلاً
وأقبل تمام ثانية في عسكر ضخم ، فخرج إليه إبراهيم وابن العكي وراءه ،
فانهزم تمام عند التقائهما . وعاد ابن العكي إلى القيروان واتبعه^(١) إبراهيم
إلى تونس ، فطلب منه الأمان فأمنه ورحل به إلى القيروان . وبعقب هذا ورد
كتاب الرشيد بعزل ابن العكي وتولية إبراهيم بن الأغلب .

٣٠ - الخصيب مولى ابن العكي

قدّمه محمد بن مقاتل مولاه لحرب مغلّد بن مرة^(٢) — الخارج عليه قبل
تمام بن تميم — وأمره على الجيش الفاهد مُحِبِّته ، فصَبَّح القوم آمَنَ ما كانوا ؛

(١) الضمير هنا عائد على تمام بن تميم . ويبدو أن الناسخ أسقط هنا شيئاً ، وإليك الخبر
كما يقصّه ابن عذارى في حوادث ٧٩٩/١٨٣ و ٨٠٠/١٨٤ : « وأقبل تمام من تونس بعسكر
عظيم ، وأمر ابن العكي من معه من أهل الطاعة بالخروج إليه مع إبراهيم بن الأغلب ، فتقاتلوا
قتالاً شديداً ، فانهزم تمام ، وانصرف ابن العكي إلى القيروان ، وأمر إبراهيم بن الأغلب
بالمسير إلى تونس . وفي سنة ١٨٤ خرج العسكر من القيروان لحصار تونس وقاتل تمام وذلك
في المحرم منها ، فلما بلغ تماماً إقباله طلب الأمان منه ، فأمنه إبراهيم ، وأقبل به إلى القيروان
يوم جمعة ، ثمان خلون من المحرم المذكور » (٩٢/٢ - ٩٣) .

(٢) زيادة في التعريف بالحوادث التي يذكرها ابن الأبار هنا نورد الفقرة التالية من
« نهاية الأرب » للثوري (ص ١٣١) : « ولما كتب هرثمة [ابن أعين] إلى هارون [الرشيد]
يسأله الإعفاء وجه محمد بن مقاتل [العكي] أميراً للغرب ، وكان رضيع هارون ، فقدم القيروان
في شهر رمضان سنة ١٨١ ، ولم يكن بالحمود البيرة ، فاضطربت عليه أحواله واختلفت جنده ، =

وهم خمسمائة من أهل خراسان والشام . وكان الذي هاج ذلك فلاح بن عبد الرحمن الكلاعي ، فقتل مخلد بن مرة أميرهم وعدة ممن كان معه ، وانهزم أصحابه إلى تونس . ومّر الخصبُ بمنزل فلاح فأحرقه ، وأخذ أسراته فانطلق بها وقال في ذلك :

لو كنت حُرًّا يا فلاحُ صبرتَ لي وحيثَ عِرْسَكَ والفتى يَحْمِي
لكنْ هربتَ من القِرَاعِ وأسلمتْ كَفَاكَ حُرْمَتَهَا على الرَّغْمِ
ما النجمُ أبعدُ منك — لو طالبتَهُ لَنَالَهُ بيدُكَ — مِن سَلَمِي

٣١ — تمام بن تميم الدارمي التميمي ، أبو الجهم

القائم على ابن العكي المذكور آنفاً

وهو ابن عم إبراهيم بن الأغلب . قد تقدم من خبره وشعره ما أغنى عن إعادته هنا ؛ وفي « الكتاب المغرب عن أخبار المغرب » تأليف أبي علي الحسن بن أبي سعيد القيرواني ، أن تمامًا هذا لما سمع بحركة إبراهيم بن الأغلب إليه من الزّاب في محاربته ونصر ابن العكّي ، كتب إليه كتاباً يستدعيه ويستعطفه وكتب في أسفله :

« وكان سبب الاضطراب عليه أنه اقتطع من أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية ، فقام فلاح [بن عبد الرحمن الكلاعي القائد] ، ومثي في أهل الشام وخراسان ، حتى اجتمع رأيهم على تقديم مرة بن مخلد الأزدي (وفي مخطوط آخر : الأسدي ، وكذلك عند ابن عذارى وابن الأثير) وخرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي ، وكان عامله عليها ، فبايعه جماعة من القواد وأهل الشام وأهل خراسان ، فخرج في النصف من شهر رمضان سنة ١٨٣ إلى القيروان ، وخرج إليه ابن العكي ، فبين معه ، فقاتله قتالا شديداً في « منية الخيل » فانهزم ابن العكي ، ودخل القيروان ، وتحصن في دار كان قد بناها ، وجلا عن دار الإمارة . . » ، وقد أضفت الحواصر والأقواس وما بينها زيادة في التوضيح .

[٢٦ - ب] / أُقَدِّمُ إِبْرَاهِيمَ عَلِيًّا بِفَضْلِهِ وَحَقُّ لَهُ فِي الْأَمْرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ
وَقُلْتُ لَهُ : فَاحْكُمْ فَحُكْمُكَ جَائِزٌ عَلَيْنَا فَقَدْ أَصْبَحْتَ فِينَا مُقَدَّمًا
وَرُدَّ فِي بِلَادِ الزَّابِ مَا شِئْتَ قَادِرًا وَإِنْ شِئْتَ مُلْكَ الْغَرْبِ خُذْهُ مُسَلِّمًا
لِجَاوِبِهِ ابْنِ الْأَغْلَبِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَكُتِبَ إِلَيْهِ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

دَعَوْتَ إِلَى مَا لَوْ رَضِيتُ بِمِثْلِهِ لَمَا كُنْتُ - يَا تَمَامُ - فِيهِ مُقَدَّمًا
سَأَجْعَلُ حُكْمِي فِيكَ ضَرْبَةَ صَارِمٍ إِذَا مَا عَلَا مِنْكَ الْمَفَارِقَ صَمِيمًا
سَتَعْلَمُ لَوْ قَدْ صَاحَفْتِكَ زِمَاحُنَا بِكَفِّ الْمَنَايَا ، أَثْنَا كَانَ أَظْلَمًا
فَذَكَرَ عَنْ فَلَاحِ الْكَلَالِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « كُنْتُ عِنْدَ تَمَامٍ يَوْمَ قَرَأَ كِتَابَ
إِبْرَاهِيمَ ، فَذَهَبَ لَوْنُهُ ثُمَّ ارْتَمَدَ حَتَّى سَقَطَ الْكِتَابُ مِنْ يَدِهِ » . وَكَانَ صَارِمًا
شَجَاعًا مُمَدِّحًا ، وَفِيهِ يَقُولُ الْفَضْلُ بْنُ النَّهْشَلِيِّ يَمْدَحُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَصَحْتُ وَمَنْزَلُهَا مِصْرٌ وَمَنْزَلُنَا بِالْقَيْرَوَانِ ، وَيَا تَشَوَّاقَ مُغْتَرِبِ
أَخَا بَنِي نَهْشَلٍ ، دَعَاهَا فَقَدْ نَزَحْتُ وَامْدُخْ قَرِيعَ مَقَدٍّ وَاحِدَ الْغَرْبِ
تَمَامُ كَبِشُ بْنُ عَدْنَانَ قَاطِبَةً الدَّارِمِيُّ الْكَرِيمُ الْبَيْتِ وَالنَّسَبِ
الْفَارِسُ الْبَطْلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ وَالنَّاعِشُ الرَّاشِ الْفَرَّاجُ لِلْكَرْبِ
تَأْوَى إِلَيْهِ نِزَارٌ حِينَ يَدْتَهُمَا رَيْبُ الزَّمَانِ وَتَخْشَى سَطْوَةَ النُّوبِ
أَعْطَى بَنُو دَارِمٍ فِي الْمَجْدِ رَايَتَهَا بَنِي الْمُجَاشِعِ يَوْمَ الْفَخْرِ وَالْحَسْبِ

قَالَ أَبُو الْعَرَبِ ، وَذَكَرَ وَلَايَةَ جَدِّهِ تَمَامٍ هَذَا إِفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلِ
الْعَسْكَيَّ : « تَمَامُ بْنُ تَمِيمٍ : هَذَا هُوَ جَدُّنَا ، هُوَ ابْنُ الْقَادِمِ مِنَ الْمَشْرِقِ » . قَالَ :
« وَتُوفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ بِبَغْدَادٍ » .

وَفِي « الْكِتَابِ الْمَعْرُوبِ عَنْ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ » أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَغْلَبِ لَمَّا صَارَ
الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعَثَ بِهِ وَبِجَاعَةٍ مَعَهُ - مِنْ وَجْهِهِ الْجَنْدَ الَّذِينَ كَانَ شَأْنُهُمُ الْوُثُوبُ

على الأمراء — إلى الرشيد ، فأما تمام فإنه حُبِسَ إلى أن مات في حبسه .

وحُكِيَ أن الرشيدَ / وعد أخاه سلمة بن تميم إطلاقه ، وبلغ ذلك إبراهيم [٢٧-١]
ابن الأغلب فكتب إلى عمته وهي ببغداد في سَمِّه ، فاشتبهى تمام حوتاً فسَمَّته
له ، فمات من أكله بعد أن ذهب بصره في المطبق قبل موته بشهر . وعلم
الرشيدُ بذلك فترحم عليه وتوجع له ، وأحسن إلى سلمة أخيه وصرفه إلى إفريقية .

٣٣ — إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أبو إسحق

ولاه الرشيدُ إفريقيةَ بعد محمد بن مقاتل العسكى فاستقلَّ بمملكها وأورثَ
سلطانها بنيه نيفاً على مائة سنة . وكان فقيهاً عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، ذا رأى
وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها ، جرىء الجنان طويل اللسان حسن
السيرة ، لم يل إفريقيةَ أحدٌ قبله من الأمراء أعدل في سيرة ولا أحسن لسياسةٍ
ولا أرفق برعيةٍ ولا أضبط لأمرٍ منه .

وكان في أول حالته كثير الطلب للعلم والاختلاف إلى الليث بن سعد
الفقيه ؛ والليثُ وهب له « جَلَّالٌ » أمَّ ابنه زيادة الله ، فخرج بها حتى وصل
الزَّاب — وعلى إفريقية يومئذ الفضل بن روح بن حاتم — فلقى من تعصبه
وسوء مجاورته عظيماً . وأقام أخوه عبد الله بن الأغلب بمصر ، وكان ذا نعمة
عظيمة ، فلما توفي ارتحل بنوه إلى إفريقية .

وولى الزَّاب من قبل هارون الرشيد وابن العسكى على إفريقية ، وقد تقدم
خبرُ نصرته لابن العسكى إلى أن صُرف إبراهيم سنة أربع وثمانين ومائة .

وتوجه إلى المشرق ، فلما بلغ طرابلس دَلَّسَ له كاتبه داوود القيرواني على لسان
الرشيد كتاباً بإقراره على إفريقية وانصرافه إلى عمله ، فتمشَّى ذلك زماناً .
وبلغ الرشيد فظاظه ، وأنسجل لإبراهيم بولاية إفريقية ثانية ، فاشتد عند ذلك
سلطانُه وعظُم دون الملوك الذين تقدموه شأنه ، وخرج ابنُ العسكَيَّ من إفريقية
وأعمالها . وعلى هذه الحال لم يُكافِ إبراهيم على حُسن ما أسلفه في جانبه
إلا بأفصح الأفعال .

ومن فضائل إبراهيم الماثورة ، وجلال أنبائه المسطورة ، أنه عفا عن داوود
كاتب ابن العسكَيَّ وأسقط التثريبَ عليه وقَبِلَ متابَهَ فأَمَنَه واستعمله ، وقد
ذكرتُ ذلك في تأليفي المترجم بـ « إعتاب الكتّاب »^(١) ، وهو القائل وقد
خَلَفَ أهله بمصر في قصده الزَّاب :

[٢٧-ب] / ما سِرْتُ مَيْلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلا وذكرَكَ يَنْثَى دَائِباً عُنْيَى
ولا ذكرْتُكَ إلا بَتُّ مُرْتَفِقاً أرعى النجومَ كأنَّ الموتَ مُعْتَنِقَى

البيت الأول نظير قول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في زوجه :

إذا سرتُ ميلاً أو تغنّتُ حمامةً دعتنى دواعى الشوق من أمَّ خالدٍ

وكان محمد بن سيرين يقول : « هو أشوق بيت قالت له العرب » .

وقال إبراهيم وهو بالزّاب في قتل ابن الجارود للفضل بن رَوْح بن حاتم ،
وقد بلغه أن نصر بن حبيب المهلبى^(٢) أشار برَدِّ الفضل من طريقه ، لأنه خاف .

(١) انظر : إعتاب الكتّاب لابن الأبار ، بتحقيق الدكتور صلاح الأشر (مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق) دمشق ١٩٦١ ، رقم ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) نصر بن حبيب المهلبى ، رابع من تولى أمر إفريقية من المهالبة ، وليها في ٢٠

رمضان ١٧٤/٣١ يناير ٧٩١ بعد موت روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ،

أن يحدث حدثاً فيقتله ابنُ الجارود بسببه^(١) :

يا نصرُ قد أصبحتَ الأمّ من مَفَى منكم^(٢) والأمّ حاضرٍ معلوم
لما أشرتَ بردٌ فضلٍ بعدما قطعَ البلادَ على أقب^(٣) رَسُوم
لم ترَضَ بالخذلانِ حتى كِدَتَه لا زلتَ مخذولاً بغيرِ حِمٍ
ما كفتَ حينَ غدوتَ تنشرُ لحيَةً فيها لِقومك غَدَرَةٌ بكرِيمٍ
لو كان ناداني أجبتُ دعاءه بالخيلِ أفحمُها بسمَدِ تميمٍ^(٤)
خيلٌ بها أهدي النايَا للعدَى وبها أفرّج كُرْبَةَ المكظومِ

= وكان هذا الأخير شيخاً مسناً غلب عليه الضعف حتى كان يغلبه النعاس إذا جلس للناس ، فكتب أبو العنبر القائد وصاحبُ البريد إلى الرشيد يقترحان تولية نصر بن حبيب سرّاً ، حتى إذا مات الفضل لم يضطرب الأمر ، فأجاب الرشيد . وعندما توفي روح بن حاتم في التاريخ المذكور حاول ابنه قبيصة أن يتولى الأمر بدون عهد ، ولكنه اضطر للخيل لنصر عندما تبين أن الرشيد عهد إليه . وقد أقام نصر والياً على المغرب سنتين وثلاثة أشهر ، إذ عزل بالفضل بن روح بن حاتم في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

انظر : التويرى ، ص ١٢٧ .

(١) يفهم من هذا أن إبراهيم بن الأغلب قال هذه الأبيات قبل ولايته أمر إفريقية بزم طويل ، فقد قتل الفضل سنة ١٧٨ / ٧٩٤ ، وتولى إبراهيم إفريقية في منتصف جمادى الآخرة سنة ١٨٤ / يونيو ٨٠٠ . وظاهر من الأبيات أن ابن الأغلب كان يتهم نصر بن حبيب المهلبى بأنه كان سبب قتل الفضل بن روح بن حاتم على يد ابن الجارود . وذلك أن هذا الأخير بعد أن هزم الفضل ودخل القيروان أخرج الفضل منها وتركه ليعود إلى المشرق ، ثم رده برأى نصر بن حبيب المهلبى كما يفهم من ذلك الخبر ، وكانت النتيجة أن قتل الفضل وأخرج بقية بنى المهلب من إفريقية . ويبدو أن نصر بن حبيب فعل ذلك انتقاماً من الفضل ، لأن هذا ، بعد وفاة أبيه روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب في رمضان سنة ١٧٤ ، ذهب إلى بغداد وأقام على باب الرشيد يلح في طلب الولاية حتى أجيب إلى طلبه ، ف عزل نصر بن حبيب وتولى الفضل في المحرم ١٧٧ / أبريل ٧٩٣ .

(٢) الإشارة هنا إلى بنى المهلب .

(٣) الفرس الأقب هو الذى لحقت خاصرته بحاليه ، كناية عن الضمور . اللسان :

١٥٢/٢ . والرّسوم هو الفرس اللين السير مع سرعته .

(٤) من المعلوم أن بنى الأغلب تميميون .

وقال أيضاً في دخوله القيروان قائماً بنصرة ابن العكي وهرب تمام بن
تميم أمامه :

لو كنتُ لاقيتُ تماماً لصالَ بهِ ضربٌ يفرِّقُ بينَ الروحِ والجسدِ
لكنه حينَ شامَ الموتَ يقدُّمُنِي ولِّي فراراً وخَلَّى لِي عنَ البلدِ
إنَ يستقمُ نَفْءُ عما كانَ قدَّمهُ وإنَ يَعدُّ بعدَهَا في غدرَةٍ نَعْدِ
ثم نزل عن المنبر وكتب إلى محمد بن مقاتل يستعيده إلى عمله وقال
في ذلك :

أنشكروُ عنا ما صنعتُ برِّهاً^(١) وردِّي عليها الثغرَ أمْ هي تكفُّرُ ؟
[٢٨ - ١] / نَفَيْتُ لها التَّمامَ^(٢) بالسيفِ عَنوةً ولم يُغنِه في الله ما يَتَمَضَّرُ
فأقبلَ إلى ما كنتُ خلَّفتُ كارهاً فقد ذاد سيفي عنكَ ما كنتُ تحذرُ
وقال أيضاً في ذلك :

ألم تَرَنِي رَدَدْتُ طريدَ عَكٍ وقد تَزَحَّتْ بهِ أيدى الركبِ
أخذتُ الثغرَ في سبعينَ مِنًا وقد أوفى على شرفِ الذهبِ
هزمتُ لهم بَعْدَتَهُم أُلُوفًا كأنَّ رَعِيائَهُم قَزَعُ السحابِ
قال إبراهيم هذا لأنه قصد لنصرة ابن العكي في سبعين فارساً من أهل بيته
وخاصته إقداماً ونجدة ، فقال بعض شعراء إفريقية في ذلك :

ما سر يوم لإبراهيم نعلمهُ إلا وشيئته للجود والبأسِ

(١) المراد برِّهاً هنا والياً أوحاكها ، والإشارة إلى تمكنه من رد محمد بن مقاتل
العكي إلى الولاية بعد هروبه .

(٢) التمام هو تمام بن تميم القمي .

ولما حارب تماماً وابن العكبي بالقيروان ، حل على الميمنة وهو يقول :
أطعنهم ولا أرى لي كفواً حتى أنال ما أريدُ عفواً
أو أخسون كأس المنايا حسوا

ثم رجع إلى الميسرة بعد أن كسر الميمنة وهو يقول :
قد علمتُ سعدٌ وأبناءه مضرٌ أني ممتٌ عزها أن يُعتصر
وأني نخارها لمن فخر

فقتضها ، ثم رجع إلى القلب فشده عليه وهو يقول :
يا قلبُ قد أبصرتَ صاحبيكا ما لقياً مني فخذُ إليكا
ضرباً يمور وقمه عليكاً كيف ترى دفعي بجانبيكاً
وحمل أصحابه فكانت الهزيمة على تمام .

وله حين وجهه بمن كان يخاف أمرهم من وجوه الجند إلى الرشيد^(١) :
ما سار كيدى إلى قومٍ وإن كثروا إلا رعى شعبهم بالحزم فأنصدا
ولا أقول ، إذا ما الأمرُ نازلي : « ياليتَه كان مصروفاً ! » ، وقد وقفا
/ حتى أجليته قهراً بمعزهم كما يجلي الدجى بدر إذا طلعا [٢٨-ب]
قوماً قتلتُ وقوماً قد نفيتهم ساموا الخلاف بأرض الغرب والبدعا
كلأ جزيتهم صدعاً بصدعهم وكل ذى عمل يُجزى بما صنعا

(١) سبق أن ذكر ابن الأبار كيف أرسل إبراهيم بن الأغلب تمام بن تميم التميمي وأخاه سلمة إلى بغداد ، حيث حبسه الرشيد في المطبق حتى مات فيه . وجاء في نهاية الأرب للذويري : « فلما صار الأمر إلى إبراهيم بن الأغلب بعث تماماً بن تميم وغيره من وجوه الجند الذين شأنهم بالوثوب على الأمراء إلى بغداد ، فحبسوا في المطبق » (ص ١٣٢) .

وله أيضاً وهو من جيّد شعره :

ألم ترني أُرْدَيْتُ بالكَيْدِ راشداً وأنى بأخري لابنِ إدريسٍ راصداً
تفاوَلُهُ عِزِي عَلَى نَأْيِ دَارِهِ بِمُخْتَوِمَةٍ فِي طَيِّبِنَ السَّكَاذُ
وَقَدْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَفُوتَ مَكَائِدِي كَمَا كَانَ يَخْشَانِي عَلَى الْبُعْدِ رَاشِداً
ثَلَاثُونَ أَلْفًا سُقَّتْهُنَّ لِقَتْلِهِ لِأَصْلَحِ بِالْغَرْبِ الَّذِي هُوَ فَاسِداً
فَأُضْحِي لَدَيْنَا رَاشِداً يَنْتَبِذُهُ بَنَاتُ الْمَنَايَا وَالْحِسَانُ الْخِرَائِدُ
فَتَنَاهَ أَخُو عَاكِ بِمَهْلَكِ رَاشِدٍ وَقَدْ كُنْتُ فِيهِ سَاهِراً وَهُوَ رَاقِدُ^(١)

راشد هذا هو مولى عيسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وكان عاقلاً شجاعاً أيداً ، خرج بإدريس بن عبد الله أخى مولاه عند انهزامه في وقعة « فنج » — وقد تقدم ذكرها — وانتمس به في حاج أهل مصر ، وغير زيه وألبسه مدرعة وعمامة غليظة ، وصيره كالغلام يخدمه ، وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك . وتخلص إلى إفريقية في خبر طويل ، فترك دخولها ثم سار به في بلاد البربر حتى انتهى إلى فاس وطنججة ، فأظهر إدريس هنالك أمره وأخبر بنسبه ، ودعا البربر إليه فأجابوه ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، في السنة التي توفى فيها عبد الرحمن بن معاوية وولى ابنه هشام الرضا ، وفي السنة الثانية من خلافة هارون الرشيد ، أقام بين أظهر البربر ملكاً مطاعاً . وبلغ الرشيد خبره فشق عليه ، وشكا ذلك إلى يحيى بن خالد فدرس إليه من

(١) سيفصل ابن الأبار بعد ذلك كيف دبر إبراهيم بن الأغلب قتل راشد ، وكان ذلك أثناء ولايته للزباب ، أي قبل أن يلى إفريقية ، وسيذكر كيف أن محمد بن مقاتل العكي زعم هارون الرشيد أنه هو الذى قتل راشداً ، ثم علم الرشيد بذلك ، فكان من أسباب توليته إفريقية . وهذه الأبيات ظاهرة النحل ، فهي تخلط بين مقتل راشد وموت إدريس الأول مسموماً .

سَمَّه في غالية ، وقيل في ذَرُور^(١) استَنَّ به ، وقيل في دُلَّاعة^(٢) قطعها بسكين ، نصفُها مسموم والثاني غير مسموم ، وقيل في بطيخة . وهرب هو / وصاحب له ، [٢٩-١]
فيقال إن راشداً اتبعهما وقد بعدا فأدرَكهما وهو وحده على فرسه ، فشَد عليهما بسيفه فضرب أحدهما وفات الآخر ؛ وانصرف راشد وهلك إدريس .

ويقال إن الذي دَسَّ الرشيدُ إليه ليسمه هو الشماخ اليمامي^(٣) ، وكتب له إلى إبراهيم بن الأغلب . فوصل إلى إدريس وعرفه أنه مُتَطَبَّب وأنه من أوليائهم ، فاطمأن إليه وأنس به . وشكا إليه عِلَّة في أسنانه ، فأعطاه سَنُونَا مسموماً وأمره أن يَسْتَنَّ به عند طلوع الفجر ، وهرب تحت الليل . فلما طلع الفجر استَنَّ إدريس بذلك السنون فقتله ، وطَلَب الشماخ فلم يُقدَّر عليه . وقدم

(١) الذرور كل مسحوق يتداوى به ، والسنون كل مسحوق يستعمل دواءً للأسنان ، وكانوا يستنون أو يستاكون به .

(٢) الدَّلَّاعة مفرد دُلَّاع ، وهو البطيخ أنواع منه ، وقد عرفه صاحب الكتاب المنصوري بأنه البطيخ اخندي أو السندي نسبة إلى السند (ومن هنا تسمى البطيخة في إسبانيا إلى اليوم sandia) ويسمى أيضاً البطيخ الفلسطيني ، وقال أبو القاسم الزهراوى إنه البطيخ الشامى . ويفهم من النص هنا أن الدلاع غير البطيخ ، أو أنه صنف منه على أى حال . وقد قال الرحالة ريتشاردسون إن الدلاع بطيخ صغير مر الطعم . وفي المغرب إلى اليوم يسمى البطيخ : دُلَّاح ، أما ما نعرفه بالشام فيسمى البطيخ ، وعلى هذا فيكون تفسير عبارة ابن الأبار أن إدريس الأول سَمَّ في شَماعة أو بطيخة . والروايات كثيرة عن ذلك الحادث .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ١٤٥٧/١ .

وروض القرطاس لابن عبد الحليم أو ابن أبي زرع ، طبعة حجر في فاس ، ص ٥ .

وابن خلدون ، تاريخ (بولاق) : ١٣/٤ .

وابن عذارى ، البيان : ٨٣/١ .

(٣) هو إدريس الشماخ الذى سبق ذكره . وقال عنه ابن خلدون : « ودس إليه الرشيد مولى من موالى المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ » (١٣/٤) ، وورد اسمه في روض القرطاس : سليمان بن حريز (ص ٩) ، وذكره أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى السلاوى صاحب كتاب « الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى » . (الدار البيضاء ، ١٩٥٤) ج ١ ص ١٥٨ : سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ .

على إبراهيم بن الأغلب فأخبره ، فكتب إبراهيم إلى الرشيد بذلك ، فوكلَّ
الشاخَ بريدَ مصر وأجازه . وقد تقدم عند ذكره أن الذي سمى سليمان بن جرير
في سمكة مشوية ، وقال في ذلك أشجع السلمي من شعراء الرشيد :

أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخُلَيْفَةِ أَوْ يَقِيكَ حِذَارُ
إِنِ السَّيْفِ إِذَا انْتَضَاهَا عَزْمُهُ طَالَتْ وَتَقْصُرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
هِيَهَاتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِلَدَةٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ

وكانت مدة سلطان إدريس بالمغرب ، إلى أن مات بوليلي سنة خمس
— وقيل سنة أربع — وسبعين ومائة ، ثلاثة أعوام وستة أشهر .

وكان قد خرج إلى سبّنة في شيبان سنة ثلاث وسبعين ، وإلى تازا في
جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ، وترك حملا من إحدى جواريه ، فقام راشد
بأمر البربر حتى ولدت غلاما ، فسمّاه باسم أبيه « إدريس » وكفله إلى أن
بلغ الغلام .

وعلا أمر راشد واستفحل ، وهمّ بغزو إفريقية لما كان فيه من القوة وكثرة
الجنود ، فكاده إبراهيم بن الأغلب من الزاب موضع ولايته ، ودسّ إلى
أصحابه ، وبذل لهم الأموال إلى أن اغتالوه وبعثوا برأسه إليه ، فبعث به إلى ابن
مقاتل العكّي وأخبره بكيده إياه وتديره في قتله ، فبعث به العكّي إلى هارون
[٢٩ - ب] الرشيد ونسب ذلك إلى نفسه / دون إبراهيم ، فكتب صاحبُ بريد المغرب
إلى هارون بصنيع إبراهيم في راشد . فعلى إثر ذلك ولى الرشيدُ إبراهيمَ بنَ
الأغلب إفريقيةَ وصرف عنها العكّي .

وقد قيلَ إِنَّ الرشيدَ إنما دسّ إلى إدريس من اغتاله وخاطبَ إبراهيمَ
[... ..] ^(١) به وهو عامل له على إفريقية ؛ والأولُ أصح . وتوفى إبراهيمُ

(١) يياض بالأصل يمكن أن نكله بعبارة مثل : بن الأغلب بأن يُنَى .

في شوال لثمانٍ ليالٍ بقين منه سنة ست وتسعين ومائة ، وهو ابنُ ست وخمسين سنة ؛ فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام .

٣٣ - يحيى بن الفضل بن النعمان التميمي ، أبو العباس

كان صاحبَ بريد المغرب أيامَ ابنِ العسكى ، وهو القائل لتَمَّام بن تميم حين بلغه إقبالُ إبراهيم بنِ الأغلب إليه :

أَتَمَّامُ لَا تَقْعُدْ فَإِنِّي نَاصِحٌ وَخُذْ مُهْلَةً إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ هَارِبًا
وإِلَّا فَعُدْ مِنْ سَخَطِهِ بِأَمَانِهِ فَلَسْتَ بِلَاقٍ لِابْنِ أَغْلَبٍ غَالِبًا
وَلَا تَخْشَوْنَ كُلَّمَا فُلَيْسُ بِنَافِعٍ تَحْسِيكَ مَا فِيهَا إِذَا كُنْتَ^(١) شَارِبًا

٣٤ - خَرِيشُ^(٢) بن عبد الرحمن بن خريش الكِنْدِيُّ

ثار بتونس ، وكان صهرَ الحسن بن حرب الكِنْدِيِّ المخالفِ على الأغلب ابنِ سالم . ولم يكن من الجند ، ولكنه من أبناء العرب الذين كانوا بإفريقية

(١) في الأصل إن ، ولا يستقيم بها الوزن .

(٢) كذا ورد اسمه في الأصل بكل وضوح ، ولكن النويري (ص ١٤٥) وابن خلدون (١٩٦/٤) جعلاه : حمديس ، وتابعهما في ذلك فوندرهايدن في كتابه عن الأغالبة :

M. VONDERHEYDEN, *La Berbérie Orientale sous la Dynastie des Benou'Arlab*, 800-909 (Paris, 1929) pp. 87 sqq.

وقد كتب هذا المؤلف اسم الأغلب هكذا : Arlab لكن ينطق حرف ʿ غيناً كما هو في النطق الفرنسي ، وهو مذهب مستهجن لم يتابعه فيه أحد .

أما ابن عذارى فقد اكتفى بقوله : « وثار عليه الكندي بتونس » فأراح نفسه . وستبين من أبيات إبراهيم بن الأغلب - يوردها ابن الأبار فيما بعد - أن صحة الاسم خريش .

وقد يكون بالحاء لا بالحاء ، فقد وجدت اسم خريش كثير التوارد .

قبل المُسَوَّدَة ، فخلع المُسَوَّدَة وأتاه العربُ والبربرُ من كل ناحية^(١) . فلما كثر جمعه كتب إلى إبراهيم بن الأغلب :

« من خريش القائم بالعدل إلى إبراهيم بن الأغلب .

أما بعد ، فإني أقتُ عن الخروج قبل يومى هذا لأنى كنت أنتظر أن تفنيكم الحرب ؛ فلمرى لقد أَرانا الله فيكم ما قوَّى به أهلَ دعوةِ الحقِّ عليكم . فلما وُلِّيتَ أنت وعلمتَ أنهم مقسومون بين خوف منك ورجاء لك ، عرفت قلة طمعهم فيك . ولو كان أحدٌ ممن ولىَ هذا النغر ممن لا نرى طاعته يستحق أن نرضى بولايته ، لكنتَ أنت ذلك . وقد كان على بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول : « إذا ولىَ عنكم عدوُّكم من أهلِ الملة فلا تتبعوهم » . ولستُ أطلبُك إن خرجتَ عن النغر ، فلا تُردُّ أن تضلَّيَ بحرَّبي ، وليكنْ رأيُك طلبَ سَلَمي ؛ والسلام . »

وكتب في آخر كتابه :

قُلْ جَهْرَةً لِأَبِي إِسْحَاقَ تَنْصَحُهُ هَذَا فَرَأَيْكُمْ لِلْغَرْبِ قَدْ حَانَ
[٣٠ - ١] / فلا يعود إليه منكم أحدٌ حتى يعودَ من الأجداثِ مَوْتَانَا
فَارْجِعْ عَنِ الْغَرْبِ أَوْ أَلْقِ السَّوَادَ بِهِ^(٢) لَا تَخْتَرِمَكَ الْمَنَافَا حِينَ تَلْقَانَا

(١) هذه العبارة عظيمة الأهمية ، وهى تكشف لنا عن حقيقة حركات بنى عبيدة بن عقبة ابن نافع وتمام بن تميم وسليمان بن حميد الغافقي وابن الجارود ومن إليهم ، فهؤلاء هم عرب إفريقية الذين دخلوها أيام الفتح واستقروا فيها ، ونشأ فيها أبناؤهم يرون أنفسهم أهل البلد وأولى بحكمه من الولاة الذين ترسلهم الخلافة وجندهم ، وهذه الحقيقة تكشف لنا سر هذا الصراع وسببه . وقد انضم إلى أولئك العرب الأفارقة جماعات من البربر ، لأنهم كانوا أقرب إليهم من الولاة وجندهم .

(٢) كان عمران بن مجالد ثائراً على دعوة بنى العباس ، وكان هو وجنده كارهين لها ، حتى كان أصحابه يهتفون أثناء قتالهم مع جند إبراهيم بن الأغلب : « بغداد ، بغداد ! فلا والله لا اتخذنا لكم طاعة بعد اليوم أبداً » (النويرى : ١٣٥ - ١٣٦) ، ولهذا فهو يدعو ابن الأغلب هنا إلى خلع السواد إشارة للخروج على بنى العباس . وكان عمران من رؤساء الجند ، وكان أول =

وسوف تعلم أن الموت يسمع لي إذا التقت بنواحي الفحص^(١) خيلاً
فلما قرأ إبراهيم كتابه كتب إليه :

« من إبراهيم بن الأغلب إلى خريش رأس الضلال .
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد

فإن مثلك مثل البعوضة التي قالت للنخلة إذ^(٢) سقطت عليها : « استمسي
فإني أريد الطيران ! » فقالت النخلة : « ما شعرتُ بسقوطك فيكرهني
طيرانك » . فأما انتظارك في الحرب فناء ، فلو لم يبق في المغرب من أهل الطاعة
غيري ما وصلت أنت في من معك بخلافكم إليه ، ولرجوت أن أظفر بكم بطاعتي
ونصرة دولة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؛ فكيف وعندي من شيعته وأبناء
أنصاره من يعلم الله أني أرجوه أن ينتقم منك على يدي ؟ وأما ما ذكرت عن علي
ابن أبي طالب رضوان الله عليه ، فذاك أمر غاب عنك . وإن كان كما ذكرت
فلمست منهم ، لأن أهل الملة خلافهم خلاف هدي^(٣) في نقمة على جور ،
وخلافكم خلاف فرقة دين وشق عصا المسلمين ، ونقمتهم ما هو الله رضا .
وستعلم أنت وأصحابك إن لقيناكم غداً أنا سنتبعكم ، وإن صبرتم أنا سنفنيكم .

= الأمر من أنصار إبراهيم بن الأغلب ، ثم اختلف معه في خبر يحكيه التويري بالتفصيل ملخصه
أن عمران سار مع إبراهيم مرة يحدثه مسافة طويلة ، ثم تبين أنه سار عن كلامه ، فغضب ، ثم
كانت الحرب بينهما ؛ وهو سبب فيما يبدو لنا تافه . والحقيقة - كما تستبين من ثنايا الحوادث -
أن إبراهيم بن الأغلب لم يجد مالا ليؤدي أرزاق جنده ، فبعث - فيما يبدو - يطلب مدداً من
الخليفة ، فتأخر . وفي أثناء ذلك فكر عمران في خلع الطاعة ، ودعا ابن الأغلب إلى أن يفعل
فعله ، فأبى ، فكان الخلاف .

(١) المراد فحص تونس ، وهو السهل المحيط بها .

(٢) الأصل : وسقطت عليها ، وما أثبتناه أوفق للمعنى .

(٣) في الأصل : هوى ، وقد قومناه للمعنى .

وأما ذكرك الفحص فإن تركتك حتى تصير إليه فأنا في مثل جلدك»^(١) .
وكتب إليه :

بَلِّغْ خُرَيْشًا بَأْنِي سَوْفَ أَصْبَحُهُ كَلَسًا سَيَقْرَعُ مِنْهَا سِنَّ حَيْرَانَا
تَهْدِي الطَّعَانَ لَهُ سُمْرٌ مُثَقَّفَةٌ تَقْرَى أَسْنَتُهَا فِي الْحَرْبِ أَعْدَانَا
مِنْ كُلِّ أَزْرَقٍ يَغْتَالُ النُّفُوسَ بِهِ يَضْحَى بِهِ مِنْ دَمِ الْأَجَوافِ مَلَانَا
وَسَوْفَ تَعْلَمُ هَلْ أَتَى السَّوَادَ إِذَا أَرْسَتْ إِلَيْكَ الْمَنَافَا حِينَ تَلْقَانَا
إِنِّي سَأَهْدِي إِلَيْكَ الْمَوْتَ فِي عَطَبٍ فَاشْرَبْ مِنْتَهُ مِنْ كَفِّ عِمْرَانَا

ثم بعث إلى عمران بن مُجَالِدٍ^(٢) يحضه على قتاله ولقائه قبل خروجه من تونس ، وأوصاه بما يعمل . فلقى عمران بِسَيْخَةِ تُونِسَ ، فأنكشف خُرَيْشٌ وَأَصْحَابُهُ وَقُتِلَ ، ودخل عمرانُ تُونِسَ يُتَبِعُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى أَفْنَاهُمْ / وكان خروجه سنة ست وثمانين ومائة .

٣٥ — عمران بن مجالد بن يزيد الربعي

ثار على إبراهيم بن الأغلب ، وكان قبل ذلك في طاعته ومناصحته ، وحضر معه قتال تمام بن تميم ، وخرج نائباً عنه لقتال خُرَيْش بن عبد الرحمن المذكور آنفاً . ولما قوى أمره أتى بعسكره حتى نزل بين القيروان وبين قصر إبراهيم ،

(١) الأصل : جلدك . وابن الأغلب يريد أن يقول أنه إذا تركه يصل إلى فحص تونس أصبح مثله ، ولهذا أصلحتها إلى « جلدك » وكذلك فعل ماركوس مولر .
(٢) في الأصل : مجاهد ، وهو خطأ كما سترى في ترجمته التي تلى هذه الترجمة . وهو عند ابن خلدون : عمران بن مجالد (١٩٦/٤) وعند التويري : ابن مجالد ، وفي نسخة : مُجَالِد (ص ١٣٥) وعند ابن الأثير : ابن مخلد (ج ٦ ص ١٠٧ من طبعة تورنبرج بأوبسالا بالسويد) .

وصارت القيروانُ في يده . وبعث إلى أسد بن القرات ليخرج معه فأبى أسدٌ وتمارض ، فبعث إليه : « إما أن تخرج وإلا بعثتُ من يجر برجلك ! » فقال أسد : « والله لئن أخرجتني لأنادينَّ في الناس : القاتل والمقتول في النار ! » فتركه عند ذلك .

وخندق إبراهيمُ حول مدينته^(١) ، ودامت الحرب بينهما سنة . ثم ضعف عمران فهرب إلى ناحية الزاب ، وسأل الأمان — هو وعمرو بن معاوية وعاصم ابن المعمر — من إبراهيم ، فأجابهم إلى ذلك .

وبقى عمران بالزاب إلى وفاة إبراهيم ومصير الأمر إلى ابنه أبي العباس عبد الله ، فكتب إليه عمرانُ يسأله تجديد الأمان فأمنه وأسكنه القصرَ معه ، وكان يغدو عليه ويروح إلى أن سعى به ، وقيل لعبد الله : « هذا نار على أيك وحاله حاله » . فبعث إليه في الظهيرة ، فلم يشك في الشر . وكان عبدُ الله قد قال لمولى له : « إذا وردَ عليَّ وهو مشتغل بالنظر فلا يشعُر إلا وقد رميت برأسه » ، فكان ذلك على ما حدّده . وكان يحيى بن سلام الفقيه صاحبُ التفسير قد سَفَرَ بينهما في الأمان على ماله ونفسه وولده ، فلما قتله وجد لذلك وقال : « لا أسكن بلدًا أخفِرَ فيه العهدُ على يدي » ، فخرج إلى مصر ثم مضى إلى مكة فحج ، ورجع فلم يلبث إلا يسيراً حتى اعتلَّ ومات ، ودُفن بمصر سنة مائتين . ومن شعر عمران في حرب إبراهيم بن الأغلب مع تمام بن تميم ، وقد برز من الصف :

(١) مدينته هي القصر القديم قرب القيروان . وهي حصن ابتناه إبراهيم بن الأغلب . لينتقل إليه مع أهله وجنده وحشمه ، إذ كان يخشى أجناد العرب والخراسانيين لكثرة ثوراتهم . على الولاة قبله . وقد بدأ إبراهيم بن الأغلب في شراء الصقالبة والماليك حتى كَوَّن منهم جيشاً ، ثم انتقل إلى ذلك الحصن الذي عرف بالقصر القديم ، وأنشأ حوله قصوراً أخرى ومسجداً ومعسكراً لحنّده . وابن خلدون يسميه العباسية (١٩٦/٤) .

يَا رُسُلَ الْمَوْتِ أَنَا عِمْرَانُ أَنَا الَّذِي أَنْتُمْ لَهُ أَعْوَانُ
تُصَعِّقُ مِنْ خِيفَتِي الْفَرَسَانُ يَضْحَكُ عَنْ أَيَامِنَا الزَّمَانُ
نَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى دَانُوا نَقْتُلُ أَهْلَ النَّكْثِ حَيْثُ كَانُوا
نَفْرَجُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ تَمَامٍ وَهُوَ يَقُولُ :

ارْجِعْ عَلَى ظَلَمِكَ يَا عِمْرَانُ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ لَهُ تَهْتَانُ
/ يَسْقِيكَهُ مِنْ رَاحَتِي سِنَانُ وَالظَّنُّ يَجْلُو شَكَّهُ الْعِيَانُ [١-٣١]
فَشَدَّ عَلَيْهِ عِمْرَانُ فَطَعَنَهُ فِي ثُنْدُوْتِهِ فَبَدَا عَامِلُ الرُّمَحِ مِنْ خَلْفِهِ .

٣٦ - عامر بن المعمر بن سنان التيمي ، تيم الرباب^(١)

كَانَ عَلَى شُرْطَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ مَعَ عِمْرَانَ بْنِ مُجَالِدٍ
وَعَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالرَّئِاسَةُ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الثُّورَةِ لِعِمْرَانَ ، إِلَى أَنْ اسْتَأْمَنُوا
جَمِيعًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّهُمْ . وَكَانَ عَامِرٌ عَلَى قَسْطِيلِيَّةٍ وَالْيَا ، وَهُوَ الْقَاتِلُ فِيمَا وَقَعَ
بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مِقَاتِلٍ وَتَمَامِ بْنِ تَيْمٍ مِنَ الْحَرْبِ وَقِيَامِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ بِنُصْرَتِهِ :
إِذَا كُرْبَةٌ شَدَّتْ خِنَاقَ مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ابْنُ الْأَغْلَبِ فَارْجُ
أَتَاهُ بِتَمَامٍ عَلَى بَاسِهِ بِهِ يُقَادُّ وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْخَارِجُ
وَقَدْ كَانَ بِالْإِسْرَافِ أَلْقَى سَوَادَهُ وَلَمْ تَخْلُجْهُ فِي الْخِلَافِ الْخَوَالِجُ

(١) يريد أنه من تيم الرباب بن عبد مناة لا من تيم بن مرة أو تيم بن ثعلبة بن عكابة بن
صعب أو تيم الأورم بن غالب .

فعاجله بالكيد حتى استعادهُ وأدركه من بعد ما قيلَ خارجُ
ولو أنه يستودعُ الشمس نفسهُ إذا وَجَّتْ منه عليه الولائجُ
وله في خروج خُرَيْش بن عبد الرحمن بتونس :

لولا دفاعك يا ابنَ أَعْلَبَ أصبحتُ أرضُ الغروبِ رهينةَ لفسادِ
ولعمنا ذاكَ الخلافُ بفتنةٍ تعدو كتابها بغير سَوَادِ
قالوا غداةَ لقائهمُ : لا ننثني حتى نَحُلَّ « أُلْهَلَدَ » من بغدادِ
فمنوا بأشوسَ ما تزالُ جِيادُه تشكو الوَحَى من غارةٍ وطِرَادِ
تُخَرَّتْ به سَعْدٌ فأصبح يَتُّها فوق الفراقِد ثابتَ الأوتادِ
ومن ولد عامر هذا حمزة بن أحمد بن عامر بن المعمر ، كان أديباً ظريفاً .

وأما أبوه المعمر بن سِفَّان فقدم مع يزيد بن حاتم المهلبي في ولايته إفريقية ،
وكان زميله في طريقه إذا ركب في عَمَارِيَّتِهِ ، لأنسه به واستماعه من حديثه . / [٣١ - ب]
وكان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها ووقائعها وأشعارها ، وعنه أخذ أهلُ
إفريقية حربَ غطفانَ وغيرها من وقائع العرب .

٣٧ - حمزة بن السبال

المعروف بالحرّون

أحد رؤساء القواد وشجعان الأجناد ، وكان له من إبراهيم بن الأغلب آثرُ
مكانٍ والطفُ محلٍّ ، لِقَدَمِ صُحْبَتِهِ إياه وتصرفه معه حيث تصرف حاله ،
فكان لا يدانيه عنده أخ ولا ولد ولا أحد من عشيرته . وكان والياً على طنبنة ،

ووجهه إلى الرشيد في القواد المتوثبين على الولاة بالقيروان [...]^(١) ولده ولد إبراهيم يتولون لهم [...]^(١) إلى قيادة إلى عمالة حتى انقرضت دولة بني الأغلب . ومن شعره في إيقاعه بالمذكورين فيه^(٢) :

سائلُ بأبراسي عَنّا وَوَقَعَتِنَا لما صَبَبْنَا القَنَا نَحُو ابنِ مِرْدَاسِ
وَلَّى وَخَلَّى سَعِيداً رَهْنَ نَافِذَةٍ مِنْ طَعْنِ أَرْوَغٍ لِلأرواحِ خَلَّاسِ
فإنِ يَتَوَبَّوا فَقَدْ ذاقُوا وَقائِعَنَا وإنِ يَعُودُوا نَعُدُّ أُخْرَى مِنَ الراسِ
وله في حرب خربش الخارج على ابن الأغلب :

إنِ غابَ إبراهيمُ عَنّا أَوْ حَضَرَ فَإِنِّي أَنصُرُهُ فِيمَنْ نَصَرَ
واللهِ لا أَرْجِعُ إِلَّا بِظَفَرٍ ليس يَمُوتُ المرءُ إِلَّا بِقَدَرٍ
وكلُّ مَنْ خَالَفَنَا فَقَدْ كَفَرَ

فجعل ما يشدُّ على ناحيةٍ إلا هَدَّها . وبرز فارس من عسكر تمام بن تميم في خلافه وهو يقول :

إنِ ظَفَرْتُ كَفَّيْ بِإِبْرَاهِيمَ هَدَدْتُ رَأْسَ العِزِّ مِنْ تَمِيمِ

(١) بياض بالأصل . ومن اليسير أن نسد هذا الفراغ ونقرأ العبارة هكذا : « [ثم خدم] ولده ولد إبراهيم يتولون لهم [من ولاية] إلى قيادة إلى عمالة » .

ويلاحظ أن إبراهيم بن الأغلب بعد أن صار إليه الأمر أراد أن يبعد عن إفريقية كل من كان يخشى انقلابه عليه من وجوه العرب والقواد ، فأرسلهم إلى بغداد حيث سجنوا هناك ، ومن بينهم حزّة هذا مع أنه كان صديقه . أما أولاد حزّة فاشتهر منهم محمد بن حزّة في حروب أبي محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب مع منصور الطنبلي . وقد قتل حزّة في شهر صفر ٢٠٩ / مايو ٨٢٣ في معركة حامية مع الطنبلي ورجاله في تونس .

(٢) لم أستطع تقويم هذا اللفظ ، وهو غير مفهوم . وقد جعله مولر « بالمذكورين فيه » وهو تقويم مقبول على اعتبار أن المراد : المذكورين في هذا الشعر .

فلما سمعه إبراهيم نادى حمزة : « يا حمزة ، اخرج إلى هذا الكلب ! »
فخرج إليه وهو يقول :

أَحْلِفْ بِالرَّكْنِ وَبِالْحَظِيمِ مَا فِيكُمْ كُفُوٌ لِإِبْرَاهِيمَ
لِيُصْبِحَنَّ الْيَوْمَ كَالصَّرِيمِ

ثم شدَّ عليه فقتله .

٣٨ - إبراهيم بن محمد الشيعي

/ من أبناء أهل خراسان ووجوه أصحاب إبراهيم بن الأغلب ، وكان أقرب [٣٢ - ١]
الناس إليه في [... ..]^(١) الداعية أهل خراسان ثم أهل الشام ثم أهل
البلد^(٢) ، وأنفذه رسولا إلى الرشيد وبعث صحبته برسل بهلول بن عبد الواحد^(٣)
المدغري ، فدخلوا عليه في اليوم الثالث من قدومهم بغداد . واستأذن الشيعي
هذا في الكلام بعد أن قال : « يا أمير المؤمنين ، رسولُ سيفك [... ..]^(٤) »
. دولتك إبراهيم بن الأغلب » ، فأذن له على إثر هذا الخطب [... ..]^(٤) . وكان

(١) بياض بالأصل ، نستطيع أن نسده بقولنا : في [قتال] الداعية . والداعية المشار
إليه هنا هو إدريس بن إدريس بن عبد الله الحسني ثاني أمراء الأدارسة بفاس . وكان بين الأدارسة
والأغلبة تنافس وصراع ، وقد رأينا أن إبراهيم بن سالم بن الأغلب كان من المتهمين بقتل
إدريس الأول .

(٢) هذه العبارة على أكبر جانب من الأهمية التاريخية ، فهي تلقى ضوءاً واضحاً على
تكوين القوة العسكرية للأغلبة ، وقيمة كل فريق من الفرق التي كانت تكونها . ويضاف إليهم
فرقة من العبيد السود كانوا هم الحرس الخاص لإبراهيم بن الأغلب وبنه من بعده .

(٣) يستحسن أن تقرأ هنا : وبعث صحبته برسل [منهم] بهلول بن عبد الواحد المدغري .

(٤) بياض بالأصل ، لا يعسر تصور ما ينبغي أن يكون فيه .

بليغاً مدركاً ، وهو القاتل في مجلس ابن الأغلب بالقيروان وبدار الإمارة منها
عند قدومه لمحاربة تمام بن تميم بعد محاورة حسنة :

لولا ابن أغلب أضحت الغرب ليس به عدل ولا لبني العباس سلطان
عمّ الخلاف قلوب القوم فابتدعوا إلا خصائص أدتها خراسان
جلا ابن أغلب عنا كل مظلمة فيها المطمع بسكر الخوف حيران
كادت شياطين تمام تزدن بنا بحر الضلالة والتمام [شيط]ان^(١)

٣٩ — عمرو^(٢) بن معاوية القيسي

هو من ولد عمير بن الحباب السلمي أحد فرسان قيس وساداتها الأربعة
في الإسلام ، وهم : عبد الله بن حازم ، والجحاف بن حكيم ، وعمير بن الحباب
المذكور ، وزفر بن الحرث . وكان عمرو بن معاوية [يتولى]^(٣) ناحية القصرين
من إفريقية ، وخرج على إبراهيم بن الأغلب مع عمران بن مجالد ، وكان وزيره
الغالب عليه في أموره . ثم خرج ثانية على ولده زيادة الله بن إبراهيم — وكان
قد ولّاه القصرين وما إليهما — فتغلب على تلك الناحية وأظهر الخلاف ،
فلما ظفر به زيادة الله قتله وولديه الحباب وسكتان^(٤) ، ودعا أهل بيته فشرب
معهم ورؤوسهم بين يديه ، ففضب لهم منصور بن نصر الجشمي^(٥) المعروف
بالطنبذني — وكان عاملاً على طرابلس — وتابعه الجند ، فاضطربت إفريقية

(١) بياض في الأصل .

(٢) في الأصل عمرو ولكنه في بقية النص عمرو فقومته على هذا النحو .

(٣) أضفت هذه الكلمة للسياق ، مستعيناً بما سيأتى بعد .

(٤) سبق أن علقنا على هذين الاسمين . انظر فهرس الأعلام .

(٥) كذا في الأصل ، وربما كانت أيضاً : الجشمي .

على زيادة الله وحُصِرَ في قصره ، ولم يبق في يده إلا الساحلُ وقابس^(١) / إلى أن [٣٢ - ب] قتل منصور واستأنس [. . .]^(٢) إلى زيادة الله وصَفَتْ له إفريقيةُ واستقامت بعد حروب طويلة وخطوب جليلة .

ومن شعر عمرو بن معاوية ما حُكى أن بعض أصحاب تمام بن تميم - يوم التقى هو وإبراهيم بن الأغلب ، عند خروج تمام على ابن المَكْشِي - برز من الصف وهو يقول :

اليومَ نسقيكم سِوَى المَدَامِ بالبيض يَهْوَى حَدَّهَا بالهامِ
حتى تُخَلُّوا الغربَ للتَّمامِ
وبرز إليه عمرو وهو يقول :

من مُبلَغٍ قولى إلى التَّمامِ حلفاً بِرَبِّ الحِلِّ والحرامِ
إليك محمول على الصَّئمِصَامِ وقد تلاقى حلقُ الحِزامِ
ثم شد عليه فأرداه عن فرسه .

٤٠ - بهلول بن عبد الواحد المدغرى

كان رئيساً في قومه ، وهو قام بأمر إدريس بن إدريس الحسنى صاحب الغرب ، ثم تغير عليه وفارقه ورجع إلى إبراهيم بن الأغلب عند ظهوره على إفريقية ، وذلك بتلطف إبراهيم في إفساد ما بينه وبين إدريس ، فجرت بينهما مكاتبات كان في بعضها مما كتبه البهلول إلى إبراهيم :

(١) الأصل : وفاس ، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) بياض في الأصل ، والمعنى مستقيم دون زيادة شيء .

لئن كنت تدعونى إلى الحق ناصحاً
لقدما أنانا عنك أنك ناصح
وأنت محمود النقائب عديم
فَعَجَّلَ على رد رأي فإنى
فجاوبه إبراهيم بقوله :

عرضت على البهلول ما إن أصابه
ليركب نهج الحق، والحق واضح
فلا تتزكن رُشد الهدى لضلالة
/ وبائع لهارون الإمام بطاعة
تعوّض منه طاعة بخلاف
ونهج العمى وعر المسالك عاف
كمستبدل رنق الشراب بطاف
تجده على الإسلام خير مكاف

المائة الثالثة

٤١ — عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن
الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،
أبو المطرف

وهو عبد الرحمن الأوسط والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس . يبيع له يوم
وفاة أبيه الحكم المعروف بالرَّبَضِيِّ يوم الخميس لثلاث — وقيل لأربع — بقين
من ذى الحجة سنة ست ومائتين ^(١) .

وكانت خلافته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام . وكان فصيحاً
مفوهاً شاعراً ، مع سعة العلم والحلم وقلة القبول للبغي والسماعات . وهو الذي
استكمل نخامة الملك بالأندلس ، وكسا الخلافة أبهة الجلالة . وظهر في أيامه

(١) يبيع لعبد الرحمن الأوسط بعد موت أبيه الحكم الربضي بيوم واحد ، أى يوم
الخميس ٢٦ ذى الحجة ٢٠٦ . وتاريخ وفاة الحكم الربضي ليس ثابتاً ، لأنه عندما شعر
بإقتراب منيته أخذ البيعة لابنه عبد الرحمن ثم لابنه المنيرة من بعده يوم الأربعاء ١١ ذى الحجة
٢٠٦ ، ثم دخل قصره واحتجب حتى مات بعد ذلك بأيام . والثابت هو تاريخ ولاية عبد الرحمن ،
ولمّا تابعتنا فيما قلناه هنا ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب : ٧٧/٢ .

الوزراء والقواد وأهل الكور ، وشيّد القصور ، وجلب المياه من الجبل ، وبني
الرصيف على الوادى ؛ وهو القائل متشوقاً ومفتخراً :

فقدتُ الهوى مذ فقدتُ الحبيباً فما أقطع الليلَ إلا نحيماً
ولما بدتُ لى شمسُ النّها ر طالعةً ذكرْتُنى « طَرُوباً »^(١)

(١) طروب هى جارية عبد الرحمن الأوسط المحببة إليه وأكبر جواريه سلطاناً عليه ،
رغم أنها كانت أقلهن وفاةً له . وقد كان عبد الرحمن مولماً بالنساء ، فاستكثر من
الجوارى ، وكثر لهذا أولاده ما بين ذكور وإناث . وكان أكبر أولاده ، والمرشح لخلافته
تبعاً لذلك ، ابنه محمد . ولم تذكر المراجع أمه ، لأنها توفيت بعيد ولادته على الأغلب ، لأن
التي أرضعته جارية أخرى من جوارى عبد الرحمن هى « الشفاء » وكانت بحيلة تقية عاقلة ،
خرجت مع زوجها الأمير فى إحدى غزواته فأصابها المرض ، فأعادها إلى قرطبة ، فأتت فى
الطريق ، ودفنت فى قرية مجاورة لطليطلة . وقد أنجبت طروب من الأمير عبد الرحمن ابناً
سمى عبد الله ، فطمحت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد له ، واجتهدت فى ذلك اجتهداً عظيماً
دون توفيق ، وأخيراً بلغت إلى ما بلغت إليه مثيلاتها فى ظروف مشابهة : دبرت اغتيال
عبد الرحمن وابنه محمد ليخلو الجولابنها ، واشترك فى المؤامرة نصر الفتي كبير خصيان القصر .
فكلفا مطبياً وفد من العراق فى ذلك الحين يسمى الحرّاني بأن يعدّ سماً ، فأعده خوفاً على نفسه
من طروب ، وأفشى السر إلى جارية أخرى تسمى « فخر » فأبلغت الأمير ، فلما أتاه نصر بالشراب
المسموم طلب إلى نصر أن يشربه فى حضرته ، فلم يستطع إلا أن يفعل ومات . أما طروب
فلا نسمع أن الأمير غضب عليها . وهذا يميل إلى الشك فى حكاية المؤامرة كلها ، وإن كانت
قد وردت عند الثقات من مؤرخينا ، إذ كيف يعقل أن تقوم طروب بذلك ثم لا يصيبها عقاب ؟
وإذا كان المراد هو التخلص من محمد ولّى العهد وأبيه عبد الرحمن ، فلماذا لم يقدم السم إلى هذا
أيضاً ؟ الحقيقة - فيما أحسب - أن عبد الرحمن أكثر من الجوارى ، وكانت جواريه معروفات
للناس بأسمائهن ، ذكر المؤرخون منهن طروباً والمؤمّرة والشفاء والمدنيّات الثلاث فضل وقلم
وعلم ، فكان ذلك مشاراً لكثير من الشائعات والأقاويل .

A. GONZALEZ PALENCIA انظر : التكلة لابن الأبار ، القسم الذى نشره

M. ALARCON فى الكتاب المسمى *Miscelánea de Estudios y textos Arabes*. Madrid.

أرقام ٢٨٥٢ و ٢٨٥٣ و ٢٨٥٤ و ٢٨٥٥ و ٢٨٥٦ و ٢٨٥٨ .

وابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص ٧٦ - ٧٧ .

فيا طولَ شوقٍ إلى وجهها ويا كبدًا أورتها نُدوبًا
 ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي وأوفرهم في فؤادي نصيبًا
 لئن حال دونك بُعدُ المزا رٍ من بعد أن كنت مني قريبًا
 لقد أورت الشوقُ جسمي الضنى وأضرم في القلب مني لهيبًا
 عداني عنك مزارُ العدا^(١) وقودى إليهم لهُمًا لهيبًا
 كائنٌ تخطيتُ من سبب^(٢) وجاوزتُ بعد دروبٍ دروبًا
 ألاقى بوجهي حرًّا الهجير إذا كاد منه الحصى أن يذوبًا^(٣)
 وأدّرعُ النفعَ حتى لَيْسَ تٌ من بعد نضرة وجهي شحوبًا
 / أريدُ بذلك ثوابَ الإله ومَن غـيره أبتغيه مُثيبًا [٣٣-ب]
 أنا ابنُ الهشامينِ من غالبِ أشبُّ حروبًا وأطفي حروبًا
 بيَ أداركُ اللهَ دينَ الهدى فأحييتُه واضطَلَمْتُ الصليبًا
 سَمَوْتُ إلى الشُّركِ في جَحْفَلٍ ملأتُ الحُزونَ بهِ والشُّهوبًا
 وذكرَ سَكَنُ بنُ إبراهيمَ الكاتبِ^(٤) وغـيره أنه أمر

(١) أورد ابن عذارى الأبيات ابتداءً من هنا ، وقال إن عبد الرحمن قالها عندما خرج لغزو جليقية سنة ٢٣٥ ، وأخطأ فقال : فقال عبد الرحمن ابن الشَّمر (٨٥٪٢ - ٨٦) ، وصحتها « فقال عبد الرحمن بن الحكم » .

(٢) عند ابن عذارى : وكَم قد تعسفت من سبب .

(٣) عند ابن عذارى :

ألاقى بوجهي سموم الهجب — سير وقد كاد منه الحصى أن يذوبًا
 (٤) لم نعر على أي تفصيل خاص بحياة سكن بن إبراهيم الكاتب على الرغم من أنه كان من أوائل المؤرخين في الأندلس ومجديهم ، فهو مصدر من مصادر ابن حيان ؛ وابن سعيد — في الذيل الذي علقه على رسالة فضل الأندلس لابن حزم — يسميه بالأخباري ، ويشئى عليه ويذكر له كتاباً عن طبقات الكتاب في الأندلس ، وقد سماه ابن حزم « سكن بن سعيد » . وكل ما لدينا من المعلومات عنه أنه كان من إشبيلية وأنه توفي سنة ١٠٦٥٪٤٥٧ .

انظر : الضبى ، بغية ، رقم ٨٣٤ ص ٣٠٣ .

لجارية^(١) من حظاياه بمقد جوهر كانت قيمته عشرة آلاف دينار ، فجعل بعض من حضره من وزرائه وخاصته يُعظم ذلك عليه ويقول : « إن هذا من الأعلام المضمون بها ، المدخرة للنائبة » ، فقال له عبد الرحمن : « ويحك ! إن لايس العقد أنفس خطراً ، وأرفع قدراً ، وأكرم جوهرأ . ولئن راق من هذه الحصباء منظرُها ، ولَطَفَ إفْرِئْذُها ، لقد برا الله من خلقه البشري جوهرأ تَعَشَّى منه الأبصار وتَنَبَّه الألباب . وهل على الأرض من شريف جوهرها ، وسَنَى زِبْرِجِها^(٢) ، ومُسْتَلَدَّ نعيمها ، وفاتن بهجتها ، أَقَرُّ لعينٍ ، أو أجمعُ لزينٍ ، من وجه أكل الله حُسْنَه ، وألقى عليه الجمالُ بهجته ؟ » ثم دعا بعبد الله بن الشمر^(٣) شاعره وجليسه فذكر له ما كان بينه وبين وزيره في شأن العقد وقال : « هل يحضرك

= المقرئ ، نفح الطيب (لايدن) : ١١٩/٢ .

جاينانجوس ، ترجمة القسم الأول من نفح الطيب المعروفة باسم *History of the*

Muhammedan Dynasties in Spain . ٤٦٤/١ .

الغزيري ، فهرس الإسكريال : ١٣٧/٢ .

يونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون ، رقم ١٠٤ ص ١٣٨ .

الترجمة الفرنسية لرسالة ابن حزم في فضل الأندلس التي عملها *Charles Pellat* ونشرها باسم :

Ibn Hazm, Bibliographe et Apologiste (Al - Andalus, XIX (1954) fasc. 1, § 27. p. 87 et n. 16.

وأنخل جنزالث پالنشيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة فاشر هذا الكتاب (القاهرة

١٩٥٥) ص ٢١٠ .

(١) قرأها دوزي (٦٢) : بحارية . وأورد نفس الخبر ابن عذارى في البيان

(٩٢/٢) وقال إن هذه الجارية هي طروب .

(٢) البيان (٩٢/٢) : زبرجدها .

(٣) عبد الله بن الشمر بن نعيم القرطبي ، شاعر عبد الرحمن الأوسط ومنجمه .

ترجم له ابن سعيد في « المغرب » ترجمة واسعة وجعله تحت علماء التنجيم ، وأورد كثيراً من شعره ونوادره في التنجيم (طبعة الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣) رقم ٥٩ ج ١

ص ١٢٤ .

شيء في تأكيد ما احتججنا به ؟ » ، قال : « نعم » ، وأطرق بُرَيْهَةَ
ثم أنشأ يقول :

أَتَقْرَنُ^(١) حصباء اليواقيت والشَّذَرِ إلى مَنْ تعالى عن سَنَا الشمسِ والبَذَرِ ؟
إلى مَنْ بَرَتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلَقَهُ ولم يَكْ شَيْئًا غَيْرُهُ أَحَدٌ يَبْرِي^(٢) ؟
فَأَكْرِمَ بِهِ مِنْ صَيْغَةٍ^(٣) اللَّهُ جَوْهَرًا تضاءلَ عنه جَوْهَرُ الْبَرِّ والبحرِ
لَهُ خَلَقَ الرَّحْمَنُ مَا فِي سَمَائِهِ وما فوقَ أرضِهِ وَمَكَّنَ فِي الْأَمْرِ
فَأَعْجَبَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِبِدْيَتِهِ ، وتحركَ طَبْعُهُ للقول وأنشأ يقول مناغياً
على رَوِيَّةَ :

قَرَيْضُكَ يَا ابْنَ الشَّمْرِ عَنِّي عَلَى الشَّعْرِ وَأُشْرِقَ بِالْإِيضَاحِ فِي الْوَهْمِ والفَكْرِ^(٤)
إِذَا جَالَ فِي سَمْعٍ يُؤَدِّي بِسِحْرِهِ إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ^(٥)
/ وَهَلْ بَرَأَ الرَّحْمَنُ فِي كُلِّ مَا بَرَأَ أَقْرَبَ لَعَيْنٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ بِكَرٍ [١-٣٤]
تَرَى الْوَرْدَ فَوْقَ الْيَاسْمِينِ بِحَدِّهَا كَمَا قَوَّفَ^(٦) الْروضُ الْمُنَوَّرُ بِالزَّهْرِ
فَلَوْ أَنَّي مُلِّكْتُ قَلْبِي وَنَظَرِي نَظَّمْتُهُمَا مِنْهَا عَلَى الْجِيدِ والنَّحْرِ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ الشَّمْرِ : « يَا ابْنَ الْخِلَائِفِ ، شِعْرُكَ وَاللَّهِ أَجُودُ مِنْ شِعْرِي ،

(١) الأصل : أَيْقَرَنُ ، والتصويب من البيان المغرب : ٩٢/٢ .

(٢) الأصل : يَبْصُرِي ، والتصويب من البيان : ٩٢/٢ .

(٣) في البيان : صِنْعَةٍ .

(٤) في البيان (٩٢/٢) : وَجَلَّ عَنْ الْأَوْهَامِ وَالذَّهْنِ والفَكْرِ .

(٥) في البيان (٩٢/٢) :

إِذَا شَافَهُتَهُ الْأُذُنُ أَدَّى بِسِحْرِهَا إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعًا فَجَلَّ عَنِ السَّحْرِ

(٦) عِنْدُ دَوْزَى : فَوْقَ ، وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ صَحِيحَةٌ . قَوَّفَ مِنَ الْقَوَفِ ، وَهُوَ الْبَيَاضُ

مَعَ رَقَّةِ (اللِّسَانِ : ١١٠/١٨٠) .

وثناؤك عليه أفضل من صِلتي ، وما مِنُحتُك لى إلا تَطَوَّلاً مِنك بغير استحقاق
منى » ، فأضعف جائزته وأكثر الثناء عليه ^(١) .
وله أيضاً فى النسب :

قتلتنى بهـواكا وما أحبُّ سِواكا
مَن لى بسحرِ جُفونٍ تُدبره عَيْنَاكا
وحمره فى بياضٍ تكسى به وجنتاكا
اعطِفْ علىَّ قليلاً وأخينى برضاكا
فقد قنعتُ وحسبى بأن أرى من رآكا

وحكى ابنُ فرج صاحب « كتاب الحقائق » أنه فرَّق فى يومٍ فصدَّ له
بِدْرَأ على مَن حَصَرَه ، وعبيدُ الله بن قرُّمان أحد خواصه ومواليه غائب فى باديته ،
فابتدر فوجد أمراً قد نفذ ، فكتب إليه بأبيات منها :

يا مَلِكاً حَلَّ ذُرَى المجدِ وعمَّ بالإنعام والرِّفْدِ
طُوبَى لِمَن أَسْمَعَتْهُ دَعْوَةٌ فى يَوْمِكَ المَانُوسِ بالقَصْدِ
فَظَلَّ ذاكَ اليَوْمَ مِن قَصْفِهِ مُسْتَوِطِناً فى جَنَّةِ الخُلْدِ
وقد عَدَانى أن أرى حاضراً جَدَّتى يُحْطِى الورى يكْدِى ^(٢)
فأَمَنَّ بِنُوبِلى جَدّاً لم يزلْ يَهُ أهلَ القُربِ والبُعدِ

(١) روى ابن عذارى (البيان : ٩٣/٢) نادرة لطيفة ، قال : ثم أمر لابن الشعر
ببذرة فيها خمسمائة دينار ، فخرج مع الوصيف يحملها له تحت إبطه ، فلما تواريا عن الأمير
قال له الوصيف : « أين لذات العمر يا ابن الشعر ؟ » فقال : « تحت إبطك يا سيدى . . »
(٢) الأصل : متى يحظ الورى يكد .

فوق في أسفل كتابه : « مَنْ آثَرَ التَّضَجُّعَ فَلْيَرْضَ بِحُظِّهِ مِنَ النَّوْمِ ! » ، فجوابه ابنُ قُرْلان بأبيات أولها :

* لَا نَمْتُ إِنْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ مُحْرَمًا *

فأمر له بالصَّلَّةَ وَرَدَّ فِي جَوَابِهِ :

لَا غَرَوْ أَنْ كُنْتُ مَمْنُوعًا وَمُحْرَمًا إِذْ غَبَتَ عَنَّا وَكَانَ الْعَرَفُ مَقْسُومًا
فَلَنْ يَنَالَ أَمْرُؤُ مِنْ حُظِّهِ أَمَلًا حَتَّى يَشُدَّ عَلَى الْإِجْهَادِ حَزَنُومًا
/ فَهَآكَ مِنْ سَيِّئِنَا مَا كُنْتَ تَأْمَلُهُ إِذْ تُحْتَفَى فَوْقَ رَجَاءِ الْوَرْدِ تَحْوِيمًا [٣٤ - ٣٥]

٤٢ - ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، أبو عبد الله

بُويعَ لَهُ فِي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا أَبُوهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ غَرَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَيْمَنَ الْخُلَفَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ مُلْكًا ، وَأَسْرَاهُمْ نَفْسًا ، وَأَكْرَمَهُمْ تَشْدِيدًا وَأَنَاةً ؛ وَكَانَ السَّمْعَى عِنْدَهُ سَاقِطًا . يَجْمَعُ إِلَى هَذِهِ الْخُلَالِ الشَّرِيفَةِ الْبَلَاغَةَ وَالْأَدَبَ . وَتَوَفَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ مُنْسَلَخٍ صَفَرٍ - وَقِيلَ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْهُ - سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِينَ [سَنَةٍ] ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا . وَهُوَ الْقَائِلُ فِي مَنْصَرَفِهِ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ :

قَتَلْتُ فَأَغْدَتُ السِّیُوفَ عَنِ الْحَرْبِ وَمَا أَغْدَتُ عَنِ السِّیُوفِ مِنَ الْحُبِّ
صَدْرْتُ وَبِی لِلْبَعْدِ مَا بِی ، فَزَادَنِی إِلَى الشُّوقِ أَشْوَاقًا رَجَائِي فِي الْقُرْبِ
أَحُلُّ شِدَادِي فِي السَّرَادِقِ نَازِلًا وَلِلشُّوقِ عَقْدٌ لَيْسَ يَنْحُلُّ عَنِ قَلْبِي
أَقْرُبَةُ ، هَلْ لِي إِلَيْكَ وَفَادَةٌ تَقَرُّ بِعَيْنِي أَوْ تَهْتَدُ مِنْ جَنْبِي ؟

سَقَى الْقَصْرَ غَيْثًا بِالرِّصَافَةِ^(١) مِثْلَهُ وَجَادَتْ عَزَّالِيَهُ^(٢) كَجُودِي فِي الْجَدْبِ
 عَدَانِي عَدُوًّا عَنْ حَبِيبٍ ، فَزَرْتُهُ بِجَيْشٍ تَضِيقُ الْأَرْضُ عَنْ عَرَضِهِ الرَّحْبِ
 إِذَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلِ الدَّرُوعِ تَبَلَّجْتُ أَسْنَتَهُ فِيهِ عَنْ الْأَنْجَمِ الشُّهْبِ
 عَلَى أَنْتَى حِصْنٍ لَجِيشِي إِذَا التَّقَوَّا وَعَزَى بِهِمْ أَدْنَى السِّیُوفِ إِلَى الضَّرْبِ
 وَه :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ فَظَلَّ مُصْطَبِحًا يَسْتَعْمِلُ الْإِبْرِيْقَ وَالْقَدْحَا
 مَا زَالَ حَيًّا وَهُوَ يَشْرِبُهَا حَتَّى أَمَاتَهُ الْكَؤُوسُ ضَحَى

٤٣ - ابنه الأمير عبد الله بن محمد ، أبو محمد

وَلَّى بَعْدَ أَخِيهِ أَبِي الْحَكَمِ الْمُنْذِرَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي صَفَرِ سَنَةِ خَمْسٍ
 [٣٥-١] وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، / فَكَانَتْ
 خِلَافَتُهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ أَدِيبًا ، شَاعِرًا ، بَلِغًا ، بَصِيرًا بِاللُّغَةِ وَالْغَرِيبِ
 وَأَيَّامِ الْعَرَبِ . وَفِي أَيَّامِهِ اضْطَرَمَّتْ نَارُ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَتَنَفَّصَ عَلَيْهِ مُلْكُهُ .
 وَمِنْ مَشْهُورِ شَعْرِهِ مَا وَقَعَ بِهِ إِلَى الْوُزَرَاءِ فِي قِصَّةِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ وَعِيسَى
 ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ^(٣) ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فَوْقَ الْآخَرِ ،

(١) قَرَأَ دُوزِي هُنَا (ص ٦٥) : فَالرِّصَافَةُ .

(٢) يُقَالُ لِلْحَبَابَةِ إِذَا انْهَمَرَتْ بِالْمَطَرِ الْجُودُ قَدْ حَلَّتْ عَزَّالِيَهَا وَأُرْسَلَتْ عَزَّالِيَهَا (اللسان :

٤٦٩/١٤ - ٤٧٠) .

(٣) بَنُو حُدَيْرٍ وَبَنُو أَبِي عَبْدِ مِنَ بِيُوتِ الْأَنْدَلُسِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَقَاسَمَتْ الْوُظَائِفَ الْكَبْرَى
 فِي الْإِمَارَةِ ثُمَّ فِي الْخِلَافَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِالْبِيُوتَاتِ ، وَأَكْبَرُهَا هَذَانِ الْبَيْتَانِ ثُمَّ
 بَنُو شَهِيدٍ وَبَنُو عَبْدِ الرَّوْفِ وَبَنُو فُطَيْسٍ ، وَكُلُّهُنَّ مِنْ مَوَالِي الْأُمَوِيِّينَ الْمَشْرِقِيِّينَ أَوْ الْأَنْدَلُسِيِّينَ
 أَوْ مَوَالِي مَوَالِيهِمْ . فَبَنُو حُدَيْرٍ كَانُوا مِنْ مَوَالِي الْبَيْتِ الْأُمَوِيِّ الْمَشْرِقِيِّ وَلِهَذَا كَانُوا مَعْدُودِينَ فِي -

فَسَخَا لَمَّا كَانَ قَدْ رَتَّبَهُ وَالِدُهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ رَفْعِ الْمَوَالِي الشَّامِيِّينَ عَلَى الْبَلَدِيِّينَ :

مَوَالِي قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَدَّمُوا مَوَالِي قُرَيْشٍ لَا مَوَالِي مُعْتَبٍ
إِذَا كَانَ مَوْلَانَا يَسَاوِمُ عِفْدَنَا سِوَاهُ فَوَلَانَا كَأَخَرِ أَجْنَبِي
حَوَّلَ اسْمَ « مَغِيث » إِلَى « مُعْتَبٍ » إِنْغَاضًا وَاتِّقِيادًا لِلْقَافِيَةِ .
وَلَهُ فِي النَّسِيبِ :

يَا كَبِدَ الْمَشْتَاكِ مَا أَوْجَعَكَ وَيَا أُسِيرَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لِحْظِهَا بِالرَّدِّ وَالتَّلْيِغِ مَا أَسْرَعَكَ
تَذْهَبُ بِالسَّرِّ وَتَأْتِي بِهِ فِي مَجْلَسٍ يَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
كَمْ حَاجَةٌ أَنْجَزَتْ مَوْعِدَهَا تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ ، مَا أَطْوَعَكَ !
وَلَهُ فِي ذَلِكَ :

وَيُنْجِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ فِي مِثْلِهِ يُخْلَعُ الْعِذَارُ
كَأَنَّمَا وَجَنَّتَاهُ وَرَدُّ خَالَطَهُ النَّوْرُ وَالْبَهَارُ
قَضِيبُ بَابٍ إِذَا تَلَنَّى يُدِيرُ طَرْفًا بِهِ أَحْوَارُ
وَقَفَّ عَلَيْهِ صَفَاهُ وَدَّى مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

== الشَّامِيِّينَ ، أَمَا بَنُو أَبِي عَبْدِةَ فَكَانُوا مَوَالِي مَغِيثِ الرُّومِيِّ مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلِهَذَا فَقَدْ كَانُوا مَعْدُودِينَ فِي الْبَلَدِيِّينَ أَيْ أَهْلِ الْبَلَدِ ، لِأَنَّهُمْ مِنْ الْأَنْدَلُسِ . وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ قَدْ قَرَّرَ أَنَّ يَتَقَدَّمُ الشَّامِيُّونَ عَلَى الْبَلَدِيِّينَ ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْوِزَارَةَ فِي الْأَنْدَلُسِ كَانَتْ تَتَأَلَّفُ مِنْ حَاجِبٍ أَشْبَهَ بِرئيسِ الْوِزَرَاءِ ثُمَّ عِدَّةٌ مِنَ الْوِزَرَاءِ ، فَلَوْ اجْتَمَعَ فِي الْوِزَارَةِ شَاهِي وَبَلَدِي كَانَ التَّقَدُّمُ لِلأَوَّلِ . وَكَانَ كُلُّ مَنْ مِنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ وَعِيسَى بْنُ أَخِيذَ بْنِ أَبِي عَبْدِةَ مِنْ أَكْبَرِ رِجَالِ بَيْتِهِمَا ، وَقَدْ وَلِيَ أَوَّلُهَا الْحِجَابَةَ لِلنَّاصِرِ . فَلَمَّا اجْتَمَعَا فِي الْوِزَارَةِ أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ أَرَادَ عِيسَى بْنُ أَخِيذَ ابْنَ أَبِي عَبْدِةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأَنَّهُ أَبَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي عَبْدِةَ كَانَ أَكْبَرَ قَوَادِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ فِي إِنْقَازِ الْإِمَارَةِ مِنَ الضِّيَاعِ ، وَلَكِنْ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ آثَرَ أَنْ يَظْلَ الْأَمْرَ كَمَا رَسَمَهُ أَبُوهُ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَظْلَ بَنُو حُدَيْرٍ مُتَقَدِّمِينَ عَلَى بَنِي أَبِي عَبْدِةَ .

وله في الزهد :

يا مَنْ يراوِغُه الأجلُ حَتَّامٌ يُلهِيكَ الأملُ
حَتَّامٌ لا تَحْشَى الرَّدَى وكأنَّه بكَ قد نزلُ
أَغْفَلْتَ عَنِ طَلَبِ النِّجاةِ ولا نِجاةَ لِمَنْ غَفَلَ
هيهاتَ يَشْغُلُكَ الرِّجا ، ولا يدومُ لك الشُّغْلُ

/ وله في مثله : [٢٠-٧]

أرى الدنيا تصير إلى فناء وما فيها لشيء من بقاء
فبادرْ بالإِجابةِ غيرَ لاوٍ على شيء يصير إلى فناء
كأنَّكَ قد مُحِلْتَ على سِرِّيرٍ وصارَ جَدِيدُ حُسْنِكَ للبلاءِ
فنفْسُكَ فابْكِيها أو نُحْ عليها فَرُبَّمَا رُحِمْتَ على البكاءِ
وكان ، بفضل أدبه ، ربما استرسل ، فقال بحسب ذلك أو تمثل ، ثم لا يدعه
كرمُ الأوائل ، وشرف الشمايل ، حتى يُدْنِي من أقصاه ، ويُيَدِي لِمَنْ أَعْتَبَ
رضاه . قال في النَّصْرِ^(١) بن سَلَمَةَ الكِلَابِي :

أنت يا نصر أبْدَةٌ لست تُرَجَى لفائدة
إنما أنت عِدَّة لَكُنْيف ومائده

(١) في الأصل : النصر بوضوح ، وكذلك عند ابن عذارى (١٥٤/٢) . ولكن
فرائيسكو كوديرا ناشر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي قرأه : نصر . وهو النصر بن سلمة
ابن وليد بن أبي بكر بن عبيد بن بلج بن عبيد بن علي الكلابي القيسي . ترجم له ابن الفرضي
تحت رقم ١٤٩٦ ، ج ٢٨/٢ - ٢٩ وقال إنه من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد ، استقضاء
الأمير عبد الله بن محمد بقرطبة مرتين ثم استوزره . . وقال الرازي إنه توفي يوم الثلاثاء
٩ ذي الحجة ٣٠٢/٢٦ يونيو ٩١٥ . وترجم ابن الفرضي لأخيه محمد تحت رقم ١١٣٩
(٣٢٠/٢) وقال إن الأمير عبد الله استقضاء بعد أخيه النصر (كذا وصحتها : النصر) بن سلمة ،
وكان رجلاً صالحاً كثير العلم . توفي في ذي الحجة ٢٨٩/نوفمبر ٩٠٢ .

وعلى ذلك استقضاء مرتين ، ثم استوزره واستقضى أيضاً أخاه محمد بن سلمة تقيلاً للأخلاق الحكيمية^(١) ، وجرياً على الأعراق العيشمية .

وقرأتُ في تاريخ الحميدى ، أن الوزير سليمان بن وانسوس^(٢) — وكان من رؤساء البربر — دخل عليه يوماً — وكان عظيم اللحية — فلما رآه مقبلاً جعل الأمير عبد الله ينشد :

هاؤفة^(٣) كأنها جوالقُ نكراء لا بارك فيها الخالقُ
للقل في حافاتها نفاقُ فيها لباغى المتكا مرافقُ
وفي احتدام الصيف ظلُّ رائقُ إن الذى يحملها لماثقُ

ثم قال له : « اجلس يا بربرى ! » فجلس وقد غضب فقال : « أيها الأمير ، إنما كان الناس يرغبون فى هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم ، وأما إذ صارت جالبة للذل فعنينا عنكم ، فإن حُلِّمَ بيننا وبينها فلنا دور تسعنا ، لا تقدرُونَ على أن تحولوا [بيننا و]^(٤) بينها » ثم وضع يديه فى الأرض وقام من غير أن يسلم ،

(١) هنا يلمح ابن الأبار ويشير إلى ما تقتضيه « الأخلاق الحكيمية » و « الأعراق العيشمية » إشارة إلى غضب السلطان أبى زكريا عليه وإبعاده وإلزامه بيته ، مما حفز ابن الأبار على تأليف كتابه « إعتاب الكتاب » على ما هو معروف وما ذكرناه فى المقدمة . وقد كان ابن الأبار سمى. الحظ فى تونس بسبب حدة مزاجه وعدم ضبطه لسانه ، فكان معظم أيامه مبعداً أو مغضوباً عليه كالبعيد ، ولهذا تكثر فى كتبه مثل هذه الإشارات .

(٢) سترجم ابن الأبار لسليمان بن وانسوس هذا فيما بعد .

(٣) الهلوفة والهلوف اللحية الضخمة .

(٤) وردت هذه العبارة مضطربة بالأصل ، بعضها فى المتن وبعضها فى الهامش ، وقد وردت « فغنينا » « تغنينا » وقد قومها دوزى (ص ٦٧) على هذا النحو ، وهو تقويم مقبول ، فأخذناه . وقوله : « فإن حُلِّمَ بيننا وبينها » المراد بها المنزلة أو وظيفة الوزارة التى كان يحتلها سليمان بن وانسوس فى ذلك الحين . وأما قوله : « فلنا دور تسعنا لا تقدرُونَ على أن تحولوا بيننا وبينها » فإشارة إلى بيت أسرته الأول فى مازدة ، وكان جده قد ثار فيها وامتنع على الحكم الرضى وسبب له متاعب طويلة حتى استسلم ولده وانسوس ونشأ ابنه سليمان فى قرطبة على الطاعة . وتصرف الأمير عبد الله مع سليمان يعرض علينا جانباً من سياسته العامة ، فقد كان يدارى الناس ما أمكن تجنباً لمزيد من الثورات التى ملأت عصره كله .

ونَهَضَ إلى منزله ، فغَضِبَ الأمير وأمر بعزله ورفع دَسْتَهُ^(١) الذي كان يجلس عليه ؛ وبقي كذلك مدة .

ثم إن الأمير عبد الله وجد فَقْدَهُ^(٢) لِفَنَائِهِ وأَمَاتِهِ ونَصِيحَتِهِ وفضَّلَ رأيَه ، فقال للوزراء : « اقد وَجَدْتُ لفقْدِ سليمان تأثيراً ، وإن أردتُ استرجاعَه ابتداءً منا كان ذلك غَضَاضَةً علينا ، ولَوَدِدْتُ أن يبتدئنا بالرغبة » ، فقال له / الوزير محمد بن الوليد بن غانم : « إن أذنت لي في المسير إليه استنهضتُه إلى هذا فأذن له . فنهض ابنُ غانم إلى دار ابن وانسوس فاستأذن ، وكانت رُبَّةُ الوزارة بالأندلس أيام بني أمية ألا يقوم الوزير إلا لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه أولًا لحظة^(٣) ، فأبطأ الإذنُ على ابن غانم حينًا ، ثم أذن له ، فدخل عليه فوجده قاعدًا ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه . فقال له ابن غانم : « ما هذا الكِبَرُ ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفي أبهة رضاه تتلقانى على قَدَمٍ وتزحزح لي عن صدر مجلسك ، وأنت الآن في موجدته بضد ذلك ! » فقال له : « نعم . لأنى كنت حينئذ عبدًا مثلك ، وأنا اليوم حر » ، فبُيِّسَ ابنُ غانم منه وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ؛ فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ورده إلى أفضل ما كان عليه .

٤٤ — يعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

ويُكْنَى أبا قُصَيٍّ ؛ كان أديبًا شاعرًا مطبوعًا كلفًا بالعلوم ، جوادًا لا يُليق

(١) أى عزله من الوزارة . وقد كان لكل عضو من أعضائها دست أى مقعد يجلس عليه عند اجتماع الوزراء . وكان دست رئيسهم — وهو الحاجب — أعلى من دست الآخرين .

(٢) الأصح أن نقرأ هنا : وَجَدَ لفقْدِهِ ، أى حزن لغيابه .

(٣) كذا في الأصل بوضوح . وأصح أن نقرأ هنا : ولا لحظة .

٤٥/ - أخوه بشر ابن الأمير عبد الرحمن

[٣٦ - ب]

ذكر أبو محمد بن حزم في كتاب « جبهة الأنساب »^(١) أنه كان شاعراً ،
وأشده له أبو عمر بن فرج صاحب « كتاب الحقائق » :

حجابك لى عن الدنيا حجابُ ويوم لا أراك به عذابُ
وقد كانت تضيق الأرضُ عندي إذا وارك سِتْرُ أو نقابُ
فكيف أعيش إذ^(٢) وارك عنى قصور دونها بابُ فبابُ ؟

وليعقوب وبشر هذين إخوة جلة [منهم]^(٣) هشام ، وكان من أهل العلم
والفضل والبصر بالعربية ، وأكثر من الرواية عن يحيى بن يحيى . وكان أبوه
الأمير عبد الرحمن الحكم قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره
وأكابر رجاله ، كما نصب عبد الرحمن [بن معاوية] ابنه هشاماً . [ومنهم أبان
وء] ثمن على اختلاف فيه ، [وهما]^(٤) ابنا عبد الرحمن بن الحكم ، وكنا أديبين
شاعرين ، وسيأتى ذكرهما في آخر التأليف إن شاء الله تعالى .

(١) لا وجود لهذا في « جبهة أنساب العرب » لابن حزم التي بين أيدينا ، مما يدل
على أن نسختنا مختصرة . ومن أسف أن ذلك الاختصار قال الكثير مما وصلنا من الكتب .

(٢) الأصل : إذا ، ولا يستقيم به الوزن .

(٣) أضافها دوزى هنا (٦٩) وهي إضافة في موضعها .

(٤) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، بعضها في المتن وبعضها في الهامش ،
وقد رتبناها على هذا النحو كما فعل دوزى (ص ٦٩) . وقد أثبت دوزى اسم أبان اعتماداً على
أن ابن الأبار ترجم له مع أخيه عثمان بعد ذلك . ولم أجد اسم أبان بين أولاد عبد الرحمن بن الحكم
كما أوردهم ابن حيان نقلاً عن الرازي (مخطوط ١٩٤ ب) ، وليس له ذكر كذلك في نسب
بني أمية الأندلسيين كما ذكره ابن حزم في « الجبهة » (ص ٩٠) ، وربما كان هذا هو السبب
في قول ابن الأبار بعد أن ذكر أبان وعثمان : « على اختلاف فيه » .

٤٦ — القاسم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم ، أبو محمد

كان من الأدباء الشعراء ، إلا أنه مُقِلٌّ . وكان أحد الجبابرة الموصوفين ، شديد البأ وتيآها ؛ وقَبَضَ عليه أخوه الأمير عبد الله فأت في حبسه مسموماً . ومن شعره [و] ^(١) بدبته السائرة في الناس ، وقد دخل دار أخيه عثمان بن محمد فاستسقى ماء فأبطأ عليه غلامه لعله لم يقبلها ، وأنشأ يقول :

الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ وأُخْبِرُ فيها له شأنٌ من الشأنِ
فاستسقى على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ
كذا قال ابنُ حبانَ ، وهو غلط لاخفاء به . وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما أبو عمر [بن عبد البر النمري في كتاب « بهجة » ^(٢) المجالس] من تأليفه وهي :

يا أختَ كِنْدَةَ جاني شربَ عثمان وأزِمِعي لبني أودٍ بهجرانِ
يا أختَ كِنْدَةَ سِيري سِيرِ ساخطةٍ كي تنثوي مُتَوَى غَضْبِي وَغَضْبَانِ
/ الماء في دارِ عثمانَ له ثمنٌ وأُخْبِرُ فيه له شأنٌ من الشأنِ [١-٣٧]
عثمان يعلمُ أنَّ الحمدَ ذو ثمنٍ لكنه يشتهى حداً بمجانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمداً وارجلاً حتى يروا عنده آثارَ إحسانِ
اغسلْ يديكَ بأشنانٍ وأُنْقِهِمَا غَسَلَ الجُنايَةِ من معروفِ عثمانِ
واستسقى على كلِّ عثمانٍ مررتَ به إلا الخليفةَ عثمانَ بنَ عفانِ

(١) أضفنا الواو هنا للسياق .

(٢) بياض في الأصل ، وهكذا أكله دوزي ، وهو حسن .

وَأُنْشِدْ لَهُ الْحَمِيدَى وَقَالَ فِيهِ [... ...] الْقَاسِمُ غَلَطَ مِنْهُ ^(١) :
 سَكَنْتُ مِنْ قَلْبِي الْهَوَى مَا أَمَكْنَا وَلَقَدْ أَرَاهُ لِلصَّبَابَةِ مَعْدِنًا
 هَذَا هَالِكٌ قَدْ بَدَأَ وَمَدَامَةٌ تَجْرَى بِرَاحَتِهِ وَعَيْشٌ قَدْ هَنَا
 وَلَهُ أَيْيَاتٌ كَتَبَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَتَبِيِّ الْأَدِيبِ لَمْ يُجِدْ رَصْفَهَا
 فَرَأَيْتُ حَذْفَهَا .

٤٧ — المطرف ابن الأمير محمد ، أبو القاسم

شقيق القاسم المذكور آنفاً . برع في الشعر وهو ابن عشرين سنة ، وتوفي
 معتبطاً في حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ، وكان آدباً وَلَدَ الأمير محمد
 وأشعرهم . ذكر ذلك ابن حَيَّان ، وقال أبو محمد بن حزم في كتاب « جمهرة
 الأنساب » من تأليفه — وَذَكَرَ المطرف هذا : « كان شاعراً مقلداً ، عالماً
 بالفناء . وكان له عَقَبٌ قَدْ انْقَرَضَ » .

وَأُنْشِدْ لَهُ صَاحِبُ « الْخِذَائِقِ » يَرْتَى أَخَاهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ :
 أَخٌ كَانَ إِنْ لَمْ يَمْرَعْ النَّاسُ أَصْبَحَتْ مَوَاهِبُهُ لِلنَّاسِ وَهِيَ مُرَابِعُ
 كَثِيرٌ عَلَيْكَ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَمَا كَثُرَتْ مِنْ رَاحَتِكَ الصَّفَائِمُ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، إِنْ لَدَدَى لَهُ زَوَالٌ وَإِنَّ السَّمْعَى بِعَدَاكَ ضَائِعُ
 وَلَهُ فِيهِ :

يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَا أَوْضَحَ فِينَا سُبُلَكَ

(١) كذا في الأصل ، ولم أستطع تقويم العبارة من جنوة المقتبس للحميدي كما وصلتنا .

أيقظت^(١) شعري أبداً فالقول لي والفعل لك
 ما الشكْل والحسرة [...] [... ..]^(٢)
 يا موت أعجبتَ فتى في^(٣) الرّوع قدماً أعجلك

/وله أيضا :

[٣٧ - ب]

أشهى من الكاسِ حاملُ الكاسِ أراءه ما طاف حول جُلّاسي
 ينقل من أجله الجليسُ ولو كان من النسك آمنَ الناسِ

وكتب إلى أخيه المنذر بن محمد ، وكان ماثلاً إليه :

هل أتكى مُشرِفاً على نهري أرمى بطّرفي إليه من قصري
 عند أخٍ لو دَهَتْه حادثةٌ أعطيته ما أحبّ من عمري
 نشرب نخلية^(٤) فضيلتها أتحتِ الخمرَ ذلةَ الخمرِ ؟

فوعده الكونَ عنده ، فكتب إليه يستنجزه :

وُلوعُ النفسِ بالوعدِ الوفيِّ وإنجازُ المقالِ على الوليِّ
 فإن أرضاك أن تغدو ضحاءً وإلا كان ذاكَ مع العشيِّ
 نكون ثلاثةً أنتَ المُبدى ونحن إليك ، ثم أبو عليّ

(١) الأصل : أبغضت ، ولا يستقيم بها المعنى . وقد جعلها دوزي : أيقضت ، وما أثبتناه أقرب للسياق .

(٢) تركها الناسخ بياضا ، ولعل تمام البيت :

ما الشكْل والحسرة [لي * الشكْل والحسرة لك]

(٣) نسي دوزي (ص ٧١) هذا الحرف .

(٤) كذا في الأصل ، وقرأها دوزي (ص ٧١) : قحلية ، ولم أجد أى اللفظين أو ما يقرب منهما في باب الخمر في مخصص ابن سيدة ، ولا وجدت لأحدهما معنى يتصل بالخمر في المعاجم ، وكل ما وجدت في مفردات ابن البيطار لفظ نخل ، عقار كان يتطبب به .

وله في الشَّيب :

إِن شَيْبًا وَصَبَوَةً لُمَحَالُ قَدْ أُنَى أَنْ يَكُونَ عَنْهَا زَوَالُ
رَكَبَ الشَّيْبُ لِمَتَّى خَلَلَ الشَّعْرَ رَ لَوْقَتِ حَالَتُ بِهِ الْأَحْوَالُ
فَدَعِ^(١) النَّفْسَ عَنْ مَزَاحٍ وَلَهُوَ تِلْكَ حَالٌ مَضَتْ وَجَاءَتْ حَالُ
وَلِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُتْبِيِّ فِيهِ ، يَفْضَلُ شَعْرَهُ عَلَى أَشْعَارِ إِخْوَتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ :
يُعْنِي^(٢) مَسَامَعَنَا لَدَيْهِ حَوَالِيًّا بِلَاكِيٍّ مِنْ لَفِظِهِ وَزَبْرَجِدِ
وَالشَّعْرُ يَسْجُدُ نَحْوَ قِبْلَةِ شَعْرِهِ وَغَيْرِ قِبْلَةِ شَعْرِهِ لَمْ يَسْجُدِ

٤٨ - إبراهيم ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أخوها

أَنشَدَ لَهُ ابْنُ فَرَجٍ فِي « كِتَابِ الْخَدَائِقِ » :

دُنُوكَ مِنِّي فِي مَنْزِلِي هُوَ الْمَلِكُ يَسَّرُهُ اللَّهُ لِي
/ فَيَكْنُفُنَا جَانِبَ وَاحِدٍ وَيَحْمَعُنَا الشَّرْبُ مِنْ مَنَهْلِ
وَإِنْ حَالَ دُونَكَ بَابًا حَدِيدٍ وَقَصَرُ مَشِيدٍ مِنَ الْجُنْدَلِ

[١-٣٨]

هؤلاء المروانيون في هذه المائة .

* * *

ومن الحسينيين فيها :

(١) الأصل : فَرَعَ .

(٢) الأصل : يَعْنِي ، وَلَا مَعْنَى لَهُ هُنَا ، وَقَدْ تَكُونُ صَحَّتُهُ مَا أَثْبَتْنَاهُ .

٤٩ - القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن حسن بن حسن بن علي

وَلِي البَصْرَةَ^(١) وَطَنْجَةَ وما يليهما لأخيه محمد بن إدريس القائم بعد أبيه سلطان المغرب . وكان إدريس قد ولد محمداً هذا والقاسم وأحمد وعبد الله وعيسى وإدريس وجعفرًا ويحيى وحزّة وعبيد الله وداود - وبه كان يُكنى - وعمر، وبنات .

ولما توفي إدريس مسموماً في حبة غنّب^(٢) سنة ثلاث عشرة ومائتين - كما تقدم ذكره - اجتمعت البربر على محمد ، فبايع له إخوته جميعاً ، واتخذ مدينة فاس قراراً ، وفرّق بلاد المغرب عليهم^(٣) ؛ فنكث أخوه عيسى

(١) يريد بَصْرَةَ المغرب وكانت بلداً إسلامياً مشهوراً ، ولا زالت آثاره باقية ظاهرة على يسار الطريق من طنجة إلى سوق الأرباء ، وهي على نحو ١٠٠ كيلومتر جنوب طنجة في خط مستقيم تقريباً ، وتسمى بصره الكتان أو بصره الذبان ، أسسها محمد بن إدريس الثاني سنة ٢١٨ / ٨٣٣ ، وقد أطال الكلام عنها أبو عبيد البكري (ص ١١٠ - ١١١) وذكرها ابن حوقل والإدريسي وغيرهما .

انظر: أحمد المكناسي ، خريطة المغرب الأركيولوجية (تطوان ، ١٩٦١) ص ١١ . وانظر عنها: الاستقصا للسلوى (الدار البيضاء ١٩٥٤) ١/١٧٢ .

(٢) هذه أيضاً رواية روض القرطاس (ص ٦) وكانت وفاته حسب رواية هذا الكتاب في ليلة ١٢ جمادى الثانية ٢١٣/٢٩ أغسطس ٨٢٨ وكانت سنة ٣٨ سنة .

(٣) كان محمد بن إدريس بن إدريس قد قسم نواحي دولته بين إخوته ، نصحته بذلك جدته كنزة . وقد أورد هذا التقسيم ابن أبي زرع في روض القرطاس (طبعة فاس ، ص ٦) ، وابن عذارى في البيان المغرب (١/٢١٠) ، والسلوى في الاستقصا (١/١٧٣) ، والبكري في وصف إفريقية ؛ وهذا التقسيم يهنا هنا لتيسير تتبع الحوادث الخاصة بمن يترجم لهم ابن الأبار من الأدارة . وفيما يلي جدول مقارن لهذا التقسيم ، ولم نورد نص ابن عذارى لأنه لا يضيف شيئاً ذا بال :

ابن إدريس وخرج عليه ، فسكتب محمد إلى القاسم يأمره بمحاربته إذا كان
يُحَادِيهِ^(١) في ولايته ، فأبى القاسمُ وكتب إليه معذراً من توقفه عما أمره به :
سَأُتْرِكُ لِلرَّاعِبِ الْغَرْبَ نَهْبًا وَإِنْ كُنْتُ فِي الْغَرْبِ قَيْلًا وَنَدْبًا
وَأَسْمُو إِلَى الشَّرْقِ فِي هِمَّةٍ يَعْزُّ بِهَا رُتَبًا مِنْ أَحِبَّاءِ
وَأُتْرِكُ عَيْسَى عَلَى رَأْيِهِ يَعالِجُ فِي الْغَرْبِ هُمًّا وَكَرْبًا

الاستقصا	روض القرطاس	= وصف إفريقية
مثل روض القرطاس .	طنجة . سبتة . قلعة حجر النسر . تطوان . بلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل .	القاسم : البصرة وطنجة وما والاها .
بلاد هوار . تسول وتازا وما بين ذلك من قبائل مكناسة وغياثة .	بلاد هوار . تسول . بلاد غياثة .	داود : هوار تاسلمت .
أصيلا والبصرة والعرائش ورغة .	البصرة . أصيلا . العرائش إلى بلاد ورغة .	يحيى : داي وما والاها .
تيكساس . ترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغارة .	مدينة تمنجساس . بلاد هوار وما والاها .	عمر : صنهاجة وغارة .
مكناسة . تادلا وما بينهما من بلاد فازاز .	مكناسة . بلاد فازاز . بلاد تادلا .	أحمد : لم يذكره في هذه الولايات .
أغاث . نفيس . جبال المصامدة . بلاد لمطة . السوس الأقصى .	مدينة أغاثات . بلاد نفيس . بلاد المصامدة . السوس .	عبد الله : لمطة وما والاها .
وليلي وأعمالها .	تلمسان وأعمالها .	حزة : الأودية بقرب وليل .
سلا . شالة . آز مور . تامسنا وما انضم إلى ذلك من القبائل .	مدينة شالة وبلاد تامسنا .	عيسى : وازْمُورُ وَسَلَّ .

وأجمع الأربعة على أن الباقيين من إخوته كانوا صفاراً ، فبقوا في كفالة جدتهم كنزة .
ويلاحظ أن ابن الأباري في كلامه هنا يقول إن القاسم تولى البصرة إلى جانب طنجة متابعاً البكرى
في حين أنها - حسب روض القرطاس والاستقصا - كانت من نصيب يحيى .
(١) كذا في الأصل ، واللفظ غير واضح المعنى ، فإن كان المراد أن حدود ولايتيهما
متجاورة لم يصح ذلك تماماً كما يتضح من الجدول السابق . والغالب أنها تصحيف للفظ يعاديه أو يجاذبه .

ولو كان قلبي عن قلبه لكنت له في القرابة قلباً
وإن أحدث الدهر من ربيهِ شقاً علينا وأحدث حرباً
فإني أرى البعد سترًا لنسا يُجدد شوقاً لدينا وحباً
ولم نَجِنِ قطعاً لأرحامنا نلاقى به آخر الدهر عتياً
وتبقى العداوة في عقبنَا وأكرم به حين نعقب عتياً
وأوفق من ذاك جوب الفلاة وقطعُ المحارم نَقَباً فنقباً

/ فكتب محمد إلى أخيه عمر - وكان على صنهاجة وغمارة^(١) - يأمره [٣٨-ب] بمحاربة عيسى ، فأجابه وسارع وخرج يريد عيسى بعسكره . فلما قرب من أحواز فاس كتب إلى محمد يستمده ، فبعث إليه من كان معه ، ونفذ في أصحابه قبل لحاق المدد ، فأوقع بعيسى ونفاه عن عمله واستولى عليه ، فأمره محمد بالإقامة فيه ، ثم أمره بمحاربة القاسم ، فخاربه وتغلب على ما كان بيده ، فتخلى القاسم عن ذلك لمحمد وعمر ، وتزهد وبنى مسجداً على ساحل البحر بأصيلاً ولزمه .

فلما عين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمروابطه فصرفوه إلى عمله ، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر .

وقال الرازي ، وذكر أولاد إدريس بن إدريس : « فأما محمد بن إدريس فولى مدينة فاس بعد أبيه ، وقسم عمل أبيه على إخوته وأخرجهم عمالاً ، ثم أخذ إلى اللهو واشتهر بالشرب والخلوة بالنساء^(٢) ، فخلعه إخوته ومَلَكَ كل واحدٍ منهم ما تحت يده . ثم لم يلبث محمد أن هلك ولم يعقب ، فولى أمر فاس

(١) هنا أيضاً يختلف التقسيم عما أوردناه في هامش الصحيفة السابقة نقلاً عن روض

القرطاس .

(٢) هنا وقع الرازي في غلط كبير ، فخلط بين الإدارة خطأً لا ندرى كيف يقع

فيه مثله . فإن محمد بن إدريس بن إدريس كان من صلحاء أمراء الإدارة وقادريهم ، وقد ظل =

بعد [هـ] ^(١) القاسم أخوه ، ومَلَكَهَا ملك سيادة ، وتجمع الناس إليه من كل ناحية ^(٢) ، ولحق المنفيون عن ربض قرطبة بها ، وتمدنت وكثر أهلها .



= يحكم إلى أن توفي في ربيع الثاني سنة ٢٢١/مارس ٨٣٥ ، وخلفه ابنه علي بن محمد بن إدريس ابن إدريس الملقب بحيدرة ، وظل في الحكم إلى رجب ٢٣٤/يناير ٨٤٨ ، وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وكان أميراً قادراً ذا عناية بشئون العمران ، وفي أيامه بنى جامع القرويين سنة ٨٥٩/٢٤٥ . ثم خلفه ابنه يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس ، وهذا هو الذي أساء السيرة وكثر عبثه في الحرم حتى دخل الحمام على امرأة ، فثار الناس عليه بزعمه رجل من أهل فاس يسمى عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي وأخرجته منها فهرب إلى علوة الأندلسيين فأت بها من ليلته (البكري ؛ ص ١٢٤ - ١٢٥)

وكانت زوجة يحيى هذا هي عائكة بنت علي بن عمر بن إدريس « صاحب الريف والسواحل » كما يقول السلاوي ، فكتبت إلى أبيها تعلمه بما وقع ، فجمع رجاله ودخل فاس وتولى الأمر . أما ما يقوله الرازي من أن القاسم تولى الأمر ، فرده إلى خلط بين القاسم وابنه يحيى . ذلك أن علياً بن عمر المذكور لم يستطع البقاء طويلاً في الحكم ، إذ ثار عليه رجل من الخوارج الصفرية يسمى عبد الرازق الفهري ، وغلبه على الأمر ، وفر عمر بنفسه إلى بلاد أوربة ، وملك عبد الرازق عدوة الأندلسيين من فاس ، أما أهل علوة القرويين فامتنعوا عليه ، وبعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس ، فأقبل وولوه عليهم ، فتمكن من هزيمة عبد الرازق الفهري ، وملك بلاد الأدارسة إلى أن اغتاله رجل يسمى الربيع بن سليمان سنة ٩٠٤/٢٩٢ .

انظر : روض القرطاس : ص ٦ وما يليها . ابن خلدون ، تاريخ : ١٤/٤ - ١٨ . أبو عبيد البكري : المسالك والممالك ، الجزء الخاص بالمغرب ، نشره دي سلين في الجزائر سنة ١٩١٠ ، ص ١٢٣ - ١٣٢ . السلاوي ، الاستقصا : ١/١٧٣ - ١٨٣ . أما ابن عذارى فروايتها لأخبار الأدارسة يشوبها كثير من الخطأ ، فهو يخلط بين يحيى الأول ويحيى الثاني ، ويخطئ خطأ غريباً : ١/٢١٠ - ٢١٦ .

(١) زيادة لابد منها للسياق .

(٢) هذا يخالف ما في روض القرطاس (ص ٧) . قال في شأن القاسم بعد أن ذكر مسير أخيه عمر إليه : « فكانت بينهما حروب عظيمة ، ثم هزم القاسم ، واحتوى عمر على ما بيده من البلاد . وسار القاسم إلى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلا ، فبنى هناك مسجداً على ضفة البحر بموضع يعرف بتاهدات ، فأقام يتعبد فيه ، وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى » . وانظر أيضاً البكري ، ص ١٢٤

ومن رجال المروانية :

٥٠ - عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث^(١)

الحاجب ، أبو حفص

استحجبه الحكمُ الرَّبَضِيُّ ، وكان أبوه عبدُ الواحد حاجباً لهشام الرضا والد الحكم . وعن ابن حَيَّان أن هشاماً وَلَّى عبدَ الكريم هذا كورة جَيَّان ، وأنه أغزاه أَلْبَةَ والقلاع^(٢) ، وأغزى أيضاً أخاه عبدَ الملك وولاه سَرَفُسطَةَ .

(١) عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث من أكابر رجال الدولة المروانية الأندلسية أيام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن ، وهو في الغالب من أولاد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد كان أخوه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث من قواد الأمير هشام الرضا ابن عبد الرحمن الداخل . وقد كان عبد الكريم قائداً من قواد الحكم ثم استوزره وولاه الحجابة فأقام في هذه الوظيفة حتى وفاة الحكم ، واستحجبه أيضاً عبد الرحمن الأوسط مع بقاءه على القيادة . وتوفي عبد الكريم في طريقه إلى غزو جليقية سنة ٨٢٤/٢٠٩ - ٨٢٥ . ولم يجد عبد الرحمن من يقيمه مكانه ، فعهد في قيادة الصائفة إلى أمية بن معاوية بن هشام . وبعد موت عبد الكريم تنافس الوزراء في الوصول إلى الحجابة وأكثروا السعي والشفاعات حتى أضجروه ، فقرر ألا يوليها أحداً منهم ، وعطلها مدة ثم اختار لها رجلاً من المقربين إليه ، لم يكن من الوزراء ولا سبقت له خدمة هوسفيان بن عبدربه ، وأصله من بربريَّانة ، فتولاها إلى أن مات ، ثم خلفه فيها عبد الرحمن بن غانم ، ثم صارت إلى عيسى بن شهيد معظم أيام عبد الرحمن الأوسط . ويجمع مؤرخو الأندلس على أنه لم يل الحجابة أقدر ولا أصلح من عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وعيسى بن شهيد ، وهم يقولون إن عبد الكريم كان أكفاً وأقدر من صاحبه ، ولكن عيسى كان أسلم خلقاً إذ لم يكن يقبل المكافأة على قضاء الحاجة ، أما عبد الكريم فإنه كان يقبل ذلك ولا يأباه . (أبو بكر بن القوطية ، برواية ابن حيان ، المخطوط ص ١١٩٥ ، ١١٩٥ ب) .

(٢) أَلْبَةُ والقلاع ، عليان جغرافيان يستعملان عادة معاً في النصوص العربية . أما ألبه فهي Alava وهي الإقليم الواقع عند منابع نهر إلبه على الضفة اليمنى (الشمالية) للنهر . وأصل الاسم غير معروف ، فذهب بعضهم إلى أنه مشتق من Uraba و Aiba ، بل ذهب بعضهم =

وكان عبدُ الكريم بليغاً مفوهاً شاعراً ، وولى الكتابةَ للحكم إثر محمد بن أمية ، وقاد الصوائف ، وجرت على يديه فتوح جسام . وعلى يديه استأمن أهلُ الرِّبَض ؛ وله رسائل عن الحكم في الهَيْج . ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازى ، قال : « وأخرجه الحكمُ إلى عمرو^(١) » - وكان قد خلع بسرْقُسطَةَ - فاستماله وقدم به قُرْطُبَةَ ، فوصله الحكمُ وخلع عليه وسَجَّلَ له على سَرْقُسطَةَ وتُطِيلَةَ ووَشَقَهُ ، وصرفه إلى الثغر فمات هناك . وأشد ابنُ حَيَّان لعبد الكريم هذا في رثاء الحكم بن هشام وتهنئة ولده الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالخلافة :

[٢٩-١] / كان الزمانُ مُرْزَأً بخليفةٍ أودى فكاد نهارُنا أن يُظْلِمَا
حتى إذا قعد الإمامُ لبيعةٍ كالغيثِ شَحَّ بوبله ثم انهمى
لله أية بيعةٍ ما أعظما وأجل نغراً في الأنام وأخفما
أعطت قريشٌ بيعةً مرضيةً لإمامها الملكِ الكريمِ المُنتمى
وبدا كمثلِ البدرِ ينصدعُ الدُّجى عنه ويكشف نورهُ ما أبهما
لله أنت أبو المطرف في الوغى ولخائف ولِمُعْتَفٍ قد أعدما

= إلى أن أصله عربي Araba لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب . أما القلاع فإيراده المنطقة التي تعرف اليوم بقشتالة القديمة Castilla la Vieja ، سبها العرب كذلك لكثرة قلاعها ، وقد يكون العرب ترجموا بذلك اسمها القديم Castellae . وألبة اليوم إحدى المديريات الثلاث التي يتكون منها إقليم Vascongadas وهو الذي كان العرب يسمونه بلاد البشكونس ، وهذه المديريات هي Guipuzcoa وقاعدتها سان سباستيان وبسكاية Vizcaya وقاعدتها بلباو Bilbao و Alava وهي أكبرها مساحة وعاصمتها Vitoria . وكان العرب في غزواتهم هذه النواحي يسبغون حتى سرقسطة ، ثم يمشون مع نهر إيره نحو منابعه حتى يفضوا إلى ألبه ثم القلاع ، ولهذا يذكر الإقليمان معاً . (١) في الهامش إلى يمين هذا السطر بخط مخالف : عيسى بن أحمد الرازى .

٥١ - هاشم^(١) بن عبد العزيز

الوزير ، أبو خالد

هو أخو القاضي أسلم بن عبد العزيز وكبيره ، وولاه سلفيهما لعثمان بن عفان رضى الله عنه^(٢) . وكان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن : يؤثـره بالوزارة ، ويرشـحه مع بنيـه - ومقرداً - للقيادة والإمارة . وولاه كورة جـيـان ، فعلى يده بُنيت أبـدة وأكثر معاقـلها المنيعة . وهو أحد رجالات الموالى الروانية بالأنـدلس .

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجدود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة ، إلى ما له من القديم والبيت والسابقة . فلو لم يُعـنه سلفه ، لنهضت به أدواته هذه الرفيعة .

ونكبه المنذر بن محمد لأشهر من خلافته ، بعد أن ولاه الحجابة وأظهر عنه الرضا ، وذلك لأشياء حققها عليه فى خلافة أبيه محمد ، إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش وبعد ذلك^(٣) .

(١) فى الأصل : هشام ، وهو خطأ .

(٢) ذكر ابن الفرضى نسب هاشم وأخيه أسلم فى ترجمته لهذا الأخير (رقم ٢٧٨ ج ١/٨٠) : أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان ابن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقد كان أسلم من أجلاء فقهاء الأندلس ، سمع من بقى بن مخلد وسمعه زماناً طويلاً ، ثم رحل إلى المشرق سنة ٢٦٠ ثم رحل إلى المشرق فلقى الشيوخ ، وعاد إلى قرطبة . وقد تولى قضاء الجماعة فيها مرتين ، توفى فى رجب ٣١٩ / يوليو ٩٣١ .

(٣) العبارة مقطوعة هنا . وقد أطال ابن حيان الكلام على هاشم بن عبد العزيز فى المقتبس (مخطوطتنا ، ص ٢٢٥ - ١ وما بعدها) ، ولكنى لم أجـد ما يصلح هذه العبارة . وقد وجدت فى المغرب لابن سعيد (١/٥٣ ٢/٩٤) عبارة يمكن أن نعيد بها تقويم الكلام هكذا : « إذ كان يخرجه معه قائداً للجيش ، [فأساء الأدب معه حتى أحقده وأتلف محبته بعد أن صارت السلطنة إليه] بعد ذلك ، [فلما مات محمد وولى المنذر قتله المنذر شرققـلة بعد السجن والعذاب] »

وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازى فى كتاب «الحجّاب للخلفاء بالأندلس» من تأليفه ، أن المنذر بن محمد استخلف يوم الأحد لثلاث^(١) خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، بعد وفاة أبيه بأربع ليالٍ ، إذ كان غازياً بفاحية ربة ، فأغذّ السير ودخل القصر يوم الأحد وصلى على أبيه — وكانت وفاته ليلة الخميس لليلة بقيت من صفر — ودُفن . وبويع للمنذر [٣٩ - ٤٠] بقية الأحد ويوم الاثنين بعده ، واستحجب هاشم بن عبد العزيز / إلى أن قتله .

قال : ولما قدم المنذر نزل فى السطح وقعد للبيعة فى ثياب سفره ، وربما اتكأ على فراشه لما كان أخذه من النصب وألم السفر لطيه المراحل . فلما دخل الناس قام هاشم ويده كتاب البيعة فانتح قراءته ، فلما بلغ إلى ذكر الإمام محمد خنفته العبرة ، فلم يبن كلامه . ثم استدرك أمره ورجع من أول الكتاب ، حتى إذا انتهى إلى الموضع الذى انتهى إليه أولاً أخذه أيضاً الحصر ، فلحظه المنذر لحظة منكراً ، ورأها منه هاشم فضى فى قراءة الكتاب حتى أكمله . فلم يشك كل من رأى تلك اللحظة أنه قاتله . قال : ولما وُضع نعش الإمام محمد على قبره ، ألقى هاشم رداءه وقلنسوته ودخل القبر وبكى بكاء شديداً ، ثم قال متمثلاً وهو يقبر :

أعزّى يا محمدُ عنك نفسى معاذَ الله والمِن الجسامِ

فهلّا مات قوم لم يموتوا ودُفِعَ عنك لى كاسُ الحمامِ

فكان ذلك مما أوقد عليه موجدة المنذر ؛ والبیتان لأبى نواس الحسن ابن هانى يقولهما فى محمد الأمين حين قُتل .

قال الرازى : وذُكر أن محمد بن جهور وعبد الملك بن أمية كانا يرفعان عليه ويفريان به ، وأنه خرج توقيع بخط يد الإمام المنذر فيه وهم ، فتنفس هاشم

فرفع عنه . قال : وحَدَّثَ مَنْ كَانَ [حاضراً عند] ^(١) هاشمٍ — يعني يوم القبض عليه — إذ أقبل صاحب الرسائل مستحثاً له ، فخرج هاشم ومعه عمر ابنه فقبضَ منه كتباً كانت بيده . وكان في رحبة داره قوم من أهل لَبْلَبة قد أتوا لشكر ابن أخيه — وكان عاملهم — فلما خرج هاشم اندفعوا مستهلين بالشكر ، فاتهمهم الفتى الذي أتى فيه وخرج عليهم ^(٢) وأغلظ لهم وقال لهم : « يا كَذَّابَة ! » . قال : فرأيت هاشماً قد اربدَّ وجهه ، غير أنه لم يُقَارِضْهُ بكلمة ، ومضى .

وكان تحتَه فرس رائع أشقر ، فلما أتى عند باب الجِنان ^(٣) كبا الفرسُ بهاشم فاستقل ^(٤) به ووقف [و] قد امتنع لونه ساعة ، ثم تقدم ودخل . قال : فلم يَنْقُصْ أَهْلُ موكبه حتى خرج راجلاً مكبَّلاً ، فوالله ما رأيت يوماً أكثرَ باكيًا من ذلك اليوم ، ولو قلتُ إنه / لم تخلُ دارٌ بقرطبة من بكاء علي هاشم [٤٠ - ١] يوم حُبِسَ لما أَبْعَدْتُ ولصدقتُ ، فإنه كان رَحْمَةً مبسوطة للامة والخاصة ^(٥) .

قال : وأمر المذ [نذر] بحبس أكبر أولاده ، [غي] ر ^(٦) فإنه كان عينا

(١) بياض في الأصل ، أكلناه للسياق .

(٢) الأصل : خرج . وخرج على : بمعنى سب وشتم ، وهو استعمال يرد كثيراً عند ابن حيان بهذا المعنى .

(٣) باب معروف من أبواب قصر الإمارة بقرطبة ، وكان باباً خلفياً يفضى إلى حدائق القصر ، والغالب أنه كان يقع على ضفة الوادى الكبير .

(٤) الأصل : وكبحه . وقد صوبها دوزى : وكبَّه ، وهو تصويب صحيح . وقد تركت الضمة فوق تاء استقل كما هي في الأصل .

(٥) وردت هذه العبارة مضطربة في الأصل ، وبعضها في الهامش على اليمين ، فقومناها كما في المتن .

(٦) ورد هذا اللفظ في الأصل : غي . وقد أكلته على هذا النحو كما يقتضيه السياق . وأوضح أنه سقط اسم ذلك الولد من أولاد هاشم بن عبد العزيز الذى كان عيناً للمنذر عليه . ولم أجد فيما بين يدي من المراجع ما أسد به هذا النقص ، ولو أننى أستبعد أن يكون هذا الجاسوس ابناً مباشراً لهاشم بن عبد العزيز ، لأنه لو كان كذلك لما فات أصحاب الكتب التى بين =

للمنذر عليه ، يخاطبه بأسراره وجميع أخباره ، ولم يزل عبدُ الملك بن أمية يغري به^(١) ويرفع عليه ويستعين بالسيدة أخت المنذر في مطالبته ، حتى كان من ضرب به وهدم داره وإخراجه منها وقتله ما كان .

قال : وأخرج هاشم صبيحةَ الليلة التي قُتل فيها — ليلةَ الأحد لأربع بقين من شوال سنة ثلاث وسبعين — غُطيت^(٢) جثته ورأسه بثوب ، وبُعث به إلى أهله . وكان مولده في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . ومن شعره ، وكتب به من محبسه إلى جاريته « عاج » :

وإني عدّاني أن أزوركِ مطبقٌ وبابٌ منيعٌ بالحديد مُضَبَّبُ
فإن تعجّبي يا « عاجُ » مما أصابني ففي ريبِ هذا الدهر ما يتعجبُ
وفي النفسِ أشياء أُبيتُ بغمِّها كأنني على جمر الغضى أنقلبُ
تركت رشادَ الأمر إذ كنتُ قادراً عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ

= أيدينا (وكلها مختصرات عدا مخطوطة ابن حيان) الإشارة إلى هذه الغريبة . فابن عذارى يقول : « ثم بعث فيه الأمير ليلا ، فقتله وسجن أولاده وحاشيته ، واثّهب ماله وهدم داره ، وألقى أولاده في السجن ، وألزمهم غرم ٢٠٠٠٠٠ دينار ، فلم يزالوا في السجن والغرم إلى موت المنذر وولاية أخيه عبد الله ، ثم أطلقهم عبد الله ، وصرف عليهم ضياعهم ، وولى أحدهم الوزارة والقيادة » (البيان : ١١٦/٢)

(١) العداوة بين عبد الملك بن عبد الله بن أمية وهاشم بن عبد العزيز عداوة قديمة ترجع إلى أول ولاية ابن أمية الكتابة العليا للأمير محمد ، وكانت خطة كبرى تجعل صاحبها في عداد الوزراء ، وكان يتولاها قبله حامد بن محمد الزجالي ، وكان عبد الملك بن أمية غير مؤهل لصناعة الكتابة ، فهاجمه هاشم بن عبد العزيز من هذه الناحية ، ومضى يتنقصه ، فنهض الأمير محمد إلى سوء تصرفه فتوقف حيناً عن مهاجمة عبد الملك بن أمية . وقد صرح ابنُ أمية الأميرَ بأنه لا يجيد الكتابة ، فأبقاه الأمير فيها رغم ذلك ووعده بأن يمهّد بمن يعينه فيها . ثم عاد هاشم إلى تنقص عبد الملك ونقده ، واشتدت العداوة بينهما . وقد ظلت الغلبة لهاشم ما عاش الأمير محمد ، فلما مات وخلفه ابنه المنذر أمكنت الفرصة لعبد الملك بن أمية في هاشم ، فلم يتوان في الانتقام (ابن حيان ، مخطوط ، ص ٢٢٤ ب ، ١٢٢٥)

(٢) الأصل : وغطيت .

وكم قائل قال : انجُ ويحك سالماً
فقلت له : إن الفرار مَذَلَّةٌ
سأرضى بحكم الله فيما يُتَوَبَّنِي
فمن يكُ مسروراً بحالى فإنه^(١)
ففى الأرض عنهم مُستترادٌ ومذهبُ
ونفسى على الأسواء أحلى وأطيبُ
وما من قضاء الله للسرء مهربُ
سينهل فى كاسى وشيكاً ويشرب

وله ، وكتب به إلى وليد بن غانم^(٢) الوزير فى أسره أثناء مخاطبة :

فكم غصية بالدمع نهنتُ خوفَ أن يُسرَّ بما أبدية شنانُ كاشحُ
تحملتُ عنه ثم نادمتُ فى الدُّجَى نجومَ الثريا والدموعُ سوافحُ
وله مما قاله بديهاً ، ووقعَ بذلك على ظهر رقعة لأحد أبنائه خاطبه فيها
بشعر ضعيف :

لا تقلُ — إن عزمتَ — إلا قريضاً رائقاً لفظهُ ، ثقيفاً رصينا

(١) فى البيان لابن عذارى (١١٦/٢) :

* فن يك أسمى شامتاً بن فإنه *

(٢) وليد بن عبد الرحمن بن غانم من أجل وزراء الأمير محمد وأقدرهم وأعظمهم مروءة وأكثرهم ثقافة وعلماً . كانت أول الوظائف الكبيرة التى وليها وظيفة « صاحب المدينة » ولأه إياها الأمير محمد ، ثم استعفى منها لخلاف فى رأى مع الأمير محمد حول مسألة تتصل بالإدارة والمال ، ثم ثبتت صحة رأيه ، فعاد الأمير محمد واستدعاه ليشغل وظيفة صاحب المدينة كما كان ، فأبى ، وظل معزلاً إلى أن رفعه محمد إلى مرتبة الوزارة . وكان وليد صديقاً لهاشم بن عبد العزيز ، فلما وقع هاشم أسيراً فى غزوة خرج إليها تحت قيادة المنذر بن محمد ولى العهد للقضاء على ابن مروان الجليقى غضب الأمير محمد إذ رأى فى وقوع هذا الوزير القائد الأثير إليه مهانة للدولة ، فجعل « يلومه ويستقصره ويحمل عليه وينال منه » ولم يبق فى المجلس من لم يحمل على هاشم ، إلا وليد بن غانم فقد تصدى للدفاع والاعتذار عنه ، فأعجبت هذه الشهامة الأمير محمداً . وفى سنة ٢٦٣ خرج وليد فى الغزاة تحت إمرة الأمير المنذر لقتال ابن مروان الجليقى وكان هاشم فى أسره . وقد أطلق ابن مروان أسره هاشم سنة ٢٦٤ .

ابن حيان ، المخطوط : ١٢٣٢ ، ب . ابن عذارى ، البيان : ١٠٢/٢ - ١٠٣ .

[٤٠-ب] / أو دع الشعر ، فهو خير من الفـث ، إذا لم تجد مقالا سميناً

وما أحسن قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي في هذا المعنى :

حرر لمعناك لفظاً كي تزان به وقل من الشعر سحرأ ، أو فلا تَقُلْ
فالكحل لا يفتن الأبصار منظره حتى يُصَيِّرَ حَشَوَ الأعينِ النُّجْلِ

ولهاشم في البيرة يذم وروده عليها ، وهي مكان أوليته :

إذا نحن رُحْنَا عنك يا شرَّ بلدةٍ فلا سُقِيتُ رباك صوبَ الرواعدِ^(١)
ولا زال سوطٌ من عذاب مُنْزَلٍ على قائمٍ من ساكنيك وقاعدِ

فأجابه فتى من أهلها المتأدين يعرف بابن وجيه :

لقد حُرُمَ التوفيقَ مَنْ ذمَّ بلدةً يروح بها في نعمة وفوائدِ
ومن يتمنى سوط خزي منزلٍ على قائمٍ من ساكنيها وقاعدِ
فإن كنتم لم تحمدوا ما اخترتمُ فكلُّ لـكـلٍّ لائِمٍ غير حامدِ

٥٢ - ابنه عمر بن هاشم

سجنه الأمير المنذر بن محمد مع إخوته لما نكب أباهم ، ثم أمر بصلبهم في الغزاة التي توفي فيها ، وولى أخوه الأمير عبد الله بن محمد فمجل الكتاب بإطلاقهم ، ثم قدم وولى عمر هذا كورة جيتان ، وأخاه أحمد بن هاشم الوزارة والقيادة . ومن شعر عمر :

يا خـيـلاً فضله با دِ على كلِّ خليلٍ
والجميد الشعرَ في كـ بلِّ بسيطٍ وطويلٍ

(١) كذا عند ابن حيان وابن الأبار ، وفي البيت زحاف ظاهر .

بضروب الضرب والإي . قناع والقول الأصيل
لا تلعني واصفحن عند (م) ي ومهل لي سبيلي
في خلاصى [...] [...] العذر الجميل^(١)

٥٣ - تمام بن عامر الثقفي

الوزير ، أبو غالب

هو تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة^(٢) ، مولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفي ؛ وأم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية
ابن أبي سفيان ، / عُرف بها ابنه لشرفها .

[١ - ٤١]

ودخل تمام بن علقمة أبو غالب الأندلس في طالعة بلج ، وهو أحد النقباء
القائمين بدولة عبد الرحمن بن معاوية ، وولى له الحجابة والقيادة . وهو افتتح
طليطلة عنوة مع بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، ثم ولى وشقة وطرطوشة
وطرسونة ؛ وعمر طويلاً وتوفى في آخر دولة الحكم الربيعي .

وقد وُلد تمام بن عامر هذا [سنة أربع وثمانين ومائة]^(٣) ، وكان غالب بن تميم

(١) الأصل : العذر الجميل . وقد جعلها دوزى (ص ٧٧) : الجهل الجميل .

(٢) ذكر ابن حبان نقلاً عن « كتاب القاضي أبي الوليد بن القرضى المؤلف في الأدباء » .

نسبه الكامل ، قال : « هو تمام بن أحمد بن عامر بن غالب بن تمام بن علقمة مولى عبد الرحمن
ابن أم الحكم الثقفي »

(٣) أكملت العبارة بهذا السياق ، وسيذكر ابن الأبار نفسه تاريخ مولده في آخر
ترجمته ، ولكن إذا حسبنا هذا التاريخ على أساس تاريخ وفاته وعمره بحسب ما يذكره ابن
الأبار ، لكان ميلاده سنة ١٩٧ هـ .

واليّاً على طَلَيْطَلَةَ ، وقتله سليمانُ بن عبد الرحمن بن معاوية وصلبه ومثّل به في انتزائه على أخيه هشام بن عبد الرحمن الأمير بعد أبيهما .

وولّى تمام بن عامر خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله ، فانتظمت وزارته لثلاثة من الخلفاء . وعُمرَ عمراً طويلاً زائداً على عمر جده الأكبر ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقد بلغ ستّاً وتسعين سنة . وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولائها والخلفاء فيها ووصف حروبها ، من وقت دخول طارق بن زياد مُفَتِّحِهَا إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حَيّان . وقال أبو بكر الرازي : ولد عامر ابن أحمد تماماً ؛ ولّى الوزارة والخليل والقيادة ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين — يعني ومائتين — ومولده سنة أربع وتسعين ومائة . ومن شعره :

يُكَلِّفُنِي الْعُدَالُ صَبْرًا عَلَى الَّتِي ^(١) أَبَى الصَّبْرُ عَنْهَا أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّهَا
إِذَا مَا قَرَعْتُ ^(٢) النَّفْسَ يَوْمًا فَأَبْصَرْتُ سَبِيلَ الْهَدَى عَادَ الْهَوَى فَأَضَلَّهَا
وَكَمْ مِنْ عَزِيزِ النَّفْسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً أَقَادَ الْهَوَى مِنْ نَفْسِهِ فَأَذَلَّهَا
عَجِبْتُ لِمَعْدُولٍ ^(٣) عَلَى حَبِّ نَفْسِهِ يَكْلَفُهُ عُدَالُهُ أَنْ يَعْلَمَهَا

(٢) الأصل : إنّي ، وقد جعلها دوزى (ص ٧٨) : أنسى ، والتصويب من ابن حيان .
وقد قال تمام هذا الشعر في زوجته أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية ، قال ابن حيان :
« فجاه من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن قُطَيْس ، فتمام جده لأمه . وكانت أم الوليد بارعة
الجمال سبّاءً للألباب ، فرآها تمام فعَلِقَها وهام فيها ، فانقاد لهواه في نكاحها ، فكان أعداؤه
يعيبونه بها ، ومن قوله فيها لما عدل في نكاحها . . » ثم أورد الأبيات الواردة في متن ابن الأبار .
(٣) ابن حيان : وزعت .

(٤) الأصل : لمعدور ، والتصويب للوزى ، ص ٧٨ . وقد جعل ابن حيان هذا

البيت :

عجبت لمشفوف على الحب نفسه يكلفه عداله أن يسـلـها

٥٤ — منصور بن محمد بن أبي البهلول

دخل الأندلس جدُّه أبو البهلول — واسمه منصور بن صدقة — في أيام
الأمير عبد الرحمن بن معاوية فاستعمله ، وكان يُسكنه لِسْنَه وفضله ؛ ثم تصرف
ابنه محمد للأمير الحَكَم في بعض أشغاله ؛ وحجب منصور هذا مسألة^(١) بن
عبد الرحمن بن الحَكَم / في الكور المجندة^(٢) دهرأ ، ثم ولي العَرَض^(٣) [٤١ - ب]
للأمير بن محمد وابنه المنذر بن محمد ؛ ذكره الرازي ، قال : وكان فيه تصرف
ورواية غزيرة وشعر حسن يمدح به الخلفاء ، وأنشده :

كما أن خير العالمين محمدٌ براحتة عين من الجود تنبعُ

وله :

بمحمدٍ مُحمدَ الزمان كما بفعاله قد أحسن^(٤) الذكْرُ

(١) الأصل : سلمة ، وكذلك عند دوزي (ص ٧٨) ، وقد صوبت الاسم من قائمة
أسماء أبناء عبد الرحمن عند ابن حبان (مخطوط ص ١٢) .
(٢) هذا التعبير غير واضح لى ، لأن الكور المجندة هي الكور التي أنزل فيها جند
العرب على أيام أبي الخطار الحسام بن ضار الكلبي كما هو واضح في ترجمته وفي أصول أخرى ،
وقد عالجننا هذا الموضوع في «فجر الأندلس» . ولكن : كيف يحبب رجل لمسلمة بن عبد الرحمن
الأوسط في هذه الكور؟ ربما جاز تفسيره على أنه كانت هناك إدارة خاصة للكور المجندة ،
أى خاصة بما ينبغى على كل منها من جند وأرزاقهم وحقوقهم وما إلى ذلك ، تولاها أيام عبد الرحمن
ابنه مسلمة ، وكان منصور هذا حاجبه في هذه الإدارة ، وحاجبه هنا تعنى شيئاً مثل مدير مكتبه
في تعبيرنا الحديث . فإذا صدق هذا الفرض كانت وظيفة إدارية كبيرة ، لأن الكور المجندة
كانت تقدم لجيش الإمارة معظم جنده العرب .

(٣) العَرَض وظيفة من وظائف التنظيم العسكرى ، وهى استعراض الجنود المقيدين
في الديوان في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم والتثبت من سلاحهم وخيل الفرسان منهم وحالتها
وما إلى ذلك . وتسمى أيضاً الاعتراض والتميز . وكان العرض يجرى في ميدان كبير خارج
العاصمة ، وفي صبيحته ينادى ببوق جهير ليحضر الجند .

(٤) في الأصل : حسن مشكولة هكذا ، ولا يستقيم بها الوزن .

أيامه بيض مهذبة لولا مكارمه انقضى الدهر
وله :

كم ، إلى كم أتسلى ؟ ليس لي صبر .. أجل ، لا !
بابي أنت وأمي وترى قتلى حلاً ؟
حاش الله بأن أسـ لو عن الحب وكلاً

٥٥ - عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة الوزير ، أبو عثمان^(١)

تصرف للأمير عبد الله بن محمد في الكور وحجابه الأولاد والمدينة والخليل
والقيادة ، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة . وكان - مع افتنانه في الأدب
واتصافه بالبلاغة - ذا بأس وغناء في الحروب ، وكانت له فتوح جمة ومقاوم^(٢)

(١) استكثر الأمير عبد الله بن محمد من الوزراء أول عهده حتى بلغوا في بعض الأوقات
ثلاثة عشروزيراً ، ثم تناقص عددهم حتى أصبحوا أربعة عند موته . أما الحجابة فقد استغنى
عنها أخريات أيامه مكتفياً ببدر بن أحمد الحصى الصقلبي وصيقه « الصيق بنفسه ، الخفيف
عليه » كما يقول ابن حيان (ص ٤ من الجزء الذي نشره الأب ملشور أنطونيا) . قال ابن حيان
(ص ٥ من ذلك الجزء) : « ومن الغريب أن اجتمع في بيت الوزارة في أيامه أربعة رجال
من وزرائه - أي وزراء الأمير عبد الله - أقارب من بيت واحد من صميم الموالى آل أبي عبدة
حسان بن مالك ، هم :

أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة (صاحب الترجمة) .

وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبدة .

وسلم بن علي بن أبي عبدة .

وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة المعروف بـ ^{مرو}يدحيم » .

(٢) هذه الصيغة - جمعاً لمقام - غريبة من ابن الأبار ، وقد أخذها عن ابن حيان -

محمودة . وتوفى حاملاً بتحمل بذر الوصيف^(١) عليه بعد أن استأذن للحج ، فأدى
فرضه وكره إلى قرطبة فلزم داره ؛ وسيأتي ذكر هذا مع نسبه مستوفى عند ذكر
ابنيه جهور الوزير ومحمد . وفيه يقول العتبي الشاعر^(٢) ، وقد اعتل وهو
يلي الكتابة :

لَا يَنْفَعُ الْعِيَّ مَذُّ أَصْبَحْتَ مَرْتَدِيًّا ثَوْبَ السَّقَامِ وَجَفَّتْ زَهْرَةُ الْكَلَمِ
وَاسْتَوْحَشَ الطَّرْسُ مِنْ أَنْسِ الْبَدِيعِ إِذَا نَشِبَتْ فِيهِ وَطَالَتْ عُجْمَةُ الْقَلَمِ
ومن شعر عبيد الله :

صَدُودٌ لَيْسَ يَبْلُغُهُ عِقَابٌ وَعَتَبٌ لَيْسَ يَنْتُمِيهِ عِقَابٌ
وإِعَادٌ — بلا ذنبٍ — طَوِيلٌ وإِعْرَاضٌ وَهَجْرٌ وَاجْتِنَابٌ
فَلا سَهْرٌ يَطِيبُ وَلَا رُقَادٌ وَلَا طَعْمٌ يَسُوءُ وَلَا شَرَابٌ
/ فِجْسِي نَاحِلٌ وَالْجَفْنُ مَنِي قَرِيحٌ ، وَالْفَوَادُ لَهُ اضْطِرَابٌ [١-٤٢]
وَمَوْتُ عَاجِلٌ أَحْلَى وَأَشْهَى إِلَى مَنْ أَنْ يَطَاوَنِي الْعَذَابُ

٥٦ — سوار بن حمدون القيسي المحاربي

من محارب بن خصفة بن قيس عيلان . ثار بناحية البراجلة من كورة
إلبيرة في سنة ست وسبعين ومائتين ، وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله

(١) ذكرنا اسمه الكامل في التعليق الذي قبل السابق ، وقد أورد ابن حيان في سيرة الأمير
عبد الله ما يدل على ذكاء بدر هذا وحسن رأيه ، فهو صاحب الفضل في استتلاف بني الحجاج
التائرين في إشبيلية وكسبهم إلى جانب الأمير عبد الله .

(٢) محمد بن عبد العزيز العتبي ، نقل ابن سعيد من « المسهب » أنه كان من نهاء
شعراء دولة الأمير محمد ، وكان مخصوصاً بالقاسم ابنه ، كما كان مؤمن بن سعيد مخصوصاً
بسلمة ابن الأمير محمد (المغرب ، ١/ ١٣٤) .

ابن محمد ، وانضوت إليه بيوتات العرب من إليرة وجيان وريّة وغيرها ، عند ما تميزت الأحزاب^(١) بالعصية وشبّوا نار الفتنة . وكان مبتدأ رئاسة سوار هذا أنه كان صاحباً ليحيى بن صقالة — أول الخارجين بالبراجلة بهذه الدعوة — عن استبصار شديد وحمية ، فصبّ على المولدين والمعجم منه ومن أصحابه أعظم آفة ، إلى أن أصابوا منه غرة فثاروا به بغتة وقتلوه^(٢) . فرأس أصحابه بعده سواراً هذا ، فاشتد به أمرهم وقام طالباً بثأر صاحبه . وكان شجاعاً مخرباً^(٣) ، فكثرت أتباعه واشتدت شوكته واعتز العرب بمكانه ، فللف جموعها وحى ذمارها وسعى لإدراك ثارها . وقصد حصناً^(٤) اجتمع فيه من المولدين والنصارى نحو من ستة آلاف رجل ، فنازلهم بالعرب حتى قهرهم ، وأخرج نابلاً^(٥) رئيسهم المقيم

(١) جعلها دوزى « الأعراب » دون مبرر (ص ٨٠) . والعبارة منقولة بنصها من ابن حيان : « قال عيسى بن أحمد (الرازى) : فى صدر هذه السنة ثار سوار بن حمدون القيسى بناحية البراجلة من كورة إليرة ، وقد انضوت إليه بيوتات العرب من كور إليرة وجيان وريّة وغيرها عندما تميزت الأحزاب بالعصية وشبوا نار الفتنة . . » . وقد أراد دوزى بهذا أن يلقى تبعة هذه الفتنة الكبرى — التى شغلت كل أيام الأمير عبد الله وجزءاً من أيام عبد الرحمن الناصر — على العرب ، وهو غير صحيح كما يتضح من البيان الشافى الذى يقدمه ابن حيان عن هذه الفتنة فى الجزء الذى نشره ملشور أنطونيا .

(٢) كان يحيى بن صقالة القيسى قد « وادع أهل حاضرة إليرة الذين دعوتهم للمولدين والمسالمة وعقد بينه وبينهم أماناً مؤكداً ، حلفوا عليه أيماناً مغلظة توثق بها منهم ، واطمأن إليهم فجعل يأتى حاضرتهم ينزل فيها ويقيم الأيام ، وهم يرصدون منه غرة فى بعض قدّماته إليهم ، فثاروا به بغتة وقتلوه ، فرأس أصحابه سواراً » . ابن حيان ، المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا) ص ٥٥ .

(٣) مخرب مصطلح يستعمله ابن الأبار كثيراً ، ويريد به الكثير الحرب . وقد ورد اللفظ عند ابن حيان (ص ٥٥) : محارباً .

(٤) هو حصن منت شافر Monte Sacro على الجبل الذى يحمل نفس الاسم ، وهو مطل على سهل غرناطة .

(٥) الأصل نائل ، والتصحيح من ابن حيان (المقتبس ، ص ٥٥) . كان زعيماً من زعماء المولدين الذين قاموا على العرب فى كورة إليرة . وقد كانت أول حرب نابل مع يحيى بن صقالة ، فغلبه على حصن منت شافر وانزعه منه ، فاسترده سوار .

فيه عنه ومَلَكَه . وكان نَابِلٌ قد انتزعه من يحيى بن صُقَالَة ، فاسترده سَوَار إلى مُلْكِهِ .

نم افتتح حصون المسالمة والنصارى حصناً حصناً ، وقتل من ظفر به وغنم أموالهم . ولقيه جَعْد بن عبد الغافر — عامل الأمير عبد الله — فهزمه سَوَار وقتل من أصحابه نحواً من سبعة آلاف ، وأسر جعداً فمنّ عليه وأطاعه وأبلغه وأمنه ^(١) .

وغلظ أمره فاستبق حينئذ إلى حصن غرناطة بالقرب من مدينة البيرة ، وصعد إليه فتبوأه داراً اجتمعت إليه فيه عرب كورة البيرة وكانت به عرب النواحي إلى حدود « قلعة رباح » وغيرها ، وكانت دار الداخلين إلى الأندلس من بكر ابن وائل ، فصاروا إلْباً معه على المولدين . وبَجَح ^(٢) سَوَار بما تهيأ له على أعدائه ، وعلت هِمَّتُهُ ، وأمَلَّتُهُ العربُ ، وعلا في الناس ذكره ، وقال الأشعار الجرزلة ، / وأكثَرُ الفَخَارِ بنفسه وقومه . ذكر ذلك ابنُ حَيَّان ، وحكى أنه أوقع بأصحاب [٢ - ب] ابن حَفْصُون ثانيةً ، ويقال إن قتلاهم كانوا اثني عشر ألفاً ، وتُعرف

(١) بعد أن انتصر سوار الحاربي على نابيل ومن معه من المولدين والمسالمة استشرى أمره وانطلق يستولى على حصونهم ويقتل من يظفر به منهم ويغنم أمواله ، وكانت نتيجة إسراره أن أخذ بقية المولدين والمسالمة ينضمون إلى الثورة ، فخاف جعد بن عبد الغافر عامل كورة البيرة للأمير عبد الله أن يؤدي ذلك إلى خروج الكورة كلها من يده ، فصار إلى حرب سوار وانضم إليه المولدون ، فانهزم جعد ووقع في أسر سوار ، ثم أطلق هذا سراحه . وكان جعد من أقدر قواد الأمير عبد الله ، وكذلك كان أخوه أمية ، وقد ظل أمية يقاتل في سبيل الإمارة القرطبية والجماعة حتى استشهد في معركة مع بني الحجاج الحارجين في إشبيلية في موقف يفيض حمية ورجولة .

(٢) جعلها دوزى (ص ٨١) : فخم ، ولا محل للتغيير ، لأن الكلمة صحيحة في

موضعها : بجح بمعنى فرح وعظمت نفسه عنده (اللسان : ٢٢٨/٣) .

بـ « وقيمة المدينة »^(١) . قال : وقد ذكرها سعيد بن جودي السعدي صاحب

سوار والوالي رئاسة العرب بعده في شعر له ، منه :

ولما رأونا راجعين إليهم تولوا سراعاً خوفَ وقعِ المفاسِلِ
فسيرنا إليهم والرماحُ تنوشهم كوقع الصياصي تحت رَهجِ القَسَاطِلِ
فلم يَبْقَ منهم غيرُ عانٍ مُصَفَّدٍ يُقَادُ أسيراً مُوثَقاً في السلاسلِ
وآخرُ منهم هاربٌ قد تضايقت به الأرضُ يهفون من جوى وبلابلِ
ومنه :

لقد سلَّ سوارٌ عليكم مُهَنِّداً يَحْدُثُ به الهاماتِ جَذَّ المفاصلِ
به قتلَ الله الذين تمزَّبوا علينا وكانوا أهلَ إِنْكَ وِباطِلِ
سما لبني الحمراءِ إذ حانَ حَيَنُهُم بجمعِ كَيْثِ الطَّوْدِ أَرَعْنَ راقِلِ
أدرتم رحي حربٍ فدارتْ عليكم لحُتَفٍ قد أفناكم به اللهُ عاجِلِ
لَقَيْتُمُ لَنَا مَلْعُومَةً مُسْتَجِيرَةً تُجِيدُ ضرابَ الهامِ تحتِ العوامِلِ
بها من بنى عدنانَ فتيانَ غَارَةٍ ومن آلِ قُحْطَانَ كَيْثِ الأَجَادِلِ
يقودهم لَيْثٌ هِزَزَ ضُبَارِمُ مِحْشُ حُرُوبٍ ماجدٌ غيرُ خَامِلِ

(١) كسب سوار بن حملون القيسي انتصارين كبيرين ، الأول انتصاره على جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله على البيرة وأهل البيرة الذين يعرفون هنا بأهل الحاضرة ، وقد ذكرنا هذا الانتصار ويسمى بوقيمة جعد . والانتصار الثاني كان على أهل البيرة أيضاً ، وكان سوار وأصحابه قد احتلوا حصن غرناطة واتخلوه قاعدة لهم فأراد خصومهم من المولدين والمسألة أن يخرجوهم منه ، وهاجموا الحصن ، ولكن سواراً استطاع الانتصار عليهم وأوقع بهم بعد مقتل عظمية ، قال ابن حيان : « فيقال إن قتلهم في هذه الوقعة كانوا اثني عشر ألفاً ، وهذه هي وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة » . هذا ، وقد كانت نتيجة شدة سوار أن انضم المولدون والمسألة في كور جيان وإلبيرة ورية إلى عمر بن حفصون ، قال الأمر إلى أن قتل سوار في إحدى المعارك . (ابن حيان : المقتبس ، ص ٥٨ - ٦١) .

أرومته من خير قيس سما به إلى المجد قدماً والعلا كل فاضل
له سورة قيسية عربية بها زاد عن دين الهدى كل جاهل^(١)

وهي طويلة . وقال في ذلك :

فما كان إلا ساعةً ثم غودروا كمثل حصيدٍ فوق ظهر صعيدٍ
وقال أيضاً قصيدة أخرى ذكر فيها أنبر جعد بن عبد الغافر مخاطب

المولدين^(٢) :

لم تزالوا تبغونها عوجاً حتى وردتم للوت شرّاً ورود
فاصلوا حرها وحرّ سيفٍ تتلظى عليكم كالوقود
/ قد قتلناكم يبحي وما إن كان حكم الإله بالمرود^[١-٤٣]
هجمتم يا بني العبيد^(٣) ليوثاً لم يكونوا عن ثارهم بقعود

(١) أورد القصيدة بكاملها ابن حيان في المقتبس (تحقيق ملشور أنطونيا ، ص ٥٧ - ٥٨) فيما عدا الأبيات الخمسة الأخيرة التي ذكرها ابن الأبار . ويلاحظ أن هذه الأبيات واضحة الوضع ، فإن سواراً لم يكن ينود عن «دين الهدى» وإنما كان يحارب جند إمارة قرطبة الدائنة عن «دين الهدى» ، وكان يحارب المولدين والمسألة وهم مسامون ، بل كان عمر بن حفصون إلى ذلك الحين مسلماً ، وإنما كان خارجاً عن طاعة الإمارة . وهذا يكتفي للدلالة على أنها أضيفت فيما بعد ، أضافها رجل لا يعرف الظروف التي أحاطت بثورة يحيى بن صقاله وخلفه سوار بن حمدون ثم خلفهما سعيد بن جودي ، وكلهم قيسيون .

(٢) قال ابن حيان في التقديم لهذه الأبيات : «ولسعيد بن جودي في مديح سوار بن حمدون وذكر وقيته الأولى بأهل حاضرة البيرة وأسر له جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله وأخذه بثار يحيى بن صقاله أميرهم قبله قصيدة طويلة منها .» (المقتبس ، ص ٥٨) .

هذا ، وقد أورد ابن الأبار مختاراً من هذه القصيدة وترتيب الأبيات عنده يختلف عن ترتيبها في المقتبس (ص ٥٩) ، ولم نر ضرورة للإشارة إلى اختلافات الترتيب في المرجعين .

(٣) المقتبس : العبود .

وهذه اللفظة هنا تكشف عن حقيقة هذه الفتنة التي جرت على الإمارة الأندلسية وأهلها بلاد عظيمة . فإن أبا الخطار الحسام بن ضرار عندما فرق الجند العربي على الكور التي عرفت باسم =

جاءكم ماجدٌ يقود إليكم فتيةً ذادةً كمثل الأسود^(١)
 يطلب النار، ثار قوم كرام آزرُوا باليهود بعدَ اليهود^(٢)
 فاستباح الحمراء^(٣) لم يبق منهم غير عانٍ في قدّه مصفود
 قد قتلنا منكم أوفًا وما يَف دِلُّ قَتَلَ الكَريم قتلُ العبيد
 فلئن كان قَتَلَه غَدْرَةٌ ما كان بالنَّكسِ، لا ولا الرَّعيد

يريد يحيى بن صقالة أمير العرب القائم على المولدين . وقال يحيى بن أخى

= الكور المجندة ، وهى : البيرة ورية وجيان وإشبيلية وشنونة وباجة وتدمير ، أنزلهم فيها « على أموال العجم من مال ونعم » أى جعلهم سادة هذه الكور ، « وجعل لهم ثلث أموال أهل اللفة من العجم طعمة » . وقد أسلم أهل هذه الكور شيئاً فشيئاً ، ولم يعودوا أهل ذمة ولا عجم ، ولم يعد من الشريعة أن يؤدوا ثلث أموالهم لأولئك العرب ، ثم إن أعدادهم تكاثرت نتيجة للأمان والاستقرار فى ظل أمراء قرطبة ، وفُقلت عليهم تلك الحباية الكبيرة ، ومن ناحية أخرى لم تعد لهذا الوضع ضرورة بعد قيام الإمارة وقيامها بأمر جميع أهل الأندلس ، ولهذا فقد بدأوا يتململون من هذا الوضع ، وناصرتهم الإمارة ورجالها . ولكن العرب المستقرين فى تلك الكور استمسكوا بضرورة الأداء على هذا النحو ، فثار المولدون والمسألة وأيدهم عمال الإمارة وحاربوا أولئك العرب ، ثم تطور الأمر بعد ذلك واتسع مداه ودخلت فيه عوامل أخرى ، وخاصة بعد أن دخل فى الموضوع عمر بن حفصون .

(١) المقتبس (ص ٥٩) : فتية منهم كثل الأسود .

(٢) الأصل : أذروا باليهود قبل اليهود . وقد قرأ دوزى : إذ وفوا . وعند ابن حيان : أخذوا باليهود قبل اليهود . وفى مخطوط « الإحاطة » فى أكاديمية التاريخ فى فى مدريد :

يطلب النار ابن قوم كرام أخذوا باليهود قبل اليهود

وقوله : « أخذوا باليهود » يؤيد ما قلناه من أن أولئك العرب كانوا يستمسكون بما عاهدهم عليه أبو الخطار .

(٣) الحمراء هنا اختصار « بنى الحمراء » ، وهكذا كان أولئك العرب يسمون أهل البلاد .

يجي بن صقالة ، من قصيدة طويلة يمدح فيها سَوَاراً ويذكر وقعة البيرة
ويناقض العبلي^(١) شاعر المولدين ، وقيل إنها لسميد بن جودي^(٢) :

سَوَارٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ سَيْفٌ أَبَادَ ذَوَى الْغَوَايَةِ فَاضْمَحَلُوا
سَقَامَ كَأْسٍ حَتَفٍ بَعْدَ حَتَفٍ بِهَا نَهَلَ الْعَبِيدُ مَعَا وَعَلَوْا
قَتَلَتْ بَوَاحِدٍ سَوَارُ أَلْفَا وَأَلْفُهُمْ بَوَاحِدِنَا يَقِلُّ
وَأَكْثَرُ قَتَلِنَا لَهُمْ حَلَالٌ بِمَا ارْتَكَبُوهُ ظُلْمًا وَاسْتَحَلُّوا
فَأَوْرَدْنَا رِقَابَهُمْ سَيُوفًا تَشْبُ النَّارُ مِنْهَا إِذْ تُسَلُّ
وَرِثْنَا الْعِزَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ وَإِثْرُكُمْ بَنَى الْعُبْدَانِ ذُلُّ
وَأَوَّلُ شِعْرِ الْعَبْلِيِّ^(٣) :

قَدْ انْقَصَفَتْ قَنَاتُهُمْ وَذَلُّوا وَضَمْعُ^(٤) رُكْنِ عِزِّهِمُ الْأَذْلُ

(١) الأصل : الصلى ، والتصويب من المقتبس لابن حيان (ص ٦٢ - ٦٣) وهو
عبد الرحمن بن أحمد المعروف بالعبلي ، ينسب إلى قرية عبلة التي منها أصله ، وكان شاعر البيرة
المحامي عن المولدين ، وكان يقابله في الجانب العربي محمد بن سعيد بن بخارق الأسدي «أسد بني
خزيمة ، شاعر العرب القائم فيها مقام العبلي في المولدين ، وكان كل منهما يحرض قومه ويناضل
عن مذهبه ويصف ما يجري لقومه على أصدادهم من الوقائع المخزية ، فلهما في ذلك أشعار كثيرة ،
وكل منهما كان بعيد المدى في فرط العصبية » .

(٢) قلت هذه الأبيات رداً على قصيدة العبلي ومطلعها :

قَدْ انْقَصَفَتْ قَنَاتُهُمْ وَذَلُّوا وَزَعَزَعَ رُكْنِ عِزِّهِمُ الْأَذْلُ

وقد أورد ابن حيان الأبيات في المقتبس (ص ٦٥) وبين روايته ورواية ابن الأبار
خلاف .

(٣) الأصل : العبلى ، وهو تصحيف .

(٤) في المقتبس (ص ٦٤) : وَزَعَزَعَ .

فَا طَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ لَدَيْهِمْ وَهَامَ عِنْدَنَا فِي «الْبِيرِ» طَلٌّ^(١)
ومن شعر سَوَّار قوله من قصيدة طويلة :

صَرَمَ الْغَوَانِي يَا هُنَيْدُ مَوْدَقِي إِذَا شَابَ مِفْرَقُ لِمَتِّي وَقَدَالِي^(٢)
[٤٣-ب] / وَصَدَدَنَ عَنِّي يَا هُنَيْدُ وَطَلْمَا عَلَقَتْ حِيَالُ وَصَالِهِنَّ حِيَالِي
وَقُتِلَ فِي صَدْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَانَ أَمْدُهُ فِي رِئَاسَتِهِ
نَحْوَ الْعَامِ^(٣) .

٥٧ - سعيد بن جودي السعدي ، أبو عثمان

هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي ؛ هو من
هو أزن من جند قنسرين .

(١) الأصل : ظل دون شكل . وقد تكون : ظَلٌّ ، وهي قراءة طيبة تعطى معنى جيلا .
وقد جعلناها : طَلٌّ متابعة لرواية ابن حيان ، ص ٦٦ .
و «الْبِير» يراد بها «إلبيرة» .

وذكر ابن حيان لمناسبة هذا البيت أنه «لما ظهرت العرب على أهل حاضرة إلبيرة وسجل
الأمير عبد الله لأميرهم سعيد بن جودي على الكورة ، فدخل الحاضرة ، وأتاه شاعرهم عبد الله
بن أحمد العبلي (كذا ، وقد ذكر قبل ذلك أن اسمه عبد الرحمن) بشعر يمتدحه فيه ، فاستمع له
وأمر له بجائزة . ثم ذكره أحد الحاضرين بشعره الذي قال فيه هذا البيت ، فأمر سعيد بن جودي
بعض بني صقالة بقتله وإلقاء جثته في «بئر غامضة» ففعل ، فكانه فهم لفظ «الْبِير» على أنها
«البئر» لا ترخيما للفظ إلبيرة .

(٢) صحف دوزي هذا البيت تصحيفا شديداً أفسد وزنه ومعناه :

صرمن الغواني يا هنيد مودق إذا شاب مفرق لتي وقداي
ثم أضاف حاشية طويلة يفهم منها أنه خلط بين البيت وما قبله ، ووضح أنه من قصيدة
أخرى . ومن الغريب أن يعسر عليه هذا البيت مع وضوحه ومع أنه قرأ وفسر ما هو أعسر منه
بكثير .

(٣) راجع المقتبس ، ص ٦٠ .

وَلِيَ جَدُّهُ جُودَى بْنُ أَسْبَاطِ الشَّرْطَةِ لِلْأَمِيرِ الْحَكَمِ الرَّبَّضِيِّ، وَوَلِيَ
 أَيْضًا قِضَاءَ بَلَدِهِ الْبَيْرَةِ — وَقَعَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي «الْمُقْنِعِ» مِنْ تَأْلِيفِ ابْنِ بَطَّالٍ
 فِي الْأَحْكَامِ^(١). وَلَمَّا قُتِلَ سَوَّارُ بْنُ حَمْدُونَ ذَلَّتِ الْعَرَبُ بِمَقْتَلِهِ، وَكَلَّ حَدَّهَا
 بِمَا نَزَلَ فِيهِ، وَكَانَ قَدْ أَصِيبَ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ حَفْصُونَ^(٢). فَيُقَالُ
 إِنْ جِثَّتْ مَرْقَاهَا ثَكَالَى نِسَاءَ الْمُؤَلَّدِينَ قِطْعًا، وَأَكَلَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ حَقًّا عَلَيْهِ،
 لَمَّا نَالَهُنَّ بِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ مِنَ الثَّكَلِ فِي بَعُولَتَيْنِ وَأَهْلِيَيْنِ. فَصَبَّتِ الْعَرَبُ
 لِلْإِمَارَتِهَا بَعْدَهُ سَعِيدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ جُودَى صَاحِبَهُ، وَعَاقَتْ آمَالَهَا بِهِ، فَلَمْ يَسُدَّ
 مَكَانَهُ، وَلَا بَلَغَ مَدَاهُ فِي السِّيَاسَةِ. عَلَى أَنَّهُ كَانَ شَجَاعًا بَطَلًا وَفَارَسًا مُحَرِّبًا،
 قَدْ تَصَرَّفَ مَعَ فُرُوسِيَّتِهِ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ، وَتَحَقَّقَ بِضُرُوبِ الْأَدَبِ، فَاغْتَدَى أَدِيبًا
 نَحْرِيرًا، وَشَاعِرًا مُحَسِّنًا، تُعَدُّ لَهُ عَشْرُ خِصَالٍ تَفَرَّدَ بِهَا فِي زَمَانِهِ لَا يُدْفَعُ عَنْهَا:
 الْجُودُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْفُرُوسِيَّةُ، وَالْجَمَالُ، وَالشَّعْرُ، وَالْخُطَابَةُ، وَالشَّدَّةُ، وَالطَّعْنُ،
 وَالضَّرْبُ، وَالرَّمَايَةُ. وَهَابَةُ ابْنِ حَفْصُونَ هَيْبَةً لَمْ يَهَبْهَا أَحَدًا مِنْ مَارِسِهِ،
 إِذْ لَمْ يَلْقَهُ قَطُّ إِلَّا عِلَآءَ وَهْزَمِهِ.

وَلَقَدْ دَعَاهُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ إِلَى الْمُبَارَاةِ، فَلَمْ يُجِبْهُ ابْنُ حَفْصُونَ إِلَيْهَا وَحَادَ عَنْهُ.
 وَوَاجِهَهُ يَوْمًا فَأَلْقَى عَلَيْهِ ذِرَاعَهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَمَا نَجَّاهُ مِنْهُ إِلَّا أَصْحَابُهُ.

(١) هُوَ أَبُو أَيُّوبِ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَطَّالِ الْبَطْلِيوسِيِّ، أَصْلُهُ مِنْ بَطْلِيُوسٍ وَاسْتَقَرَّ
 فِي الْبَيْرَةِ وَعَاشَ فِيهَا. تَرَجَّمَ لَهُ ابْنُ بَشْكَوَالٍ، وَذَكَرَ كِتَابَ «الْمُقْنِعِ فِي أَصُولِ الْأَحْكَامِ»
 وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَسْتَفْنِي عَنْهُ الْحُكَّامُ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ شَاعِرًا مَجِيدًا، وَقَدْ سَمِيَ «الْعَيْنِ جُودَى»
 لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَرُدُّ فِي أَشْعَارِهِ «يَا عَيْنَ جُودَى»، وَقَدْ انْصَرَفَ عَنِ الشَّعْرِ عِنْدَمَا كَبُرَتْ سِنُهُ
 وَتَزَهَّدَ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٤ هـ وَأَنْحَوَهَا.

«الصلة» لابن بشكوال، رقم ٤٤٠ ص ١٩٦. فهرست ابن خيبر، ص ٢٥٢.
 (٢) قَتَلَ سَوَّارٌ عَلَى يَدِ حَفْصِ بْنِ الْمَرَّةِ قَائِدَ عَمْرِ بْنِ حَفْصُونَ «الشَّدِيدَ التَّمَرُّدِ وَالْعِنَّةِ»
 كَمَا يَقُولُ ابْنُ حَيَّانٍ (ص ٥١) وَقَدْ قَتَلَ حَفْصُ هَذَا سَنَةَ ٢٨٠ عَلَى يَدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ أُمَيَّةٍ قَائِدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ عَلِقَ ابْنُ حَيَّانٍ عَلَى قَتْلِهِ بِقَوْلِهِ: «كَبِيرُ قَوَادِهِ وَلِزَازُ حُرُوبِهِ»
 وَخَلِيفَتُهُ فِيمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ مَسَاعِيهِ، فَكَانَ وَجَدَهُ عَلَيْهِ حَسَبُ مَكَانِهِ مِنْ أَثَرَتِهِ» (ص ١٠٨).

الذين انقضوا على سعيد فتنقذوا عمر من يده . وله زَرْقَةٌ بعيدة المدى إلى بعض القناطر المعتلية مشهورة النسبة إليه ، لم يقدر أحد بعده ممن يعاطى الشدة يبلغ إليها — ذكر ذلك أبو مروان بن حيان في تاريخه ^(١) .

وقال في موضع آخر : كان ، مع رئاسته وشجاعته ، شاعراً مفلحاً وخطيباً مصفّعاً ، فصيح اللسان ، ربيط الجفان ، جميل الشارة ، حسن الإشارة ، ثبت [١-٤٤] الأصالة ، واسع الأدب / والمعرفة ، يضرب في صنعة الشعر بسهمه وافرة ، ويتصرف من سبله بكل منيعة ^(٢) . وحسبى أن الأمير عبد الله بن محمد أسجل له على كورة البيرة ، لما ظهرت العرب على حاضرتها . فاتصل قيامه بأمر العرب ، إلى أن قتل غيلةً بأيدي بعض أصحابه في ذى القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين . قال : وزعموا أن من أقوى الأسباب في قتله أبياتاً من الشعر قالها في غمص الأئمة من بني مروان . منها ، قال لعبد الله :

يا بني مروانَ جِدُّوا في الهربِ نَجَمَ النَّائِرُ من وادي القصبِ
يا بني مروانَ خَلُّوا مُلْكَنَا إِنَّمَا الْمُلْكُ لِأَبْنَاءِ الْعَرَبِ ^(٣)
ورثاه الأسدي شاعر العرب في ذلك الأوان ، وقال فيه مُقَدِّمُ بن مُعَا في يرثيه :
من ذا الذي يُطعمُ أو يكسو وقد حوى حِلْفَ الندى رَمْسُ ؟
لا اخضرتِ الأرضُ ولا أورقَ الـ مودُ ولا أشرقتِ الشمسُ

(١) روى ذلك ابن حيان وبعضه عن تاريخ عبادة بن ماء السماء . انظر «المقتبس» ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٢) كذا في الأصل ، وكذلك عند ابن حيان : «المقتبس» ، ص ١٢٣ .

(٣) روى هذه الأبيات أيضاً ابن حيان ^(١) «المقتبس» ، ص ٣٠) ولكنه جعل صدر البيت الأول :

* قل لعبد الله يَجِدُّ في الهرب *

وأضاف إليها بيتاً ثالثاً :

قربوا الورد المحلى بالذهب واسرجوه ، إن نجى قد غلب

بعد ابن جودي الذي لن ترى أكرم منه الجن والإنس
دموع عيني في سبيل الأسي على سعيد أبداً حبس
وقام بأمر العرب بعده محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني صاحب
حصن الحمة ، إلى أن استنزله الناصر عبد الرحمن بن محمد . ولسعيد بن جودي
شعر كثير ، وقد ذكرنا منه جملة . وسمع يوماً منشداً ينشد قول أبي قيس بن
الأسلت :

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم يوماً غير تهجاع
أسي على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساع^(١)
فقال معارضاً له على البديهة :

الدرع قد صارت شماری فما أبسط حاشاها لتهجاع
والسيف إن قصّره صانع طوله يوم الوغى باعى
/ وما كمتي لي بمستقصير^(٢) إذا دعاني للقاء داغ
هذا الذي أسي له جاهداً كل امرئ في شأنه ساع

[٤٤ - ب]

وله في جارية سمعها بقرطبة تغني للأمير عبد الله بن محمد — وذلك في إمارة
أبيه الأمير محمد — فهم بها واشترى جارية سماها باسمها « جيجان » ، فلم يسّله
ذلك عنها وهام بها دهر^(٣) :

سمي أبي أن يكون الروح في بدني فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روعي عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني

(١) وردت هذه الأبيات في الأغاني (١٥ / ١٥٣) وقد راجعها على أصلها هناك
وقومها بمقتضاها .

(٢) في المقتبس (ص ١٢٤) : بمستصغر .

(٣) روى الحكاية بالتفصيل ابن حيان في « المقتبس » (ص ١٢٤) ، وقد ورد اسم
الجارية عنده « جيجان » . وكلتا صورتى هذا الاسم عند ابن حيان وابن الأبار قلقة يبدو أنها محرفة .

كَأَنِّي وَاسْمَهَا وَالدمْعُ مَنْسَكْبُ من مقلتي رَاهِبٌ صلي إلى وَثْنٍ (١)
وله في جارية سُحِلَتْ إليه من قرطبة ، فلما خلا بها أَعْرَضَتْ عنه ودرمت
بطرفها إلى الأرض خجلاً فقال :

أَمَا لَلْأَلْحَاطِ عَنِي إِلَى الْأَرْضِ أَهَذَا الَّذِي تُبْدِي - وَيَحْكُ! - مِنْ بَعْضِي؟
فَإِنْ كَانَ بَعْضًا لَسْتُ وَاللَّهِ أَهْلَهُ وَوَجْهِي بِذَاكَ اللَّحْظِ أَوَّلَى مِنَ الْأَرْضِ
وله أيضاً يهزل ويتنزل :

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ سَاقٍ عَلَى عُنُقِي وَمِنْ مَنَاقِلَةٍ كَأَسَا عَلَى طَبْقِي
وَمِنْ مَوَاصِلَةٍ مِنْ بَعْدِ مَعْتَبَةٍ وَمِنْ مَرَاثِلَةِ الْأَحْبَابِ بِالْحَدَقِ
جَرِيْتُ جَرِيَّ الْجَمُوحِ فِي الصُّبَا طَلَقًا وَمَا خَرَجْتُ لَصَرْفِ الدَّهْرِ عَنْ طَلْقِي
وَلَا انْتَنَيْتُ لِدَاعِي الْمَوْتِ يَوْمَ وَغَى كَمَا انْتَنَيْتُ وَحِيلَ الْحَبِّ فِي عُنُقِي

ومقاصده في غزله للشوب بشجاعته تشبه مقاصد أبي دُلَفِ القاسم بن عيسى
العِجْلِي ، وكانت له أيضاً رئاسة وثورة .

ولسعيد أيضاً في جارية جميلة عَرَضَتْ له صباحاً في غلالة حمراء وهو خارج
إلى مجلسه ، لتأخذ عليه الطريق وهي تتثنى في حركتها فقال :

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرْقٍ حُمْرٍ
ثُمَّ أَعَيْتَهُ الْإِجَازَةَ طَوْلَ نَهَارِهِ وَقَدْ شُغِلَ بِهَا فِكْرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ
[٤٥-١] فَاسْتَأْذَنَ الْعَبِيدِيسَ / الشَّاعِرَ الْكَاتِبَ - وَكَانَ يَنْتَابُهُ هُوَ وَغَيْرُهُ - فَسَاعَةً
دَخَلَ عَلَيْهِ نَادَاهُ سَعِيدُ :

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرْقٍ حُمْرٍ

(١) أورد ابن حيان قبل هذا البيت بيتاً هو :

فَقُلْ لِلرِّيحَانِ يَا سَوْدَى وَيَا أَمْلَى اسْتَوْصِي خَيْرَ بَرُوحٍ زَالٍ عَنْ يَدِي

فأجابه من قبل أن يجلس :

وعهدى بالريحان في ورق خضر

فسراً وأجزل صلته .

وله يرثي :

أُمتنعراً بالصبر قد دُفن الصبرُ مع الحسن^(١) المأمولِ إذ ضمه القبرُ
فيا عجباً للقبرِ مِنْهُ يضمُّه وقد كان سهلُ الأرضِ يحشاه والوعرُ
وما مات ذاك الماجدُ التَّرمُ وحدهُ بل الجودُ والإقدامُ والبأسُ والصبرُ
وإنْ بَكُنِ الشَّيْطَانُ زَيْنَ حَيْرَةٍ لقاتله في الكُفرِ ، بل دونه الكُفرُ
فشمسُ الضحى ترجو لفقدانِ نورهِ وبدرُ الدجى يبيكه والأنجمُ الزهرُ
وله حين أسره عمر بن حفصون ، رأس الفتنة بالأندلس ومضرم نارها وركنُ

العصبية للعجم والمولدين ، وذلك قبل إمارة سعيد ورئاسته للعرب :

خالي صبراً ، راحة الحرِّ في الصبرِ ولا شيء مثل الصبرِ في الكربِ للحرِّ
فكم من أسيرٍ كان في القيدِ مؤثماً فأطلقهُ الرحمنُ من حلقِ الأسرِ
لئن كنتُ مأخوذاً أسيراً وكنتُما فليس على حربٍ ولكن على غديرِ
ولو كنتُ أخشى بعضَ ما قد أصابني حَتَّى أطرافُ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمرِ
فقد علمَ الفتيانُ أني كميها وفارسُها المقدامُ في ساعةِ الذعرِ

(١) لم أعر على شيء يكشف عن شخصية الحسن هذا ، والغالب أنه من زعماء جماعة

يحيى بن صقاله وسوار بن خلدون وسعيد بن جودي .

(٢) جعلها دوزى (ص ٨٧) وملشور أنطونيا (المقتبس ، ص ١٢٦) : القيد ،

ولا داعي لذلك فالقيد صحيحة في معنى القيد ، واستعملها في الشعر كثير .

ومن هذه القصيدة :

يَهْمَكِ أَلْتِي خَالَتِي يَوْمَ مَوْفِي وَكَرْبُكَ أَقْضَى لِي مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَمْرِ^(١)
وَلَمْ يَكُنْ قَبْرٌ فَأَحْسَنُ مَوْطِنًا مِنْ الْقَبْرِ لِلْفَتَيَانِ حَوْصَلَةُ النَّسْرِ

٥٨ - سليمان بن وانسوس الوزير ، أبو أيوب

هو سليمان بن محمد بن أصمغ بن عبد الله وانسوس المكناشي مولى سليمان [٤٥ - ب] ابن عبد الملك . أصله من البرابر ، وله فيهم بيت شرف / بالأندلس . وكان جده أصمغ رئيساً بماردة مطاعاً ، ثار فيها على الأمير الحكم بن هشام فلما لنفسه واتصل خلفه فيها سنين ، وجرت له خطوب كبار في حالتي المعصية والطاعة .

وتهد ابن ابنه هذا مهاد الطاعة من بعد نزوات سلفه ، وعَلَقَ حبالَ الخدمة ، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة ، إلى أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله ، وصارت له حظوة . وكان أديباً مُفْتَنّاً ، وشاعراً مطبوعاً ، حسن البيان ، بليغاً ، حصيفاً ، داهياً ؛ وكان في لحيته كوسجاً^(٢) . ومن شعره يغرى

(١) أسقط ابن الأبار هنا بيتين يوضحان المقصود بالبيتين اللذين أتى بهما ، وهما :

فيا ظاعناً أبلغ سلامي تحيةً إلى والدتي الهاشمين لدى ذكرى
وأد إلى عرسي السلام وقل لها عليك تحياي إلى موقف الحشر

ويفهم من هذين البيتين أنه يخاطب زوجه في البيتين اللذين أوردهما ابن الأبار .

(٢) الأصل : وكان في لحيته كوسجاً أه . والكوسج هو الذي لا شعر على عارضيه ، ولهذا فقد غلب على ظني أن « حلية » هي « حلية » وهم الناسخ في كتابتها . وكان سليمان بن وانسوس كوسجاً أي لا شعر على عارضيه ، في حين أن لحيته كانت طويلة ضخمة وصفها الأمير عبد الله كما رأينا بأنها « هلوقة » . وهذا التعارض بين ضخامة اللحية وانعدام شعر العارضين هو الذي جعل الأمير عبد الله يسخر من حلية سليمان بن وانسوس .

الأمير عبد الله بن محمد بجهور بن عبد الملك البختي ، وكان قد صُرف عن عمله بكورة البيرة لتَظَلُّم الرعية :

جاء الحمارُ - حمارُ المرج - محتشياً^(١) مما أفاد من الأموال والطُرفِ
خلى لبيرةَ قد أودتْ مساكنها بقيق سيرته والعنفِ والسرفِ
فاحمل على العير حملاً يستقلُّ به واترك له سبياً للتَّينِ والعلفِ
فلما قرأ الأمير عبد الله أبياته أمر بإدخاله إليه فضحك منه وقال له :
« يا سليمان لو زدتنا فى الأبيات لزدنا الحمارَ فى الغُرْم » ، وأمر بإغرامه ثلاثة
آلاف دينار . وقد تقدم لسليمان هذا خبرٌ مع الأمير عبد الله يدل على شرف ذاته
وعلو همته .

٥٩ - عامر بن عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامى ، أبو مروان

ولى أبوه عامرٌ طليطلةَ ، ثم صرفه عنها عبد الرحمن بن الحكم بأخيه
عبد الله بن كليب . وكان أحد وجوه أصحاب السلطان ، واختص بصحبة هاشم
ابن عبد العزيز . وكانت فيه - مع أدبه وبلاغته - حدة ومعارضة للناس ،
وتحكك بالشعراء ، فلم يسلم منهم ؛ وهو القائل فى الاعتذار :

عَظُمَ الخطاءُ فهل تُقِيلُ يا سيدى ، أو ما تقولُ ؟
أنت العزيز بهفوتى وأنا بها العبد الذليلُ
والله لو أنى استطعتُ لما بدتُ منى فضولُ
ولما رأى منى الصديقُ قُ سوى قوامٍ لا يميلُ

(١) روى الحكاية ابن حيان عن أبي الوليد الفرضى بتفصيل . وقد ورد هذا اللفظ فيه :
محتشياً ، وقرأها دوزى (ص ٨٨) : محتشياً ولا معنى لها ، والصواب ما أثبتناه .

[١-٤٦] / ولسان صدق لا يزو لُ من الصواب ولا يَحُولُ
فأبت على الكاسِ إلا لَأ أن يُدَاخِنِي الدهولُ^(١)

٦٠ - عبد الرحمن بن وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ابن غانم

كان هو وأخوه محمد وأبوهما وليد في بيت أدب رائع وكتابة وجلالة ،
وولى وليد للأمير محمد بن عبد الرحمن خِطَّي الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة
الذى قدَّم عليه ابنه عبد الرحمن بن محمد ، وكان عدده عظيماً . وولى أيضاً محمد
ابن وليد خطة المدينة ، وسيأتي ذكرهما . وعبد الرحمن هو القائل (وسَمِعَ
عبيدَ الله بن يحيى بن يحيى صاحب مالِك وقد سئل عن النعمانة ففسرها
بطير الماء) :

ذهب الزمان بصفوة العلماء وبقيتُ في ظِلِّهم وفي عَمِيَاءِ
وَأَتَى طَعامٌ رُقِعَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشَّاءِ
فَإِذَا سَأَلْتَ عَنِ النِّعَامِ أَسَدَّهُمْ عِلْمًا ، يَفْسِرُهُ بِطِيرِ الْمَاءِ

(١) نقل ابن الأبار هذا عن ابن حيان ، ونقله ابن حيان عن أبي الوليد الفرضي (مخطوط
ابن حيان ، ص ٢٢٧ أوب) وقد روى حكايته مع الوزير محمد بن جهور وكيف أمر هذا
الأخير بضربه وتجنه ، وكيف حاول الوزير هاشم بن عبد العزيز إنقاذه من يد ابن جهور
فلم يستطع ، مما حط من قدره أمام الناس . ولعله يعتذر في هذه الأبيات للوزير ابن جهور .
انظر أيضاً : « المغرب لابن سعيد » : ٩٤/١ - ٩٥ .

وهؤلاء شعراء بني الأغلب ملوك إفريقية في هذه المائة ،
وفي آخرها انقرض ملكهم حسبما يُذكر بعد :

٦١ - زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو محمد

وَلِيَ بعد أخيه أبي العباس عبد الله الجميل^(١) سنة إحدى ومائتين . وكان
أبوه - إبراهيم بن الأغلب - إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية
والشعراء ، أحسبهم ابنه زيادة الله هذا وأمرهم بملازمته ، فكان أفضل أهل بيته
وأفصحهم لساناً ، وأكثرهم بياناً . وكان يعرب كلامه ولا يلحن ، دون تشادق
ولا تقعر ، ويصوغ الشعر الجيد . ولا يُعلم أحد قبله سُمِّي « زيادة الله »
ولا « هبة الله » قبل وَلَدِ إبراهيم بن المهدي^(٢) .

وَوُلِدَ زيادةُ الله قبلَ هبة الله هذا بنحو من ثلاثين سنة .

وهو الذي بنى جامع القيروان بالصخر^(٣) والآجر والرخام بعد أن هدمه ،
وبنى الحراب كله بالرخام / من أسفله إلى أعلاه ، وهو منقوش بكتاب وغير [٤٦ - ب]
كتاب ، ويستدير به سوار حسان ، بعضها مجزعة بأسود ناصعة البياض
شديدة السواد ، ويقابل الحراب عمودان أحمران ، فيهما توشية بحمرة صافية

(١) قال ابن عذارى عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب هذا : « . . . وكان من أجل
البأس وجهاً وأقبحهم فعلاً وأعظمهم ظلماً . . . » . وله حكاية مشهورة في كتب التاريخ المغربي
مع صلحاء القيروان ، إذ نصحوه بأن يعدل عن سياسته فأبى ، فدعوا عليه « فيقال إن قرحة
خرجت تحت أذنه ، فقتلته في السادس من دعاء القوم . وقال من حضر غسله أنه لما كشفت
عنه ثيابه ، ظن أنه عبد أسود بعد جماله ، وذلك بسبب سوء فعالة » . توفي في ذي الحجة ٢٠١ /
يونيو ٨١٧ .

ولهذا يلقبه ابن الأبار بالجميل .

انظر : البيان المغرب ، ٩٥ / ١ - ٩٦ .

(٢) وردت هذه العبارة أيضاً عند النويري : نهاية الأرب ، طبعة جسيار ريمبرو ،

ص ١٣٩ .

(٣) الأصل : بالصحن ، وقد صوبناها للسياق .

دون حمرة أسائرهما ، يقول كلٌّ من رآهما من أهل المشرق والمغرب أنه لم ير مثلهما .
وقد بذل فيهما صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يُجِبْهُ الناظرُ للإسلام
في ذلك^(١) .

وأول من بنى هذا الجامع الأشرف عقبة بن نافع الفهري ، وهو الذي
اختط مدينه القيروان في سنة ثلاث وخمسين من الهجرة .

فلما وليَ حسان بن النعمان الغسانی إفريقيةَ هدمه — حاشى الحراب —
وبناه بالطوب . فلما وليَ يزيد بن حاتم إفريقيةَ ، سنة خمس وخمسين ومائة ،
هدمه وبناه . فلما وليَ زيادةُ الله هذا ، هدمه وبناه مع الحراب كما وُصف .
وتم بنيانه سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وبعد ذلك بعام أو نحوه توفي في رجب سنة ثلاث وعشرين .

ولأبي إبراهيم أحمد بن محمد — والد إبراهيم بن أحمد السفاك — زيادةُ
في هذا الجامع كملت سنة ثمان وأربعين ومائتين^(٢) ، وهي عليها إلى اليوم .

(١) يروى أن زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب كان يقول بعد أن فرغ من
تجديد الجامع : « ما أبالي ما قدسْتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات : بنياني المسجد
الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة أم الربيع ، وبنياني مدينة سوسة ، وتولييتُ أحمد بن أبي حرز
قاضى إفريقية » — ابن عذارى ، البيان ، ١٠٦/١ .

(٢) تحدث النويرى (ص ١٥٠) بشيء من التفصيل عن تلك الزيادة التي أضافها أبوإبراهيم
أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، قال : « ولأبي إبراهيم آثار عظيمة في المباني
بإفريقية ، فمن ذلك بنيان الماسجل الكبير باب تونس — وهو بمعنى الصهريرج عندنا — وزاد
في جامع القيروان النهر والمجنّبات والقبة ، وبني الماسجل الذي بباب أبي الربيع ، والماسجل الكبير
الذي بالقصر القديم ، وبني المسجد الجامع بمدينة تونس ، وبني سور مدينة سوسة ، وكان آخر
ما عمل الماسجل الذي بالقصر القديم » .

وأبو إبراهيم هذا من أحسن أمراء بني الأغلب سيرة وأبهاهم أثراً مع أنه كان من أصغر
من تولى منهم سناً ، فقد تولى في الثانية والعشرين — أو الثالثة والعشرين — من عمره ، ولم يحكم
غير سبع سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان موته يوم الثلاثاء ١٤ ذى قعدة سنة ٢٤٩/٢٠ —

ومن شعر زيادة الله — على أنه كان يصنعه ويكتمه — ما يُروى أن المأمون كتب إليه أن يدعو على منابر لعبد الله بن طاهر بن الحسين ، فأنف من ذلك وأمر بإدخال الرسول عليه — بعد أن تَمَلَّأ من الشراب ، وحلَّ شعره ، ونارَّ عظمة بين يديه في كوانين ، وقد احترت عيناه — فهال الرسول ذلك المنظر ، ثم قال : « قد علم أمير المؤمنين طاعتي له وطاعة آبائي لأبائه ، وتقدّم سلفي في دعوتهم ، ثم يأمرني الآن بالدعاء لعبد خُرَاعة ؟ هذا والله أمر لا يكون أبداً » . ثم مد يده إلى كيس إلى جانبه فيه ألف دينار فدفعه إلى الرسول ليوصله إلى المأمون ، وكانت الدنانير مضروبة باسم إدريس الحسني ، ليُعْلَمَ ما هو عليه من فتنة المغرب ومناضلة العلويين ، وكتب جواب الكتاب وهو سكران في آخره أبيات منها :

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح الزند فاقدح
أنا الليث يحمي غِيْلَه بزئيره فإن كنت كلباً حان موتك فانبح
/ أنا البحر في أمواجه وعُبابه فإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح [١-٤٧]

فلما صحا بعث في طلب الرسول فقاته ، وكتب كتاباً آخر يتلطف فيه ، فوصل الكتاب الأول والثاني ، فأعرضوا عن ذكر الأول وجاوبوه عن الثاني بما أحب . وصدر البيت الأول من هذه الأبيات وقع في ما تمثل به المأمون ،

= يناير ٨٦٢ ، أما ابنه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب فقد كان مصاباً بشبه جنون جعل منه أكبر سفاك للدماء عرفه تاريخنا ، ولم تقتصر جرائمه على خصومه السياسيين أو من يخشى خطرهم ، بل كان يقتل للذة القتل ، وقه أورد النويري — نقلاً عن أبي إسحاق إبراهيم الرقيق — بياناً مفزعاً ببعض المذابح التي أوقعها بأهل بيته وخدمه حتى لقد قتل ٣٠٠ خادم بسبب منديل ضاع منه ، وقتل ابناً من أبنائه وثمانية من إخوته ، وقتل ١٦ من بناته مرة واحدة . وكان به شلوذ وميل للغلمان ، وكان عنده منهم نيف وستون ، فشك في أمرهم مرة فقتلهم جميعاً على أبشع صورة ، إلى آخر هذا البيان الأسود . وكان يتلذذ لمنظر القتل ويتفنن فيه ، ومن هنا فإن لقب السفاك الذي سباه به ابن الأبار قليل في حقه .

إذ قتل ليلاً بالمطابق إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن عائشة وأصحابه ، فقال حين فرغ من ذلك :

أنا النار في أحجارها مستكنة متى ما يَرَجَّها قاذح تنضمُّ
حكاه المسعودي .

وكان زيادةُ الله يدعو للمأمون ، وابنُ شَكْلَة^(١) — وهو إبراهيم بن المهدي — ببغداد قد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين ، إلى أن قدم المأمون ببغداد فكتبه وشكر له فعله .

وله يخاطب أمّه « جلاجل » — جارية الليث بن سعد^(٢) — وقد استفحل أمر الجند في خلافهم عليه ، واستولوا على إفريقية كلها ، إثر وقعة على أصحابه شديدة خاف منها على ملكه ، وأيقن بانقطاع مدته ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، فدخلت عليه أمه تصبّره وتسهّل الأمر عليه ، ففكر ساعة ثم رفع رأسه وأنشد أبياتاً منها :

أمت سبيّة كل قرمٍ باسلٍ ومن العبيد جاجماً أبطالاً
فإذا ذكرت مصايهاً بسبيّة فابكي جلاجل واندي إعوالاً

(١) ورد الاسم على هذا الضبط عند المسعودي ، انظر « مروج الذهب » (تحقيق باربييه دي مينارد ، باريس ١٨٧١) : ١٠/٦ .

(٢) سمع إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة من الليث بن سعد قبل أن يلى حكم إفريقية ، ويقال إن الليث وهب له « جلاجل » أم ولده « لكانه منه » كما يقول ابن عذاري . وزيادة الله الأول هو ثاني ولد من أولاد إبراهيم بن الأغلب بلى الإمارة (ابن عذاري ، البيان ، ٩٢/١) .

يا ويح نفسي حين أركب غادياً بالقُيُروانِ تخالني مختالاً
في فتيةٍ مثل النجوم طوالع وتخالني بين النجوم هلالاً
فاليوم أركب في الرعاع ولا أرى إلا العبيد ومعشراً أنذاً^(١)
وله في النسيب :

بالله لا تقطعنُ بالهجر أنفاسي فأنت تملك إنطاقي وإخراسي
صدودُ طرفك عن طرفي إذا التقيا مُجرّعي كأسٍ إرغامٍ وإنعاسٍ
لولم أبحك حَيّ قلبي ترؤدُ به لم تستبح مهجتي يا أملح الناسِ

/ وله أيضاً في تفاحة :

ولابسة ثوبٍ اصفرارٍ بلا جسم- نَمُّ بأنفاسِ الحبيبِ لُمُشَمَّ
تَجْمَعُ معشوقٌ لديها وعاشقٌ فذو نظيرٍ يرنو إليها وذو شَمَّ
سأفنيكٍ أو أفنى عليك تذكراً لمن أنتِ عطرٌ منه في الرشف واللم-
فقد هجبت في قلبي لظي لتذكرى وعنوانه في مقلتي دمعَةٌ تهَمِّي
كأنى أدنى حين أدنيك من به أثرتِ اشتياقي في عناقٍ وفي ضمِّ

[٤٧ - ب]

(١) كانت أيام زيادة الله بن الأغلب كلها أيام فتنة واضطراب ، بسبب قلة كفايته وسوء تصرفه ما كان سبباً في ثورة منصور الطنيزي التي كادت تطيح بدولة بني الأغلب . وقد كان زيادة الله لهذا في ضيق وهم دائمين ، وربما كان هذا بعض سبب إسرافه في الشراب . وتشير أبيات زيادة الله إلى واقعة سببية التي كانت سنة ٢١٠ / ٨٢٥ - ٨٢٦ ، أوقعها بجند زيادة الله عامر بن نافع صاحب منصور الطنيزي وقسيمه في الثورة ، وكان يقود جند زيادة الله فيها ابن أخيه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، فقتل في المعركة ، وقد كاد أمر زيادة الله يتلاشى بعدها . قال ابن عذاري : « ولم يبق بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وإطرابلس ، فانهم تمسكوا بطاعته ، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع عمل زيادة الله ، وضرب السكة باسم نفسه » (البيان المغرب ، ١ / ١٠٠ - ١٠١) .

٦٢ - الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، أبو عقال (ويلقب بن خزر)

وَلَى إفريقية بعد إبراهيم بن الأغلب ثلاثة من أبنائه لصلبه ، أولهم أبو العباس عبد الله : وَلَى بعده أبيه ، وكان عند وفاته بطرابلس ، فقام أخوه زيادة الله بالأمر في مغيبه ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وسائر الناس ، فكان يتحامل عليه في ولايته ويتنقصه ، وهو يظهر التجمل والاحتمال^(١) ؛ وعوجل فلم تطل مدته ، ولم يوصف بأدب فنذره . وثانيهم أبو محمد زيادة الله المتقدم الذكر : وهو كان أطولهم ولايةً ، وأمتنهم بعد أبيهم أدبا . وثالثهم أبو عقال الأغلب هذا : وَلَى بعد أخيه زيادة الله ، وهو كان أقصرهم ولاية ؛ أقام سنتين وتسعة أشهر وأياما ، غير أن الملوك منهم من عقبه^(٢) دون أخويه . وكل من وَلَى بعده من آل الأغلب — إلى أن انقرض ملكهم وزال سلطانهم — من ولده . وآثاره صالحة : أَمَّن الجندَ وأحسن إليهم ، فلم يكن في أيامه — على قصرها وتقلصها — حروب . وغيرَ مما أحدث العمال كثيرا ، وقبض أيديهم عن أموال الرعية ، وقطع النبيذ من القيروان ؛ فحُمِدَت سيرته ، وظهرت فضيلته ، وانتشر عدله . وكان له حظ من الأدب يصوغ به مقطعات من الشعر ، فمنها قوله :

(١) عندما توفي إبراهيم بن الأغلب في شوال ١٩٦ / يونيو ٨١٢ كان ابنه وولى عهده عبد الله بطرابلس ، فقام ابنه الثاني زيادة الله بأخذ البيعة على نفسه وأهل بيته ورجال الدولة لأخيه الغائب ، ولما وصل عبد الله إلى القيروان سلم إليه الأمر ، ولكن عبد الله لم يحمّد لأخيه هذا الفضل وجعل دأبه التحامل على أخيه وإطلاق لسانه فيه ، فخاف زيادة الله وخرج إلى المشرق . وعندما توفي أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب في صفر ١٩٧ / أكتوبر ٨١٢ تولى زيادة الله بعده .

(٢) الأصل : غبته .

له مقلة تكفيه حمل سلاحه محاربة الحاظها من تسالمة
سقى صبه من خمرها فبدا بها كما تفعل الصهباء ما هو كاتمته
وقد سكرت أجفانه فكأنما نسقي من صهبائها وتنادمه

٦٣/ - ابنه محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، [١-٤٨]
أبو العباس

ولّى بعد أبيه أبي عقاب في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين
ومائتين ، وتوفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من الحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين
وهو ابن ست وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر
واثنى عشر يوماً .

وكان كوسجاً : كان وجهه وجه خصى ليس فيه إلا شعرات يسيرة ، عقيماً
يولد له ، موصوفاً بحلم وجود . وحاربه أخوه أحمد فظفر به وأخرجه إلى المشرق ،
وكانت في أيامه حروب كثيرة نصر فيها . وأما أخوه الثاني - ويسمى أيضاً
محمدًا ، ويكنى أبا عبد الله - فكان والياً على طرابلس من قبله ، ومات بها في
أيامه سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ؛ ومن ولده أمراء بني الأغلب الولاية بعد أبي
العباس هذا ^(١) .

(١) هذه المعلومات تصحح خطأ كبيراً جارياً في نسب بني الأغلب ، فإن كل المؤرخين
يتابعون ابن عذارى وابن خلدون والنويرى في القول بأن أمراء بني الأغلب بعد أبي العباس
محمد بن الأغلب السعدي كانوا من نسله ، وأن أحمد الوالي بعده ابنه . ولكن ما يذكره ابن
الأبار هنا من أن محمدًا الأول كان عقيماً لا ولد له ، وأن أحمد الذي جاء بعده هو ابن أخيه -
واسمه محمد أيضاً - الذي تولى طرابلس ، يغير الوضع . ولم ينتبه لذلك زامباور في معجم =

وأبو العباس [هو] القائل يفخر — في ما نسبته إليه بعض خاصته ، وقيل إنه لعبد الرحمن بن مسleme — قاله على لسانه عند ظفروه بخارج عليه :

أليسَ أبي وجدِّي أوطأني — وجدُّ أبي وعمَّايَ — الرقابا ؟
ورثتُ المُلُكَ والسُلطانَ عنهمْ فصرْتُ أعزَّ مَنْ وطئُ الترابا
وقدَّمَنِي الخلائفُ واصطفَوْنِي فَمَنْ مثلي قديماً وانسابا
أنا المَلِكُ الذي أَسْمُو بِنَفْسِي فأبلغ بالسُّموِّ بها السحابا
إذا نَقَبَتْ عن كرمي ومجدي وجدَّتني المِصْاصَةُ^(١) واللُّبابا
أنا المَلِكُ الذي أَيْدَتْ مُلْكِي بسيفي إذ كشفتُ به الضبابا
فأمضى إن سَرَدَتْ^(٢) الجفنَ عنه فأغْتَصَبُ النُّفوسَ به اغْتِصَابا
لقد فتح المهيمُنُ لي بسيفي وإقدامي ، إذا ما الجمْعُ هابا
أمتُ به ابنَ حمزة^(٣) حين دبتُ عقاربُ غدره وسعى نخابا

= الأنساب ، ولا الذين ترجموه إلى العربية (١٠٥/١) ، بل لم ينتبه لذلك فوندرهايدن الذي ألف كتاباً ضخماً عن الأغالبة بالفرنسية سبق أن أشرنا إليه (ص ٢١٣ - ٢١٦) .

وقد وصف ابن عذارى والنويرى محمداً هذا بالجهل والغباء ، بل أورد ابن عذارى حكاية أيد بها هذا الوصف ، ولكن الحقيقة — كما يتضح من التفاصيل التي يقدمها النويرى — أنه كان من أذكي بني الأغلب وأشدهم مكرأ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٠٧/١ - ١١٤ . النويرى ، ١٤٦ - ١٥٠ .

(١) كذا في الأصل ، على اعتبار أن المِصْاصَةُ العصارَةُ التي تمص . وقد تكون صفة اللفظ : الخلاصة .

(٢) الأصل : أمضى إذا سررت ، ولا يستقيم به الوزن أو المعنى .

(٣) ابن حمزة هو نصر بن حمزة الجُرَوِيُّ وزير أبي جعفر أحمد بن أبي عقال الأغلب

ابن إبراهيم بن الأغلب ، وأحد هذا هو أخو أبي العباس محمد المترجم له هنا ، وكان قد ثار عليه بمعاونة صاحبه نصر بن حمزة الجُرَوِيُّ وأخيه داوود ، وتمكن من أن يتولى الأمر دون أخيه دون أن يخلعه . وقد تمكن محمد بالخيالة من أن يستعيد سلطانه ويتغلب على أخيه أخذ وأنصاره ، ثم أخرجه مبعداً إلى المشرق ، وقتل نصر بن حمزة الجُرَوِيُّ ، وبهذا يفخر هنا . أما داوود بن حمزة الجُرَوِيُّ فكان قد انضم إلى محمد نكاية في أحمد بن الأغلب لأنه فضل أخاه عليه .

أَسَلْتُ بِهِ دَمَ الْأَوْدَاجِ مِنْهُ فَصَارَ لَشَيْبٍ لِحِيته خَضَاباً^(١)
 / أَظِلُّ عَشِيرَتِي بِجَنَاحِ عِزِّي وَأَمْنُهَا الْكِرَامَةَ وَالثَّوَابَ [٤٨ - ب]
 وَأَصْطَفَعُ الرِّجَالَ وَأَصْطَفِيهِمْ^(٢) وَأَغْفِرُ لِلْمَسِيءِ إِذَا أَنَا بَا
 وَأَسْمُو بَاتْلُمِيسَ إِلَى الْأَعَادَى فَأَكْسِرُ بِالْعَقَابِ لَهَا الْعَقَابَ
 أَنَا ابْنُ الْحَرْبِ رَبَّتْنِي وَلِيداً إِلَى أَنْ صَرْتُ مِمْلُكاً شَبَاباً
 لَعَمْرُؤُا أَيْكَ مَا أَنْ عِيتُ قَوْمِي وَمَا أَخْشَى بَقِيَّ أَنْ أُعَابَا
 بَنَيْتُ لَهُمْ مَكَارِمَ بَاقِيَاتٍ إِذَا مَا صَارَتْ الدُّنْيَا خَرَابَا

٦٤ - إبراهيم بن أبي إبراهيم أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي عقاب الأغلب

وهو خَزَر المذكور قبل ابن إبراهيم بن الأغلب ، أبو إسحاق .
 وَلَى بَعْدَ أَخِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ ، الَّذِي يُعْرَفُ بِأَبِي الْغُرَانِيقِ ، لَكثْرَةِ
 بُولُوهِ بِتَصِيدِهَا . وَكَانَ مُحَمَّدٌ هَذَا قَدْ عَقَدَ لِابْنِهِ أَبِي عِقَابِ الْأَغْلَبِ وَلَايَةَ عَهْدِهِ ،
 وَاسْتَحْلَفَ إِبْرَاهِيمَ هَذَا خَمْسِينَ يَمِينًا بِجَمَاعِ مَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ أَلَّا يَفَارِقَهُ ، وَذَلِكَ
 بِمَحْضَرِ مَشِيخَةِ الْأَغْلَبِ^(٣) وَقَضَاةِ الْقَيْرَوَانِ وَفَقَهَايْهَا ، فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو الْغُرَانِيقِ

(١) ورد هذا الشطر في الأصل هكذا :

* فَصَارَتْ لَشَيْبٍ لِحِيته خَضَابَا *

ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومته على هذا النحو .

(٢) الأصل : أَطْيَبِهِمْ .

(٣) في النويري : وذلك بحضرة مشائخة بني الأغلب وقضاة القيروان وفقهاها (ص ١٥٣)

لست مضين من جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين ، خلع ابنه أهل القيروان وقدموا إبراهيم بن أحمد في قصة طويلة ، فابتلاه الله بظلمه ، وامتنعهم بإسرافه ، حتى سموه « الفاسق » . وكان أول أمره قد أحسن السيرة فيهم نحواً من سبع سنين ، ثم ارتكب من العدوان وسفك الدماء ما لم يرتكبه أحد قبله ، وأخذ في قتل أصحابه وكتابه وحجابه ، حتى إنه قتل ابنه أبا عقيل وبقاته ؛ والأخبار عنه في ذلك فظيعة شنيعة . وكان كثير المال شديد الحسد ، على اتصافه بالخرم والعزم والضبط للأمر . ولم يكن يوصف بعلم بارع ولا أدب ، وكان ربما صنع من الشعر شيئاً ضعيفاً ، فمن ذلك قوله :

نحن النجوم بنو النجوم ، وجدُّنا قمرُ السماء أبو النجوم تميمُ
والشمسُ جدُّتنا ، فن ذا مثلنا متواصلان : كريمةٌ وكريمٌ ؟

[٤٩ - ١] / وحذف هذا النظم للفث أولى من إثباته ، وليتَّه بعقاب أهل بيته عوقب على أبياته . ولم يل إفريقية قبله أطولُ عمرًا منه في سلطانه . ملكَ تسعاً وعشرين سنة إلا خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ليطول به الابتلاء ؛ والله يفعل ما يشاء . وحكى أبو عبيد البكري في كتاب « الممالك والمسالك » من تأليفه أن إبراهيم بن أحمد هو الذي بنى مدينة رَقَّادة واتخذها وطناً ، وانتقل إليها من مدينة « القصر القديم » وبنى بها قصوراً عجيبة وجامعاً . ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب ، إلى أن هرب عنها زيادةُ الله أمام أبي عبد الله الشيعي . وسكنها عبيدُ الله المهدي ، إلى أن انتقل إلى « المهديّة » ، فدخلها الوهنُ وانتقل عنها ساكنوها . ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء ، إلى أن وليَ مَعْدُ بنُ إسماعيل ، فخرَّب ما بقى منها وعقَّى آثارها ولم يبق منها غير بساطينها .

قال : وليس بإفريقية أعدل هواء ، ولا أرق نسيماً ، ولا أطيب تربة من مدينة رَقَّادة . وذكروا أن أحد بني الأغلب أرقَ وشرَّدَ عنه النوم أياماً ، فعالجه

إسحاق — يعنى طيبيهم ، وهو الذى ينسب إليه إطريرقل إسحاق^(١) — فلم ينم ، فأمره بالخروج والمشي ، فلما وصل إلى موضع رَقَادَة نام ، فسميت رَقَادَة من يومئذ ، واتخذت داراً ومسكناً وموضع فرجة للملك . قال : ولما بناها إبراهيم ابن أحمد منع بيع النبيذ بمدينة القبروان وأباحه بمدينة رَقَادَة ، فقال بعض ظرفاء أهل القبروان :

ياسيدَ الناس وابنَ سَيِّدِهِمْ وَمَنْ إِلَيْهِ الرُّقَابُ منقادُه
ما حَرَّمَ الشُّرْبَ في مَدِينَتِنَا وهو حلال بأرض رَقَادَه ؟

ومع بُعد إبراهيم في الملكة عن الإسجاح ، فقد كان لا يخلُئ بنصيبه من السماح . حكى أبو إسحاق الرقيق أن بكر بن حماد التاهرتي^(٢) كان ينتجع هذا الطاغية ويمدحه ، فغدا يوماً بمديح له على « بلاغ » الخادم فقال له : « الأمير عنا مشغول في هذا اليوم » ، قال : « فالطف بي في إيصال رقعة إليه » ، قال : « إنه مصطبح في الجنان مع الجوارى ، ولا يصل إليه أحد » ؛ فكتب بكر في رقعة ، واحتمل « بلاغ » في / توصيلها مساعدةً له ، وفيها أبيات منها :

[٤٩ - ب]

(١) العبارة كلها منقولة عن المسالك والممالك للبكري (صفة إفريقية ، ص ٢٧ -

٢٨) . والإطريرقل أو الإطريرقال - كما جاء في معجم الكتاب المنصوري المعروف باسم « مفيد العلوم ومبيد الهموم » لابن الحشاء - دواء مركب فيه لا محالة بعض الهليلجات أو كلها ، ويزاد فيه بحسب الحاجة من الأفاويه ، وصوابه بضم الفاء .

وانظر : دوزي ، ملحق القواميس ، ٢٨/١ .

(٢) ترجم له أبو بكر المالكي في « رياض النفوس » : ١٦/٢ - ١٩ ، وأورد

كثيراً من الشعر في رثاء ابنه وفي الزهد . وقال « سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هارباً من القبروان يريد تاهرت ببلده ، فلما صار ببساطة خرج عليه قطاع الطريق ، فقتل ولده عبد الرحمن وجرح بجراحات ، فزال في بطنه فتق منها إلى أن مات (سنة ٢٩٦/٩٠٨ - ٩٠٩) . وترجم له الدباغ في « معالم الإيمان » (١٩٢/٢) وذكر أساتذته ورحلته إلى البصرة سنة ٢١٧ . وقد أضاف الدباغ أن قاسم بن أصبغ أخذ عنه ، وقال إنه كان ثقة عالماً بالحديث ورجاله ، شاعراً فصيحاً .

خُلِقْنَ الغواني للرجال بَكِيَّةً فهنَّ موالينا ونحن عبِيدُها
إذا ما أُرْدنَ الوَرْدَ في غير حينِه أتنابِه في كل حين خدودُها
وكتب تحت الأبيات :

فإن تَسْكُنِ الوسائلُ أعوزتني فإنَّ وسائلِي وردُ الحدودِ
فلما قرأها أنشدتها الجوارى ، فأظهرن له سروراً بها وشفعن إليه إلى أن
خرج بصرّة مخرّومة فيها مائة دينار ؛ ووصل منه إلى بكرٍ مالٌ عظيم .

٦٥ — ابنه عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ، أبو العباس

ولّى بعد أبيه إبراهيم ، وكان شجاعاً بطلاً ،^(١) ذا بصر بالحروب والتدبير ،
عاقلاً أديباً عالماً ، له نظر في الجدل وعناية باللغة والآداب . وكان في أيام أبيه على
خوف شديد منه ، لسوء أخلاقه وقبح أفعاله ، وجراته على قتل من قرّب منه أو
بعد ، وكان يُظهر من طاعته والتذلل له أمراً عظيماً . وكان أبوه يوجهه إلى
محاربة كثير ممن يخالف عليه ، ويفضله على سائر ولده ، ثم ولاه عهده وصير إليه
خاتمته ووزارته ، وكتب بذلك كتاباً تاريخه يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع
الأول سنة تسع وثمانين ومائتين .

وفي ذى القعدة منها هلك أبوه إبراهيم بن أحمد ، ومن ذلك الوقت رُمي

(١) لم يصفه بذلك غير ابن الأبار ، بل قال ابن عذارى : إنه أظهر التقشف والجلوس
على الأرض وإنصاف المظلوم ، وجالس أهل العلم وشاورهم ، وكان لا يركب إلا إلى الجامع ،
فقال قوم : إن أهل النجوم أمروه بذلك ، وقال قوم : « به وسوسة » . ثم ذكر كيف احتاله
على ابنه زيادة الله حتى سمّجه مع نفر من أصحابه ، فكان هذا حافزاً لزيادة الله على تدبير مقتل أبيه .
ابن عذارى ، ١٣٣/١ - ١٣٤ . التويرى : ١٦٣ - ١٦٤ .

بالنجوم ، فكانت تنفائر كالمطر يمينا وشمالا ، وكانت تؤرخ بسنة النجوم^(١) .
 ومَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَاثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَكَانَتْ أَيَّامُهُ — عَلَى
 قَصْرِ مَدَنِهِ — أَيَّامَ عَدْلٍ وَصَلَاحٍ وَحَسَنِ سِيرَةٍ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ آخِرَ
 شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ : تَوَلَّى قَتْلَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ خِدْمَةِ الصَّقَالِبَةِ وَهُوَ نَائِمٌ ،
 وَأَتَوْا بِرَأْسِهِ ابْنَهُ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ آخِرَ مُلُوكِ الْأَغَالِبَةِ وَهُوَ مُحْبُوسٌ مِنْ قَبْلِ
 أَبِيهِ — وَكَانَ قَدْ صَانَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ — فَقَتَلَهُمْ وَصَلَبَهُمْ . وَمِنْ شَعْرِ عَبْدِ اللَّهِ فِي
 دَوَاءِ شَرِبِهِ بِصَقَالِيَةٍ :

[١٠٠-أ] شَرِبْتُ الدَّوَاءَ عَلَى غُرْبَةٍ بَعِيدًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَنْزِلِ
 وَكُنْتُ إِذَا مَا شَرِبْتُ الدَّوَاءَ تَطَيَّيْتُ بِالْمِسْكِ وَالْمَنْدَلِ
 فَقَدْ صَارَ شَرْبِي بِحَارِ الدَّمَاءِ وَنَقَعَ الْعَجَاجَةِ وَالْقَسْطَلِ

٦٦ — ابْنُهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ ، أَبُو مُضَرَ

خَاتَمَةُ مُلُوكِ الْأَغَالِبَةِ ، عَلَيْهِ انْقَرَضَ مُلْكُهُمْ وَزَالَ سُلْطَانُهُمْ بِعَمِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ
 أَوَّلَ مُلُوكِ الشَّيْمَةِ .

وَلَمَّا هَزَمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِي — دَاعِيَةَ عَمِيدِ اللَّهِ — عَسْكَرَ زِيَادَةَ اللَّهِ
 هَذَا يَوْمَ السَّبْتِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ^(٢) ،

(١) رَاجِعِ التَّعْلِيْقَ السَّابِقَ .

(٢) كَانَتْ الْأُرْبُسُ آخِرَ مَعَاقِلِ زِيَادَةَ اللَّهِ الثَّانِي آخِرَ أُمَرَاءِ بَنِي الْأَغْلَبِ ، فَلَمَّا سَقَطَتْ
 فِي يَدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ أَسْقَطَ فِي يَدِهِ وَقَرَّرَ الْفِرَارَ ، وَلَمْ يَلْبِثْ فِي الْقَيْرَوَانِ إِلَّا رَيْثًا أَخَذَ مَا تَبَيَّرَ
 مِنْ مَالِهِ وَمَتَاعِهِ ، « فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الْعَتَمَةِ مِنْ لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ
 [سَنَةِ ٢٩٦] رَكِبَ فَرَسَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَقَدَّمَ الْأَخْصَالَ تَمَرًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، هَارِبًا عَلَى عَيُونِ أَهْلِهِ
 وَحَرَمِهِ وَوَلَدِهِ . . . »

وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ نَهَايَةُ أَمْرِ بَنِي الْأَغْلَبِ ، عَلَى رَغْمِ مُحَاوَلَةِ آخِرَةِ يَأْتِسَةَ قَامَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي
 الْأَغْلَبِ وَأَبِي أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ أَنْ يُؤَيِّنُوهُ فِيهَا فَاضْطُرَّ إِلَى الْفِرَارِ لَاحِقًا بِزِيَادَةَ اللَّهِ .

ابْنُ عَدَارَى ، الْبَيَانُ الْمَغْرِبِ ، ١٤٧/١ — ١٤٨ .

ودُخِلت مدينة الأَرْبُس بالسيف ، وبلغ الخبير زيادةَ الله عند صلاة العصر يوم الأحد بعده ، فر على وجهه وأسلم البلاد ، ولحق بإطرابلس ميماً ديار مصر ، وذلك في خلافة المقتدر بن جعفر بن المعتضد ، فكانت ولايته ست سنين إلا شهرين وأياماً ، أتلَف جُلَّها في اللذات والبطالة ، حتى انتقضت دولته وظفر به عدوه .

وكان فراره من مدينه رَقادة التي بناها جده إبراهيم بن أحمد ، وأجرى إليها المياه ، واغترس فيها صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيها سوراً ، وأحد هذه القصور يسمى « بغداد » ، وآخر منها يسمى « المختار » ، فصارت أكبر من القيروان ، وبينهما ستة أميال .

فلما ولى زيادةُ الله هذا ، انتقل إليها وحفر بها حفيراً بناه صهرنجاً ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعائة ذراع ، وأجرى إليها ساقية وسماه « البحر » ، وبنى فيه قصرأ وسماه « العروس » على أربع طبقات أنفق فيه — سوى خَسَر^(١) اليهود والعجم — مائتي ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار .

وكان عبيد الله^(٢) يقول : « رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالشرق ، منها هذا القصر » . فبهذا وأمثاله كان اشتغاله ، حتى حالت لأول وهلة حاله ، ليصدق ما قاله أبو الفتح البُستِي :

إذا غدا ملكٌ باللهو مشغلاً فاحكم على مُلكه بالويلِ والحربِ

[٥٠ - ب] / وحكى أبو إسحاق الرقيق أنه سأل « مؤنساً » المغنى هل يعلم صوتاً من أصواته لم يسمعه منه ، فقال : « والله يا مولاي ما علمت غير بيت ، وقد أنسيتُ أوله » ، قال : « هاته » ، فعناه :

(١) وردت هكذا مشكولة في الأصل ، فتركها كما هي ولو أننى لم أعرف معناها هنا ،

وقد تكون صحتها : عشر اليهود والعجم .

(٢) المراد عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين في إفريقية .

فقد صيرتُ بعد البينِ أقتنعُ بالهجر
ثم وجه في صاحب البريد عبد الله بن الصائغ^(١) — وكان شاعراً مجيداً —
فعرّفه ما جرى وقال له : « بحياتي إلا زدت عليه شيئاً » ، فقال ابن الصائغ :
ولى كبدٌ لولا الأسمى لنصدّعتُ وقلبُ أبى أن يستريح إلى الصبر
وقد كنتُ أخشى هجرهم قبل بينهم فقد صرتُ بعد البينِ أقتنعُ بالهجر
فأعجبه ذلك ووقع منه أحسن موقع ، وغنى به « مؤنس » فطرب وأمر له
بخلع نفيسة وكيس فيه ألف دينار وفرس بسرّج ولجام مُحلّين . وهذا قد كان
يحسن منه لولا انهماكه [في ملذاته]^(٢) الذى كان فيه هلاكه .

وقال أبو بكر محمد بن محمد الصّولى في كتاب « الأخبار المنشورة » من تأليفه :
حدثني أبو الحسن علي بن جعفر الكاتب ، حدثني أبى ، قال : كان لزيادة الله
ابن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد — وهو زيادة الله الأصغر ، وكان أميراً بإفريقية —
غلام فحل صبي يدعى خطّاباً — وهو الذى اسمه فى السكك — فسخط عليه
وقيده بقيد من ذهب ، فدخل يوماً من الأيام صاحبه على البريد — وهو
عبد الله بن الصائغ — فلما رأى الغلام مقيداً تأخر قليلاً ، وعمل بيتين وكتب
بهما إلى زيادة الله وهما :

يا أيها الملك الميمون طائرُهُ رفقاً فإن يد المعشوق فوق يدك
كم ذا التجلد والأحشاء راجفةً أعيد قلبك أن يسطو على كبدك

(١) عبد الله بن الصائغ هو صاحب يريد زيادة الله هذا ثم وزيره ، وهو الذى أشار
عليه بقتل أعمامه ومن يتوقع أن ينافس في العرش من آله ، وهو وأبو مسلم منصور بن إبراهيم —
الذى ولاه الخراج — مسئولان عن كثير من الأخطاء التى وقع فيها وأدت إلى ضياع ملكه وذهاب
دولة بنى الأغلب . وقد آل أمره إلى أن قتله زيادة الله ، وكان ذلك بعد فرارهما جميعاً . وقد كان
مقتل عبد الله بن الصائغ فى طرابلس سنة ٢٩٦ .

انظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١ / ١٣٤ - ١٤٦ .

(٢) أضفت ذلك للسباق .

فأطلق الغلام ورضى عنه ، ووصل عبد الله الصائغ بالقييد الذهب ^(١) .

ومن شعر زيادة الله ما حكى الصّولي أيضاً في « كتاب الوزراء » من تأليفه .
 أن العباس بن الحسن ، لما استوزره المكنى أبو محمد علي بن أحمد المعتضد ، أراد
 أن يريه أنه فوق الوزير قبله القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في التدبير ،
 [٥١ - ١] فاستأذنه في مخاطبة بن الأغلب هذا ، ففعل ، فوجه ابن الأغلب إليه / برسول معه
 هدايا عظيمة ومائتا خادم وخيل وبز كثير وطيب ، ومن اللبؤد ^(٢) المغربية ألف
 ومائتان ، وعشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم ، وألف دينار في كل
 دينار عشرة دنانير ، وكتب على الدنانير والدراهم في وجهه :

ياسائراً نحو الخليفة قل له أن قد كفأك الله أمرَك كلّة
 زيادةُ الله بن عبد الله سيءُ فُ الله من دون الخليفة سلّة
 وفي الوجه الآخر :

ما ينبري لك بالشقاق منافقٌ إلا استباح حريمه وأحله
 من لا يرى لك طاعةً فالله قد أعماه عن طرق الهدى وأضله

(١) روى ابن عذارى هذا الخبر في صورة أخرى ، فذكر كلفه بهذا الغلام خطاب .
 وكتابة اسمه في سكة الدنانير والدراهم ، ثم غضبه عليه ، ولكنه قال إن الذي قال الشعر
 جارية من جواريه . (البيان : ١ / ١٤٣)

وغلام فحل معناه أنه ليس من الخصيان ، فقد كان أولئك الغلمان الذين يشتريهم الأمراء
 إما فحولاً - أي لم يخلصوا - أو خصياناً .

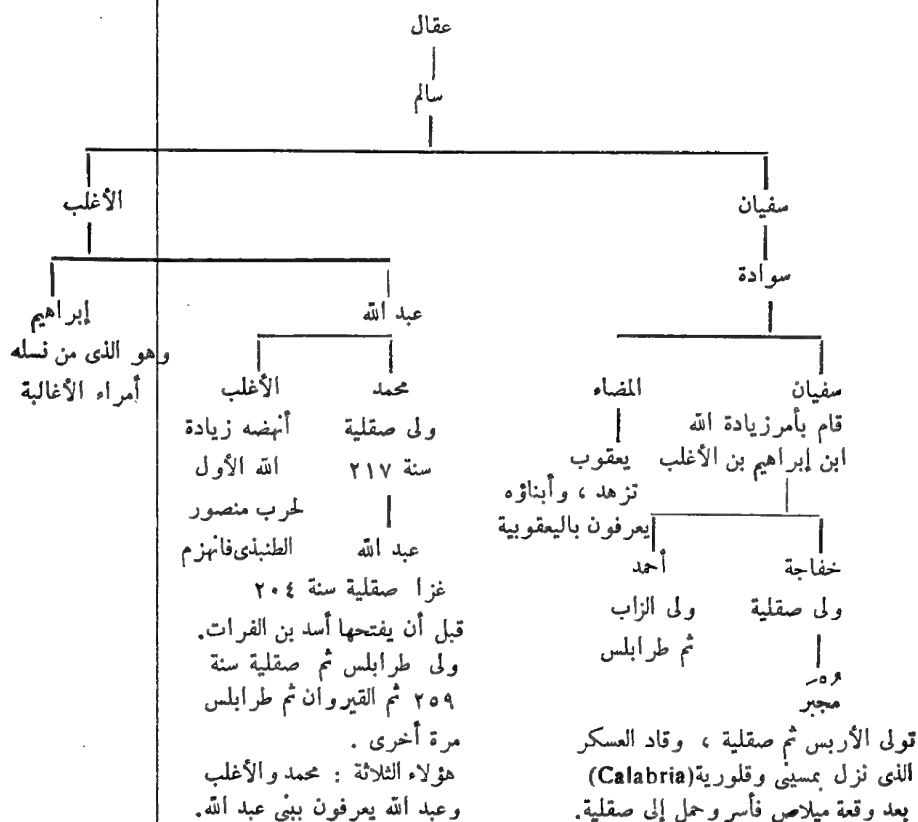
(٢) كذا . والمشهور اللبؤد بالبدال المعجمة وهو قماش من الصوف الغليظ الأبيض ، كان
 يستعمل في صنع نوع من القلائس الطوال ، وفي بعض الأحيان تصنع منه الخفاف . وقد يليق
 المقائلة ليق أجسامهم . وهو يقابل بالفرنسية feutre . انظر : ملحق القواميس للوزي :
 ٥١٠ / ٢ .

٦٧ - محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم

ابن الأغلب ، أبو العباس^(١)

ولي لابن عمه إبراهيم بن أحمد بن محمد طرابلس ، فكان يشق عليه حسن سيرته ويكره ذلك . وكان عالماً أديباً شاعراً خطيباً ، مع عشرة لإخوانه ، ولين

(١) سيذكر ابن الأبار هنا وفي الفضلين التاليين نفراً من كبار بني الأغلب الذين نسي زامباور ذكرهم في جدول نسبهم (ص ١٠٥ من الترجمة العربية) . وقد رأيت لهذا أن أكل هذا الجدول هنا :



جانب لأخذانه ، لا يقام إلا أهل الأدب . وكان أبوه زيادة الله قد ولى إفريقية بعد أخيه أبي إبراهيم أحمد بن محمد ، وكان محمود السيرة ذا رأى ونجدة .

يُروى عن سليمان بن عمران القاضي أنه قال : « ما ولى لبني الأغلب أعقلُ من زيادة الله الأصغر » ، سماه « الأصغر » لأنه سُمى باسم عم أبيه زيادة الله ابن إبراهيم المتقدم ذكره . وبعدها ولى زيادة الله بن عبد الله ثالثهم ، وهو آخر ولائهم .

ولم يزل إبراهيم بن أحمد يحقد على محمد هذا ما يؤثر عنه من جيل ، إلى أن قتله . وكان الذى هاجمه لذلك وبعثه عليه - مع قدم حسده له - أنه وجه رسولا إلى بغداد ، فكتب إليه يخبره أن بعض من سار إلى بغداد من أهل تونس شكوا إلى المعتضد صنع إبراهيم ، فقال المعتضد : « عجبا من إبراهيم ! ما يبلغنا عنه إلا سوء الثناء عليه ، وعامله على طرابلس يبلغنا عنه خلاف ذلك من رفق بمن ولى عليه وإحسان » ، فمضى إبراهيم قاصداً إلى طرابلس فقتله وصلبه بغيّاً وحسداً ، وقتل أولاده وعاث في أصاغرهم عيثته المشهور ، حتى إنه شق جوف بعض نسائه عن جفنيها جراً على الله تعالى ، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

[٥١ - هـ] وقرأت في تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق / أن المعتضد كتب إلى إبراهيم من العراق : « إن لم تترك أخلاقك في سفك الدماء فأسلم البلاد إلى ابن عمك محمد بن زيادة الله صاحب طرابلس » ، فخرج إبراهيم إلى طرابلس في خفية ، وأظهر أنه يريد الخروج إلى مصر ، حيلة منه ، إلى أن ظفر به فقتله وصلبه . وكان بين خروجه ورجوعه خمسة عشر يوماً .

قال : وكان محمد هذا أدبياً ظريفاً ، ألف كتاب « راحة القلب » وكتاب « الزهر » و « تاريخ بني الأغلب » .

ومن شعره ما أنشده له أبو علي حسين بن أبي سعيد القيرواني صاحب
« الكتاب المَعْرِب عن المَعْرِب » :

ومما شجبا قلبي بتَوَرَّرِ أنْتِ تناءيتُ عن دار الأُحبةِ والقَصْرِ
غريباً ، فليت الله لم يَخْأَقِ الفَوَى ولم يَجْزِيَنَّ بَيْنَنَا آخِرَ الدهرِ

ومن بني عمهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم ، أبو العباس .
ويعُرف هو وأبوه محمد وعمه الأغلب بن عبد الله ، ببني عبد الله . وجده عبد الله
— الذين يعرفون به — هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن الأغلب .

وكان عمه الأغلب من أهُض لحرب منصور بن نصر الطُنْبُذِي أيامَ زيادة الله
ابن إبراهيم ، فجُنِّد له جُنْدُه وانهمز .

وَوَلَّى محمد بن عبد الله زيادة الله المذكور صقليةَ سنة سبع عشرة ومائتين ،
وفتح بها فتوحات . وقد كان زيادة الله أغزاه إليها سنة أربع ومائتين — قبل
فتحها على يد أسد بن الفرات بنحو من ثمانى سفين — فسبى منها شيئاً كثيراً
وانصرف .

ثم وَلِيَهَا ابنه عبد الله بن محمد هذا لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، المعروف بأبي الغرائيق ، سنة تسع وخمسين
ومائتين — وكان قد وَلَّى قبل ذلك بحين أطراباس — ثم وَلِيَهَا مرةً أخرى
بعد ولاية صقلية [و] وَلَّى أيضاً إمارة القيروان . وكان أديباً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقهِ . وهو القائل لما أتاه كتابُ عزله عن طراباس يخاطب أبا
هارون موسى بن مرزوق صاحب بريدها ، وكان له صديقاً :

قد أتى في الكتاب ما قد علمنا من تناء ورحلة وفراقٍ
وعدُّنا الأيامَ فهي ثمانٌ بعد خمسٍ سريعة الإفتراقِ

[١-٥٢] / فعليك السلام إن فراقى قد دنا ، والفراق مر المذاق

ومن بنى أخى الأغلب بن سالم :

٦٨ - يعقوب بن المضاء بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال التميمي

كان أبوه من أمراء بنى عمه الأغلبة ، ورغب يعقوب عن السلطان وولايته ،
وانصرف إلى النسك ، ونزع السواد ، وأعرض عن الدنيا ومال إلى الآخرة .
وله بنون ينسبون إليه فيقال لهم « اليعقوبية » . وهو الذى توجه إلى العباس محمد
ابن الأغلب الكوسج ، مع ابن عمه خفاجة بن سفيان بن سواده ، فأصلحا بينه
وبين أخيه أحمد القائم عليه وأشارا بتأمينه ، وقد تفاقم الخطب بينهما ، فقبل ذلك
محمد فى حديث طويل ، ووصل إليه وعانبه ، ثم أمره بالتوجه إلى المشرق ،
فسار إلى العراق وبها مات . ويعقوب هو القائل :

فإن تك لمتى كسيت بياضاً وبُدِّلَ لى المشيبُ من الشبابِ
فقد عُمرتُ ذا فرعٍ أثيثَ كأن سوادهَ حنكُ الغرابِ
فلا تعجلْ ، رويدك ، عن قريبِ كأنك بالمشيبِ وبالخصابِ

٦٩ - أحمد بن سفيان بن سواده بن سفيان

ابن سالم بن عقال

وعقال هو ابن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن حزام

ابن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مَنَة بن تميم . وسالم بن عقال هو جد الأغالبة ، وهو جد هؤلاء .

وَلَى أَحْمَدُ هَذَا الزَّابَ ثُمَّ وَلَى طَرَابِلُسَ وَأَعْمَالَهَا سَنِينَ كَثِيرَةً ، وَلَهُ بِهَا أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ وَوَقَائِعٌ مَشْهُورَةٌ . وَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ بِمَكَانٍ رَفِيعٍ ، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّنْ قَامَ بِنَصْرَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَغْلَبِ عَلَى أَخِيهِ أَحْمَدَ ، مَعَ أَخِيهِ خَفَاجَةَ بْنِ سَفْيَانَ وَابْنِ عَمِّهِمَا يَعْقُوبَ بْنِ الْمَضَاءِ ، حَتَّى ظَفَرَ بِهِ أَبُو الْعَبَّاسِ وَانْحَفَظَ سُلْطَانُهُ . وَكَذَلِكَ قَامَ أَبُوهُ سَفْيَانُ بْنُ سَوَادَةَ بِأَمْرِ زِيَادَةَ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَغْلَبِ فِي حُرُوبِهِ ، وَكَانَ سَبَبَ ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَفِي أَحْمَدَ بْنِ سَفْيَانَ هَذَا يَقُولُ بَكْرُ بْنُ حَمَادٍ التَّاهَرْتِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

وَقَائِلَةٌ : زَارَ الْمَلُوكَ فَلَمْ يُفِدْ فَيَالَيْتَهُ زَارَ ابْنَ سَفْيَانَ أَحْمَدًا [٥٢-ب]
فَتَى يُسْخِطُ الْمَالَ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ وَيُرْضِي الْعَوَالِي وَالْحُسَامَ الْمَهْنَدًا
وَكَانَ خَفَاجَةُ بْنُ سَفْيَانَ — أَخُو أَحْمَدَ هَذَا — مِنْ رَجَالَاتِ بَنِي عَمِّهِ الْأَغْلَابَةِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ سَنًا مِنْهُ وَأَجَلَ حَالًا ، وَوَلَّى صَقْلِيَّةً فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، وَنُصِرَ عَلَى الرُّومِ فَلَهُ فِيهِمْ فَتُوحَاتٌ مَشْهُورَةٌ .

وَمِنْ شَعْرِ أَحْمَدَ :

قَرَّوْا الْأَبْلَقَ إِنِّي أَعْرِفُ الْخَلِيلَ الْعِتَاقَا
وَعَلَيْهَا أَصْرَعُ الْأَبَّ طَالَ طَعْنًا وَاعْتِنَاقَا
أَخْبَطُ الْأُرُوحَ وَالْأَنْفَ نَفْسَ بِالرَّمْحِ صِدَاقَا
وَأَرْوِي مِنْ نَجِيعِ الْهَامِ أَسْيَاقًا رِقَاقَا
تَنْقَعُ الْأَعْدَاءُ فِي النَّقْ جَ حَمِيمًا وَغَسَاقَا
فَإِذَا مَا دَارَتْ السَّلْدُ مَ بِمَا نَبَغَى وَفَاقَا

وأزحنا كلَّ ما كا ن شقاقاً ونفاقاً
اصطبجناها سُلاقاً وشربناها اغتياقاً
وأدرنا الكاس بالرا ح على الشربِ دهاقاً

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

إنما الأبلقُ حِصْنِي ثم رُمحي وحُسامي
فيه عزِّي لعشيري وبه عنهم أحمي
وبه أشقى من الأعـ داء صـدري بانتقامـ
أنا من سر نزار وابن ساداتِ كرام
أنا من سعدٍ تميمٍ لستُ من سعدٍ جذام
أنا من قد جالَ ذِكْرى وجرى بين الأنام
باحتمالي كل ثقلٍ في المللات العظام
وسِدادِي^(١) كل ثغرٍ ثم حزى وقيامي
أنجبتني السادة الصِّ دُ ، هامٌ لهمام
[أغلبٌ قد كان]^(٢) جدِّي ثم سفيان الحامي
أركبُ الهولَ بكرًا قى على الجيش اللهم
[أخطف]^(٣) الأرواحَ كالصـ رِ لأرواحِ الحمام
تعرف الأنسُ بأمي فهي من فوق حوام

(١) الأصل كلمة لم يبق منها إلا شيء مثل : طي ، وفي نسخة باريس جعلها الناسخ : . . ملي ، فجعلتها هكذا . والكلمة الأصلية لا تخرج على أي حال عن هذا المعنى .

(٢) بياض بالأصل ، أكلته على هذه الصورة للسياق .

(٣) هذه الكلمة ناقصة في الأصل .

مَيَّزَتْ فِي الْحَرْبِ رَايَا تِي وَأُرْمَاحِي الدَّرَامِي
 فَهِيَ حَوْلِي عَاكِفَاتٍ وَهِيَ خَلْفِي وَأَمَامِي
 تَرْقُبُ الطَّعْمَ الَّذِي عَوْ (م) ذَتْهَا يَوْمَ صَدَامِي
 أَبْدَأُ تَعْرِفُ مِنِّي هَكَذَا فِي كُلِّ عَامٍ
 فَإِذَا مَا آلَتِ السَّنَدُ مُ وَصَرْنَا لِلْمُدَامِ
 أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ مِنَّا أَنْجُمًا تَحْتَ الظَّلَامِ
 تَلَاقِي وَنُبْدِي بِتَحِيَّاتِ السَّلَامِ
 وَنُنِيلُ الزَّائِرَ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَبْلِ الْكَلَامِ

* * *

/ ومن رجال الأغالبة :

[١-٥٣]

٧٠ - مجبر بن إبراهيم بن سفيان

كان من أهل الشرف والثروة ، وولاه إبراهيم بن أحمد الأربُسَ وغيرها ،
 وكان ينادمه لحذقه الغناء ، ثم أخرجه إلى صقلية وولاه العسكر الذي بمسّيني
 وأرضِ قَلُورِيَة بعد وقعة ميلاص (١) فخرج في شينى يريد قَلُورِيَة (٢) ، فأمرته الروم
 وحمل إلى القسطنطينية فمات بها . وهو القائل في أسره ، من قصيدة طويلة بعث
 بها من محبسه عند الروم ورواها في أيام بنى الأغلب أكثر الناس :

(١) ميلاص هي Milazzo فرضة صغيرة على الساحل الشمالى لجزيرة صقلية ، وهي

إلى الشرق من مسّيني Messina

(٢) قَلُورِيَة هي Calabria وهي شبه الجزيرة الغربى البارز من جنوب شبه الجزيرة

الإيطالية في اتجاه صقلية .

ألا ليت شعري ما الذي فعل الدهرُ يا خواننا يا قَيَّرَوَانُ ويا قَصْرُ
ونحن فإنا طخطختنا^(١) رَحَى النَوَى فلم يجتمع شملُنا [، لا] ولا وَفَرُ
رأينا وجوه الدهر وهي عوابسُ باعَيْنِ خطبٍ في ملاحظها شَرَرُ
وآخر هذه القصيدة :

لعل الذي نجى من الجبِّ يوسفًا وفرَّجَ عن أيوبَ إذ مَسَّهُ الضُّرُّ
وخلصَ إبراهيمَ من نارِ قومِهِ وأعلى عصا موسى فذلَّ له السحرُ
يصبِّرُ أهلَ الأسْرِ في طولِ أسْرِهمْ على مُعضلاتِ الأسرِ، لا سَلِمَ الأسرُ !

٧١ — أحمد بن محمد بن أحمد بن حمزة بن السبال

(بالباء ، بواحدة واللام) ويعرف حمزة بالحرون ، وقد تقدم ذكره . وابنه
محمد بن حمزة هو الذي وجهه زيادة الله بن إبراهيم للقبض على منصور الطنبلي
بقصره بالمحمدية ، فكاده .^(٢) وقتل محمد هذا في وقعة سَبِيَّة^(٣) ، أيامَ خلاف
منصور والجند على زيادة الله .

(١) لم أجد في معاني طخطخ مما يمتشى مع المعنى هنا إلا ما جاء في لسان العرب (٧/٤)
من أن المخطخ هو الضعيف البصر ، وقد طخطخ الليل بصره إذا حجبتة الظلمة عن انفساح
النظر . والأدق هنا طخطخ بمعنى فرق وكسرويدد (اللسان : ٣/٣٦١) . واللفظ مستعمل في هذا
المعنى في العامية المصرية في صورة ضحضح .

(٢) كان ذلك في أول ثورة منصور بن نصر الطنبلي في تونس . وقد روى ابن عذارى
الخبر بالتفصيل ، وكيف احتال منصور على محمد هذا ومن معه - ومن بينهم القاضي شجرة
ابن عيسى - وحبسهم ، حتى تمكن من تونس . وقد هزمهم هزيمة كبيرة ، وكان ذلك في
٢٤ صفر ٢٠٩/٢٧ أبريل ٨٢٤ .

انظر : «البيان المغرب» : ٩٨/١ - ٩٩ .

(٣) كانت وقعة سببية في ٢٠ محرم سنة ١٤/٢١٠ مايو ٨٢٥ ، وقد قتل فيها محمد هذا .

وكان أحمد بن محمد حاجباً لإبراهيم بن أحمد ومقدماً عنده ، قد فوّض إليه
أموره . وولى ابن عمه القَيْرَوان . وهو من بيت رئاسة وقيادة ، مع علم واسع
وأدب بارع ؛ ومن شعره :

ليس كلُّ الذي يُدار علينا من أمورٍ يوافق المقدورا
قد قضى الله ما لنا وعلينا قبلَ أن يُرِمَ العدوُّ الأمورا

٧٢ — الحسن بن منصور بن نافع بن عبد الرحمن بن عامر

ابن نافع / بن محمّية المسلم المذحجي ، أبو علي [٥٣ - ب]

من بيت قيادة وإمارة ؛ وكان جدُّ أبيه عبد الرحمن بن عامر ، وابن عمه عامر
ابن إسماعيل بن عامر بن نافع ، ممن قدم مع محمد بن الأشعث الخزاعي من قواد
العباسية . وخرج عمه عامر بن نافع على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ؛ وسيأتي
ذكره . وعامر بن إسماعيل هو الذي قتل مروان الجعدي ، وكان مقدماً عند
أبي العباس السفاح ومن بعده لأجل ذلك .

وكان الحسن بن منصور هذا يجمع إلى شرف آبائه وأهل بيته علماً واسعاً
وأدباً كاملاً ، وأقل ماتصرف فيه الشعر . وكان بصيراً باللغة ، نافذاً في النحو ،
علماً بأيام العرب وأخبارها ، ووقائمه وأشعارها . وهو القائل يرثي ابن عم له
يكنى أبا الفضل ، من قصيدة طويلة أولها :

حلَّ أمرٌ لم يُغنِ فيه احتيال يَقتُصرُ الوصفُ دونه والمقالُ
كان من قبله البكاء حراماً وهو من بعدُ للعيون حلالُ

ومنها :

يا أبا الفضل حَمَلْتَنِي الْمَنَايا مِنْكَ مَا لَا تَقْوَى عَلَيْهِ الْجَمَالُ
وَكَأَنِّي^(١) لَمَّا تَضَمَّنَكَ اللَّهَ دُيْمِينَ قَدْ فَارَقْتُهَا الشَّامُ

وله :

يَا قَاتِلِي ظُلْمًا ، أَلَمْ تَخْشَ مَا جَاءَ بِهِ التَّنْزِيلُ وَالْأَيُّ ؟
وَأَيَّتَ بِالْوَعْدِ فَمَا ضَرَّكُمْ لَوْ صَدَقَ الْمِيعَادُ وَالْوَأَى ؟^(٢)
نَأَيْتَ عَنِّي فَتَبَدَّلْتَنِي كَذَا لَعَمْرِي يَفْعَلُ النَّأْيُ
فَإِنْ يَكُنْ هَجْرِي مِنْ رَأْيِكُمْ فَلَيْسَ لِي فِي هَجْرِكُمْ رَأْيُ

وله يخاطب ابن عمه أبا العرب بن عامر بن نافع :

يَا مَنْ سَمَا لِلْكَرَمَاتِ فَخَازَهَا وَغَدَا وَأَصْبَحَ لِلسَّامِحِ مَلِيكًا
إِنَّ إِلَهَهُ بِمَنْهَ وَبِفَضْلِهِ جَمَعَ الْكَارِمَ وَالْمُفَاخِرَ فَيَكَا
أَشْبَهْتَ آبَاءَ كِرَامًا سَادَةً بِيضَ الْوُجُوهِ مَعْظَمِينَ مَلُوكًا
/ وَجَّهَ إِلَيْنَا بِالْمُسَبِّحِ إِنْ نِي تَقْدِيكَ نَفْسِي قَدْ ضَمَنْتُ الدِّيكَ [١ - ٥٤]

ولهذه الأبيات قصة ذكرها صاحب « الكتاب المغرب عن أبناء المغرب » .

(١) الأصل : وبأني .

(٢) أصل الوأى الوعد الذى يوثقه الرجل على نفسه ، ويمزم على الوفاء به (اللسان :

٧٣ - عبد الله بن الصائغ (المعروف بصاحب البريد)

أحد ولاية زيادة الله بن عبد الله آخر ملوك بني الأغلب وأحبابه الخصوصيين بلطف المنزلة عنده ، وتغيّر عليه آخراً فقتله بطرابلس عند انتفاض دولته وهربه إلى مصر أمام الشيعي في سنة ست وتسعين ومائتين ؛ وقد تقدم من خبره ومن شعره ما أغنى عن إعادته . وهو القائل أيضاً :

رأيتُ دجناً فقلت الراح أشبهُ بي فقمَ بنا أيها الخمورُ نصطحِرْ
فقام يمسح وجهاً كلّه قرّاً وقتُ أَلَمِهِ مِن شدة الفرحِ
وله :

طالعتني طوالعُ الشوقِ لما أن بدا البدرُ في مثالِ طُلوعكُ
يا غزلاً أقسى من الصخرِ قلباً ليتَ قلبي يبيتُ بين ضلوعكُ
أنا أرضى أن أقبلَ نعليكُ لك على قُبْحِ ما بدرَ من صنيعكُ
وله :

إذا قلتُ : زرنى ، قال : قالوا وشنّعوا .. ترى - هكذا - من كان فينا يُصدّقُ ؟
فيا كبدي رِقِّي على الكبد التي أقامت على عهد الهوى وهي تحرقُ
كأنى إذا ما الليلُ أرخى سدوله بقلبي إلى بعض النجوم مُعلقُ

أول ملوك الشيعة الناجمين في آخر هذه المائة :

٧٤ - عبيد الله الملقب بالمهدي ، أبو محمد

قال الرازي^(١) : « اختلف الناس في نسب عبيد الله . فقال قوم : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصري من مدينة سَكَنِيَّة . وزعم هو أنه عبيد الله ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قال : وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرسي الحسني أنه قال : بالله الذي لا إله إلا هو ، ما عبيد الله منا^(٢) . ولا أقول هذا لما فعل ، فقد فعل مَنْ لا يُشَكُّ في نسبه أكثر من فعله وأشنع . »

وقال أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، وذكر عبيد الله وبنيه : هم أديعاء ، إذ هم بنو عبيد الله بن ميمون القَذَاح ، ادَّعوا إلى علي بن أبي طالب ؛ وذكر لهم قصة طويلة^(٣) .

وأهل مصر يصححون ونسبهم .

وذكر ابن أبي الطاهر^(٤) في « أخبار بغداد » أن اسم الخارج بالقيروان عبيد

(١) كلام الرازي عن العبيديين له أهمية خاصة هنا ، ولا نعرف إن كان القائل هنا أحمد بن محمد الرازي أو ابنه عيسى بن أحمد . وعلى أي حال فهو يصور لنا الآراء التي كان يتناقلها بنو أمية الأندلسيون وأنصارهم في نسب العبيديين ، وهم خصومهم سياسياً ومذهبياً . ويلاحظ أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر كان لا يستبعد صحة انتساب عبيد الله الشيعي إلى علي بن أبي طالب ، فقد ساق ابن عذارى هذا النسب ثم قال : « وهو مذهب المستنصر بالله الأموي » . البيان المغرب : ١٥٨/١ .

(٢) نسب مثل ذلك القول إلى أبي القاسم بن طباطبا العلوي ، قال : « والله الذي لا إله إلا هو ! ما عبيد الله الشيعي منا ، ولا بيننا وبينه نسب » . ابن عذارى ، البيان : ١٥٨/١ .

(٣) ذكر الباقلاني ذلك في كتابه « كشف الأسرار وهتك الأستار » .

(٤) كذا ، والأصح ابن أبي طاهر ، وهو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور صاحب « تاريخ بغداد » المتوفى سنة ٨٩٣/٢٨٠ ، وكتابه هذا من أكبر المراجع التي اعتمد عليها الطبري في تاريخه .

الله بن عبد الله بن سالم ، مولى مُكرَم بن سِنْدَان البَاهِلِيّ صاحب شُرْط زياد المنسوب إليه عسكر مكرم ، فانتقل عبدُ الله بن سالم إلى سلمية . وكان وكيلا للتجار ، وقيل كان يبيع الصُّفْر ويتشيع . فلما خرج القرمطي بالشام أضرَّ به وطالبه ، فهرب إلى مصر ثم إلى المغرب ، وكان يُعرف بأبن البصري .

قال الرازي : ودخل معه — يعنى القيروان — ابنه محمد المعروف بأبي القاسم (واختلفوا في اسمه ونسبه ، فطائفة قالت : عبد الرحمن ابنه ، وطائفة قالت : محمد ربيبه) . ويقال إن عبيد الله من بني حسن بن علي ، وأن أبا القاسم القائم بعده من بني الحسين بن علي ، إسماعيلي تزوّج عبيدُ الله أمّه وهي رومية تسمى « لعب » .

وقيل في اسم أبي القاسم عبد الرحمن ومحمد كما تقدم ، وقيل حسن ويُكنى أبا جعفر . خرج به عبيدُ الله من الشام يتصدى للسلطان ، ويخاطر في طلب الملك قاصداً المغرب ، وعبيدُ الله إذ ذاك شابٌّ عند كماله . وخرج معه خاصته وثقاتُ رجاله ، ولما انتهى إلى مصر أمّل أن يقصد اليمنَ ، ثم كره ذلك فخرج من مصر في زى التجار ، وخلص من يد عاملها في قصة طويلة ، وانتهى إلى سجلماسة^(١) فدان له المغرب واجتمعت عليه البربرُ . وزحف داعيته أبو عبد الله الشيعي بهم إلى زيادة الله الأغلبى فكسر جيشه في سنة ست وتسعين ومائتين — حسباً ذكر قبل — فهرب زيادةُ الله إلى مصر . وبويع لعبيد الله برّ قادة يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ، وكان وصوله إليها يوم الخميس قبله ، ودُعي له بالإمامة .

وفي هذه السنة انقرض مُلك بني الأغلب بعد مائة سنة واثنتي عشرة سنة ،

(١) كذا في الأصل بفتح السين الأولى ، والمشهور بكسرها ، وسنتركها بضبط المخطوط

فيما يلى من النص .

[١٠٥-١] ومُلكَ بنى مدرار بسجلماسة بعد مائة سنة وستين سنة ، ومُلكَ / بنى رُستم بتاهرت عن مائة وثلاثين سنة .

وكثر السعيات بأبى عبد الله الشيعي — وهو الذى مهد لمُلك عبيد الله وشد سلطانه مجالداً ومجادلا — فقتله وأخاه أبا العباس يوم الثلاثاء مُستهلّ ذى الحجة سنة ثمان وتسعين ، وأمر بدفنهما فى بستان القصر .

ثم ابتداءً ببناء « المهديّة » يوم السبت لخمس خلون من ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة ، وارتاد مواضعها ؛ وقصد التحصين بها على أهل بيته لما كانوا يتحدثون به من ظهور أبى يزيد الخارج عليهم وعيّنه فى مُلكهم ، فكان ذلك . وفى بنائها يقول بعض شعراء إفريقية :

خُطَّتْ بأرجاء المغربِ دارُ دانت لها الأمصارُ والأقطارُ
لانتِ ببردِ الماءِ لما أيقنت أن القلوبَ على الحسينِ حرارُ
وكان انتقالُ عبيدِ الله إليها فى شوال سنة ثمان وثلثمائة ، بعد أن ملك إفريقية وأعمال المغرب وطرابلس وبرقة وصقلية .

وسيرّ ولىّ عهده أبا القاسم إلى مصر دفعتين : الأولى فى سنة إحدى وثلثمائة ، فلك الإسكندرية والفيوم وجبى خراجهما وخراج بعض أعمال الصعيد ، وعاد إلى المغرب فى سنة اثنتين وثلثمائة ؛ والثانية سنة ست وثلثمائة ، فلك الإسكندرية أيضاً .

ولم يزل سلطانه يتمهد ، وظهوره يتزايد ، إلى أن توفى منتصف شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . فكانت ولايته — منذ وصل إلى رقادة وبويع بها ، إلى يوم وفاته — أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقيل : كانت خلافته — من يوم ظهوره بسجلماسة فى أول ذى الحجة سنة ست وتسعين

ومائتين وفيها سُلّم عليه بالخلافة ، إلى يوم وفاته بالمهدية — خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة . مولده سَلَمِيّة — وقيل ببغداد — سنة ستين ومائتين . ومولد أبي القاسم ابنه سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ثمانين .

وكان ، مع نجده وشهامته ، مفوّهًا فصيحًا عالمًا أديبًا . قال أبو عبيد البكري : لما تغلب عبيدُ الله الشيعي ، كتب إلى أهل المغرب يدعوهم إلى الدخول في طاعته والتدبّر بإمامته ، وكتب بمنزل ذلك إلى سعيد بن صالح^(١) ، وكان واليًا على نَكُور^(٢) وما إليها من أعمال المغرب / لبني مروان ؛ وكتب في أسفل [٥٥-ب] كتابه أبياتًا كثيرة ، منها :

(١) راجع عن تاريخ سعيد بن صالح هذا ونسبه وتاريخ بئى صالح أمراء نكور البيان المغرب لابن عذارى : ١٧٦/١ - ١٨١ .

(٢) نكور مدينة كانت في شمال المغرب على نحو عشرة كيلومترات جنوب الحسيمة الحالية إلى الشرق يسيرًا ، ولم يبق من آثارها اليوم إلا أطلال قليلة ، وهي واقعة في إقليم صنهاجة الريف على السفح الشمال لجبال الريف . وقد أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور في أواخر القرن الهجري الأول . وفي سنة ٨٥٨/٢٤٤ - ٨٥٩ نزل بها الزمان - الذين تسميهم النصوص المجوس - وانتهبوا ما فيها . وفي سنة ١٠٨٠/٤٧٣ - ١٠٨١ خربها يوسف بن تاشفين . وقد أجريت بها حفريات سنة ١٩٥٩ .

انظر : أحمد المكناسي : « المدن المدرسة في شمال المغرب » .

وكتب المكناسي كذلك بحثًا قصيرًا عن أطلالها ومآقام به من الحفائر فيها في سنة ١٩٥٩ ، ونشر نتيجة بحثه في دراسة في مجلة تمودة تحت عنوان :

Reconocimientos Arqueológicos en el Rif, Tamuda, ano VII, Tetuán 1959, fasc. I, II, p. 156-158 .

وانظر : خريطة المغرب الأركيولوجية ، لنفس المؤلف (تطوان ١٩٦١) ص ٢٤ . وقد تحدث عنها البكري والإدريسي ، انظر فهرس الأعلام في كل منها .

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم وأدخلها عفواً وأماؤها عدلاً
قال : فأجابه رجل من شعراء الأندلس من أهل طُلَيْطَلَة يعرف بالأخْمَش ،
أمره سعيد بن صالح بذلك :

كذبت ، وبیت الله ، لا تحسنُ العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت إلا جاهل ومنافق تمثّل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى^(١)
وكان عبيد الله إذا رأى ابنه أبا القاسم ونظر إليه فسُرَّ به يقول :
مباركُ الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

٧٥ - أبو عبد الله الشيعي

داعية عبيد الله المهدي

كان — مع قوّده الجيوش وخوضه الحروب — عالماً أديباً شاعراً . وهو
الذي حارب جيش زيادة الله بن الأغلب وهزمه ، نائباً عن عبيد الله وناصرأ
لمذهبه وداعياً إلى دعوته . وزحف إلى القبروان ونازلها ، وسها جمهور أجناد
إفريقية ، فدخلها واستولى على رَقّادة — دارِ مُلك الأغالبة حينئذ — وعلى
أعمال إفريقية .

(١) روى ابن عذاري في البيان المغرب (١٧٨/١) هذه الأبيات مع خلاف في الألفاظ .

وقد ورد لفظ الجلالة الوارد في البيت الأول : الإله ، ولا يستقيم به الوزن ، فصوبناه
على رواية البيان المغرب .

وقدم عبید الله بعد ذلك من سَجَلَمَاسَة ، فبویع له وقوى أمره واشتد سلطانُه ، ولم یلبث أن قتله وأخاه أبا العباس — وكان أكبر منه ، كما تقدم وصفُ ذلك — تولى قتلَهما عروبة السُكُتَامِي (١) ، ثم قُتل عروبة هذا منافقاً واستؤصل أهلُ بيته في أيام عبید الله . وأبو عبد الله الشيعي هو القائل بعد إيقاعه بجيش بني الأغلب :

من كان مغتبطاً بلینِ حشیةٍ فَحَشِيتِي وأريكتي سَرْجِي
من كان يعجبه ويهجه نَقْرُ الدفوفِ ورنه الصَّنَجِ
فأنا الذي لا شيء يُعْجِبُنِي (٢) إلا اقتحامي لجة الرَّهْجِ
/ سل عن خميسی إذ طلعتُ به يوم الخميس ضحى على الفَجِّ [١-٥٦]

البيت الأول من هذه القطعة كقول امرئ القيس :

يأرب غانية صرمتُ حبالها وَشَيْتُ مُتَنَدّاً على رِسْلِي
وأبيات القصيدة كلها على خلاف ذلك . وكقول الآخر ، ويستشهد به العروضيون :

(١) هو عروبة بن يوسف الملوحي الكتاني ، كان من رجال أبي عبد الله الشيعي واشترك معه في معظم غزواته ، ولكنه كان يحسده ويحسد أخاه أبا العباس المخطوم ، فظل يسعى بهما ، مع نفر آخر من رجال كتامة حتى حفزا عبید الله على قتلها . وقد اشترك في قتلها مع عروبة جبر بن ثُمَّاسِب الميلي . ولم يقدم عبید الله على قتلها إلا بعد أن تخلص من نصيرها الأكبر بين شيوخ كتامة وهو أبوزاك تمام بن معارك الأجاني : أمر واليه على طرابلس فقتله .

(٢) الأصل : « فأنا الذي يعجبه ولا شيء يعجبني » مع إشارة فوق « يعجبه » فهمت منها بعد لآي أنها مشطوبة ، وكذلك الواو التي تليها .

لَمَنِ الدِّيارُ بِرَأْمَتَيْنِ فَعَاقِلٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَ آيَها الْقَطَرُ

وهي من الضرب الأحَد^(١) المضمَر من ضروب العروض الأول من أعاريض
الكامل ، وعكسه وهو من الشاذ :

وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا نَهَلْتَ مِنَ الْعَلَقِ الرِّمَاحُ وَعَلَّتِ

(١) انظر ما كتبه عن هذا الضرب ابن عبد ربه في العقد الفريد (ط . مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٦) الجزء الخامس ص ٤٥٣ - ٤٥٥

المائة الرابعة

٧٦ — عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، أبو المطرف

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً ، وأنفهم في القديم والحديث شائناً ، وأطولهم في الخلافة — بل أطول ملوك الإسلام قبله — مدة وزماناً .

وَلَّى بِقَرْطَبَةِ يَوْمِ الْخَمِيسِ مَسْتَهْلَ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، عِنْدَ وَفَاةِ جَدِّهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَتَوَفَّى فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَمْ يَبْلُغْهَا خَلِيفَةٌ قَبْلَهُ . وَقَارِبَ أَنْ يَلْحَقَ فِيهَا شَاوَهُ الْقَادِرُ بِاللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُقْتَدِرِ ، الْجَمْعُ عَلَيْهِ بِالْمَشْرِقِ فِي آخِرِ هَذِهِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَ فِي الْخِلَافَةِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً — وَقِيلَ أَقَلُّ — ثُمَّ ابْنُهُ الْقَائِمُ بِاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْقَادِرُ ، بَلَغَ فِي وِلَايَتِهِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا . وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ بْنِ الْمُسْتَضْعَى .

بالله أبي محمد الحسن ، بلغ في ولايته سبعاً وأربعين سنة ، وبويع له في [ذى]
القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة^(١) .

وقرأت في كتاب أبي الحسين بن أبي السرور الروحي الإسكندري في أخبار
[٥٦ - ب] ملوك العبيدية^(٢) / أن المستنصر بالله أبا تميم معدّ بن علي بن الظاهر بن الحاكم
بلغ في ولايته بمصر ستين سنة وأشهرًا ، فأرلى على هؤلاء الخلفاء .

وتسمّى الناصرُ عبدُ الرحمن بن محمد بأمر المؤمنين بعد سنين من خلافته ،
لما ضعف سلطانُ العباسية بالشرق ، وغلبت عليهم الأتراك ، وادعت الشيعةُ
ماشاءت بإفريقية ، وساعدتهم عليه قبائلُ البربر وأصبح الناس في الآفاق فوضى ؛
وكان من قبله من آباءه يُدعون بالأمراء .

وظهرَ لأول ولّايته من بُن طائره ، وسعادة جده ، واتساع ملكه ، وقوة
سلطانه ، وإقبال دولته ، وخمود نار الفتنة — على اضطرابها بكل جهة —

(١) إليك تواريخ حكم أولئك العباسيين الثلاثة الذين يكادون يضاهون عبد الرحمن الناصر
في طول المدة :

أبو العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق المقتدر : ١٩ رجب ٣٨١ - ١٠ ذى الحجة ٤٢٢ .

أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر : ١١ ذى حجة ٤٢٢ - ١٣ شعبان ٤٦٧ .

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء : ٢ ذى قعدة ٥٧٥ - ٣٠ رمضان ٦٢٢ .

(٢) كذا ورد اسم الكتاب ومؤلفه ، ولم أعر على ما يزيدنا معرفة هذا المؤلف وكتابه .

ولدينا في تاريخ الفاطميين هذا الاسم كتاب « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » لأبي الحسن علي بن
حمّاد الصنهاجي المتوفى عام ١٢٢٨/١٢٣١ ، وله كتاب آخر هو « النذير المحتاجة في أخبار صنهاجة » .

وقد نشر فوندرهايدن كتاب أبي الحسن علي بن حمّاد في أخبار العبيديين سنة ١٩٢٧ في باريس
مع ترجمة فرنسية ، وأخطأ فجعل اسمه ابن حمّاد . ولا ينبغي الخلط بين هذا المؤلف وأبي عبد الله
محمد بن حمّاد البرنسي السبتي ، وهو من أهل القرن السادس الهجري ، ومن تلاميذ القاضي
عياض ، وله كتاب « المقتبس في مفاخر المغرب والأندلس » .

انظر مقال ليثي وروثنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب لعبيد الله بن صالح بن عبد الحليم .
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤ . ص ٢٠٥ .

واقتياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره الأوهام ، وتكلم في تحبيره الأقلام .
وقيض له من ابنه وولى عهده الحكم المستنصر بالله ، المدعو بأمر المؤمنين بعده ،
من زان ملكه ، وزاد في أبيته ، وقام بأمره أحسن قيام ؛ فكل جلاله ،
وجل كآله .

وكان الناصرُ — على علاء جانبه واستيلاء هيئته — يرتاح للشعر وينسبط
إلى أهله ، ويراجع من خاطبه به من خاصته .

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج صاحب « كتاب الخدائق » : حدثني
أبو بكر إسماعيل بن بدر^(١) ، أنه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله
عبد الرحمن بن محمد ، رحمه الله ، في غزاة كان آلى ألا يأنس فيها بمنادمة أحد
حتى يفتتح معقلا ، فافتتح معقلا بعد آخر ، وتمادى على عزمه في العزوف عن
المنادمة ، فذكر أنه كتب إليه :

لَقَدْ حَلَّتْ حُمَيَّا الرَّاحِ عِنْدِي وَطَابَتْ بَعْدَ فَتْحِكَ مَعْقِلَيْنِ
وَأَذَنْ كُلِّ هَمٍّ بَانْفِرَاجٍ وَأَنْ يَقْضَى غَرِيمُ كُلِّ دَيْنِ
قال : فلم يحرکه ما خاطبته به ، فعاودته بالمخاطبة فقلت :

يَا مَلِكًا رَأَيْهُ ضِيَاءٌ فِي كُلِّ خُطْبٍ أَلَمَّ دَاجٍ
مَنْ لِي يَوْمَ بِهِ فَرَاغٌ لَيْسَ أَخُو حَرَبِهِ بِنَاجٍ

(١) ذكره ابن الفرضي (رقم ٢١٤ ج ١ ص ٦٢) : إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد
حول نعمة لبني أمية . من أهل قرطبة ، يكنى أبا بكر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : إلا أن
صناعة الشعر غلبت عليه وطارت باسمه وكانت ألصق به . وطال عمره إلى أن سمع بعض الناس
منه وتسملوا فيه . وولى أحكام السوق ، فحمد أمره فيها ، وتوفي في أول ولاية المستنصر بالله
سنة ٣٥١ .

وذكره أيضاً الضبى (رقم ٥٤٣ ص ٢١٥) وقال إنه كان أثيراً عند عبد الرحمن الناصر ،
ثم أورد له بضعة أبيات رواها له أبو محمد علي بن أحمد بن حزم .

بكل بيضاء مَنْ رآها يحسبها شعلَةً السراجـ

لا تنس مولاك في وغانه واذكركه في حومة الهياجـ

[١-٥٧] / فذكر أنه جاوبه بقوله :

كيف وأنى لمن ينجي من لوعة الهم ما أناجي

يطمع أن يستريح وقتاً أو يقتل الراح بالمزاج ؟

لو تحمل الصخرُ بعض شجوى عاد إلى رقة الزجاجـ

كنت لما قد علمت الهوى لـ إذ أنا مما شكوتُ ناجـ

فصرتُ للبين في علاجـ طمَّ وأربى على العلاجـ

الوردُ مما يهيج حُزنى ويبعث السوسنُ احتياجي

أرى ليالى بعدَ حُسنى أقبحَ من أوجه سماجـ

لا ترَجُ مما أردتُ شيئاً أو يؤذن الهمُ بانفراجـ

٧٧- ابنه الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله ، أبو العاصي

وَلَى بعده الخلافة وهو ابن سبع وأربعين سنة - وقيل ابن ثمان وأربعين

سنة - وشهرين ويومين ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة

خمسین وثلاثمائة ، وتوفى لليلتين | خلنا من صفر سنة ست وستين ، فكانت

خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام ؛ استغرقت خلافة أبيه الطويلة

عمره ، حتى كان يقول له فيما يُحكى عنه : « لقد طوّأنا عليك يا أبا العاصي ! »

وكان حسن السيرة فاضلاً عادلاً مشغولاً بالعلوم ، حريصاً على اقتناء

دواوينها ، يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبدل في أعلاقها ودفاترها أنفس

الأثمان . ونفق ذلك لديه ، فحُمِلت من كل جهة إليه ، والمَلِك سوق ، ما نفق فيها جُلِب إليها ، حتى غصَّت بها بيوتُه ، وضائق عنها خزائنه .

قال ابن حَيَّان عند ذِكْرِ الحَكَم : كان من أهل الدين والعلم ، راغباً في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم ، باحثاً عن الأنساب ، حريصاً على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درسَ نسبُه أو جهَلَه بقبيلته التي هو منها ، مستجلباً للعلماء ورواة / الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ويسمع [٥٧ - ب] منهم ويرى عنهم .

وكان أخوه عبدالله — المعروف بالولد^(١) — على مثل هذه الحال من المحبة في العلم والعلماء والرواية ، وتوفي في حياة أبيه مقتولاً فتُصَيِّرَتْ كتبه إلى أخيه الحَكَم .

ولم يُسمع في الإسلام بخليفة باع مبلغ الحَكَم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتمسُّم بها . أفاء على العلم ، ونوّه بأهله ، ورغّب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه ، ومنهم أبو إسحاق محمد ابن القاسم بن شعبان^(٢) بمصر ، وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما ؛ جرى ذِكْر هذا في كُتُب تواريخهم .

وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً ، وخطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني ، وما لأحد مثله ،

(١) الولد هنا مصطلح أندلسي لا يطلق إلا على الأمراء ، وكثيراً ما يختص به ولي العهد .

(٢) كبير فقهاء المالكية في مصر في أواخر العصر الإخشيدى ، وأصله أندلسي من قرطبة ، وقد أرسل إليه عبد الرحمن الناصر عشرة آلاف دينار ليفرقها في شيوخ المالكية ، فأخرج الإخشيد مثلها (كما يقول ابن الزيات في الكواكب السيارة) ليفرقها في شيوخ الشافعية . وكان يرجو الله أن يميته قبل دخول الفاطميين مصر ، فات قبل ذلك بثلاث سنوات .

ووصل بذلك المال رَحِمَهُ ، إذ كان قسيمه في المروانية ، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالشرق ، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق ، أو ينسخه أحد منهم .

وألف له أيضاً أنساب قومه بنى أمية موشحةً بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيه جدا ، وخلد لهم مجداً . وأرسل به إلى قرطبة وأنفذ معه قصيدة حسنة من شعره — وكان محسناً — يمدحه بها ويذكر مجد قومه بنى أمية ونفرهم على سائر قرش ، فجدد له عليه الصلة الجزيلة .

وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوالمف ، ورجالٌ يوجههم إلى الآفاق عنها^(١) . ومن ورّاقيه ببغداد محمد بن طرخان ، ومن أهل المشرق والأندلس جماعة . وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها والمطالعة لفوائدها ، وقلما تجد له كتاباً كان في خزائنه إلا وله فيه قراءة ونظر من أى فن كان من فنون العلم : يقرؤه ويكتب فيه بخطه — إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه — نسب المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به ، ويذكر أنساب الرواة له ، ويأتى من ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده ، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن . وكان موقفاً به مأموناً عليه . صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ، ينقلونه من خطه ويحاضرون به .

[١-٥٨] قلت : وقد اجتمع لى من ذلك جزء مفيد مما وُجد بخطه ، ووجدت أنه يشتمل على فوائد جمة في أنواع شتى .

قال^(٢) : وكان قد قيّد كثيراً من أنساب أهل بلده ، وكلف أهل كُور الأندلس أن يُلحِقُوا كلَّ عربى أُخِملَ ذِكْرُهُ قبل ولايته ، وأن يصحّح

(١) هنا يحسن أن نقرأ : باحثين عنها .

(٢) يستمر ابن الأبار في الرواية عن ابن حيان .

نسبهم أهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب ^(١) ، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه ، وفرج ذلك بالعلم قتم له من ذلك ما أراد ، ونفع الله بكرم قصده البلاد والعباد .

وقال أبو محمد بن حزم في « كتاب جهرة الأنساب » من تأليفه ، وذكر الحكم : اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوء وعلو . وكان رفيقاً بالرعية ، محباً في العلم ، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم . وأخبرني « تليد » ^(٢) الفتي — وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس — أن عدد الفهارس التي كانت [فيها] تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط .

قال : ولم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، وقد انقضى ولا عقب له ولا لأبيه ^(٣) . وذكر الحميدى في تاريخه أن الحكم رام قطع الحجر من الأندلس ، فأمر بإزالتها وتشدد في ذلك ، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله ، ففعل إنهم يعملونها من التين وغيره ، فتوقف عن ذلك .

ومن شعره :

عجبتُ ، وقد ودعتها ، كيف لم أمتُ وكيف انثنتُ عند الفراقِ يدي معي
فيامقلتي التبري عليها اسكبي دماً ويا كبدي الحررى عليها تقطعي

(١) هذه الجملة قلقة بعض الشيء .

(٢) في جهرة الأنساب لابن حزم (تحقيق ليثي بروفئسال) : تأييد الفتي (ص ٩٢)

وهذه العبارة كلها واردة عنده .

(٣) عبارة ابن حزم (الجمهرة ص ٩٢) : فأما الحكم المستنصر فلم يعقب إلا هشاماً الوالي بعده ، ولي الأمر وهواين أحد عشر عاماً . وكان متفلساً عليه ، لا أمر له ولا نهى ، تلقب بالمؤيد ، ومُخلع المرة بعد المرة ، وقد انقضى ، ولا عقب له . وكان الحكم قد أنجب قبل هشام غلاماً سماه عبد الرحمن ولد سنة ٣٥١/٩٦٢ ، ثم مات طفلاً .

قال ابن حَيَّان : وعلى إطباقِ أهلِ وقته في نَزارةِ جَنَى أدبه ، فقد أنشدني
 الفقيه أبو علي الحسن بن أيوب الحداد^(١) له بيتي شعر ارتجلهما يوم ودَّعته حظيته
 أم هشام ، لما خرج لغزوته الفذة المعروفة بِسَنَتِ اشْتِيَيْنِ^(٢) ، فأكثر من
 التعلق به والولاءِ لفرقه ، وكان شديد الكلف بها ، وذكر البيتين . قلت :
 وقد قرأتُ في ما يروى لمِهيَّار الديلمي :

ومن عجبِ أني أحزنُ إليهمُ وأسألُ شوقاً عنهمُ ، وهمُ معي
 وتبكي دماً عيني ، وهمُ في سوادها ويشكو الهوى قلبي ، وهم بين أضلعي
 / فيأُمقلتي العَبرَى أنفيضي عليهمُ ويا كبدى الحَرَى عليهمُ تَقَطَّعي [٥٨ - ب]

فلا أدري : أوافقَ الحكمَ في بيته الأخير أم سرقة وغيره كما ترى ؟

وقال أبو الطاهر محمد بن يوسف التيمي (المعروف بالاشتركوني^(٣)) ، صاحب

(١) ذكره ابن بشكوال في « صلته » (رقم ٣٠٦ - ١٣٦/١ - ١٣٧) : الحسن
 ابن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا علي ، ويعرف بالحداد .
 وبعد أن ذكر شيوخه قال : وجمع مسائله في أربعة أجزاء . روى عنه جماعة من كبار العلماء
 منهم أبو عمر بن مهدي ، وقال : كان من أهل العلم بالمسائل والحديث ، مقدماً في الشورى على
 جميع أصحابه لسنه ، راوية للحديث واللغات ، وافر الحظ من الأدب ، حسن الشعر في الزهد
 والثناء وشبهه ، ذا دين وفضل . ولد في المحرم سنة ٣٣٨ ، وتوفي ودفن ضحوة يوم السبت
 خلف باب القنطرة في رمضان سنة ٤٢٥ .

(٢) رسم الاسم هنا دقيق ، لأنه بالإفرنجية Son Estéban ، وفي إسبانيا أكثر من
 موضع هذا الاسم ، ولكن المراد هنا San Estéban del Mail قرية صغيرة في مديرية
 وشقة Huesca تابعة لمركز Benavarre . وكانت غزوة شنت اثنتين سنة ٣٥٢ /
 ٩٦٣ ولم يكن هشام قد ولد بعد . وأم هشام المذكورة هنا هي صبح البشكنسية .

(٣) ترجم له ابن بشكوال في الصلة (رقم ١١٧٥ ج ٢ ص ٥٣٩) ولم يذكر نسبته
 هذه ، وإنما اكتفى بقوله : محمد بن يوسف بن عبد الله التيمي من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ،
 يكنى أبا الطاهر . وبعد أن ذكر شيوخه قال : وكان مقدماً في اللغة والعربية ، شاعراً مجتهداً ،

« المقامات الزومية » ، في ما جمع من شعر أبي بكر بن عمار وزير بني عباد) :
« وما ينسب إليه . . . » ، وذكر البيهقي :

* « ومن عجبى أنى أحسن إليهم » *

والذى بعده ، لم يزد عليهما .

وقرأت في « كتاب الخدائق » لابن فرج قوله — بعد إirاده جملة من أشعار الخلفاء الأموية — : « وهم يجلّون عن الشعر أقذارهم ، كما يرتفعون عن أن يروى عنهم أو يؤخذ من أقوالهم ، وإنما ينبسطون به في سرائرهم فليس يظهر عليهم منه إلا الشاذ القليل ؛ ولعل ما سقط عنا أفضل مما سقط إلينا . فأما أمير المؤمنين المستنصر بالله — أطال الله بقاءه — فهو فوق أن يعلن به أو ينشر اسمه عليه ، ولعل له منه ما لا نعرفه ، فأما الأدوات التي يقال بها ، بل التي يحتاج كل علم إليها ، فهي معه بأزيد مما كانت لأحد قبله أو تكون لأحد بعده » .

وهذا الذى قال غير مسلم له ولا مقبول منه ، بل إكثار الملوك من الشعر دالٌّ على قوة عارضتهم وسعة ذرعهم ، وحاكم بمعاينة مادتهم وتمكن تصرفهم ، ولولا ذلك لما فضل ابن المعتز أهل بيته بالإبداع في أنواع القريض ، وكذلك تميم بن المعز المتقيّل أثره في الإكثار ، والإتيان بما قيّد وخلّد من بدائع الأشعار . ولا أبلغ من الاحتجاج ، وأقطع للخصم المتناهى اللجاج ، مما هو عليه مولانا من تحجير الغرائب ، وتسيير السكك الغرائب المشرق والمغرب ، وهو البرهان على ربح المجال ، وتحصيل أسباب الفضل وأشتات السكك ، لا زال سلطانه يُبَخِّع له بالطاعة ويدّان ، وزمانه يُشْرِق بمحاسنه الباهرة ويزدان .

= وله مقامات من تأليفه أخذت عنه واستحسنّت . توفى في قرطبة في جمادى الأولى من سنة ٥٣٨ هـ .

واشتركونه Estercuel وتكتب أيضاً اشترقونة ، مدينة في مديرية تيروال Teruel في إسبانيا ، وتبعد عن القاعدة بمائة وعشرين كيلومتراً ، وهي تابعة لمركز Aliaga الإدارى ، وهي مرتفعة تقوم على سفح جبل سانتا آنا Pena de Santa Ana

٧٨ - عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد

قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسته أخاه الحَكَمَ وليَّ عهده ؛ وكان من نجباء أولاد الخلفاء ، محبا في العلم والعلماء ، سمع من جملة منهم ، وحدث في ألف عنهم . وله تواليف تدل على علمه وفهمه ، وتشهد بشرف ذاته وكال أدواته ، منها [١-٥٩] « كتاب العليل والقتيل في أخبار ولِدِ العباس » انتهى به إلى خلافة الرازي / ابن المقتدر ؛ ومنها « المسكتة في فضائل بَقِيَّ بن مَخْدَد » . قال أبو محمد بن حزم : كان فقيها شافعيّا شاعراً أخبارياً متنسكاً ؛ ومن شعره :

أما فؤادي فكاتمٌ أَلَمَهُ لو لم يَبُحْ ناظري بما كتمته
ما أَوْضَحَ الشَّقَمَ في ملاحظ مَنْ يهوى ، وإن كان كاتماً سَقَمَهُ
ظَلَّتْ أبسكى ، وظلَّ يمدُّني مَنْ لم يقاسِ الهوى ولا علمه
إليك عن عاشقٍ بكى أسفاً حبيبته في الهوى وإن ظلمه
ظَلَّتْ جيوشُ الأُمى تقائلُهُ مذ نذرتُ أعينُ الملاحِ دَمَهُ

وحكى أبو عمر بن عفيف^(١) في تاريخه الذي هذبه ابنُ حَيَّان واختبئه ، قال : وكان الأمير الحَكَمُ بن الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين ، وأخوه عبد الله هذا ، يتباريان في طلب العلم ، ويتناغيان في جمعه ، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم والإحسان إليهم . فكان ابن عبد البر

(١) أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مَرْيُول بن حاتم بن عبد الله الأموي (٣٠٨ - ٤٢٠/٩٥٩ - ١٠٢٩) ، ترجم له ابن بشكوال في « الصلة » (رقم ٧٣) وذكر مؤلفاته وفضائله ، وقد نقلنا هذه الترجمة في كتابنا « تاريخ الفكر الأندلسي » الذي ترجمناه عن آخِل جندالذ بالشيا (ص ٤٢٣) . وأشرنا إلى اعتماد ابن حيان في تأليف تاريخه على كتاب لابن عفيف في التاريخ لم يذكره ابن بشكوال (ص ٢٠٨) .

— يعني أحمد بن محمد ، صاحب التاريخ^(١) — ممن تميز في حزب عبد الله واختص به حتى لا يكاد يفارقه ، فسعى إلى الخليفة الناصر لدين الله بإبنته عبد الله هذا ، ورفّع عليه أنه يريد خلعه ويدعو إلى القيام معه ، وأن جماعات من طبقات الناس دخلوا في ذلك معه ، وأنهم على أن يثوروا به في يوم . عبد قد اقترب إليه . فأرسل الناصر في الليل بمن قبض على ولده عبد الله وحبسه ، فألقى عنده في تلك الليلة هذا الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر وفقهما آخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة — وهو أحمد بن عبد الله بن العطار^(٢) — كانا بائنين عنده ، فأخذنا وحملنا إلى الزهراء حفصة أمير المؤمنين الناصر بأسفل قرطبة ، فأمر بسجنهما وعرف الوزراء بحجر ولده عبد الله ، وكشف لهم عظيم ما أراد أن يحدثه عليه وعلى المسلمين فيه وتبرأ منه . وأعلمهم بمسارعتهم إلى القبض عليه ، ووجدان رسله هذين الفقيهين النطيين^(٣) بائنين عنده وقال لهم : « ما أعجب إلا من مكان ابن العطار عنده ! ما الذي أدخله في هذا مع غباوته وقلة شره ؟ وأما ابن عبد البر فأنا أعلم أنه

(١) أحمد بن محمد بن عبد البر فقيه ومؤرخ معاصر لعبد الرحمن الناصر ، وهو غير أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري . ترجم له ابن الفرضي (رقم ١٢٠ ج ١ ص ٣٧) وذكر في مقدمة « تاريخ علماء قرطبة » أنه نقل عنه كثير آ في كتابه . وقد سمع ابن عبد البر هذا من أجلاء شيوخ قرطبة من أمثال ابن لبابة وأسلم بن عبد العزيز وقاسم بن أصبغ ، وكان فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم ، وكان علم الحديث أغلب عليه ، وله كتاب مؤلف في « الفقهاء بقرطبة » وهو الذي استعان به ابن الفرضي في تأليف كتابه . وقال ابن الفرضي أنه توفي في السجن لليلتين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨ ، أخبرني بذلك المعيطي . وقال الرازي : توفي يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان في السجن . غمص في قصة العاق عبد الله بن الناصر .

(٢) أحمد بن عبد الله بن سعيد الأموي ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن العطار ، ويقال له صاحب الوردة ، يكنى أبا عمر ، حدث عن محمد بن وضاح وغيره . توفي في شوال سنة ٣٤٤ (ابن الفرضي ، رقم ١٥٨ ج ١ / ٤٦) .

ويفهم من هذا أن عبد الرحمن الناصر عفا عنه ، لاستبعاده أن يكون له ضلع في المؤامرة ، إذ أنه توفي بعدها بسبع سنوات .

(٣) نطيف : اتهم برية ، تطلع بعيب ، فسد ، بشم من أكل ونحوه .

[٥٩ - ب] الذي زَيْنَ لهذا العاق^(١) ذلك ليكون قاضي الجماعة / ويأبى الله ذلك « ، فهناؤه
بالسلامة ودعوا الله له . وعزم الناصر على أن يعاقب ابن عبد البر يوم العيد
— عيد الأضحى — الذي كان التدبير عليه فيه ، فأصبح ابن عبد البر يوم العيد
نفسه ميتاً في السجن ، وأسلم إلى أهله فدفن بمقبرة الرِّبَض ؛ وكان ذلك في سنة
ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

٧٩ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر ، أبو الأصمغ

كان أديباً شاعراً ، ظهرت منه نجابة في صغره . وحُكي أن أول لوح كتبه
عند دخوله الكتاب بعث به إلى أخيه الحكم المستنصر ، وكتب إليه من شعره :

هاك يا مولاي خطاً مَطَّه في اللوح مَطَّاهُ
ابن سبيع في سِنِيهِ لم يُطِقْ للوحِ ضَبْطاً
دمت يا مولاي حتى يُولَدَ^(٢) ابنُ ابنك سَبْطاً

٨٠ — محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

هو والد الخليفين في الفتنة : أبي المطرِّف عبد الرحمن الملقب بالمرتضى ،

(١) هذه الكلمة وازدة في الأصل واضحة هكذا . ولكن دوزي جعلها العلق (ص ١٠٦)
دون مبرر . وقد جعل كوديرا الكلمة : الناق !

(٢) الأصح هنا أن يقال : « يلد ابن ابنك سبطاً » ، لأن الشطر كما هو في الأصل
يعنى أن الذي سيولد سيكون حفيداً للحكم المستنصر ، أما على اقتراحنا فإن المولود سيكون ابن حفيد
لحكم ، أى سبطه . ويمكن أن تقرأ أيضاً سَبْطاً بفتح السين ، والمراد فارها .

وأبى بكر هشام الملقب بالمعتد ، آخر خلفاء بني أمية بالأندلس ؛ على رحيله^(١) انقضوا فلم يعد ملوكهم إلى اليوم . ولّى في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وكان أسنّ من أخيه المرتضى بأربعة أعوام ، مولده في سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وأقام في خلافته متردداً بالنعور ثلاثة أعوام إلا شهرين ، ودخل قرطبة يوم مئى ثمان ذى الحجة سنة عشرين ، لم يبق إلا يسيراً حتى قامت عليه فرقة من الجند فخلع . وانقطعت الدعوة الأموية من يومئذ ، واستولى على قرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الوزير ، ثم ابنه أبو الوليد محمد بن جهور . ومن شعر محمد بن عبد الملك قوله يفتخر :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحانُ أودارت علينا الدوائر ؟
إذا وُلد المولودُ منها تهلّت له الأرضُ واهتزت إليه المنايرُ

/ وقد أنشد أبو منصور النعماني في « اليتيمة » من تأليفه هذا الشعر ونسبه [٦٠ - ١]
إلى الحكم المستنصر بالله ، وزعم أن ذلك من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر

(١) في الأصل : رجله ، وكذا قرأها دوزى (ص ١٠٧) . وإنما جعلتها « رحيله » لأن هشاماً المعتد - أو هشاماً الثالث - آخر خلفاء بني أمية في الأندلس أعلن خليفة في ربيع الثاني ٤١٨ هـ / يونيو ١٠٢٧ . وكان يعيش منذ مقتل أخيه عبد الرحمن الرابع الملقب بالمرتضى حياة خول في حماية عبد الله بن قاسم الفهرى صاحب البونت Alpuente شمالى غربى بلنسية ، ولم يدخل هشام قرطبة إلا بعد عامين في ٨ ذى حجة ٤٢٠ / ١٨ ديسمبر ١٠٢٩ واستوزر رجلاً يسمى حكم بن سعيد ، ولم يستقم أمره ، إذ ظلت الفتنة ضاربة أطناها ، وقام عليه ينافسه أمير أموى آخر يسمى أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان ، ولكن هذا الأخير قتل في ١٢ ذى حجة ٤٢٢ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٠٣١ ، وعلى إثر ذلك قرر أبو الحزم بن جهور مع رؤساء قرطبة إخراج بقية الأمويين من البلد والمناداة بنهاية حكمهم فيه . وكان هشام المعتد وسط هذه الفوضى قد لجأ إلى بيت ملحق بالجامع واختبأ فيه مع بعض عياله ، وقضوا ليلتهم الأخيرة في عاصمة أجدادهم في ظلام لا تضئته إلا شمعاً مهافتة ، وفي الصباح رحل عن قرطبة مع أهله ، وواحمى بعض الوقت في حصن قديم ، وانتهى إلى لاردة حيث قضى بقية أيامه في كنف سليمان ابن هود .

يفتخر . وهذا من أغلاط أى منصور وأوهامه الفاحشة : حكى — لُبعد مكانه — ما لم يحقق ، وروى عن لا علم له بشأه ما لم يضبط . ومثل هذا النظم الفائق لم يكن ليفيغ عن ابن فرج صاحب « كتاب الحقائق » ، و [لم يكن ليفيغ]^(١) أيضاً عن أبى مروان بن حَيَّان — جُهينة أخبار المروانية ومؤرخ آثارها السلطانية — فكيف يصح ذلك [والأول منهما]^(٢) كما تقدم ينفى عنه الشعر ، والآخرُ يثبت له منه النز ؟ على أن محمداً هذا المنسوب إليه ليس فى أدباء أهل بيته بمشهور ؛ وعلى كل حال فلا معنى للفظ أى منصور .

٨١ — عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر

ويعرف بابن القُرشية

كان من ذوى القعدة فى بنى مروان ؛ وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذى اشتهرت معرفته بـ « ابن القُرشية » ، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبى الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن^(٣) ، حظيت بنكاح الناصر عبد الرحمن بن محمد وولدت له ابنته المنذر فسمته باسم أبيها ، فولد عبد العزيز هذا ، وكان له حظ وافر من الأدب وحسن الشعر . ذكره أبو الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب العاصرى فى كتابه « البديع فى فضل اربيع » ، وأنشد له فى البهار ، قال — وهو من التشبيهات العقم :

(١) أضفت هذه العبارة للسياق .

(٢) أضفت هذه العبارة أيضاً للسياق ، والأول منهما هو ابن فرج ، وقد سبق أن روى له ابن الأبار عبارة ينزه الحكم فيها عن قول الشعر .

(٣) المراد عبد الرحمن الأوسط .

كَأَنَّ الثَّرَى سَتَرَهُ تَمَدُّ خِلَالَهُ بِأَكْوَسٍ رَاحٍ رَاحَتَهُ الْكَوَاعِبُ
يُسْتَرْنَ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ مَعَاصِمًا بِأَكْلَامِهِنَّ الْخَضِرِ عَنْ يَرَاقِبِ^(١)
وَأُنْشَدَ لِأَبِي عَمْرِو يَوْسُفَ بْنِ هَارُونَ الرَّمَادِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ أُمَامَى^(٢) فِيهَا ،
يَمْدَحُ ابْنَ الْقُرَشِيَّةِ هَذَا وَيَصِفُ أَزْهَارَ الرَّبِيعِ :

تَأْمَلْ بِأَثَرِ الْغَيْمِ مِنْ زَهْرَةِ الثَّرَى حَيَاةَ عَمِيونٍ مُتَنٍّ قَبْلَ التَّنَقُّمِ^(٣)
كَأَنَّ الرَّبِيعَ الطَّلُقَ أَقْبَلَ مَهْدِيًا بَطْلَمَةَ مَمَشُوقٍ إِلَى عَيْنٍ مَغْرَمِ
تَعَجَّبْتُ مِنْ غَوْصِ الْحَيَاةِ فِي حُشَا الثَّرَى فَأَفْشَى الَّذِي فِيهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمِ^(٤)
/ كَأَنَّ الَّذِي يُسْقَى الثَّرَى صِرْفُ قَهْوَةٍ تَمُّ عَلَيْهِ بِالضَّمِيرِ الْمَكْتَمِ [٦٠ - ب]
أَرَى حَمْنًا فِي صَفْحَةٍ قَدْ تَغَيَّرَتْ كَبِشْرٍ بَدَأَ فِي الْوَجْهِ بَعْدَ التَّجْهِمِ
أَلَا يَا سَمَاءَ الْأَرْضِ أُعْطِيتِ بِهِجَةً تَطَالِعُنَا مِنْهَا بِوَجْهِ مَقْسَمِ

(١) ورد هذان البيتان في كتاب « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (توفي حوالي ١٠٤٨/٤٤٠) بتحقيق هنري بيريس ، الرباط ١٩٤٠ ، ص ٩٨ .
وقد ترجم له ابن الأبار في التكملة (القطعة التي نشرها محمد بن شنب في الجزائر وفيها من
حرف الألف إلى حرف الجيم الذي تبدأ به النسخة التي حققها كوديروا ونشرت في مجلدين في المكتبة
الأندلسية) ، رقم ٤٧٤ ص ٢١٩ وليس في هذه الترجمة من جديد إلا قوله إن أباه كان يلقب
بجيبب وأنه أخو أبي زيد بن محمد بن عامر شيخ أبي بكر بن العربي .

وكتاب « البديع في وصف الربيع » ويقال أيضا « في فصل الربيع » و « في وثن الربيع »
كتاب فريد في بابيه ، إذ أن أبا الوليد جمع فيه طائفة كبيرة من شعر الأندلسيين في الربيع وأزهاره .
وقد جعله أبوإيا اختص كل زهرة بواحد .

(٢) أمأى أى جعل أبياتها مائة .
(٣) أورد هذه الأبيات أيضا أبو الوليد إسماعيل الحميري في « البديع في وصف الربيع »
ص ١٢ . وقد ورد لفظ « التنعيم » في الأصل : التنعيم ، فصولناه .

(٤) بعد هذا البيت أقحم الناسخ بيتا سبق أن ورد في شعر عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ،
وهو .

ظلت أبكى وظل يعذلى من لم يقاس الهوى ولا علمه

وإن قالت الأرضُ المنعمُ روضُها : «لِيَ الفضلُ في غفري عليك» ، فسألي
فخضرةُ ما فيها تفوقك خضرةً ونوارها فيها ثوابُ أنجمِ
وإن جثتها بالشمس والبدر والحيا مفاخرةً ، جاءت بأسنى وأكرمِ
بعبد العزيز ابن الخلائف والذي جميعُ المعالي تنقضى حيث ينتمى^(١)

٨٢ — محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام ، أبو عبد الله

كان من [أكل] رجال البيت الأموي خلقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من
الشعر الجيد ، وكانت أخته لأبيه فاطمةُ عند الناصر عبد الرحمن بن محمد ، فخطب
بمصاهرته ؛ واعتبط في خلافة الناصر فتوفى للنصف من ذى القعدة سنة ست
عشرة وثلاثمائة . وهو القاتل :

بنفسى وأهلٍ من بذلتُ له ودى ومَلَكتُهُ رِقِّي على القُربِ والبعْدِ
وأبغضتُ فيه كلَّ خِذنٍ مناصحٍ وأبديتُ للعذال في عشقه صدِّي
ولم أنصرف فيه إلى قول كاشحٍ وأصررتُ في حُبِّيهِ إصرارَ ذى الحقدِ

(١) علق أبو الوليد الحميري على هذه الأبيات بقوله (ص ١٢-١٣) : «ودخله
في هذا الموضع إلى المدح ، ومفاخرته بين السماء والأرض من المعاني التي سبق فيها ، واستولى
على الأمد بها . وقوله :

* كأن الذي يسقى الثرى صرف قهوة *

البيت ، شبه فيه إفشاء الأرض نوارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المرء أسرارهِ المكتومة بالقهوة .
وقوله : «يَم» مستقبل من النعمة ، يقال : يَم بكسر النون وضمها ، والكسر أفصح .
وقوله : «بوجه مقسم» أي محسن ، من القسام وهو الحسن .
وقوله : «فسلي» أراد : فأذعن لها ، وأقرى بفضلها .

سقاني بعينيه الهوى ، وبكفه سُلَافًا ، وحياتي بها ناقضَ العهد
وله :

طال اشتياقي إلى من كنتُ آلفُهُ فالعينُ بالدمعُ ما تنفكُ تَذَرِفُهُ
اعتضتُ من قربٍ من أهوى زيارتَهُ مَنْ كنتُ أكرهه جُهدى وأقذفُهُ
وصار مَنْ كنتُ أشاءُ وأبعدُهُ مكانَ مَنْ كنتُ أهواه وألطفُهُ
/ فالنفسُ في قلبي ، والعينُ في أرقِ والقلبُ في حَرَقٍ مما يُخَلِّفُهُ [١-٦١]
مَنْ رامَ صرفَ محبٍّ عن أحبتِهِ فإن قلبيَ مما لستُ أصرفُهُ

٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام

كان من نهاء قومه الروائيين بقرطبة ، وكان له طبع معين في قرض الشعر .
وهو القائل في ابن مات له ، أنشده ابن حَيَّان :

عيني تجود بمسكوبٍ ومُهْرَاقٍ فالحمدُ لله ، ما للموتِ من باقٍ
وكيف أبقيَ بلا نورٍ ، بلا بصيرٍ أم كيف يثبتُ لحمٌ زال عن ساقٍ ؟
لا يبعدُ نكَّ بُنَى اللهُ إنك قد لاقيتَ ما كلُّ مَنْ في ظهرها لاقٍ

٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن

أخو الحكم المذكور، كان من أهل الأدب والشعر . وهو القائل يرثى أباه ،
وتوفى والناصر غائب في غزاته سنة خمس عشرة وثلاثمائة :

لِفَقْدِكَ تَهَلُّ الْعْيُونُ وَتَدْمَعُ وَتَهْدُ أَرْكَانُ الْمَعَالِي وَتُخْشَعُ
وَيُعْوَلُ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ ضَاكِحًا لِفَقْلَتِهِ فِي ظِلِّ نَعْمَاكَ يَرْتَعُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ جَسْمَهُ سَقَاكَ مِنَ الْأَنْوَاءِ هَتَانُ مُمْرِعُ
وَلَقَى كَرِيمًا فِيكَ رَوْحًا وَرَحْمَةً مَلِيكَ إِذَا مَا شَاءَ يَعْطِي وَيَمْنَعُ
وَكَانَتْ لَهُ كَفٌّ يَفِيضُ نَوَالَهَا مَدَى الدَّهْرِ عَنْ تَسْكَابِهَا لَيْسَ يُقْلَعُ
وَكَانَتْ لَهُ جَهَنُّ تَجَافَى عَنِ الْكَرَى وَنَفْسٌ تُتَاجَى اللَّهُ وَالنَّاسُ هُجَّعُ
وَصَوْمٌ وَتَسْبِيحٌ وَذِكْرٌ وَخَشْيَةٌ وَطَوَّلَ صَلَاةَ أَجْرَهَا لَا يُضَيَّعُ
بِكَيْفِيَّتِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً لَعَلَّ الْبَكَاءَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ يَنْفَعُ
فَلَسْتُ لَشَيْءٍ بَعْدَ فَقْدِكَ فَارِحًا وَلَا لِمَصَابٍ بَعْدَ فَقْدِكَ أَجْزَعُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي مَصِيبَةٍ لَهُ مَهْجَةٌ نَحْوُ الْمَنَايَا تَطْلَعُ

٨٥- / عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز [٦١ - ب]

ابن أمية بن الحكم الربضي ،
أبو بكر ، الملقب بالحجر

ويقال له البطر شك^(١) بالمجمية ، ومعناه الحجر اليابس .

(١) البطر شك - كما هو واضح من كلام ابن الأبار - لفظان إسبانيان : Piedra Seca .
وقد قال رومي Romey في تاريخه (ج ٤ ص ٣٧٨) أنه يقابل اللاتينية Petra Sicca ،
ولكن دوزي رجح أنها تقابل اللفظين الإسبانيين اللذين ذكرناهما . وقال دوزي أيضاً أن عبد الله
ابن عبد العزيز المرواني ربما لقب بالحجر اليابس لبخله . انظر :

R. DOZY, *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age* (Leyde, 1849) 1, 273.

وهي الطبعة الأولى من أبحاث دوزي المعروفة ، وتختلف في فصولها وترقيم صفحاتها عن
الطبعتين الثانية والثالثة . والأخيرة هي الجارية في أيدي الناس اليوم .
وقد ذكر دوزي - في فصل خاص بترتيب صفحات نسخة الحلة السيرة التي نقلت عن
أصلها في الإسكريال المكتبة الأهلية في باريس بناء على طلب المستشرق كوندى - أن مجلدتها قدم
بعض الأوراق على بعض فاختلفت ترجمة عبد العزيز المرواني هذا بترجمة غيره ، وغلط
كوندى في متابعتها دون أن يتنبه إلى الخطأ .

وحياة عبد العزيز المرواني هذا طويلة حافلة بالأحداث ، فقد كان - كما رأينا - يتولى طليطة
لهشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر . وعاونه على الخلاص من القائد غالب ، ثم اتهم بالاشتراك
مع عبد الله بن محمد بن أبي عامر في مؤامرة ضد أبيه ، واشترك في المؤامرة أيضاً عبد الرحمن بن
مطرف التجيبى المتولى أمر ثغر سرقسطة . ولم تنجح المؤامرة ، ففر عبد الله بن المنصور إلى
برمودو الثاني ملك ليون ، فازال المنصور يسعى حتى أرغم برمودو على تسليمه إليه ثم قتله .
وقد فر عبد الله المرواني أيضاً إلى برمودو هذا ، ولانعلم إن كان قد فر مع عبد الله بن المنصور
أو بعد ذلك ، وعلى أى الأحوال فقد ظفر به المنصور أيضاً وسجنه في المطبق «بعد أن طيف به على
جهل وهو متيقن» . وبقية الخبر يرونها ابن الأبار هنا .

انظر ، علاوة على المراجع المذكورة أعلاه : البيان المغرب لابن عذارى : ٢٨٣/٢ - ٢٨٦ .

محمد عبد الله عنان ، الدولة العامرية (القاهرة ١٩٥٨) ص ٦٠ - ٦٣ .

وتعليقات الدكتور محمود على مكى على تحقيقه لديوان ابن دراج القسطل (دمشق ١٩٦١)

ص ٣٦٢ تعليق ٢ وص ١١١ تعليق ١ وص ٤٦٠ تعليق ٢ .

أمره هشام المؤيد في بعض الأوقات ، وسدّ به الثغر ، وفوض إليه أمر طليطلة وقلده إياها مع خطة الوزارة ، فاستقل بمقاومة غالب^(١) أيام فتنته ، حتى دعاه إلى القيام بالخلافة^(٢) .

وكان على مقدمة المنصور بن أبي عامر في غزاته إلى جليّمية ، بعد مُنصرَفه من مقتل غالب بالثغر ، في أول المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومعه خيل طليطلة وطبقات الأجناد وجميع الرّجل . وفيها حَصَرَ سَمُورَة ، وامتنعت عليه قصبُها ، وعمّ بالتدمير كثيراً من نواحيها ، ومنها جهة دمر فيها نحو ألف قرية ، معروفة الأسماء كثيرة البيع والديّارات . ووصل قرطبة ومعه أربعة آلاف سَبِيّة ، وقد حَزَّ قريباً منها من رؤوس الكفرة^(٣) .

(١) أبوتمام غالب الناصري «صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، شيخ الموالي قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع» كما يقول ابن عذارى (البيان : ٢/٢٦٥) . كان الوزير أبو جعفر المصحفي (سيتحدث عنه ابن الأبار بعد ذلك) قد أساء معاملته عندما تولى الحجابة لهشام المؤيد ، رغبة منه في الانفراد بالسلطان المطلق ، فاضطربت أحوال الثغر نتيجة للمنافسة بين الرجلين ، وكان هذا من الظروف التي استغلها محمد بن أبي عامر للوصول إلى السلطان ، وقد سلك إليه طريقاً ملتوية تقوم على الاحتيال على الرجال والإيقاع بينهم ، فاستعان بغالب على جعفر المصحفي ، فاستصدر أمراً من هشام المؤيد يرفع غالب إلى خطة الوزارتين ، أي وزارة السيف ووزارة القلم ، أي أنه أصبح وزيراً وقائداً أعلى ، واتفق معه على أن يدبر ابن أبي عامر جيش الحضرة ، ويدبر غالب جيش الثغر . ثم صاهره فتزوج ابنته أساء ، وبمعاونته قضى على جعفر المصحفي . ثم سعى بعد ذلك في القضاء على غالب باستقدام جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي ، وكان شيخاً من شيوخ زنادة المواليين لبني أمية الأندلسيين ، وكان يقوم بأمر العدو ، واستوزره وولاه القيادة . وشعر غالب بغرض ابن أبي عامر ، ويبدو أنه استعان بالناصرى للدفاع عن نفسه ، ولكنه قتل في معركة بين رجاله ورجال ابن أبي عامر .

راجع ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢/٢٦٢ - ٢٧٩ .

(٢) يفهم من هذا أن غالباً دعا عبد الله بن عبد العزيز المرواني إلى طلب الخلافة لنفسه . ويبدو أن العبارة ينقصها شيء .

(٣) قام ابن أبي عامر بهذه الغزوة في العام التالي لمقتل غالب ، ولم يذكرها ابن عذارى ، ولكني وجدت في البيان الذي يورده أحمد بن أنس العنزي لغزوات ابن أبي عامر حتى سنة ٣٧٦ =

وكان عبد الله هذا أحد رجالات الروائية ، عقلا وشهامةً وأدباً وغزارة علم وإمتاع حديث وطيب مجالسة . ومن شعره ، قال الحميدى فى تاريخه :
أنشدنى عنه أبو عبد الله بن المعلم الطليطلى ، قال : أنشدنى لنفسه :

اجعل لنا منك حظاً أيها القمرُ فإنما حظُّنا من وجهك النظرُ
رأك ناسٌ فقالوا : إنَّ ذا قرُّهُ ! فقلتُ : كُفُّوا ، فمعدى منهما خبرُ..
البدرُ ليلةَ نصفِ الشهرِ سهجتهُ حتى الصباحِ ، وهذا دهرهُ قرُّ
والله ما طلعتْ شمسٌ ولا غرَبَتْ إلا وجاءتْ إليك الشمسُ تعتذرُ^(١)

وأنشد له ابن أبى الفياض فى [تاريخه] :

ومن لا أسميه مخافةَ عتبهِ على أنَّ قلبى مستهائمٌ بحبهِ
وبعضُ اسمه حلا وبأ [...] حروفٌ طواها [...]
عليه سلامُ الله مِنى مردداً سلامَ محبِّ جاد فيه بقلبهِ
وله :

يا ظالماً ظنَّ قتلى فى الهوى حسناً كنَّ كيف شئتَ فظنى فيك قد حسناً
/ طويتُ حبَّك حتى ظلَّ ينشرهُ دمعٌ جرى فغدا سرُّى به علناً [٦٢-١]
أفديك من ساكنٍ فى القلب مسكنهُ وغائبٍ لم تزل نفسى له وطناً
يا قرة العين ، قد عذبتها سهرأ ومنية النفس ، قد قطعتها شجنأ

= ذكرأ لها ، ومنه يتبين أن مقتل غالب كان يوم الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ٣٧٠ أى قبل التاريخ الذى يحده ابن الأبار هنا بسنة . أما الغزوة التى يشير إليها هنا فيسميها العزرى «سورة الأولى» وقد خرج بها ابن أبى عامر يوم الأربعاء ١٩ صفر ٣٧١ وعاد منها السبت ١٤ ربيع الأولى من نفس السنة . ويمكن أن نعزو ما قامت به هذه الحملة من التخريب إلى أن هذه أول حملة كبرى يشترك فيها جند البربر الذين أتى بهم ابن أبى عامر مع جعفر بن على بن مخلون .

(١) وردت هذه الأبيات مع بعض خلاف فى الألفاظ فى جذوة المقتبس للحميدى :
رقم ٥٥٦ ص ٢٤٤ ، والبغية للصبى : رقم ٩٣٣ ص ٣٣٤ ، والمغرب لابن سعيد : ١٠/٢ .

مَا بَالُ قَلْبِكَ يَشْكُو قَرْطَ قَسْوَتِهِ قَلْبٌ يَقَاسِي عَلَيْكَ الْبَثَّ وَالْحَزْنَ
أَمَا هَوَاكَ فَإِنِّي لَسْتُ سَالِيَهُ وَمَنْ يَمُتْ كَدَاً فِيهِ فَذَاكَ أَنَا
وَأُنْشِدْ لَهُ ابْنَ فَرْجٍ فِي «الْحَدَائِقِ» (١) :

سُقِيَا لَهُمْ مِنْ ظَاعِنِينَ حَسْبَتِهِمْ وَسَطَ الْهُوَاجِ أَتُولُوا مَكْنُونَا
[١١٠-١] / لَوْ كُنْتُ أَنْصَفُهُمْ عَشِيَةً وَدَعَا مَا عَشْتُ بَعْدَ نَوَى الْأَحْبَةِ حِينَا
أَغْصَانُ بَابٍ فَوْقَ كَشْبَانِ النَّقَى فَإِذَا لَحْظُنْكَ خِلْتَهُنَّ الْعِمِينَا
أَجْرَى الزَّمَانُ يَبِينُهُنَّ مَدَامَعَا مَا كُنَّ مِنْ قَبْلِ الْهُوَى يَجْرِينَا

وله مع رسالة حين ظفر به المنصور محمد بن أبي عامر في شوال سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة ، وكان قد هرب أمامه إلى بلد الروم فسجنه بالمطابق بعد أن طيف
به على جل وهو مقيد :

فَرَرْتُ فَلَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ ، وَمَنْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ لَا يُعْجِزُهُ فِي الْأَرْضِ هَارِبُ
وَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ الْفِرَارُ لِحَالَةٍ سَوَى حَذَرِ الْمَوْتِ الَّذِي أَنَا رَاهِبُ
وَلَوْ أَنَّنِي وُفِّقْتُ لِلرَّشْدِ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ أَمَرَ اللَّهِ لَا بَدَّ غَالِبُ
وَقَدْ قَادَنِي جَرًّا إِلَيْكَ بِرُمْتِي كَمَا اجْتَرَّ مِيتًا فِي رَحَى الْحَرْبِ سَالِبُ

(١) سبق أن ذكرنا أن الناسخ خلط في هذا الموضع خلطاً شديداً ، فوصل بين ترجمة
أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي وترجمة أبي عبيد الله
عبد الله بن عبد العزيز البكري ، ولا أدري كيف وقع الخلط ، ويبدو أنه كان ينسخ في ترجمة
الأول ، ووقف عند بيت : «أما هواك . . .» فلما عاد إلى النسخ فتح المخطوط باحثاً عن عبد الله
ابن عبد العزيز بن أمية ، فوقع في صفحات أبي عبيد البكري ، فضى يتنقل غير منتبه لخطئه حتى
فرغ من أهل القرن الخامس ، ثم تنبه إلى أن جزءاً كبيراً من المخطوط لم ينسخ ، فعاد يستدرك
ما نسى نسخه ، ولكنه لم يصلح الخطأ ، وهكذا وصلتنا المخطوطة الوحيدة من الحلة .

وظاهر أن ابن فرج الجيافي لا يمكن أن يروي شعراً لأبي عبيد البكري ، لأنه مات قبله
بزمان طويل ، ولا يمكن أن يروي لعبد الرحمن المستظهر ، لأنه مات قبله كذلك . ولهذا فقد رجحت
أن هذه الأبيات لأبي عبد الله بن عبد العزيز المرواني هذا ، فجعلتها في هذا الموضع .

وأجمع كل الناس أنك قاتلي ورُبَّتْ ظنّ ربه فيه كاذب
وما هو إلا الانتقام فنشتقي وتركك منه واجباً ، لك واجب
وإلا فعفو يرتضى الله فعله ويجزيك منه فوق ما أنت طالب
ولا نفس إلا دون نفسك ، فليكن على قدرها قدر الذي أنت واهب
فما خاب من جدواك - مذكنت - سائل ولا ردّ دون المبتغى عنك راغب
وقد منحت كفاك ما يُعجز الوري وعمت عموم النيث منك المواهب
وإن حمّ تأخير نفسي فليكن لمتلفها من حاجب الملك حاجب
فما زال سباقاً إلى كل خصلة يسير بها في الأرض ماشٍ وراكب
فلا انفك لي مولى ألود بعزه فيصرف عني الخطب والدر عاتب

وله أيضاً يستشفع بالمظفر عبد الملك إلى أبيه المنصور :

/ ألا أيها الحاجب المرتجى وأكرم من كان أو من يكون [١-١١١]
دعوتك دعوة مستصرخ أحاطت به وأُخِضَتْهُ المنون
فإن لم تغثنى فمن ذا الذي يلوذ به الخائف المستكين ؟
جمعت التقى والملى والنهى فال مُذالّ وعرض مصون
وتفريج غمّاء عن حائن يعود بك الحى وهو الدفين
فقل لي : لعل ! من عثار له أناديك والموت لى مستبين
وإن جل ذنبى فأنت الجليل وهل لك فيمن عليها قرين ؟

ومن خبره أنه أقام مسجوناً إلى أن مات المنصور ، وولى ابنه المظفر عبد الملك حجابة هشام ، فأطلقه واستحله لأبيه ، وخلع عليه وولاه الوزارة وخصّ

به ، فلم تطل أحياته ، وتوفي غازياً مع عبد الملك غزاته الأولى سنة ثلاث وتسعين بمدينة لارِدة ، وقبرُه بمسجدها .

وكان جَلَدًا في محنته ، كثير الدعاء والضراعة ، قد رزق من الناس رحمة . ولما أسلمه برمند ملك الجلائقة^(١) مضطراً إلى ثقات المنصور وطيف به ، كان قدامه [من] ينادى : « هذا عبد الله بن عبد العزيز ، المفارق لجماعة المسلمين ، النازع إلى عدوم ، المظاهر له عليهم ! » ، فكان هو يرد عليه ويقول : « كذبت ! بل نفس خافت ففرّت تبغى الأمن من غير شرك ولا رِدة » . ولم يعرض المنصور لمنازله وضياعه ، أطلقها لبيته مدة اعتقاله .

٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك

هو الطليق ، وقيل له ذلك لأنه سُجن في أيام المنصور محمد بن أبي عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسُي « الطليق » .

وكان - فيما قيل - يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ،

(١) هو برمودو الثاني Bermudo II ابن رذير الثاني Ramiro II ملك مملكة ليون وأشتريس وجليقية من سنة ٩٨٢ إلى ٩٩٩ م (٣٧٢ - ٣٩٠ هـ) معاصر المنصور ابن أبي عامر وصاحب الوقائع الكثيرة معه . وهو الذي لجأ إليه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني هارين خوفاً من المنصور بعد انكشاف مؤامرتيها عليه ، وقد استطاع المنصور أخيراً الحصول عليهما . أما عبد الله ابنه فقد قتله ، وأما عبد الله المرواني فقد سجنه حتى كان من أمره ما يحكيه ابن الأبار .

انظر : تعليق الدكتور محمود على مكى على القصيدة رقم ١٢٨ من ديوان ابن دراج .

القسطلي (دمشق ١٩٦١) ص ٤٦٠ هامش ٢ .

فاشدت غيرة مروان لذلك ، وانتضى سيفاً ، واتهمز فرصةً في بعض خلوات أبيه معها فقتله . وعُثر على القصة ، فسُجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وهذا من نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة أربع مائة .

وكان أديباً شاعراً مكثرًا ، وأكثر شعره في السجن . وإنما ذكرته — [١١١-ب] وليس من شرطى في الإتيان بالأسماء والمتأمرين ومن قَرُب إليهم دون مَنْ بَعُد من البنين — لقول أبي محمد بن حزم : « أبو عبد الملك هذا في بنى أمية كابن المعتز في بنى العباس ، ملاحظة شعرٍ وحسن تشبيه » ^(١) ؛ فحذفه من هذا المجموع هو المعتز [عليه] حقيقة لا إنباته واجتلاب محاسنه ، والخطأ مع الاجتهاد معفو عنه . ولعلّ قد أتيت في ما أثبت بما هو قريب منه . ومن شعر الطليق في معتقله :

ألا إن دهرًا هادماً كلَّ ما نبني سيَبلى كما يُبلى ، ويَفنى كما يُفنى ^(٢)
وما الفوز في الدنيا هو الفوز ، إنما يفوز الفتى بالرجح فيها مع الغن
يُجَارَى بيؤسٍ عن لذيذ نعيمها ويَجْنِي الرَّدَى مما غدت كفه تجني
ولا شك أن الحزنَ يجري لغاية ولكنَّ نفس المرء سيئة الظن
وله يصف السجن :

في منزل كالليل أسود فاحمٍ داجي النواحي مظلم الأنباج

(١) عبارة ابن حزم في الجمهرة (ص ٩٤) : وأما مروان بن الناصر ، فن ولده مروان الطليق ، وأخوه عبد الملك ، ابنا عبد الرحمن بن مروان بن الناصر . كان مروان هذا من الشعراء المفلّحين المحسنين ، وأعقب أربعة : يزيد أبو خالد ، وليبد أبو ليل ، وعبيد الله أبو إمامة ، وأربد أبو زيد ، وأخوه عبد الملك ساكن الآن بدروقة .

(٢) ورد في الهامش إلى يمين هذا السطر : « أخذ قول البحترى برمته :

ستفنى مثل ما نفنى وتبلى كما نبلى ، ويدرك منك ثأر

يسودُّ والزهره تشرق حوله كالخبر أودع في دواء العاج
وله في النسب :

أقول ودعى يستهل ويسفح وقد هاج في الصدر الغليل المبرح
دعوني من الصبر الجليل فإني رأيت جميل الصبر في الحب يقبُح
لقد هيَّج الأضحى لنفسى جوى أسمى كرىه المنايا منه للنفس أروح
كان بعيني خلق كل ذبيحة به ، وبصدرى قلبها حين تُذبح
فيا ليت شعري ، هل لمولاي عطفة يداوى بها منى فؤاد مجرح ؟
يحنُّ إلى البدر الذى فوق خده مكان سوادِ البدر ورد مفتوح
تقنع بدر التَّم عند طلوعه مخافة أن يسرى إليه فيفضح
فقلت له : يا بدر أسفر فقد غدا عليه رقيبٌ للعدا ليس يبرح
لعمري لذاك البدر أجلُّ منظراً وأحسن من بدر التمام وأملح
وله من قصيدة / فريدة أولها :

[١١٢-١]

غصنٌ بهتزُّ في دغصٍ نقي يجتنى منه فوادي حرقاً
باسم عن عقدٍ درٍ خلته سلبته لثبته العنقا
سال لأم الصدغ في صفحته سيلان التبر وافى الورقا
فتناهى الحسن فيه ، إنما يحسن النصف إذا ما أورقا
رق منه الخصر حتى خلته من نحول شفه قد عشقا
وكان الردف قد تيمه فعدا فيه ممنى قلقاً
ناحلا جاور منه ناعماً كحبيبي ظل لى معتقاً
عجباً إذ أشبهانا ، كيف لم يُحدنا هجرأ ولم يفترقا ؟

ومنها يصف الخمر :

رب كأسٍ قد كستَ جناحَ الدجى ثوبَ نورٍ من سناها أشرقا
بثُّ أسقيها رشاً في طرفه سنّةٌ تورث عيني أرقا
خَفِيتَ للعـين حتى خَلَتْها تتقى من لحظه ما يُتقى
أشرقَتْ في ناصعٍ من كفه كشعاع الشمس لاقى الفلقا
وكان الكأسَ في أنمله صفرةُ النرجسِ تعلو الورقا
أصبحتُ شمماً وفوه مغرباً ويدُ الساقى الحَيِّ مَشْرِقا
فإذا ما غربت في فمه تركت في الخلد منه شَفَقا

ومنها في أوصاف شتى :

وغمامٍ هطلٍ شوبوبُهُ نادَمَ الرّوض ففَنَى وسقى
فكان الأرضَ منه مطبقُ وكان النَّصب جانٍ أطبقا
خلع البرقُ على أرجائه ثوبَ وشيٍ منه لما برقا
وكان العارضَ الجوّنَ بهِ أدَهَمَ خلى عليه بَلقا
/ وكان الرّيحَ إذ هَبَّتْ له طَيرَتْ في الجوّ منه عَقَعقا
في ليالٍ ضلّ سارى نجمها حائراً لا يستبين الطرُقا
أوقدَ البرقُ لها مصباحه فانثنى وجهه دُجاها مُشرقا
وشدا الرعدُ حينئذٍ فجرت أكنوسُ المزنِ عليه عرقا
وغدت تجذبه الشمسُ وقد ألحفته من سناها نَمَرقا^(١)
فكان الشمسُ تُخبي نفسه غُرّةُ المعشوقِ تُخبي الشَّيْقا

وكان الوردَ يعلوه الندى وجنةُ المحبوب تندی عرقاً
يتفقاً^(١) عن بهار فاقع خلتُه بالورد يطوى ومقا
كالجبين الوصولين غداً خجلاً هذا ، وهذا فرقا
ورنتُ منه إلى شمس الضحى حلقُ النور تُصَيّ الحدا
وكان القطرُ لما جادها صار في الأوراق منها زنبقا
ومنها في الفخر :

من فتى منلى لبأسٍ وندى ومقالٍ وفعلٍ وتقى ؟
شرفى نفسى ، وحلى أدي وحسامٍ مقولٍ عند اللقا
ولسانى عند من يخبره أفعوان ليس يشنيه الرقى
ويمنى بمن عافٍ مُعسرٍ جمعتُ حداً غدا مفترقا
جدى الناصرُ للدين الذى فرقتُ كفاه عنه الفِرقا
أشرفُ الأشراف نفساً وأباً حين يعلوه وأعلى مُرتقى
أنا نخر العَبَشَمِيِّينَ وبى جَدَّ من نخرم ما أخلقا
أنا أكسو ما عفى من مجدم بحلى روقٍ شعري رونقا

[١-١١٣] / وله أيضاً يصف السحاب ، أنشده له أبو الحسن علي بن محمد بن أبي
الحسن القرطبي في كتاب « الفرائد في التشبيه من الأشعار الأندلسية »
من تأليفه :

فكان الغمام صب عميد أن بالراءد حُرقةً واشتكاء
وكان البروق نارُ جواه والحيّا دَمَعُهُ يسيل بكاء

وله أيضاً :

كأنما إنسانٌ أخفانها للخمر من تخييرها مدمنٌ
وليس إنساناً ولكنه هاروتٌ في مقتلها يسكنُ

وله في طول الليل :

فما بال صُبْحِي قد تقارب خطوهُ فأبطأ حتى ليس يُرجى قدومهُ
كأن نجومَ الليل قيدها الدجى وأوقفها في موضع لا تريه

وله في الرسوم :

رَبْعٌ تربصت^(١) النجوم لأهلِهِ ورمائمُ ريب الزمان فقرطسا
فكأنه مما تقادم عهدُهُ ربعُ امرئ القيس القديمُ بعسعسا

وله في مثل ذلك :

فبقيتُ في العرصات وحدي بعدهم حيران بين معاهد ما تُعهدُ
فكأنهن ديار مَيٍّ إذ خلتُ وكأنني غَيْلانٌ فيها يُنشدُ

وله :

وكان المياه فيها ثعابه من الجُنين تَبَعَّتْ في السواقِ
وكان الحصباء في رونق الما سنا الدرُّ في بياض التراقي

(١) في الأصل ، وفي دوزي (ص ١١٨) : تربعت .

ومن أبناء الأدارسة الحسنيين :

٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحسني

كذا قال فيه ابن حبان ، وقال الحميدي : إبراهيم بن إدريس العلوي الحسني المنبوز بالمؤجل . كان أديباً شاعراً ، وكان في أيام المنصور أبي عامر محمد ابن أبي عامر ، وعاش إلى أيام الفتنة . أصله من المغرب ، وسكن قرطبة إلى أن سيّره ابن أبي عامر عن الأندلس ، فبين سيرة من أهل بيته بعد مقتل حسن بن قنّون كبيرهم^(١) . وهو القائل يخاطب الروانية بقرطبة ، لما رأى غلبة ابن أبي عامر على هشام المؤيد واستمده بالأمير دونه :

(١) يشير ابن الأبار بذلك إلى ما كان بين الحسن بن كنون آخر مثل لسلطان الأدارسة في المغرب والمنصور بن أبي عامر . والحسن بن كنون هو من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس ، والقاسم هذا - واسمه كنون - هو الذي ضم بقايا دولة الأدارسة بعد أن شقت شملها قواد العبيديين واحتلوا فاس . فأقام القاسم كنون دولة قاعدتها حصن صغير يسمى حجر النسر ، وتوفي سنة ٣٣٠ . وخلفه ابنه أبو العيش . ولم تستطع هذه الدولة الإدريسية أن تقوم بنفسها ، فكانت طوراً تخضع للأمويين الأندلسيين وطوراً للعبيديين ، ولكنها كانت في الغالب في حماية بني أمية ، وقد بايع أبو العيش لعبد الرحمن الناصر ، وبعونه استطاع أن يمد سلطانه حتى سجلماسة . وكان الناصر قد استولى على سبتة ، وأراد أن يضم إليها طنجة ليملك بيده مفتاحي الزقاق . وبعد حرب طويلة ، استولى عليها وانتقل أبو العيش إلى بصرى المغرب الأقصى غير بعيد عن حجر النسر ، واستولى قواد عبد الرحمن الناصر على معظم نواحي شمال المغرب الأقصى من تاهرت إلى طنجة . ورأى أبو العيش أنه لم يبق له من الأمر شيء ، فكاتب الناصر واستأذنه في الانتقال بأهله إلى قرطبة ليشارك في الفزوات التي كان الناصر يقودها على ممالك النصارى ، وقد اشترك أبو العيش فيها بالفعل واستشهد سنة ٣٤٨ .

وبعد أن غزا جوهر الصقل المغرب الأقصى غزوته المخربة التي احتل فيها فاس وقضى على كل أثر لسلطان الأمويين في المغرب (٣٤٨ - ٣٥٠) اضطرب الحسن بن كنون أخو أبي العيش وخليفته في البصرة إلى الدخول في طاعة العبيديين ، فلما انصرف جوهر عاد إلى الأمويين ، فعاد الفاطميون وبعثوا بلقين بن زيري بجيش كثيف إلى المغرب فدخل الحسن بن كنون في طاعته . وبعد انصراف بلقين أرسل الحكم المستنصر قائده غالباً الناصري ، فتحصن منه الحسن =

فما أرى عجباً لمن يتمجبُ جَلَّتْ مصيبتنا وضاق المذهبُ
 إني لأَكْذِبُ مقلتي فيما أرى حتى أقولَ غِلَطْتُ فيما أحسبُ
 أَيْكونُ حَيًّا من أُمِيَّةٍ واحدٌ ويسوس هذا الملكَ هذا الأحَدُ ؟
 تمشي عساكرُهم حوالَى هودجِ أعواده فيهن قَرْدٌ أشهبُ
 أبني أُمِيَّةَ أين أقارُ الدجى منكم ، وما لوجوهها تنغيبُ ؟
 هذا ما أورد ابنُ حَيَّانٍ في أخبار الدولة العامرية من شعره .

وقال الحَمِيدِي في كتابه : رأيت له قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة
 هذيل بن خلف بن رَزِين صاحب القلاع ويهجو في درجها غيره ، أولها :

لَلْبَيْنِ في تعذيبِ نفسِي مذهبٌ ولنائباتِ الدهرِ عندي مطلبُ
 أما ديونُ الحادثاتِ فإنها تأتي لوقتٍ صادق لا تكذبُ
 والبين مُعرِّى كيدُهُ بأولى النُهي طبعاً تطبَّع ، والطبيعةُ أغابُ
 ومنها :

أيقنتُ أني للرزايا مطعمٌ ودمي لوافدة المكاره مشربُ
 فأننا من الآفاتِ عرضٌ سالمٌ وجوانحُ تُكوى وعقلٌ يذهبُ

= ابنُ كُنُونٍ في حجر النسر ، ولكنه استسلم أخيراً وأخذ وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمه
 الحكمُ المستنصر ، ثم اختلف معه فنكبه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمي ،
 فسيره في جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣ . فلما صار الأمر في قرطبة إلى محمد بن أبي عامر أرسل
 قواده وجيوشه إلى المغرب ليحاربوا الحسن بن كُنُون ، وقد تمكنوا من استزاله على أمان
 المنصور ، ولكن هذا غدر به ولم يمض أمانه وقتله سنة ٣٧٥ . وقد وصف ابن عذارى (البيان
 المغرب : ٢٨١/٢) مشهد قتله وما صاحبه من رعد وبرق دلالة على الغضب الإلهي لتلك الجريمة .
 وكانت تلك هي النهاية الأخيرة للإدارة الحسينية .

انظر : الاستقصا (الدار البيضاء ١٩٥٤) : ١٩٤/١ - ٢٠٥ .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٨١/٢ . وقد روى ابن عذارى نفس الأبيات التي رواها
 ابن الأبار .

ولم يذكر منها سوى هذه الآيات ، فيشبه أن يكون فيها ما أنشد ابن حَتَّان ، ويشبه أن يكون قطعة في المنصور على انفراد ؛ والظاهر أن الحَمِيدِي تركها ولم ير إثباتها .

ومن رجال الرواية في هذه المائة :

٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني

[١١٤-١] / هو أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن يزيد بن الشعر من همدان ؛ وخالد يقال له « الغريب » ، وسُمي بذلك لأنه أول مولود من العرب الشاميين بكورة البيرة^(١) . كان أبوه محمد بن أضحى صاحب حصن الحَمَّة من أعمال البيرة زمن الفتنة^(٢) ، وقام بأمر العرب بعد قتل سعيد بن جُودِي ،

(١) ذكر ابن حيان (المقتبس - ملشور أنطونيا ، ص ٣١) خبر محمد بن أضحى ابن عبد اللطيف الهمداني الثائر أيام الأمير عبد الله ، وما كان بينه وبين سعيد بن جودي من عداوة ، ثم ذكر دخوله في طاعة الأمير عبد الله واشتراكه في حرب عمر بن حفصون ، ثم استنزال الناصر له ضمن من استنزل من الثوار واستقدمه إلى قرطبة سنة ٣١٣ حيث عاش في كنفه . قال ابن حيان : « وكان ابن أضحى هذا مع رجولته أديباً بيتاً يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل والمقاوم ، فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله أخبار معروفة » .

وقد ذكر ابن الخطيب في الإحاطة (بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٨) أحمد بن محمد بن أضحى هذا وساق نسبه : ابن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد . . الخ ، أي أنه وضع « غريب » موضع « خالد » . وقد فسر لنا ذلك ابن الأبار عندما قال إن خالداً كان يسمى بالغريب . وأورد ابن الخطيب قطعة من الخطبة التي ألغها أحمد هذا بين يدي الناصر ، وأورد له بيتين لم يورد هما ابن الأبار ، ثم قصيدة « أيا ملكاً » بأكملها . (٢) يريد الفتنة الأولى أيام الأمير عبد الله ، انظر التعليق السابق .

وتمسك بموالاة الأمير عبد الله بن محمد إلى آخر مدته ، وأورث عقبه نباهة
ورياسة انسحبت عليهم دهرًا .

وثار منهم القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن مُشَرَّف بن أحمد هذا
بغريظة في المائة السادسة ، وسأذكره هنالك إن شاء الله عز وجل .

وقدم أحمد بن محمد مع أبيه علي الناصر عبد الرحمن بن محمد ، باخعين
بطاعته ، داخِلين في جماعته — وكان من أحسن الناس وجهًا ، وأفصحهم لسانًا ،
وأشبههم نفسًا ، وأوسعهم أدبًا — فأجل الناصر لقاءهما ، وأحسن قبولهما ، وأعلى
منازلهما ، وأجزل عطاءهما . وقام أحمد هذا يومئذ بين يديه خطيبًا ، ثم أنشد في
إثر خطبته :

أَيَا مَلِكًا تُرْمَى بِهِ قَضْبُ الْمُنَادِ إِذَا لَمَعَتْ فَوْقَ الْمَغَاوِرِ وَالسَّرْدِ
وَمَنْ بَأْسُهُ فِي مَنِهْلِ الْمَوْتِ وَارِدٌ إِذَا أَنْفَسُ الْأَبْطَالُ كَفَّتْ عَنِ الْوَرْدِ
وَمَنْ أَلْبَسَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ نَعْمَةً بِهِ ، فَانْتَ التُّعْمَى فُجِّلَتْ عَنِ الْعَدِّ
تَجَلَّى عَلَى الدُّنْيَا فَجَلَّى ظِلَامَهَا كَمَا انْجَلَتْ الظُّلُمَاءُ عَنْ قَمَرِ السَّعْدِ
إِمَامٌ هَدَى زَيْدَتُ بِهِ الْأَرْضَ بِهَجَّةً مَلْبَسَةً نُورًا كَمَوْشِيَةِ الْبُرْدِ
كَفَانِي لَدَيْهِ أَنْ جَعَلْتُ وَسِيلَتِي ذِمَامًا شَأْنِي الْهَوَى مَخْلَصَ الْوَدِ
وَأَنْشُدْ لَهُ صَاحِبَ « الْحَدَائِقِ » :

هَوَى كَدَّرَ الْوَاشُونَ مِنْهُ الَّذِي صَفَا وَنَمَّوْا بِأَفْعَى الْإِفْكَ عَنِ مَزْخَرَفَا
وَشَوْا وَأَصَاخَتْ أُذُنُ خِلٍّ فَمَا وَقَوْا بِتَبْلِيغِهِ مَا لَمْ أَقْلَهُ وَلَا وَفَى
/ وهلا — كما أنصفته في محبتي — ثَنَامٌ عَلَى الْأَعْقَابِ مِنْهُمْ فَأَنْصَفَا ؟ [١١٤-ب]
فَلَا كَانَ وَاشٍ كَانَ دَاهُ ضَمِيرِهِ هَوَانًا ، فَلَمَّا أَنْ رَأَى هَجْرَنَا اشْتَفَى
وَلَا يَفْرَحُوا أَنْ أَوْقَدُوا الْهَجَرَ جَاهًا فَمَا قَرِيبَ يَنْطَفِي ، أَوْ قَدْ انْطَفَى

٨٩ - لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى

كان أبوه من كبار الثوار في أيام الأمير عبد الله بن محمد ؛ سماه ابنُ حَيَّان في أعلام المخالفين عليه ، وجعله ثانياً لِدَيْسَم بن إسحاق صاحب تُدْمِير ، وبعده ذكر إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية . وكان ملك جبل شمتان وما يليها من كورة جَيَّان ، وامتد إلى حصن قَسْطُلونة وغيره ، وانطلقت يده فتبنتك النعمة وبني المباني الفخمة . وأظهر الإذعان وقتاً ، بعد وقعة جرت عليه ، والتزم حمل قطع من المال فُورق عليه عما في يده ، فلما رُوِيَ عاد إلى غيه فنكث ، ووالى عميد المخالفين عمر بن حفصون ، وواصله بالصَّهر من أسفل ، فزوّج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون ، ونقلها إليه بِبَيْشْتُر ، ووصل يده بيده ، فاعترز جانبه . وكان عُبيدَيْس بن محمود [الشاعر الأديب] ^(١) كاتباً لعبيد الله ، ومتصرفاً في خدمته ، مكثراً من مديحه ، واصفاً لمغازيه ومبانيه وأحواله أوصاف الشعراء لأكابر الملوك ، يستحسن ذلك منه ويجزل عطيته عليه ، فشعره في ذلك مشهور ؛ ومنه قوله في وصف قصره :

قصر الأمير أبي مروان مُنْتَسَخٌ من جنة الخلدِ بالسراء معمورُ
فيه مجالس قد شيدتْ على عمدٍ بُنيانها مرمرٌ بالتبر مطرورُ
ونازع الفتحُ بن موسى بن ذى النون عبيدَ الله حصناً أورثهما حرباً ، فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه ، وتيمّن بحضور ابنة لب بن عبيد الله معه في وجهه هذا ، فقال عُبيدَيْس في ذلك شعراً طويلاً منه :

(١) نقل ابن الأبار هذا الكلام كله عن ابن حيان (المقتبس ص ٩ - ١٠) وأسقط هذه الجملة على أهميتها هنا ، فأنيت بها زيادة في التعريف بعبيدس بن محمود .

/ جاء البشيرُ بما عم السرورُ به / عن الأمير أبي مروان في السفر [١١٥-١]
 فقلتُ ، حين سألناه فأخبرنا : بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر
 يمينُ لبِّ أبي عيسى وغزوته / فاز الأمير على الأعداء بالظفر
 يقول فيه :

قاد الجيوش إلى الأعداء مدرعاً / يصلى الوغى بالوغى في سِنٍّ مُشْرِ^(١)
 من تحته فرسٌ ، في كفه قبسٌ / يرمى الشياطين في الهيجاء بالشمر^(٢)
 وعجز البيت الثاني من هذه الأبيات منقول من قول أبي نواس :

يا ذا الذي عن « جنان » ظل يحبرنا / بالله قل وأعد يا طيبَ الخبر

ولما غزا الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد غزوته الأولى إلى جَبَّان ،
 خرج إليه عبيد الله مقالصاً^(٣) في طاعته إياه ، فأمر بالقبض عليه وأرسل إلى
 معاقله مَنْ ضبطها وحمل عياله إلى قَرْطُبة ، فصار في الديوان بها في أعلى
 الملاحق^(٤) . وصرَّفه الناصر في ضروب من خدمته سكن منه فيها إلى نصيحة
 وثقة ، فصرفه من أجل ذلك إلى معاقله بسمتتان والياً من قبله ، لالتياث أحسه
 من أهلها — ولا رعية أجهل منهم — فأصلحها عبيدُ الله وأقام بها إلى أن صرفه
 ثانية عنها وأعادته إلى مصافه .

وكان ابنه لب بن عبيد الله أديباً شاعراً حسن التصرف ، وهو القائل ،

(١) المشفر هنا كناية عن صغر السن ، لأن المشفر هو الطفل الذي نهبت أسنانه .
 (٢) أورد ابن حيان (المقتبس ، ١٠ - ١١) أبياتاً كثيرة أخرى من هذه القصيدة .
 (٣) مقالصاً أى منقصاً من طاعته ، والمراد أنه قصر في طاعته للناصر .
 (٤) الملاحق ، وجمعه ملاحق ، هو المقيد في ديوان العطاء ليصرف له راتب شهري
 وما يتبعه ، والمراد أنه تقرر له راتب من أكبر ما كان يعطى لأمثاله من النائرين الذين استنزلهم
 الناصر وأتى بهم إلى قرطبة ليعيشوا في أمان على رواتب تصرف لهم ولذويهم .

أنشده له أبو الحسن بن أبي الحسين القرطبي في كتاب « الفرائد » من تأليفه في التشبيه :

صاحبَتْها والروضُ ينطعُ مسكُهُ فكأنه بالليل بات مغلفاً
والورد يبدو في النصوص كأنما أضحى يقارب من نداء قرنفلاً^(١)
وله في الخيري :

وكانما الخيري إن أبدى النرجس^(٢) أسرارَه عن نشرِ مسكٍ أذفرا
لص يرأى بالنهار زهادةً خوفاً ويقطع ليلَه مُشْطَراً
وله :

وراهقةً عنها السيوف كأنها عيونٌ يروع الليث فيها حسيْرُها
[١١٠-ب] / إذا غشيتها البيضُ تعشَى بنورها كأن سناها من أذاها مُجِيرُها
كأن فؤادي فوق رأسي صلابةً فكل حسام ينتحِبها كسِيرُها
يصف بيضةً حديدٍ . ومن هذه القصيدة في وصف ترس :

وممثل^(٣) قرص الغزالة في يدي همتُ به والخيلُ تدعى نحرُها
تُقلَّبُ منه الكفُ مغنطس^(٤) القنا فلا آله إلا إليه مصيرُها

٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى

مولي عبد الرحمن بن معاوية ، الحاجب الوزير ، أبو الأصبغ .

(١) القرقف اسم من أسماء الخمر : ويقارب القرقف ، أى يشربها ، مقتبس من قوله تعالى : « ولا تقربوا الخمر » .

(٢) كذا ، والوزن لا يستقيم على هذه الصورة ، ولعل صواب هذا الشطر : « وكانما الخيري إذ أبدى لنا » ، كما أن كلمة « النرجس » تبدو مقحمة لا مكان لها في هذا الموضع .

(٣) أى : وشبيهه بقرص الشمس .

(٤) الأصل : مغنطيس ، ولا يستقيم به الوزن .

كان — مع رئاسته وجلالاته ، ونباهة سلفه واستعمالهم في السكّور وسنّيات الخطط — من أهل العلم والأدب والشعر . وأول ما تصرّف فيه للأمير عبد الله خطة القطع^(١) ، ثم ولى خطة المدينة ، وعُزل عنها ، وأعيد إليها . ولما أفضت الخلافة إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد أقره على المدينة ، واستوزره يوم استخلافه ، ثم استحبّجه عند وفاة بدر في سنة تسع وثلاثمائة ، فاضطلع واكتفى .

وكان الوزير عبد الملك بن جَمُور يقول : « ما رأيت مثل موسى : لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجدل والهزل » .

وتوفى للنصف من صفر سنة عشرين وثلاثمائة — وقيل في آخر سنة تسع عشرة — فلم يستحبّج الناصر بعده أحداً . وكان يحجّبه عند قعوده لسلام الأجناد ، ولوفود الأطراف ، ورسّل الأئم وأصحاب الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى^(٢) على مراتبهم مع سائر الخدّمة . ومن شعره قوله يمدح عبد الرحمن الناصر ويذكر هيئته :

(١) القطع جمع قطيعة ، وهي في المصطلح الإداري الذي يستعمله ابن حيان مبلغ من مال الجباية يتعهد بأدائه سادة النواحي الذين تعجز الدولة عن السيطرة عليهم ، فتتركهم عليها في مقابل أدائهم إياها . وقد يتعهد المستبد بالناحية بأداء القطيعة دون ثورة أو قطع للطاعة . وكان أولئك المستبدون بالنواحي كثيرين في الأندلس حتى منتصف حكم عبد الرحمن الناصر . وكان هناك لهذا ديوان — أو « خطة » في المصطلح الأندلسي — لهذه القطع^م . وهي تشبه من بعض الوجوه المقاطعات في المصطلح الشرق ، وتختلف عنها من وجوه أخرى .

انظر : دوزي ، ملحق القواميس ، ٣٧٢/٢ .

(٢) صاحب الخيل هو المشرف على شؤون الخيل اللازمة للجيش وما يتصل بها من سرج وقرباس وما إلى ذلك . وكانت خطة الخيل وظيفة إدارية في الغالب ، وقد يتولاها قائد من القواد ، وقد يقود صاحب الخيل الصوائف .

وصاحب المدينة هو حاكمها ، ويراد بها عادة العاصمة قرطبة .

أما الشرطة العليا والوسطى ففي تفسيرهما خلاف . وقد انتبهنا من استقراء النصوص إلى أن الشرطة العليا كانت خاصة بأمن الأمير وقصوره وأهل بيته وكبار الناس ، والوسطى تتعلق بأعمال الشرطة المعروفة ، أي الأمن العام في المدينة نفسها . وفي بعض النصوص ورد ذكر =

إذا ما فُرِّجَتْ خَلْلُ السُّتُورِ ولاح وقد تمكن في السريرِ
ترى الأملاكَ مائلةً لديه بأعناق إلى النبراءِ صورِ
كأنهمُ لهيبته قد أوفوا من الموت الزعاف على شفيرِ
وله :

أبْطَأَتْ بِالْإِذْنِ عَلَى عَبْدِكَ فعاذ بالمعروف من نَجْدِكَ
/ قد جُدْتَ لِي بِالْوَعْدِ يَا سِيدِي ولم تزل تصدقُ في وعدِكَ
[١١٦-١] إن لم يكن من خدمتي شافعٌ فأخلف ما يصاحُ من عندِكَ
وله :

مَعْظَمُ تَحْسِيرِ الْأَلْحَاظِ مِنْ رَهَبٍ عنه ، وتلاحظه الآمال من رَغَبٍ
إذا بدا تضحك الدنيا لطلعته وتتقى الجنُّ منه سَوْرَةَ الْغَضَبِ
لما ارتقى في سماء الجود قاد به إلى التبدُّلِ فينا جوهر الأدبِ
وله :

كان العزاء وليَّ العهد بعد أُمِي ن الله ، والمُلكُ وقفٌ بين هذينِ
فصرتُ لما نأتُ عنى وجوههما كالصقرِ أصبح مقصوص الجناحينِ
أستودع الله من نفسي فداؤهما ومُلِيَّا العُمُرِ في الدنيا عزيرينِ
تأميلُ هذين نقدٌ ناجزٌ ، وأرى تأميلَ غيرهما كالدَّينِ بالدَّينِ
أعدُّ ما حُرْزُهُ من حُسْنِ رَأْيِهِمَا مُلْكًا ، أضاهى به مُلْكَ الْعِرَاقِينِ

= الشرطة السفلى واختصاصها - فيما يبدو - الأسواق والأحياء الدنيا من البلد . وقد حاولت أن أعرف ما إذا كان صاحب الشرطة العليا مثلاً هو المشرف على الأمن العام في مصطلحنا الحديث - ومن ثم فهو رئيس الشرطة الوسطى والشرطة السفلى - فلم أستطع تبين ذلك بوضوح ، خاصة وأننى لاحظت أن صاحب الشرطة الوسطى كان في نفس المكانة التي كان فيها صاحب الشرطة العليا ، وكان يعينهما الأمير أو الخليفة بنفسه .

وحكى ابن حيان أن موسى بن محمد بن موسى بن خديز^(١) — عم الحاجب موسى هذا — وهو المعروف بالزاهد ، كان ممن يُكثر مجالسة الأمير عبد الله ويصل مؤانسته . وكان حدثاً ظريف المشاهدة ، مليح العبارة ، إخبارياً ، ممتعاً ، حُفَظَةً لأخبار دولة مواليه بنى أمية ، مفتناً ، مفوهاً ، بليغاً ، يقرض أبياتاً من الشعر حسنة ، بديهةً ورويةً . قال : فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوماً وهو حافل بأهل الأدب والمعرفة ، وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة ، حتى مر ذكر الشيب وذمه — وكان الأمير عبد الله شديد التكره له — فقال جلسائه : « أى شيء تروونه فى ذم الشيب أبلغ ؟ » ، فلم يحضر أحدهم شيء ، إلا موسى بن محمد هذا فقال أحسن ما قيل فيه عندي ، قول الأول :

أقول لضيف الشيب إذ حلّ مفرق : نصيبك منى جفوة وقطوب
حرام علينا أن نقالكَ عندنا كرامة برّ أو يمسك طيب

/ فاستحسنهما الأمير وقال له : « اكتبهما يا موسى وزد فيهما ، إن كانت فيهما عندك زيادة » ، فقال : « لا والله يا سيدي ما عندي فيهما مزيد » . وتبطل الوصيف بإحضار الدرج والدواة لموسى بن محمد^(٢) ، وموسى مطرق أن يتأني^(٣) له القول فى الزيادة التى استمطرها^(٤) منه الأمير ، فقال : « قد جاءنى يا سيدي — بسعدك — بعض الذى أردته » ، واندفع فوصل البيتين بقوله :

(١) من هنا ينقل ابن الأبار عن المقتبس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الأصل : موسى بن موسى .

(٣) المقتبس (ص ٣٥) : إلى أن تأنى .

(٤) الأصل : أمتطرها ، والتصويب من المقتبس (ص ٣٥) وابن الأبار ينقل عن ابن حيان هنا حرفاً بحرف .

فياشرّ ضيفٍ حلّ بي ، وحلوله يُخَبِّرُنِي أَنِّ الْمَاتَ قَرِيبُ
وَأَنَّ جَدِيدِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَلَى وَأَنْتَى مِنْ ثَوْبِ الشَّبَابِ سَلِيبُ
فَمَا طِيبُ عَيْشِ الْمَرْءِ إِلَّا شَبَابُهُ وَلَيْسَ إِذَا مَا بَانَ عَنْهُ يَطِيبُ
سَأَقْرِيكَ يَا ضَيْفَ الْمَشِيبِ قَرَى الْقَلَى فَمَالِكَ عِنْدِي فِي سِوَاهِ نَضِيبُ
وَأَبْكِي عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ شَبِيبَتِي بَكَاءَ حُبٍّ قَدْ جَفَاهُ حَيْبُ
مَضَى مُسْلَمًا لَهْفَى عَلَيْهِ! - مَدَى الْمَدَى فَلَيْسَ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ^(١) يَوْوُبُ
فَسَرُّ الْأَمِيرِ عَبْدُ اللَّهِ بِمَا أَتَى بِهِ ، وَأَنْتَى عَلَى قَرِيبَتِهِ .

وَأُنْشَدَ لَهُ أَبُو عَامِرٍ السَّالِمِيُّ^(٢) فِي كِتَابِ « حَلِيَةِ اللِّسَانِ وَبَغِيَةِ الْإِنْسَانِ »
فِي التَّشْبِيهَاتِ مِنْ تَأْلِيفِهِ :

لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَفْرَى لِحْظُهُ مِنْ شِغَافِ الْقَلْبِ بِاللَّحْظِ الْأَكَلِ
طَرَفُهُ سَاجِرٌ ، وَفِيهِ مَرَضٌ كَمْ صَحِيحٍ قَدْ رَمَاهُ فَقَتَلِ

(١) الْأَصْلُ : التَّنَاءُ ، وَقَدْ قَرَأَهَا دَوْزَى : التَّنَاءُ . وَصَوَّبَهَا عَنْ أَصْلِهَا عِنْدَ ابْنِ حَيَّانٍ
(الْمُقْتَبَسُ ، ٣٥) .

(٢) أَبُو عَامِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَامِرِ الْبَلَوِيِّ السَّالِمِيُّ الطَّرطُوشِيُّ ، مِنْ أَهْلِ طَرطُوشَةِ
وَسَكَنَ مَرْسِيَةَ ، وَشَنَى السَّالِمِيَّ لِأَنَّهُ أَصْلُهُ مِنْ مَدِينَةِ سَالَمٍ ، مُؤَرِّخٌ أَدِيبٌ عَمَرَ طَوِيلًا فِي مَرْسِيَةِ
وَتُوفِيَ فِيهَا سَنَةَ ١١٦٣/٥٥٩ . تَرْجَمَ لَهُ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي التَّكْمَلَةِ ، رَقْمٌ ٧٢٥ ، وَالضَّبِّيُّ فِي الْبَغِيَةِ ،
رَقْمٌ ٣١ . تَنْسَبُ إِلَيْهِ كُتُبٌ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْحَدِيثِ كَمَا يَقُولُ الضَّبِّيُّ ،
فَقُلَّ عَنْهُ ابْنُ عَذَارَى كَلَامُهُ فِي غَزْوِ النُّورْمَانِيِّينَ لِلأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٨٤٣/٢٢٩ ، وَقَدْ نَقَلَ دَوْزَى
هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي « أَبْجَاثِهِ » ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ، ص ٢٥٥ ، وَنَقَلَ الْمُقَرِّي فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (طَبْعَةُ
أُورُوبَا) ٨٢/١ قِطْعَةً مِنْ كَلَامِهِ عَنْ فَضَائِلِ الْأَنْدَلُسِ . وَيَنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ ، غَيْرَ الَّذِي ذَكَرَهُ
ابْنُ الْأَبَّارِ : « دُرَرُ الْقَلَائِدِ وَغَرَرُ الْفَوَائِدِ » وَهُوَ أَكْبَرُ كُتُبِهِ وَأَكْثَرُهَا ذِكْرًا فِي الْمُرَاجِعِ ،
وَكِتَابُ « السَّلَكِ الْمُنْظُومِ وَالْمَسْلُكِ الْمُخْتَوِّمِ » .

انظر : تَعْلِيقَاتُ جَايَا نَجُوسٍ عَلَى تَرْجُمَتِهِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ لِجُزْءٍ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ ، ج ١ ص ٣١٣ ،
وَفَهْرَسُ مَخْطُوطَاتِ الْإِسْكَرْيَالِ لِلْغَزِيرِيِّ ٤٠/٢ . وَذَكَرَهُ حَاجِي خَلِيفَةُ تَحْتَ رَقْمَيْ ٧٦١٤ وَ ٩٩٧٥
مِنْ طَبْعَةِ أُورُوبَا وَپُونِسَ بُوِيْجِسَ ، رَقْمٌ ١٨٧ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

مَنْ يُجِيرِي مِنْ رَشَا الْحَاطِظُ إِنَّمَا تُذَكِّرُنِي وَقَعَ الْأَسْلُ
وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ الْحَمِيدِيِّ أَنَّ صُهَيْبَ بْنَ مَنِيعٍ - وَكَانَ قَاضِيًا بِإِسْبِيلِيَّةٍ -
كَانَ نَقَشَ خَاتَمَهُ :

يَا عَلِيًّا كُلَّ عَيْبٍ كُنْ رَفِيقًا بِصُهَيْبٍ
وَأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ النَّبِيذَ - لَعَلَّهُ كَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْعِرَاقِ -
فَشَرِبَ ^(١) مَرَّةً عِنْدَ / الْحَاجِبِ مُوسَى بْنِ حُدَيْرٍ - وَكَانَ مِنْ عِظَمَاءِ الدَّوْلَةِ [١١٧-١]
الْأُمَوِيَّةِ - فَلَمَّا غَفَلَ أَمْرَ بَاخْتِلَاسِ خَاتَمِهِ ، وَأَحْضَرَ نَقَاشًا فَنَقَشَ تَحْتَ الْبَيْتِ
الْمَذْكُورِ :

وَاسْتَرَ الْعَيْبَ عَلَيْهِ إِنْ فِيهِ كُلُّ عَيْبٍ
وَرَدَ الْخَاتَمُ إِلَيْهِ . وَخَتَمَ الْقَاضِي بِهِ زَمَانًا حَتَّى فَطَنَ لَهُ .

٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد الوزير ، أبو عمر

هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَهِيدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ شَهِيدِ بْنِ
الْوَضَّاحِ الْأَشْجَعِيِّ .

(١) الْأَصْلُ : فَشَرَدَ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ بَغْيَةِ الْمُتَمَسِّ لِلضَّبِيِّ ، وَقَدْ أُوْرِدَ الْحِكَايَةُ
يَنْصَحُ فِي كَلَامِهِ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ مَنِيعٍ (رَقْمُ ٨٥٦ ص ٣١٢) .

وَتَرْجُمَةُ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ لَصُهَيْبِ بْنِ مَنِيعٍ أَوْفَى مِمَّا هِيَ عِنْدَ الضَّبِيِّ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي رَقْمِ ٦٠٢
ج ١/ ١٦٨ أَنَّهُ يَكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ وَأَنَّهُ مِنْ تَلَامِيذِ بَقِي بْنِ خُلْدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ قَاسِمِ
ابْنِ هَلَالٍ وَمُطَرَفِ بْنِ قَيْسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرَةَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ وَلَاةَ قَضَاءِ إِسْبِيلِيَّةٍ
وَأَنَّهُ تَوَفَّى فِي ١٢ رَجَبِ ٣١٨ .

وقال الرازي إن جدهم مولى معاوية بن مروان بن الحكم . وكان الوضاح مع الضحاك بن قيس يومَ مَرْجِ رَاهِط . وشَهِيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس في أيام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء في الخطط السنية ، من الإمارة والحجبة والوزارة والسكابة ، إلى انقراض الدولة الأموية بالأندلس .

وتصرف أحمدُ هذا للناصر عبد الرحمن بن محمد في ولاية الكُور والوزارة وقود الصوائف ، وغزا البشكنس . وهو أول من سُمي بـ « ذى الوزارتين » . وكان من أهل الأدب البارع . حكى الحميدى عن أبي محمد بن حزم بسندٍ ذكره أن أحمد بن عبد الملك هذا زار عبد الملك بن جهور الوزير — وكانا جميعاً يخدمان الناصر عبد الرحمن — فوافقاه محبوباً ولم يمكنه الاجتماع به ، فكتب إليه :

أتيناك ، لا عن حاجةٍ عرضتُ لنا إليك ، ولا قلبٍ إليك مشوقٍ
ولسكننا زرنا — بضعف عقولنا — حاراً تولى برّنا بعمقٍ
فأجابه ابن جهور بقوله :

حجبناك لما زرتنا غير تائقٍ بقلبٍ عدوٍ في ثيابٍ صديقٍ
وما كان بيطار^(١) الشام بموضعٍ يباشر فيه برّنا بخائيقٍ
وذكرتُ بقول ابن شهيد قول عبد الملك بن سعيد المرادى الخازن :

ما حمدناك إذ وقفنا ببابكٍ للذى كان من طويل حجابك

/ بل دَمَمْنَا الزمانَ فيك وقلنا : أبعد الله كلَّ دهرٍ أتى بك ! [١١٧-ب]

(١) عبد الملك بن محمد بن جهور يعبر أحمد بن شهيد في هذا البيت بما يقال من أن جده وضاحاً كان يعمل بيطاراً في الشام قبل أن يخدم معاوية بن مروان بن الحكم ويدخل في ولاته .

ولأبي عمر بن شهيد :

جريتُ مع العشاق في حَلْمَةِ الْوَجْدِ فقاتهم وضلّى وما عرفوا جهدى
وما نهج العشاقُ في الحب منهجاً ولا سلكوا إلا السبيل التى أهدى
وما أضمر العشاقُ في الوجد غايةً من الشوق إلا وهى من بعض ما أبدى
وما ضعفوا عن حلِّ ثقلٍ [.....] [.....]^(١) اضطلعتُ به وحدى
أنا فاتحُ المنهاجِ في سُبُلِ الهوى كما عابدُ الرحمن^(٢) فاتحةُ الجِدِ
وخاتمةُ العشاقِ شرقاً ومغرباً كما عابدُ الرحمن خاتمةُ الرشدِ

٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد

الوزير ، أبو مروان^(٣)

كان على طُنَيْطَلَة لهشام بن الحَكَم المؤيد ، ومنها خاطبه مهنتاً بمقتل
غالب القائد صاحب مدينة سالم في خلافة . ومن شعره :

(١) بياض بالأصل لم أستطع سده من المراجع التى تحت يدى ، لأن أخبار أحمد بن شهيد
هذا قليلة ، ويخلط بعضهم بين أحمد هذا وحفيده أحمد بن شهيد الشاعر المشهور أيام الطوائف
ومعاصر ابن حزم .

وليس من العسير سد هذا الفراغ بشئ مثل :

وما ضعفوا عن حلِّ ثقلٍ [عرفته] [ونأوا به إلا] اضطلعت به وحدى

(٢) المراد عبد الرحمن الناصر .

(٣) عبد الملك بن أحمد بن شهيد نقطة تحول كبير في تاريخ بنى شهيد ، فبعد الجلالة
التي كانت لأبائه منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر ، نجد عبد الملك بن شهيد
وزيراً من وزراء المنصور ونديماً من ندمائه ، بل كان أقرب هؤلاء إليه وأكثرهم اجتهداً في
مرضاته حتى لقد حاول أن يرقص في مجلسه رغم سنه العالية ، فتحامل على أصحابه ليسر المنصور
(راجع نفح الطيب للمقرئ ، طبعة أوروبا ، ١/٢٦٠ - ٢٦١ و ٢٧٧/١) . وقد ترجم
لعبد الملك بن شهيد من الناحية العلمية والأدبية أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في الصلصلة

طلع البدرُ علينا فحسبناه « لَيْبِيا »
والثقينا فرأينا هُ بعيماً وقريباً^(١)

وله :

قَصَّرَتْ عن شأوى فعاديتننى أَقْصِرُ فليس الجملُ من شانى
إن كان [قد] أغناك ماتحتوى بُخْلًا ، فإن الجودَ أغنانى

٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب

الوزير ، أبو وهب^(٢)

هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف بن عبد السلام بن إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر بن عمر بن أيوب ، مولى مروان بن الحكم .

= (رقم ٧٥٦ ص ٣٤٩) فذكر كيف أخذ عن قاسم بن أصبغ وأبي الحزم وهب بن مسرة الجبارى ، بل شمع منه ناس أجلاء مثل أبي عبد الله بن عابد الذى ذكره فى فهرسة شيوخه بكلام كثير وقال إنه كان « أوحده الناس بالتقدم فى علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار وسائر ما يحاضر به الملوك مع سعة روايته للحديث والآثار ، وهو مؤلف كتاب « التاريخ الكبير فى الأخبار على السنين » بدأ فيه من عام الجماعة سنة ٤٠ وانتهى إلى أخبار زمانه المنقطعة بوفاته رحمه الله ، وهو أزيد من ١٠٠ سفر . كانت صحبى له نحو عشرة أعوام أوفوقها ، إذ كان مجاوراً لنا بمنية المغيرة لما استقرب المنصور رحمه الله لقاءه بإسكانه فى منية النعان بالناحية المذكورة » ، ثم ذكر - رواية عن ابن الفرضى - أنه توفى ليلة الأحد ٤ ذى القعدة ٢٣/٣٩٣ سبتمبر ١٠٠٤ . وكانت منيته من ذبحة أصابته . وكان فى السبعين من عمره لما توفى .

(١) الأصل : قريباً وبعيداً .

(٢) فى هذا الفصل يورد ابن الأبار موجزاً طيباً جداً لتاريخ ذلك البيت الأندلسى الكبير الذى عرف أفرادُه ببنى عبد الرموف ، وكانوا من الظاهريين بين الشاميين من موالى الأمويين . وزيادة فى التوضيح جعلت لكل رجل من رجال البيت فقرة خاصة . وقد نسب البيت إلى عبد الرموف ، ولو أنه لم يكن الجد الأعلى ، ولكنه أول من وصل إلى الوزارة من أفرادِه .

وكان عبد الله بن جابر قاضياً لعمر بن عبد العزيز بالشام ، ودخل الأندلس من عقبه عبد السلام بن إبراهيم وأخواه أبو المفوز وعُقبه فتنازلوا بها ، وخدموا الخلفاء وتصرفوا في الولايات .

وحكى أبو بكر الرازي أن عبد السلام ولد اثني عشر ولداً . قال : وكان أمينا^(١) للأمير عبد الرحمن بن معاوية بكورة البيرة ، ويكنى أبا الدُّهات .

وولى ابنه عبد الرؤوف / طليطلة وما والاها للأمير عبد الرحمن بن الحَكَم [١١٨-١] سبعة أعوام ، وتصرف في كثير من الكُور ، ثم استوزره في أخريات أيامه . واستوزره أيضاً الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وتوفي وهو وزير .

وولى عبد الوهاب بن عبد الرؤوف الكورة المجندة وغيرها ، أيام الأمراء محمد وابنيه المنذر وعبد الله ، وتوفي بإشبيلية وهو عامل عليها .

وولى محمد بن عبد الوهاب كورة حَيَّان ومات بها .

وتصرف عبد الوهاب بن محمد هذا لأمير المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد في الولايات والأمانات ، ثم استوزره . ودكره أبو بكر الزبيدي في كتاب « طبقات النحويين » من تأليفه ، وقال : كان بصيراً بالعربية ، طالع كتاب سيبويه ونظر فيه . وكان ذا كبر عظيم وبأوف مفرط ، ويظهر مع ذلك زهداً .

(١) الأمين هو المتولى شؤون المال في الكورة ، فهو الذى يقوم بحيازة الضرائب المختلفة واستئصال نفقات الموظفين والأعمال العامة ورواتب الجند ، وإرسال الباقي (وكان يسمى « الفائض » أو « المستفاض ») إلى الإدارة العامة بقرطبة ، وكانت هذه الإدارة مجموعة من « المباني ملحقة بالقصر يدخل إليها من باب يسمى بباب السدة » ، ولهذا عرفت كلها باسم باب السدة ، وكان يتبع الأمين عدد كبير من الجباة والحساب والمشرفين (جمع مشرف) وهم أشبه بالمفتشين الماليين . وقد يسمى الأمين خازناً أيضاً ، ولو أن هذه التسمية تختص في الغالب بالمتولى لشؤون المال في قرطبة ، فيقال الخازن والمراد به شيء شبيه بوزير المال . وقد جرت العادة بألا يقتصر على خازن واحد ، بل نجدهم في الغالب ثلاثة يسمون الخزان أو الخزنة .

والأمين هنا غير الأمين بمعنى نقيب أهل حرفه من الحرف .

وَوَلَّى الْوِزَارَةَ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ يُوْرِدُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ مَسَائِلَ مِنْ عَوِيصِ
النَّحْوِ ، حَتَّى بَرَّ مَوَابِهِ وَاسْتَعْفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ الْقَائِلُ ، وَكَانَ سِنَاطًا :
لَيْسَ بِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ لَحِيَةٌ بِأَسْوَأَ ، إِذَا حَصَلَتْهُ ، لَيْسًا^(١)
وَصَاحِبُ اللَّحْيَةِ مُسْتَقْبَحٌ يَشْبَهُ فِي طَلْعَتِهِ التَّيْسَ
إِنْ هَبَّ الرِّيحُ تَلَاهَتْ بِهِ وَمَاسَتْ الرِّيحُ بِهِ مَيْسًا
وَلَهُ :

قَتَلْتُ عَيْنَكَ عَبْدَكَ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ وَعَدَكَ
حُلْتُ عَنْ عَهْدِ حَبِ لَمْ يَزَلْ يَحْفَظُ عَهْدَكَ
مَا لِأَفْعَالِكَ [...] لَا تَشْبَهُ نَدَكَ^(٢)
وَلَهُ :

إِذَا مَا بَدَأَ يُعْشَى الْعَيُونُ بَسْنَةً مَنَافِيَةٌ تُغْنِي عَنْ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَوَجْهٍ إِذَا مَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ أَبْصُرَتْ حَيَاهُ ظَلَمَتْهُ مِنَ الْأَنْجُمِ الزُّهْرُ
وَلَهُ :

أَجْوَدِي فِي مَجْدِهِ أَوْحَدِي لَيْسَ يُحْكِي سَنَاؤُهُ وَسَنَاؤُ
مَنْ رَأَاهُ فَقَدْ رَأَى الْفَيْثَ وَاللَّيْ شَ جَمِيعًا فِي بَأْسِهِ وَنَدَاهُ
يَسْتَمِيلُ الْعَيُونَ مِنْهُ رَوَاهُ تَرْتَوِي مِنْ حَيَاتِهِ وَحَيَاهُ^(٣)

(١) أورد نفس الأبيات أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في « طبقات النحويين
واللغويين » ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٢١ . وقد وردت
كلمة ليسا في الأصل لبسًا ، وهكذا قرأها دوزي ، فصوبتها على أصلها عند الزبيدي .
(٢) البياضان بين المعقوفات واردان بالأصل . وقد وردت « نذك » دون فقط .
(٣) الأصل :

يستميل منه العيون رؤى وترتوي من حياته وحياه
وهو غير واضح ووزنه غير مستقيم . وقد صوبه دوزي (ص ١٣٠) كما أثبتناه .

إِنْ بَدَأَ خِلْتَ أَنَّهُ قَرُّ الْأَرْضِ وَصِنَوَاهُ حَوْلَهُ كَوَكْبَاهُ
[وله : ^(١)]

/ لِيَهْنِي النَّاسُ فِي مَلِكِهِ أَنْ ابْنَهُ التَّاسِعُ مِنْ بَعْدِهِ ^(٢) [١١٨-ب]
يَقُومُ فِي الْمُلْكِ مَقَامَاتِهِ وَيَحْتَذِي فِيهَا عَلَى قَصْدِهِ
أَوْتَى حَكْمًا فَاتَ فِيهِ الْوَرَى فَكَادَ أَنْ يَنْطِقَ فِي مَهْدِهِ
حُمْلَ أَعْبَاءِ الْعُلَى فَاكْتَفَى عَفْوًا وَلَمْ يَبْلُغْ إِلَى جِهْدِهِ
وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جَهْوَرِ الْوَزِيرِ فَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَمَالَ إِلَيْهِ
بِمَجْدِيئِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْخَرْوِي ^(٣) فَأَقْعَدَهُ فَوْقَهُ ؛ فَخَرَجَ أَبُو وَهَبٍ مَغْضَبًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ :
بَلَوْتُكَ أَسْنَى الْعَالَمِينَ وَأَفْضَلَ وَأَهْذَبَ فِي التَّحْصِيلِ رَأْيًا وَأَكْمَلَ
فَقُلْ لِي : مَا الْأَمْرُ الَّذِي صَارَ مُخْمَلِي لَدَيْكَ فَأُضْحِي مُسَقِّطًا لِي مُخْمَلًا ؟

(١) أضفتها لسياق الكلام .

(٢) هذه الأبيات - كما هو واضح - تهنئة لعبد الرحمن الناصر بابنه الحكم ولي عهده ،
والحكم بالفعل هو تاسع أمراء وخلفاء البيت الأموي الأندلسي .

(٣) محمد بن عبد الله الخروبي من كبار رجال « التدبير » أي الإدارة المدنية أيام عبد الرحمن
الناصر ، فقد ولاه في أول سنة لإمارته (سنة ٣٠٠ هـ) خزانة السلاح مع العقول ، مشتركاً
في خزانة السلاح مع حسين بن أحمد الكاتب (ابن عذارى : ١٥٩/٢) ، وفي السنة التالية ولاه
خطة العرض مع آخرين (ابن عذارى : ١٦٤/٢) ، وفي سنة ٣١٠ رقاها إلى ولاية المدينة أياماً
يسيرة (نفس المرجع : ١٨٣/٢) ، وفي سنة ٣١٣ ولاه خزانة السلاح منفرداً بها (نفس المرجع :
١٩١/٢) ، ثم تولى خطة صاحب المدينة سنة ٣١٤ ، وفي هذه الوظيفة مات في أول صفر منها .
وكان لمحمد الخروبي أخ يسمى أحمد بن عبد الله الخروبي تولى خطة العرض سنة ٣١٠ أيام
الناصر (ابن عذارى : ١٨٣/٢) . وكان له ابن يسمى عبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي
تولى في حياة أبيه بعض الوظائف الصغيرة .

و « العقول » المذكور في هذا التعليق خطة ، أي وظيفة مالية ، وتسمى « الاعتقال » أيضاً ،
اختصاصها الحياطة على أموال المتوفين أو الغائبين أو من تطالبهم الدولة بأموال حتى يتم الفصل
في أمورها . والإشارات قليلة في النصوص عن هذه الخطة .

تَقَدَّمَ مِنْ أَضْحَى تَقَدَّمَ لَوْمُهُ لَقَدْ ضَلَّ هَذَا مِنْ فَمَا لَكَ مُشْكَلا
وَمَا كُنْتَ أَرْضَى - يَعْلَمُ اللَّهُ - أَنْتَى أَسَاوِيهِ فِي الْفَرْدُوسِ دَاراً وَمَنْزِلا
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ قَصَرْتَ بِي عَنْ مَحَلَّتِي صَبَرْتُ ، وَمَا زَالَ التَّصْبِرُ أَجْلا
وَرَحْتُ عَلَى الدَّهْرِ الْمَلِيمِ أَلَوْمُهُ فَقَدْ هِيضَ أَعْلَاهُ وَغَوَّدَ أَسْفَلَا
وَكُنْتَ جَدِيراً فِي كَلَامِكَ أَنْ تَرَى لَمْ تُلِ نَصِيحاً مِنْ وَدَادِكَ أَجْزلا
فَأَجَابَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِأَيَّاتِ مِنْهَا :

عَدَرْتُكَ^(١) ، إِلَّا أَنْ فَرَطَ مَحَبَّتِي وَإِخْلَاصَ وَدَى سَهْلًا لِي التَّدْلُّلَا^(٢)
ظَلَمْتُكَ فِيمَا كَانَتْ مِنِّي مَجْمَلًا عَلَى غَيْرِ تَحْصِيلٍ وَعَاتَبْتَ مَجْمِلَا
تَقَرَّبْتَ مِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كُنْتُ آخِراً وَأُخِّرَ عَنْ قَلْبِي ، وَإِنْ كَانَ أَوَّلَا
وَمَا أَجْهَلُ الْقَدَرِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَا شَرْفًا أَضْحَى عَلَيْكَ مَظْلَلَا
فَإِنْ عَنْ^(٣) تَقْصِيرٍ بَغِيرِ تَعْمُدٍ فَغَطَّ عَلَيْهِ مَنَعِمًا مَتَطَوَّلَا

[١١٩-١] ٩٤ - أخوه / غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام

وَلَى خُطَّةِ الْعَرَضِ ، وَكُتِبَ لِلْحَكَمِ وَهُوَ وَلِي عَهْدٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ النَّاصِرُ ؛
ذَكَرَ ذَلِكَ الرَّازِيُّ . وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ « الْحَدَائِقِ » :

(١) يريد : ظلمتك .

(٢) يريد : جعل لي دالة عليك .

وورد هذا اللفظ عند الزبيدي (ص ٣٢١) : التذلل ، ورواية ابن الأبار أصح . وهناك
خلافاً أخرى بين النصين لا تغير المعنى ، فلم نر الإشارة إليها ، فيما عدا لفظ « ضل »
في الشطر الثاني من البيت الثالث ، فقد ورد عند الزبيدي : ظل ، وهو أحسن .

(٣) الأصل : عز ، والتصويب من الزبيدي (ص ٣٢٢) وقد أسقط ابن الأبار
هنا آياتاً وردت عند الزبيدي .

جُفُونُ هَمَّتْ مَذْغَابُ عَنْهَا حَبِيبُهَا وَنَفْسُهَا لِلشَّوْقِ نَارٌ تُذْيِبُهَا
تَيَقَّنْتُ إِذْ وَدَّعْتُهَا أَنْ مَهْجَتِي سَيَقْضِي عَلَيْهَا شَوْقُهَا وَنَحْيُهَا^(١)
شَقَقْتُ جِيوبِي يَوْمَ بَانَتْ ، وَطَلَمَّا أَطَالَ عَذَابِي مَا طَوْتُهُ^(٢) جِيوبُهَا
وَالْحُبُّ حَالَاتٌ تَمُرُّ خَطُوبُهَا إِذَا قُرْنَتْ بِالْبَيْنِ تَحْلُو^(٣) خَطُوبُهَا
مَعْدَبَتِي ، لَا تَأْسَفِي ، فَلَعَلَّهَا تَعُودُ لِيَالِنَا الْقَصَارُ وَطَيْبُهَا
أَلَا لَيْتَ نَفْسِي تَسْتَطِيعُ فِدَاءَهَا وَيَا لَيْتَهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ نَصِيبُهَا
يَعْيُونَهَا عَمْدًا لِأَسَاوِ ذِكْرَهَا وَمَا عَابَ إِلَّا نَفْسَهُ مِنْ يَعْيِيبِهَا

٩٥ - جهور بن عبيد الله بن أبي عبدة

الوزير ، أبو الحزم

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، في تأليفه في الأنساب المسمى بـ « الاستيعاب » : الوزير جهور بن عبيد الله هو جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسان بن مالك بن عبد الله بن جابر^(٤) .

(١) الأصل ودوزي (١٣٢) : نجيبها .

(٢) قرأها دوزي (١٣٢) : ضوته .

(٣) قرأها دوزي (١٣٢) : يحلو .

(٤) هنا أيضاً يوجز ابن الأبار تاريخ بيت ثمان من بيوت الموالى الشاميين ، وهو بيت

أبي عبدة الذي تفرع عنه فيما بعد بيت بني جهور .

وقد كتب اسم حسان بن مالك ، حسان بن ملك ، والأول أصح بحسب ما نعلم ، وقد صوبت كتابة الاسم كما كتبه ابن الأبار نقلاً عن أحمد بن محمد الرازي ، وإلى أن نُشر على كتاب الرازي لا نستطيع القطع بالصورة الصحيحة للاسم .

وبيت بني عبدة هو بيت حسان بن مالك . =

وكان عبد الله مملوكاً لمروان الحَكَم ، أبلى يومَ وقعة مَرَج رَاهِط بلاءَ حسناً فأعتقه .

والداخل من أجداد هذا الوزير حسان بن مالك ، وهو أبو عبدة . وكان دخوله سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنة . وولد حسان بالمشرق أولاداً قُتِلوا ، إلا عبد الغافر لصغره ، فنشأ مع عبد الرحمن بن معاوية ، وتأدب معه بالمشرق . ولما قدم بدرٌ مولى عبد الرحمن بخبره إلى مواليه الشاميين ، استراح به إلى أبي عبدة^(١) ، فوجَّه ابنه عبد الغافر إليه^(٢) .

فلما توطد عبد الرحمن ، استوزر أبا عبدة واستقَّوده ، ثم استعمله على [١١٩-ب] إشبيلية قائداً بها ، ومضيقاً على أهل باجة وغيرها ، فملك الغرب أجمع/ خمسة أعوام ، إلى أن توفي بإشبيلية ؛ وقبره بها^(٣) .

= وبعد جهور بن عبيد الله يصبح الاسم الغالب على البيت بيت بني جهور ، وفي هذا خلاف لما يذكره كثير من المؤرخين من أن بني جهور هم أبناء يوسف بن بخت من موالي عبد الرحمن الداخل ، وابن الأبار نفسه قال ذلك في مواضع أخرى من كتابه ، وهذا الموضوع في حاجة إلى تحقيق لا تتسع له هذه التعليقات .

(١) أى أن بدرأ عندما عبر إلى الأندلس من المغرب حاملاً إلى الموالي الشاميين خبر وجود عبد الرحمن بن معاوية عند قبيلة نفزة على مقربة من طنجة ، وأنه يرغب في العبور إلى الأندلس ويرجو عونهم ، أفضى بدر بالخبر أولاً إلى حسان بن مالك المعروف بأبي عبدة .

(٢) أى أن أبا عبدة حسان بن مالك أرسل ابنه عبد الغافر إلى عبد الرحمن في ملجئه عند قبيلة نفزة ليطلع على أحوال الأندلس ويؤكد له استعداد الموالي لتأييده .

(٣) كانت إشبيلية وما يليها من غرب الأندلس ، وأكبر مدنه إذ ذاك باجة وماردة وقورية ، من مراكز الثورة الكبرى على عبد الرحمن الداخل ، وقد اجتهد هذا في القضاء عليها وتمهيد أمور الغرب طوال إمارته كلها . وقد تزعم الثورة في إشبيلية عبد الغافر اليماني رأس العرب اليمنية ، وفي باجة الغلاء بن مغيث الجذامي ، وكان قد لجأ إلى الدعوة العباسية وناذى بها ، وقد تمكن ، عبد الرحمن من القضاء على عبد الغافر وإرغامه على الهرب إلى المشرق حوالى سنة ١٤٥ ، وقتل الغلاء بن مغيث بعد معركة عنيفة سنة ١٤٦ ، وولى عليها عبد الرحمن زعيماً يمينياً هو أبو الصباح ابن يحيى اليحصبي ، فثار عليه ، وتمكن عبد الرحمن من القضاء عليه أيضاً سنة ١٥٠ . وأما بللة فقد ثار فيها يمين آخر هو سعيد اليحصبي المعروف بالمطرى ، واتسع مدى ثورته حتى استولى على إشبيلية ، وقد تمكن عبد الرحمن من القضاء عليه وقتله سنة ١٤٩ . =

وتصرف عبدُ الغافر في الوزارة للإمام عبد الرحمن ، وبري^(١) إليه بخاتمته ، إلى أن مات .

قال : وأما عبيد الله بن محمد بن الغمر ، فإنه تصرف في الكُور وحِجَابَة الأولاد والمدينة والخيَل والكتابة والقيادة ؛ وقد تقدم ذكر ذلك .

قال : وتصرف جهور بن عبيد الله في الكُور والأمانات والقيادة والمدينة والوزارة للناصر .

وقال غيره : كان عبيد الله والد أبي الحزم هذا — مع تحقّقه بالمعرفة والأدب والبلاغة — ذا بأس وشجاعة وغناء في الحروب ، وله فتوح جمة ومقاوم حميدة . واستأذن الأمير عبد الله بن محمد في آخر دولته لقضاء فريضة الحج فأذن له ، وحج ثم انصرف إلى قرطبة فانتقبض عن السلطان ، وأخلد إلى الخمول ، وأقام على حاله تلك في داره إلى أن توفي سنة ست وتسعين ومائتين ، آخر أيام الأمير عبد الله .

وتصرف ابنه جهور بعده — فيما ذكره الرازي — وكان شاعراً مكثراً ؛ فمن شعره قوله من أبيات في تفضيل الورد ، وكأنه يرد بها على ابن الرومي^(٢) :

= وهذا الخبر الذي يورده ابن الأبار عن تولية أبي عبدة حسان بن مالك قائداً في إشبيلية ، والغرب كله يفسر لنا سبباً من أسباب انتصار عبد الرحمن على هذه الثورات كلها .

(١) الأصل : برى ، وقرأها دوزي (ص ١٣٣) : رمى .

(٢) كان لقصيدة ابن الرومي في تفضيل الورد ومطلعها :

خجلت خلود الورد من تفضيله خجلاً ، توردها عليه شاهد
صلى بعيد عند شعراء الأندلس ، وقد أورد أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري في « البدیع
في وصف الربيع » (ص ٧٠ وما يليها) طائفة من ردود الأندلسيين عليه ومحاولاتهم مضاهاته ،
مثل قصيدة أبي عثمان سعيد بن فرج الجبائي ومطلعها :

عنى إليك ، فاق القياسُ الفاسدُ إلا الذي أدى العيانُ الشاهدُ

وقصيدة أبي بكر بن القوطية التي مطلعها :

كُشِفَتْ خلود النرجس المصفر من حسدٍ ، وقد يدوى العدو الحاسد =

خضعت نواويرُ الرياضِ لحسنه
فندللت تنقاد وهي شواردُ
وإذا تبدى الوردُ في أغصانه
ذاتٌ^(١) ، فذاميتٌ وهذا حاسدُ
وإذا أتى وفد الربيع مبشراً
بطلوع صفحته فنعم الوافد
ليس المبشرُ كالمبشرِ باسمه
خبرٌ عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرّى الوردُ من أوراقه
بقيت عوارقه فهنَّ خوالد
وله :

يا عاتبا لي بالصـدو
دِ الأذكرت قبيحَ غدرِك ؟
أخليت من قلبي مكا
نأ كان معموراً بذكرِك
وأنا أحبك لو وثق
ست وأستديمُ بقاءَ عُمرِك
وله :

[١٢٠-١] / يا لائماً والظلمُ مِنْهُ
هُ ظاهرهُ إلى والفظاءهُ
كم قد ضرعتُ وقد سمع
ت فإ لويتَ إلى الضراعه
فلئن رجعت كما علمت
ت لأقطنُ فيك الجماعة
ومتى لججت على الأذى
جازيتُ فذلك في صاعهُ
وله :

أسأت - لعمري - إذ أسأت بي الظننا
والزمتني ذنباً شعلت به الذهبنا
تجنيت في عدلى كائى مذنب
رؤيدك ، إن العذل قد يوجب الشحنة
فلا تتجنّ الذنب من غير علة
فرب تجنّ يورث الحقد والضغنة

= ولم يشر في هذا الموضع إلى أبيات أبي الحزم جهور بن عبيد الله ، وهي من طائر الشعر
في الأندلس ، وقد رواها معظم مراجعنا .

(١) جعلها دوزى (ص ١٣٤) : يزهو ، وقد أخذ ذلك عن « مطمح الأنفس » لابن
خاقان (طبعة الجوائب ، الأستانة ١٣٠٢) ص ١٥ .

وإني اسروؤ محضُ المودةِ مخلصُ
وإن [زَلَّ] ^(١) يوماً في ودادي أفلته
وهل لي - فدتك النفسُ - دونك راحةً
فتق بي ، ولا تعجل عليّ ، فإنني
ولا ذنب لي - فيما علمتُ - ولم أكن
وله :

انظر إلى محن الزما ن تزدك في الدنيا اعتباراً
واسمع لني الذاهبي ن وكن كواحدكم حذاراً
واعمل بجد الخائف ن ولا تم إلا غراراً
واعلم بأنك لاحقٌ من قد كرهت له جواراً
إن الليالي ما فتئ ن تُكدر العيشَ أماراً
وتفرق الشمل الجي ع وتجب الأسم الضاراً
فواث فيها استلب ن أحم دَعَوَن به فساراً
/ رزء إلى جنب اغترا ب أرثنا في القلب ناراً
وجيعةٌ سلفت وكا ن محنةً لي واختباراً
بأنح شقيق ما أطيد ق على رزيته اصطباراً

[١٢٠-ب]

(١) سقطت من الأصل كلمة في هذا المعنى والوزن ، وقد اقترح زيادتها دوزي (ص ١٣٥)

هامش (١) . ولم يترك الناسخ بياضاً .

(٢) جعلها دوزي : « ذلك » ولا يستقيم بها الوزن ، ومن الغريب أنه يتنبه إلى انكسار

الوزن في الشطر الأول ، ويضيف ما يقيمه ، ثم يسيء قراءة الشطر الثاني ويثبت ما يكسر وزنه .

ومنها :

اصبرُ فليست ترى على أحدٍ حماه الصبرُ عارا
فالصبرُ أنفعُ دُخْرَةً لو كنتُ آتية اختياراً

أنشد أبو نصر الفتح بن عبيد الله الإشبيلي في كتاب « مطمح الأنفس
ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس » من تأليفه أكثر هذه
الآيات والتي قبلها ، ونسبها لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيس قرطبة
المتأخر غلطاً منه ووهماً لا خفاء به ، وإمامي لجدّه جهور بن عبيد الله هذا
المذكور هنا . ثم أعقب غلطاً بغلط آخر أخش منه ، فأورد أبياتاً لابن فرج
فيه يرثيه ، وأنا بعد ذلك برئاء ابن زيدون فأفرط^(١) وخلط ، وألحق بالباطل
الحق . أما ابن زيدون فرثاؤه لأبي الحزم الأخير صحيح غير معترض ، وأما ابن
فرج فموته من مولده مقتربان^(٢) ، عمرك الله كيف يلتقيان ؟ وُلد جهور بن
محمد^(٣) سنة أربع وستين وثلاثمائة في الحرم ، وتوفي ابن فرج إثر وفاة الحكم
المستنصر بالله في صفر سنة ست بعدها . ولفتح أيضاً غلط ينضاف إلى ما تقدم
في نسبة بيتين لأبي الحزم هذا ، وأنشدهما الحميدى لجهور بن محمد التجيبي أبي محمد
المعروف بابن الفلّوّ ، وهو الصحيح — لأنه ذكر أنه شاهده بالمرية وكتبهما
من شعره — وهما :

قلتُ يوماً لدار قومٍ تفانوا : أين سكانكِ السكّام عايِنا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ، وليست أعلمُ أيننا

(١) الأصل : ا. . . ط .

(٢) أي أن تاريخ مولد ابن فرج قريب من تاريخ وفاة أبي الحزم بن جهور .

(٣) يريد أبا الحزم بن جهور .

ولم يلق الحَمِيدِي أبَا الحَزْمِ فيما علمتُ ، وإن كان عاصره . ولعل الفَتْحَ من كتابه استفاد هذين البيتين . واشتباه الأسماء جرّاً هذا الخلل ، وعدمُ المبالاة بضبط الموالد والوفيات كثيراً / ما يوجد الزلل^(١) . وسيأتى ذكر أبي الحزم [١٢١-١] الأندلسي الأخير في المائة الخامسة مستوفى إن شاء الله عز وجل .

(١) هذا مثل طيب جداً من تدقيق ابن الأبار وقدرته على استدراك الأخطاء . فأبونصر الفتح بن عبيد الله الذي يذكره هو ابن خاقان ، وهو أقرب عهداً إلى ما يتحدث عنه ابن الأبار ، وكان حرياً ألا يقع في الأخطاء التي أشار إليها هذا الأخير . وقد رجعت إلى نسخة « مطمح الأنفس » التي بين أيدينا (طبعة الجوائب ، سنة ١٣٠٢) فلم أجد من الأبيات التي ذكرها ابن الأبار إلا قصيدة الورد منسوبة إلى أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، وقد بدأها بيت لم يذكره ابن الأبار وهو :

الورد أحسن ما رأت عيني وأذكى ما سقى ماء السحاب الجلائد

وقد أعقب ابن خاقان مادته عن أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور بمادة عن « ذى الوزارتين أبي الفرج » ولم أستطع التعرف على أبي الفرج هذا الذي لا يكتب عنه ابن خاقان إلا بضع سمحات لا تقدم ولا تؤخر ، بل هو يسميه في أثنائها أباعامر .

وواضح أن نسخة « المطمح » التي بين أيدينا إنما هي الصغرى ، وكان معتمد ابن الأبار على الكبرى أو الوسطى من نسخ المطمح التي كتبها ابن خاقان . وابن الأبار يشير هنا دون شك إلى أبي عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الخدائق ، فهو الذي توفي سنة ٩٧٦/٣٦٦ .

وقد فرّق أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي في بغية الملتبس بين جهور بن عبيد الله ابن أبي عبدة وحفيده أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور تفريقاً واضحاً ، واختص كلا منهما بمادة (رقم ٦٢٣ ص ٢٤٣ ورقم ٦٢٥ ص ٢٤٤) .

أما جهور بن محمد التجيبي المعروف بابن الفسكو فقد ذكره الضبي تحت رقم ٦٢٤ (ص ٢٤٤) ونسب إليه البيتين اللذين ذكرهما ابن الأبار . ومن المعروف أن الضبي نقل كتاب جنوة المقتبس للحميدى حرفياً تقريباً . وترجم ابن بشكوال في الصلة (رقم ٢٩٧ ص ١٣٢) لأبي الحزم جهور بن محمد بن جهور ، أي الحفيد ، دون الجد . وذكر أنه ولد أول المحرم سنة ٣٦٤ وتوفي في ٢٣ محرم ٤٣٥ .

وترجم كذلك لجهور بن إبراهيم بن محمد بن خلف التجيبي ، وقال إنه أيضاً يكنى أبا الحزم . وأنه من أهل مورور ، ورحل إلى المشرق للقاء الشيوخ وقال إنه لقيه في إشبيلية وأجاز له ما رواه عنهم . « وكان رجلاً فاضلاً منقبضاً مقبلاً على ما يعنيه ، وتولى الصلاة بموضعه . . . وتوفي ببلده سنة ٥٢٦ »

٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله

هو أَسْنُ من أخيه جَهْوَر ، وجَهْوَر أشهر منه ، وتصرف محمد هذا في
الكَوَر والقيادة - قاله الرازي . وأنشد له الحَمِيدِي مخاطب أبا عُمَر
ابن عبد ربه :

أَعِدُّهَا فِي تَصَابِيهَا خَدَا(١) فَقَدْ فُضِّتْ خَوَاتِمُهَا نَزَا
قُلُوبٌ يَسْتَخِفُّ بِهَا التَّصَابِي إِذَا أَسْكَنْتَهَا(٢) طَارَتْ شَعَا
فَأَجَابَهُ :

حَقِيقٌ أَنْ يُصَاحَ لَكَ اسْتِمَاعًا وَأَنْ يُعْمَى الْمَذُولُ وَأَنْ تُطَاعَا
مَتَى تَكْشِفُ قِنَاعَكَ لِلتَّصَابِي فَقَدْ نَادَيْتَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَا
مَتَى يَمْشِي الصَّدِيقُ إِلَى فِتْرًا مَشِيتُ إِلَيْهِ - مِنْ كَرَمٍ - ذِرَاعَا
فَجَدَّدَ عَهْدَ لَهْوِكَ حِينَ يَبْلَى وَلَا تُذْهَبُ بِشَاشَتِهِ ضِيَاعَا

٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد

كَانَ بَدْر(٣) وَصِيفًا لِلأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَعْتَقَهُ وَصَرَّفَهُ فِي الْخَطَطِ الشَّرِيفَةِ .

(١) قرأها دوزي (١٣٧) : جذاعا .

(٢) في الأصل : سكتها ، وقد صوبتها للوزن والمعنى . أما دوزي فقد جعلها : سكتت
لنا .

(٣) هو بدر بن أحمد الصقلي وصيف الأمير عبد الله ، وقد سبقت الإشارة إليه . ومن
الغريب أن يوصف بدر في المراجع بالخصى ويكون له رغم ذلك ابنان : عبد الرحمن هذا -

ثم ولّاه الناصر الوزارة والحجابة والقيادة والحيل والبُرْد ، وكان ينفرد بالولايات
فَتُكَيِّبُ السَّجَلَاتُ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ بَعَثَهَا لِلطَّبِيعِ فَتُطَبِّعُ ^(١) وَتُخْرَجُ إِلَيْهِ ، فَيَبْعَثُ فِي
الْعَمَالِ وَيَنْفِذُونَ عَلَى يَدَيْهِ . وَوَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا الْكِتَابَةَ وَالْوِزَارَةَ وَالْعَرْضَ
وَالْخِزَانَةَ لِلنَّاصِرِ ، وَصَرَفَهُ فِي عِمَارَةٍ ^(٢) كَوْرَةٍ إِشْبِيلِيَّةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

لَسَانِي كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ قَلْبِي إِذْ أَلَزَمَهُ الذَّنُوبَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ
إِلَى مَنْ أَشْتَكِي عَدُوِّيْ اعْتِذَارٍ أَمْرًا مَذَاقَتِي طَعْمِي وَشَرْبِي
وَأَسْهَرَ مَقَلَّتِي وَأَسَالَ دَمْعِي نَفَرْتُ الْوَجْدَ ، سَكَبًا بَعْدَ سَكَبٍ ؟

وله :

يَا وَرْدَةً وَشَطْرَ رَوْضَةٍ سَقَرَتْ لَوْرُثُهَا بِاللَّحَاطِ لَا تَنْثَرَتْ
وَدِرَةً فِي الْجَمَالِ مُفَرَّغَةً لَوْلَا حِجَابُ يُكِنُّهَا بَهْرَتْ
إِدْجُ كَبْدِي فِي الضُّلُوعِ آمَنَةً وَخِذْ جَفَوْنِي فَإِنَهَا نَظَرْتُ [١٢١-ب]

وعبد الله . وكان عبد الرحمن الناصر عندما تولى الإمارة رقي بدرًا إلى الحجابة أي رئاسة الوزراء -
ثم أجرى رزقا - أي قدر مرتباً - لكل من عبد الرحمن وعبد الله قدره ٣٠ ديناراً وازنة .
وبعد ذلك بقليل ولي عبد الرحمن بن بدر خطة الحيل ، وفي نفس السنة (رمضان ٣٠٠) استخلف
عبد الرحمن بن بدر مع موسى بن محمد بن حدير صاحب المدينة على القصر عندما خرج في حملته
على ناحية جيان ، وفي سنة ٣٠٢ عزل عبد الرحمن عن خطة الحيل ، ثم تنقل في الوظائف بعد ذلك ،
وكانت آخر وظيفة تولّاها حكومة إشبيلية .

والراجع أن ابن حيان خلط بين بدر بن موسى - وكان مولى خصياً عاش وخدم أيام
عبد الرحمن الناصر وظهر اسمه أواخر أيامه - وبدر بن أحمد . فقد كان بدر بن أحمد هذا فحلاً
لاخصياً ، كما هو واضح .

(١) أي يرسلها إلى باب السدة لتختم بخاتم الدولة ثم ترد إليه ليرسل بها إلى العمال ليقوموا
بالتنفيذ تحت إشرافه .

(٢) كذا في الأصل . والأصح هنا : عمالة ، وهي آخر الوظائف التي تولّاها عبد الرحمن
ابن بدر بن أحمد .

٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، أبو بكر

كان مولى نعمة لبني أمية ، وولى إشبيلية للناصر عبد الرحمن بن محمد ، وكان أثيراً لديه ، ومنادماً له ، وعاش إلى أول دولة ابنه الحكم المستنصر بالله . وقد حُمل عنه الحديث لسماعه من بَقِيّ بن مخلد والخشني ومحمد بن وضاح وطبقتهم ، فاحتاج إليه الناس - ذكره ابنُ الفَرَضِي في تاريخه ، وذكر أن صناعة الشعر غلبت عليه ^(١) ؛ وهو أحد المكثرين . أنشد له ابن فرج في « كتاب الخدائق » من تأليفه :

وذى لجبٍ كالبحر عبَّ عبابُهُ فضاقت به رحبُ الفلا والتنايفِ
قريبُ الخطي ، نأى المدى ، مالى الملا بجمعٍ تراه واقماً غيرَ واقفِ
تركنا به أرضَ العدو كأنها مجاهل للرتاد غيرَ معارفِ
غدت بعد سَحَبِ البيض فيها ذيوها تجرّ ذبول الطامسات العواصفِ
وله في الناصر :

لو كان يُعبد دونَ الله من أحدٍ ما كان غيرُك في الدنيا بمعبودِ
قد فات قدرُك وصفَ الواصفين فا ذكراك إلا بتحميدٍ وتمجيدِ
لما ذكرتُك يوماً قلتُ من جذلٍ : يا نعمةَ الله في أيامه زبدي !

(١) ذكر ابن عذاري (١٥٩/٢) أن عبد الرحمن الناصر ولى إسماعيل بن بدر كتابته الخاصة في ربيع الآخر ٣٠٠ . أما ترجمة ابن الفرضي له فهي رقم ٢١٤ ج ١/٦٢ ، وقد أضاف إلى ما رواه عنه ابن الأبار أنه ولى أحكام السوق فحمد أثره فيها وتوفى في أول ولاية المستنصر بالله سنة ٣٥١ .

وذكر ابن الأبار شيوعه ومنهم بقى بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وعبد الله بن مسرة وعبيد الله بن يحيى .

وله في بيعة المستنصر بعد وفاة أبيه الناصر :

لئن غربت شمسٌ لقد طلعتْ شمسٌ فما في صلاح الأرض ريبٌ ولا لبسٌ
بمستنصرٍ بالله دانَ لملكِهِ وأيامِهِ الميمونة الجنُّ والإنسُ
تولَّى أميرُ المؤمنين فأصبحوا وما بينهم نجوى بَعْدَوى ولا همسُ
فلا سقيتْ أرضٌ بغيرِ سحابه بلا لاً ، ولا سُرَّتْ لساكنها نفسُ
وإن شدَّ حِلْسٌ لا يكون ثيابه فلا نهضت يوماً بمن شده عَنَسُ

[١-١٢٢]

/ وأنشد له الحُمَيْدِيُّ عن أبي محمد بن حزم :

أناجي حُسنَ رأيك بالأمانى وأشكو بالثـوَمِ ما شجاني
ولى بـ«عسى» و«لو» و«لعل» رَوْحٌ ينفِّسُ عن كُثْبِ القلبِ عانِ
وتَحْضُ هوى بظهر الغيبِ صافٍ ترى عيني به من لا يرانى
على ذاك الزمانِ — وإن تَقَضَّى — سلامٌ لا يبيدُ على الزمانِ
كفانى — يامدى أملى — بعداً تمنيتُ الماتَ له ، كفانى

وله يرثى ابنه :

غرسْتُ قضيباً زعزعته يدُ الردى فخلوا دموعَ العين تبكِ على غرسى
وهذا حمامُ الأيْكِ يبكى هَدْيَـلَهُ فما لهدبلى لا تذوبُ له نَفْسى ؟

وله فيه :

ما حُزنُ يعقوبَ على يوسفٍ أشد من حزنى على أحمدٍ
أحمدٌ ملحودٌ ، فهل نستوى وذلك لم يُقْبَر ولم يُلْحَدِ ؟
وكان يرجوه ، وهل أرتجى هذا وقد غَمَضَتْهُ باليدِ ؟

وله في توتٍ أهدها :

تفأملتُ بالتوتِ التَّائِي لزورةِ وذلكَ فالٌ — ما علمت — صدوقُ
فأهديتهُ غضًّا حكى حدقَ التَّما له منظرُ بالحسنِ منه يروقُ
وبعضُ حكى الياقوتَ منه احمرارُهُ وما مجَّه — للذائقينِ رحيقُ
فذا سَبَّجٌ — فيما يُرى — لاسوداده وذا — لاحمرارِ اللونِ منه — عقبى

٩٩ — عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب

ولاه الناصرُ عبد الرحمن بن محمد ما كان بيد أبيه — أحمد بن يعلى ، قائده
الجليل المقدار ، الحميد الآثار — من قيادة الجوف (بَطْلَيْوُس وأعمالها) حين نوه
بأحمد المذكور ، وولاه طُلَيْطَلَةَ وأعمالها من الثغر الأدنى ، ورفع رزقه إلى أرزاق
الوزراء ، مع مقامه على خطته في الشرطة العليا ، وسُمي قائد الأعنة ، وذلك
[١٢٢-ب] في صفر / سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فأغنى عبيد الله في قتال الروم غناء أبيه ،
وتوالت له فيهم فتوح . وكان أديباً شاعراً ؛ وهو القائل من قصيدة :

ترى الأرضَ فيما لا يَقَرُّ قرارُها إذا لم يُسْهِنها من أمية سائسُ
ذوو الهضباتِ الشَّمِّ والأبحرِ التي تفيضُ ملاءَ والملوكُ الأشاوسُ
هم ذهبوا بالمكرُماتِ ولم يزلْ لهم جبلُ العزِّ القديم القوامسُ
وهم نزلوا من خندِفٍ^(١) حيث تلتقى رؤوسُ قُصَيٍّ في الذرى والمفاطسُ

(١) خندف هي امرأة إلياس بن مضر وقد أنجبت منه مُدْرَكَةَ وطابحة وقَمْعَةَ ،
وعن طريق مُدْرَكَةَ بن إلياس اتصل عمود النساب ، أى أنها الجدة العليا لقريش ، وإلى هذا يشير الشاعر .
انظر : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (بتحقيق إبراهيم الإبياري ، القاهرة
١٩٥٩) ص ٢٤٨ . وجهرة أنساب العرب لابن حزم ، ص ١٨٦ .

وهم غمّسوا فى جَفَنَةِ الطَّيِّبِ قبل أن يُرى أحدٌ من قومهم وهو غامِسٌ
وهم أوقدوا حربَ الفجّارِ حَفِيظَةً فقامت بها أعيّاضُهم والعنابسُ^(١)
بهايل من إن يستضيف إليهم بما شيدوا إلا الخصال النفّاس
إذا سوجلوا لم يحتملهم مساجل وإن قويسوا لم يستطعهم مقاس
تطيف بهم ساحاتُ مكةَ فى العُلا وتكفّنهم منها البطاحُ الأمالِس
وكان أخوه يعلى بن أحمد أديباً أيضاً ، وسيأتى ذكره .

١٠٠ - جعفر بن عثمان المصنفى

الحاجب الوزير ، أبو الحسن

هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد الله بن كسيلة من برابر
بلنسية ، ينتمى إلى قيس بالحالفة .

وذكر ابنُ الفرضى فى تاريخه أباه عثمان وقال فى نسبه بعد نصر : ابن
عبد الله بن حمّيد بن سلمة بن عبّاد بن يونس القيسى .

وكان قد أدب الحَكم ، وذلك أزلف جعفرأ عنده وأداناه منه فاستخدمه
بالكتابة فى إمارته . وولى جزيرةً مَيُوزَقةً فى أيام الناصر ، ثم تقلد الحَكمُ

(١) الأعياص هم أبو العاصى والعاصى وأبو الغيص أبناء أمية الأكبر ابن عبد شمس
ابن عبد مناف . والعنابس هم سفيان وأبو سفيان وعمر وأبو حرب أبناء أمية الأكبر ابن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف ، سموا العنابس - أى الأسود - لثباتهم فى حرب الفجار واستطاعتهم
فصر قريش على قيس عيلان .

انظر : المصعب الزبيرى ، نسب قريش ، ص ٩٧ .

العقد الفريد ، بتحقيق أحمد أمين وآخرين ، ٣٠٦/٣ .

الخليفة فاستوزره ، وأمضاه مع ذلك على كتابته الخاصة ، وضم إليه بعد مدة ولاية الشرطة ، وأخدمه ابنه هشاماً .

[١٢٣-١] وأقام على ذلك إلى وفاة الحَكَم واستخلاف هشام / ابنه ، فحجبه يومَ قعوده للبيعة ، وذلك يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعن يمينه ويساره الفتيان جُودُر وفائق ، ثم أهل الخطط على منازلهم . وكان القائد محمد بن عبد الله بن أبي عامر — وهو إذ ذاك يتولى الشرطة الوسطى والسكة والمواريث والوكالة^(١) — يشرف على عقد الشهادات في نسخ البيعة بين يديه ، بعد ما كان القاضي محمد بن إسحاق بن السليم يأخذها على طبقات من شهدائها من الأعمام وأبنائهم والوزراء وضروب أهل الخدمة ورجالات قريش وأعلام قرطبة — حكى ذلك عيسى بن أحمد الرازى .

قال : ثم لما كان يوم السبت لعشر خلون من صفر المؤرخ ، قلد هشام حجابته جعفر بن عثمان لقدم صحبته لأبيه المستنصر ، وكان المستنصر قد شرفه لتأديب أبيه عثمان بن نصر له ، وصرفه في الأعمال ، وقدمه إلى الكُور ، ثم استكتبه وهو ولى عهد — وذكر نحوه مما تقدم من خبره — قال : ثم قدم هشام المؤيد ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان إلى خطة الخليل ، ثم إلى الوزارة ، وولى بنيه — محمداً ، وعثمان ، وعبد الرحمن — وأخاه سعيداً ، وابن أخيه محمداً ، الشرطة العليا والوسطى ، فلم ينهض بعبء ما قلده ، وخلف على المدينة ابنه محمداً

(١) أى وكالة أبناء الخليفة ، وقد أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا للولد (أى الأمير) عبد الرحمن بن الحكم المستنصر في ٩ ربيع الأول سنة ٣٥٦ ، « وأجرى عليه في ذلك الوقت ١٥ ديناراً في الشهر مرتباً بالوازفة » . ولما مات عبد الرحمن هذا أقيم محمد بن أبي عامر وكيلا لأخيه هشام ابن الحكم في ٤ رمضان سنة ٣٥٩ . وكان قبل ذلك قد تقدم للنظر في أمانة دار السكة في ١٣ شوال ٣٥٦ ، ثم أضيفت له الخزنة ، ثم قدمه الحكم المستنصر على خطة المواريث في ٧ محرم ٣٥٨ ، وفي سنة ٣٦١ تولى الشرطة الوسطى .

ابن عذارى ، البيان المغرب : ٢٥١/٢ .

فأساء السيرة . وزكا على المحبة أبو عامر محمد بن أبي عامر ، فبسط المؤيد يده وقبض يد جعفر بن عثمان ، فأداله وابن أخيه .

وقال ابن حيان : استطال عليه محمد بن أبي عامر بكفايته ودفاعه العدو المتكالب ، لأول ولاية هشام ووفاة الحكم ، واستظهر على ذلك بمصاهرة غالب القائد مولى الفاصر عبد الرحمن بن محمد .

وقد كان غالب — فيما حكى الرازى — شارك جعفر بن عثمان في الحجابة ، وصيّر فراشه في الصدر ، وعن يمينه جعفر ، وعن يساره أبو عامر للوزارتين . قال ابن حيان : فأدى ذلك إلى القبض على جعفر ، وعلى ولده وأسبابه ، وعلى أخيه هشام وسائر أقاربه ، وطولبوا بالأموال . وكان ابن أبي عامر يحمل جعفرًا معه في الغزوات ، تعينًا وانتقامًا منه . فلما بان عجزه وضعف ، أقر بالمطبق إلى أن هلك فيه سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، فأسلم إلى أهله في أقبح صورة — وقيل : قُتل خنقًا^(١) . وكان مقدمًا في صناعة الكتابة ، مفضلًا / على طبقته بالبلاغة . [١٢٣-ب] وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الإجابة ، وتصرفه في أفانين البيان ؛ وهو القائل :

سألتُ نجومَ الليل : هل ينقضى الدجى ؟ نَخَطْتُ جوابًا بالثرى كُحْطُ « لا » !
وكنْتُ أرى أنى بآخر ليلةٍ فأُطْرُقُ حتى خِلْتُه عاد أولًا
وما عن هوى سامتُها ، غير أننى أنافسُها المجرى إلى رُتب العال

(١) أوجز ابن الأبار كلام الرازى وابن حيان هنا إيجازاً شديداً ، وقد أورد هذه الأخبار بصورة أوفى ابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥١ وما يليها .

وأوسع ما لدينا عن هذه الحوادث ما نقله ابن بسام في الذخيرة (القسم الرابع — المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) من كتاب « البطشة الكبرى » لابن حيان في تاريخ الدولة العامرية ، ص ٣٩ وما بعدها .

وله :

أما والهوى- ما كنت أعرف ما الهوى ولا ما دواعى الشوق حتى تكلمًا
دعاني بلفظٍ لو دعا « يَدُ بَلَا » ^(١) به لِلْبَاءِ مُشْتَقًا ۚ ووافاه مُغْرَمًا

وله ، ويروى لغيره :

كلمتني فقلت : درَّ سَقِيطُ فتأملتُ عِقْدَهَا هل تنأز
وازدهاها تبسُّمُ ۚ فآرتننا عِقْدَ درِّ من التبسِمِ آخِرُ

وله :

إن فاهَ أَشْرَبَتِ الضَّلُوعُ هَوًى حتى كَانَ جَمِيعَهَا أَذُنُ
لَا تُنْكِرُوا كَلَفَ الضَّلُوعِ بِهِ لَخْدِيشِهِ لُوجِيهَا سَكَنُ
وقرأت في كتاب « الفرائد في التشبيه » لابن أبي الحسن القرطبي
منسوبًا إليه :

بادرْ ، فَإِنَّ نَذِيرَ الْغَيْثِ قَدْ نَذَرَا مجددًا لسرورٍ كان قد دَرَا
أَرَحْتَ عَزَائِيهِ وَاصْطَرَّتَ ^(٢) بَعْنَصَرِهِ رِيحُ الصَّبَا وَاسْتَدَرَّتْ دَمْعَهُ جَفْرِي
أَوْفَى فَبَرْدٍ مِنْ حَرِّ الْقُلُوبِ كَمَا أَوْفَى عَلَيْنَا حَبِيبُ طَالَمَا هَجَرَا
فَلَاقِهِ بِكُؤُوسِ الرَّاحِ مُتَرَعَةً شَكَرَ آلَهُ ، فَكَرِيمُ الْقَوْمِ مِنْ شَكَرَا

(١) يذبل هو الجبل الذى ذكره امرؤ القيس في قوله :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل

ولكن دوزى قرأها يذبل بالبدال المهملة وقال يحاول تفسيرها : Diable, à ce qu'il paraît وكأنه تصور أن هناك علاقة ما بين « دبل » و « ديابل » أو « ديابولو » بمعنى الشيطان !

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل ، وأقرب قراءة لها : واصرت ، ولا يستقيم بها الوزن . وقرأها دوزى : وأهزت ولا يستقيم بها الوزن أيضاً ، وكان أقرب لوقال : واهزت . وقد جعلتها : واصطرت بمعنى صوتت كما في لسان العرب (مادة صرر) .

وله فى سوسنة :

ياربَّ سوسنةٍ قد بتُّ أَلَمَها وما لها غير طعم المسك من ريقِ
مصفرةٍ الوَسَطِ ، مبيضٌ جوانبُها كأنها عاشق فى حجر معشوق

وله فى الخيال :

لئن سلبوني شخصه ووصاله لئن سلبوني
إذا حجبت عنى الحوادث وجهه أقام الهوى لى حيث كنت مثاله

[١-١٢٤]

/وله :

وكم مهمّةٍ لا يوجد الركب مشرعا وكم مهمّةٍ لا يوجد الركب مشرعا
خِصَمٌ إذا استعلت به الشمس لم يزل خِصَمٌ
تغيب وتبدو فيه حتى كأنما تغيب وتبدو فيه حتى كأنما
إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها إذا ما ارتمت أمواجه خلت أنها
تقاذف فى رَحَبِ الجَمالِ بَسِيطُها تقاذف فى رَحَبِ الجَمالِ بَسِيطُها

وله فى تفاحة :

لعمري لئن أهديت نفسى وما حوت لعمري لئن أهديت نفسى وما حوت
ولكننى أهدى التى^(١) لا تردّها ولكننى أهدى التى^(١) لا تردّها
تناولتها من غصنها وكأنها تناولتها من غصنها وكأنها

وله فى سفر جلة :

ومصفرةٍ تختال فى ثوبِ نرجسٍ ومصفرةٍ تختال فى ثوبِ نرجسٍ
لها ريحٌ محبوبٍ وقسوةٌ قلبه لها ريحٌ محبوبٍ وقسوةٌ قلبه

(١) فى الأصل : الذى ، وقرأها دوزى (ص ١٤٤) : يدا .

فصَفَرَتْهَا مِنْ صُفْرَتِي مُسْتَعَارَةً وَأَنْفَاسُهَا فِي الطَّيِّبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِي^(١)
 فَلَمَّا اسْتَقَمَّتْ فِي الْقَضِيبِ شَبَابَهَا وَحَاكَتْ لَهَا الْأَنْوَاءَ أَبْرَادًا سُنْدُسٍ
 مَدَدْتُ يَدِي بِاللَّطْفِ ابْنِي اقْطَافَهَا لِأَجْعَلَهَا رِيحَانَتِي وَسُطَّ مَجْلِسِي^(٢)
 وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّغْبِ أَغْبَرُ يَرِفُّ عَلَى جِسْمٍ مِنَ الْقَبْرِ أَمْلَسُ^(٣)
 فَلَمَّا تَعَرَّتْ فِي يَدِي مِنْ لِبَاسِهَا وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِي غِلَالَةِ نَرْجِسٍ
 ذَكَرْتُ بِهَا مِنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ فَأَذْبَلَهَا فِي الْكَفِّ حَرًّا تَنْفُسِي
 وَلَهُ وَقَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْهِ رَامِشَةً وَرَدَّ فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، فَاسْتَغْرَبَهَا وَكَتَبَ
 إِلَى مَهْدِيهَا :

لِعَمْرِكَ مَا فِي فِطْرَةِ الرُّوضِ قُدْرَةٌ يَحْمِلُ بِهَا مَجْرَى الزَّمَانِ عَنِ الْقَصْدِ
 وَلَكِنَّا أَخْلَاقُكَ الْغَرَّ نَبَّهَتْ بِرَبِّكَ^(٤) فِي كَانُونِ نَائِمَةِ الْوَرْدِ

(١) الأصل : مؤنس .

(٢) الأصل : مجلس .

(٣) بعد هذا البيت أورد ابن خاقان في « مطمح الأنفس ومسرح الأناس في ملح أهل الأندلس » (الجواب ١٣٠٢) ص ٥ بيتاً آخر هو :

فَبَزَّتْ يَدِي غَضَبًا لَهَا ثَوْبُ جِسْمِهَا وَأَعْرَيْتَهَا بِاللَّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ

(٤) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وقد أكلتها من « البديع في وصف الربيع » لأبي

الوليد إسماعيل بن عامر الحميري ، ص ١٢٠ . وقد أورد بعد ذلك بيتاً هو :

كَأَنَّكَ قَدْ امْطَرْتَهَا دِيمَةً الْمَجْدِ وَأَجْرِيَتْ فِي أَغْصَانِهَا كَرَمَ الْمَهْدِ

وقد قدم الحميري للأبيات بقوله :

« فن المستندر في الورد قول الحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصنفى ، وقد أهدى إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سيق إليه من رِيَّةٍ في شهر كانون الآخر »
 وقال بعد ذلك :

« فلما وصل هذا النظم المستملح إلى زياد بن أفلح بعث إليه بوردة كان احتبسها لنفسه ، فبعث إليه بيتين وهما :

فَاجَأَنِي كَانُونُ بِالْوَرْدِ فَزَادَنِي وَجْداً إِلَى الْوَجْدِ

وَرَدُّ الْمَلَا أَهْلِي لَنَا وَرَدَةً يَاجِبُذَا الْوَرْدِ مِنَ الْوَرْدِ »

وله فى الحمر ، وقد أنشد ذلك أبو منصور الثعالبى فى « اليتيمة » :

صفراء تطرق فى الزجاج فإن سرتُ / فى الجسم دبّت مثل صِلِّ لا دغ [١٢٤-ب]
خفيت على شرابها فكأنما / يجدون رِيًّا فى إناء فارغ
عبث الزمان بجسمها فتسترتُ / عن عينها فى ثوب نورٍ سابغ
وله :

كم ليلة بتُّ أطويها وأنشرها / ولا أرى فى الذى أنفى بها حرجاً
فى فتية نُجِب صاروا بمعتركٍ / يجرى النعيم على الصرعى بها خلجاً
والجو ملتحف [.....]^(١) / والنجم مكحولة الحاظه دجاً
لقوا دُجى ليلهم فى نورٍ^(٢) كاسهم / ونفسوا من خناق الزق فانبجاً
وله :

لِعَيْنِكَ فى قلبى على عيونُ / وبين ضلوعى للشجون فنونُ
لئن كان جسمى مُخلَقاً فى يد الهوى / فحبك غضٌّ فى القواد مصونُ
نصيبى من الدنيا هواك ، وإنه / عذابى ولكنى عليه ضنينُ
وله :

يا ذا الذى لم يدع لى حبه رماً / هذا مُحِبك يشكو البثَّ والأرقاً
لو كنتَ تعلم ما شوقى إليك ، إذا / أبقتَ أن جميعَ الشوق لى خُلِقاً
لم يُبصرِ الحُسنَ مجموعاً على أحدٍ / من ليس يبصرُ ذاك الخدَّ والمنقأ
وله فى وفاة الناصر عبد الرحمن بن محمد وبيعة ابنه المستنصر بالله الحَكَم
ابن عبد الرحمن :

(١) بياض بالأصل .

(٢) فى الأصل : . . . وكاسهم ، فأكلتها على هذه الصورة .

ألا إنَّ أيامًا هَفَّتْ بِإِمَامِهَا لَجَائِزُهُ مُشْتَطَّةٌ بِاحْتِكَامِهَا
تَأْمَلُ : فهل مِنْ طَالِعٍ غَيْرِ آفَلٍ بِنِّ ، وهل مِنْ قَاعِدٍ لِقِيَامِهَا ؟
وعَايُنُ : فهل مِنْ عَائِشٍ بِرِضَاعِهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَيِّتٌ بِفِطَامِهَا ؟
كَأَنَّ نَفُوسَ النَّاسِ كَانَتْ بِنَفْسِهِ فَلَمَّا تَوَارَى أَيْقَنْتُ بِجِمَامِهَا
فَطَارَ بِهَا يَأْسُ الْأُسَى وَتَقَاصَرَتْ يَدُ الصَّبْرِ عَنْ إِعْوَالِهَا وَالتَّدَامِهَا
/ ومنهاله : [١٢٥-١]

إِمَامٌ تَلَقَّيْتَهُ الْخِلَافَةَ صَبِيَّةً إِلَى نَسَمٍ^(١) مَحْمُولَةً عَنْ إِمَامِهَا
فَصَارَتْ إِلَيْهِ فِي حُدُودِ تَمَامِهِ وَصَارَ إِلَيْهَا فِي حُدُودِ تَمَامِهَا
فَلَمْ يَنْتَقِلْ بِالنَّاسِ يَوْمَ انْتِقَالِهَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ عَنْ مَحَلِّ قَوَامِهَا
أَتَوْهُ فَأَعْطَوْهُ الْمَوَاتِقَ عَنْ هَوَى تَمَكَّنَ فِي أَبْشَارِهَا وَعِظَامِهَا
وَنَاولَهُمْ كَفًّا يَطُولُ الْهُدَى بِهَا رِضَا اللَّهِ فِي تَقْيِيلِهَا وَاسْتِغْلَامِهَا
أَنَافَ عَلَى الدُّنْيَا بَعِينَ مُحِيطَةٍ وَقَالَ : ادْخُلُوا فِي أَمْنِهَا وَسَلَامِهَا
وله :

يَطَالِعُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ بَغْرَةٌ بَنُو الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا يَأْمَلُونَهَا
إِذَا مَا تَرَاتَتْهُ الْعَيُونُ تَوَاضَعَتْ لِإِجْلَالِهِ عَنْ أَنْ تَقُلَّ شُؤُونُهَا
عَلَيْهَا مِنَ الرَّحْمَنِ نُورُ جَلَالَةٍ يَقْصُرُ بِالْأَلْحَازِ أَنْ تَسْتَيْنِهَا
وله مما قاله يَدِيهَا بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ ، عِنْدَمَا بُشِّرَ بِوِلَادَةِ ابْنِهِ هِشَامٍ :

أَطْلَعَ الْبَدْرُ مِنْ حِجَابَةٍ وَأَطْرَدَ السِّيفُ مِنْ قَرَابَةٍ
وَجَاءَنَا وَارِثُ الْمَعَالِي لِيُثْبِتَ الْمَلِكُ فِي نَصَابَةٍ

(١) الأصل : نَسَمِ ، ولا يستقيم به الوزن ، وهكذا صوبه دوزي ، ص ١٤٥ .

بَشَرْنَا سَيِّدُ الْبَرَايَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ الْبَشِيرَ عُمَرَى لَمْ أَقْضِ حَقًّا لِمَا أَنَى بِهِ
وَلَهُ فِي نَسْكِتِهِ :

تَأَمَّلْتُ صَرَفَ الْحَادِثَاتِ فَلَمْ أَزَلْ أَرَاهَا تُؤَافِقُ عِنْدَ مَقْصِدِهَا الْحُرَا
فَلِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ لِسَبِيلِهَا فَإِنِّي لَا أُنْسِي لَهَا أَبَدًا ذِكْرًا
تَجَافَتْ بِهَا عَنَّا الْحَوَادِثُ بِرَهَةٍ وَأَبَدَتْ لَنَا مِنْهَا الطَّلَاقَةَ وَالْبِشْرَا
لِيَالِي لَمْ يَدِرِ الزَّمَانُ مَكَانَنَا وَلَا نَظَرَتْ مِنَّا حَوَادِثُهُ شَزْرَا
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا سَحَابٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُمْطِرُ الْخَيْرَ وَالْشَرَا
/ وَلَهُ :

[١٢٥-ب]

أُجَارِي^(١) الزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ بِمَجَارَاةِ نَفْسِي لِأَنْفَاسِهَا
إِذَا نَفْسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا تَوَارَتْ بِهِ بَيْنَ جُلَاسِهَا
وَإِنْ عَكُفَتْ نَكْبَةً لِلزَّمَانِ عَكُفْتُ بِصَدْرِي عَلَى رَاسِهَا
وَلَهُ يَسْتَعِظُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِهَا مِنْ مَحَبْسِهِ :

هَبْنِي أَسَاتُ ، فَإِنَّ الْغَفْوَ وَالْكَرْمَ إِذَا قَادَنِي مَحَوَكَ الْإِذْعَانُ وَالذُّمُّ ؟
يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الْأَيْدَى إِلَيْهِ ، أَمَا تَرْنِي لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ الْقَلَمُ ؟
بَالَعْتَ فِي السُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَا اسْتَرْحَمُوا رَحِمُوا
هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِتَنَازَعَةٌ ، يَنْسَبُهَا إِلَى الْمَصْنُفِي جَمَاعَةٌ ، وَقَدْ وَجَدْتُهَا مَنْسُوبَةً
إِلَى أَبِي عَمْرِ بْنِ دَرَّاجِ الْقَسْطَلِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْقَاسِمِ الرَّقِيقِي فِي

(١) الأَصْلُ : أَجَازَ . وَقَرَأَهَا دَوْزِي (ص ١٤٦) : أَجَازِي .

تاريخه أنها لكتاب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب^(١) . وكلاهما أساء الرد على من قالها وتمثل بها ؛ أما إبراهيم فقال ، لجهله وفظاظته وقلة رحمته : « إن الملوك إذا ما استرحوا قتلوا ! » وبعث إليه من قتله . وقرأت في « كتاب الافتخار » لأبي بكر عتيق بن خلف القيروانى ، أن إبراهيم بن أحمد لما قرأ رسالة كاتبه إليه من محبسه ، قال : " يكتب إلى « هبنى أسأت » وهو قد أساء ؟ والله لو كتب إلى بقول الأول :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا
لعفوت عنه " ، ثم أمر به فجعل في تابوت وأحرق بالنار وهو حي !^(٢) وأما ابن أبي عامر فأمر عبد الملك بن إدريس^(٣) أن يجاوبه عن هذه الأبيات ، فقال :

(١) لم نجد هذه الأبيات في ديوان ابن دراج ، ووجدتها عند ابن عذارى منسوبة إلى محمد بن حيون المعروف بابن البريدى كاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (البيان المغرب : ١٣١/١) .

وقد روى ابن بسام نفس الأبيات في الذخيرة (القسم الرابع - المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٥) ص ٥١ دون أن ينسبها إلى شيء مما فيه إليه ابن الأبار ، وهذا من الشواهد الكثيرة على سعة اطلاع ابن الأبار بالقياس إلى علامة جماع كابين بسام .

(٢) لم يذكر ذلك ابن عذارى ، وهو ينقل أيضاً عن أبي إسحاق القاسم بن الرقيق ، وإنما قال : « ثم أمر - قبحه الله - به فجعل في تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى » . (البيان المغرب : ١٢٢/١) .

(٣) هو أبو مروان عبد الملك الجزيرى أحد شعراء المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر ، وهو معدود بين كبار شعراء عصره وأدبائهم . ومن الطريف أن عبد الملك الجزيرى سارع إلى الرد على أديب مثله هو جعفر بن عثمان المصنفى متكلماً بلسان طاغية جبار ، فأرادت المقادير أن يلقي نفس الميتة على يد عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، إذ أنه مازال يسمى حتى وصل إلى الوزارة أيام المظفر ، ودفعه حقه على عيسى بن سعيد القطاع ، أكبر وزراء المظفر ، إلى التآمر على هذا الأخير مع فناء الصقلي طرفة ، ففشل فيما سعى إليه وقبض على طرفه وعليه ، وأودع نفس المطبق الذى مات فيه جعفر المصنفى ولقي نفس النهاية في شوال سنة ٣٩٤ . قال ابن حيان : « أخبرني أبو خلف بن حسين قال : سألت الذى تولى قتل الجزيرى في محبسه ، =

الآن يا جاهلاً زلت بك القدمُ تبغى التكرمَ لما فأنك الكرمُ ؟
 أغريتَ بى مَلِكاً لولا تشبُّتهُ ما جاز لى عنده نطق ولا كلم
 فأيا من العيش إذ قدصرت فى طبقٍ إن الملوك إذا ما استنقموا نقموا
 نفسى إذا سخِطتْ ليست براضيةٍ ولو تشفعَ فيك العرب والعجم
 ويقال إن الأبيات لابن أبى عامر . وكلتا الفعلتين من أفعال الجبارة الذين
 أطفقهم النعمة ، ونزعت من قلوبهم / الرحمة .

[١٢٦]

والمصنفى لما يؤس من المنصور وصفحه :

لا تأمنَنَّ من الزمانِ تقلُّباً إن الزمانَ بأهله يتقلُّبُ
 ولقد أرانى والليوثُ تخافُنِى فأخافُنِى من بعدِ ذاكِ الثعلبُ
 حَسْبُ الكريمِ مذلةٌ ونقيصةٌ ألا يزال إلى لثيمٍ يَطْلُبُ
 وإذا أنتَ أعجوبةٌ فاصبرْ لها فالدهرُ يأتى بعدُ ما هو أعجبُ
 وله :

لى مدةٌ لا بدَّ أبلغها فإذا انقضتْ أيامُها متُّ
 لو قابلتَنِى الأسدُ ضاريةً - والموتُ لم يُقدَرْ^(١) - لما خِفْتُ
 فانظر إلىَّ وكن على حذرٍ فبمثلِ حالِكَ أمسٍ قد كُفْتُ

= فجعل يصف لى سهولة ما عاناه منه لِقَضائِهِ وضعف أسره ، ويقول : « ما كان الشوقُ إلا كالْفَرَّوجِ فى يدى ، دققت رقبته بركبتي ، فازاد أن نفخ فى وجهى » ، فعمجت من جهل هذا «الأسود» . الذخيرة لابن بسام ، القسم الرابع - المجلد الأول ، ص ٣١ - ٣٦ .

(١) فى الذخيرة (القسم الرابع المجلد الأول ، ص ٥١) :

* والموت لم يَدُنْ لما خِفْتُ *

وفى نسخة أخرى : لم يقرب :

١٠١ — محمد بن عبد الله بن أبي عامر

الحاجب ، المنصور أبو عامر

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الماعزى ، أمير الأندلس فى دولة المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله ، والغالب عليه . أصله من الجزيرة الخضراء ، ولسلفه بها قدر ونباهة ، وقدم قرطبة شاباً ، فطلب بها العلم والأدب وسمع الحديث . وكان أبوه — أبو حفص عبد الله — قد سمع الحديث أيضاً ، وصحب أبا محمد الباجى الراوية فى الأخذ عن الشيوخ بقرطبة ؛ وقد ذكرته فى كتابى الموسوم بـ « التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال »^(١) .

وكانت للمنصور همة ترمى به المرامى ، ويحدث نفسه بإدراك معالى الأمور ، ويزيد فى ذلك حتى كان يحدث من يختص به بما يقع له من ذلك ، فتم له مراده . وكان أحد أعاجيب الدنيا فى ترقية النظر بتمنيته : تصرف أول أمره فى الوكالة لصبح أم هشام ، والنظر فى أموالها وضياعها ، والجدي نهض به ، والأقدار تساعده . إلى أن توفى الحكم وقلد هشام الخلافة وهو صغير .

ولما انتقض العدو على إثر ذلك ، وخيف الاضطراب ، ولم يكن عند المصحفى

(١) راجع ترجمة أبى حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر الماعزى والد المنصور محمد بن أبى عامر فى تكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧ ، وقد قال فيه بعد أن ذكر شيوخة : « ورُحل إلى المشرق فألقى الفريضة ، وكان من أهل الدين والخير والصلاح والزهد والتعود عن السلطان ، أثنى عليه الراوية أبو محمد الباجى وقال : كان خير صديق أنتفع به وينتفع بى ، وأقابل معه كتيبه وكتبى ، ومات منصرفه من حجه ، ودفن بمدينة طرابلس المغرب » . وذكر أيضاً أنه مات برفادة آخر خلافة الناصر .

غَنَاءَ وَلَا دِفَاعَ ، ضَمِنَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لَصَبْحِ أُمِّ هِشَامٍ سَكُونَ الْحَالِ وَزَوَالَ
 الْخَوْفِ وَاسْتِقْرَارَ الْمُلْكِ لَابْنِهَا ، عَلَى أَنْ يُمَدَّ بِالْأَمْوَالِ وَيُجْعَلَ إِلَيْهِ قُوْدُ الْجِيُوشِ ،
 إِلَى مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْخَطَطِ السَّنِيَةِ . وَهُوَ — بِقُوَّةِ نَفْسِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ — [١٢٦-ب]
 يَعِدُّ النَّصْرَ وَلَا يَمْتَرِي فِي الظَّاهِرِ ، وَيَسْتَعِجِلُ الْأَسْبَابَ الْمُعِينَةَ عَلَى الْفَتْحِ ، حَتَّى
 أُسْعِفَ وَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهَزَمَهُ . وَوَالِي غَزْوِ بِلَادِ الرُّومِ عَلِيَّ الْقَدَمِ ، مَنْصُورَ الْعِلْمِ ،
 لَا يُخْفِقُ لَهُ مَسْعَى وَلَا يُوْثُوبُ دُونَ مَغْنَمٍ — كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى — إِلَى أَنْ صَارَ
 صَاحِبَ التَّنْدِيرِ ، وَالْمُتَغَلِّبِ عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ . فَدَانَتْ لَهُ أَقْطَارُ الْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا ،
 وَأَمِنَتْ بِهِ ، وَلَمْ يَضْطَرْبْ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لِحَسَنِ سِيَاسَتِهِ وَعَظَمِ هَيْبَتِهِ .
 وَكَانَ رَجَاءً أَنْذَرَ خَاصَّتَهُ بِمَا يَكُونُ وَرَاءَهُ مِنَ الْفِتَنِ ، حَتَّى لَيْسَ كَدَّرَ عَلَيْهِمْ
 مَجَالِسَ أَنْسِهِ بِمَا يَلْقَى مِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، فَوْقَ الْأَمْرِ عَلَى مَا تَوَقَّعَ ، وَجَرَى الْقَدَرُ
 بِمَا قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ . فَمَا زَالَ يَبْطِشُ بِأَعْدَائِهِ ، وَيَسْقُطُ مَنْ فَوْقَهُ بِقَهْرِهِ وَاسْتِغْلَاثِهِ ،
 إِلَى أَنْ صَارَ الْخَلِيفَةُ حِينَئِذٍ — هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ — لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ غَيْرُ الْأَسْمِ
 خَاصَّةً ، فَمَا ظَنَكَ بِرَجَالِهِ وَمَوَالِيهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ ^(١) كَانَ يَرْهَبُ وَبِهِمْ كَانَ يَتَمَرَسُ ؟
 هَذَا وَنَصْرَتُهُ عَلَى النَّصَارَى مُتَوَالِيَةً ، وَغَزَوَاتُهُ فِي كُلِّ صَائِفَةٍ مُتَّصِلَةٌ ، أَزِيدُ مِنْ
 خَمْسِينَ — عَدَّهَا ابْنُ حَيَّانٍ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ^(٢) ،
 وَجَعَلَهُ لِمَنْ شَاءَ خَزَنَةً عَنْ تَارِيخِهِ السَّكْبِيرِ أَوْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ — حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ مَلُوكُ
 الرُّومِ وَرَغَبُوا فِي مَصَاهِرَتِهِ . تَنَاوَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِتَأْيِيدِ إِلَهِي مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَوْرَثَهُ بَنِيهِ
 وَقَتًا قَصِيرًا .

فَأَمَّا أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْمَظْفَرُ مِنْهُمْ ، فَقَامَ بِالدَّوْلَةِ مَقَامَ أَبِيهِ ، وَأَغْنَى فِي غَزْوِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالْأَصَحُّ هُنَا : الَّذِينَ بِهِمْ كَانَ يَرْهَبُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : النَّاصِرِيَّةُ ، وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ ابْنَ حَيَّانٍ كَتَبَ كِتَابًا خَاصًّا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 النَّاصِرِ ، وَلَكِنَّ الثَّابِتَ أَنَّ لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ يُسَمَّى «الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى» وَعَنْهُ
 نَقَلَ ابْنُ بَسَّامٍ مَا أَوْرَدَهُ فِي «الذَّخِيرَةِ» مِنْ تَارِيخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ .

العدو ، إلا أن مدته لم تطل . وبلغت الأندلسُ في أيامه نهاية السُكُل ، وكان على أهلها أسعدَ مولود . حكى ابنُ حَيَّان عن زعيم المنجمين على عهد الحَكَم^(١) ، أنه نظر في مولد عبد الملك هذا وهو طفل ، فأشار من بعد سعادته إلى أمر كبير لم يدرك هو آخره ، فعجبَ مَنْ شاهدَه مِن جودة إصابته ، وذلك أنه قال : « لم يولد قط بالأندلس مولود أسعد منه على أبيه ، وعلى نفسه ، وعلى حاشيته ، نعم ! وعلى أهل الأندلس طرّاً ، وعلى أرضها طرّاً ، فضلاً عن ناسها . وإنها لا تزال كذلك حال حياته ، وإذا هلك فما أراها إلا بالضد »^(٢) ، فكان كذلك .

وأما أبو المطرف عبد الرحمن الناصر أخو عبد الملك ، فإنه وَلَى الحِجَابَةَ بعده ، فلم يَقم إلا يسيراً حتى قام عليه المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، فقتل وُصِّل . وانبعثت الفتنُ على الأثر ، فما خمدت نارها [١٢٧-١] إلا في النادر ، / إلى وقتنا هذا — وهو سنة [...]^(٣) أربعين وستمائة . وقد استولى الرومُ فيه على الأندلس بأمرها ، مع الجزائر الشرقية المضافة إليها ، بين صلح وعنوة .

وشؤم عبد الرحمن الناصر^(٤) هو الذي جرَّ افتراقَ الجماعة ، وجرَّأ على خلطان الطاعة ؛ وعلى رِجله كان الفسادُ العام ، لما استشرف إلى الخلافة ، واستقل خطة الحِجَابَةِ ، ولم يرض إلا بالإمامة . فداخل هشاماً المضعوف ، وطالبه بأن يجعله وَلَىَّ عهده ، ويلقى إليه بجميع أمره ، فاستفتى في ذلك فقهاء قرطبة وعلماءها

(١) هو أحمد بن فارس البصري المنجم زعيم الصناعة بها على عهد الحكم ، كما قال ابن بسام - راوياً عن ابن حيان - في الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ، ص ٥٩ .

(٢) نقل ابن الأبار ذلك عن ابن حيان . راجع المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) أسقط الناسخ هذا الرقم ساعه الله . . كان هذا يحدد لنا تاريخ كتابة الحلة السيرة بالضبط .

(٤) المراد عبد الرحمن بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه لقب الناصر ، ويلقب أيضاً بالمأمون .

حينئذ ، فسوّغوا له ما طلب واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » — وكان ابن أبي عامر معافرياً قحطانياً — فقالوا : عسى أن يكون الذى وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجدّ فى ذلك السمعى الخبيث أبو العباس بن ذكوان^(١) القاضى وأبو حفص ابن برد الكاتب^(٢) ، حتى قال فيهما ابن أبي يزيد المصرى :

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموى ، قاضى الجماعة بقرطبة على أيام المنصور محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر بن أبي عامر وأخيه عبيد الرحمن بن أبي عامر ، وهو أول الموقعين على الوثيقة التى استصدرها عبد الرحمن بن أبي عامر بن هشام المؤيد بتوليته العهد للخليفة هشام المؤيد . وقد أثنى عليه معظم من ترجموا له (الضبى ، رقم ٤٢٥ ص ١٧٤ والنباهى : المرقبة العليا ، ص ٨٤ وابن سعيد فى « المغرب » ، رقم ٢١٠ ج ١ ص ١٤٤ وأعمال الأعلام لابن الخطيب ، ص ٤٩) . وأسرة بنى ذكوان أسرة فقهاء وقضاة ، وقد علت منزلته عند عبد الرحمن بن أبي عامر حتى قلده الوزارة إلى جانب القضاء ، وكان يكتب عنه : من الوزير قاضى القضاة ، وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس . وقد ظل جليل القدر إلى وفاته فى ٢١ رجب سنة ٤١٣ . وأبو محمد ابن حزم يتنقصه وينقده نقداً شديداً .

(٢) أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الكاتب ، المعروف بابن برد الأصغر . ذكر الحميدى فى الجذوة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٣٧٢) أنه كان مولد لأحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد ، أديب وشاعر اشتهر بأسلوبه المسجوع المثلث بزينة اللفظ ، ويعتبر من أوائل من أدخل هذه الطريقة فى الأندلس . وقد شارك فى السياسة وخدم المنصور ابن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن ، وعلا أمره فى أيام هذا الأخير حتى وصل إلى الوزارة . لم يقدم لنا الذين ترجموا له شيئاً نافعاً عن حياته ، ولكن الحميدى يذكر أنه لقيه مراراً زائراً لأبى محمد على بن أحمد بن حزم وأنه توفى سنة ٤١٨/١٠٢٧ ، ونسب إليه الحميدى كتباً فى علوم القرآن ، وذكر له ابن بسام معاصره كتاب « سر الأدب وسبك الذهب » ونقل فقرات طويلة منه ومن شعره ، ومن كلامه فى أغراض شتى .

انظر : ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ١ مجلد ٢ ص ١٩ وما بعدها .

ياقوت ، معجم الأدباء (طبعة أحمد فريد رفاعى ، القاهرة) ٤١/٥ - ٤٣ .

الضبى ، بغية الملتبس ، ص ١٥٣ (كلاهما نقل كلام الحميدى دون زيادة)

ابن سعيد ، المغرب : ٨٦/١ وتعليق الدكتور شوق ضيف .

إن ابن ذكوان وابن برد قد ناقضا الدينَ بَعْدَ عَمْدٍ
وعاندا الحق إذ أقاما حفيدَ شَفِجَةٍ^(١) وليَّ عهدٍ
ولم يَقم كذلك إلا أربعة أشهر — في ما ذكر الحَمِيدِي وغيره — واختل
أمره وأسلته الجيوش ، فكان من خبره ما تقدم ذكره .

وكان مولد المنصور محمد بن أبي عامر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها
كانت الهزيمة العظيمة بالخندق^(٢) على عبد الرحمن الناصر ، فأخذ الله بثأر

(١) إشارة إلى ما هو معروف من أن أم عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر كانت بنت
شأنجه الثاني ابن غرسية الأول ابن شأنجه الأول وهو الملقب بأباركا ملك نباركا *Sancho Garcés II (Abarca)* . وقد أسلمت هذه الأميرة بعد زواجها بالمنصور وتسمت باسم عبدة ، وأنجبت
عبد الرحمن حوالي سنة ٩٨٤/٣٧٤ ، وأطلقت عليه — تدليلا — مصغر اسم أبيها ، أي سانشويلو
Sanchuelo (بالعربية شنجول) . وقد أعقبت هذا الزواج هدنة بين قرطبة والبشكنس ،
وأقبل سانشو جارثيس في زيارة رسمية لحمية في قرطبة في سبتمبر سنة ٩٩٢/رجب ٣٨٢ .
وقد ذكر ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص ٦٣) سانشو غرسيس هذا وقال : المعروف
بـ «رى فرجه» *Rey Abarca* .

انظر : تعليق الدكتور مكى على القصيدة رقم ١٠٧ من ديوان ابن دراج ، ص ٣٩٥ .
ابن عذارى ، البيان المغرب (بتحقيق ليثي پروثنسال) ج ٣ ، ص ٣٨ و ٤٢ .
ابن الخطيب ، أعمال الأعلام (بتحقيق ليثي پروثنسال) ص ٧٩ .

Dozy, Recherches (3e édition) I. 188-192.

LÉVI — PROVENÇAL, Histoire de l'Espagne Musulmane (2e éd, Paris, 1950) II, 241 - 242, 292.

(٢) دارت معركة الخندق بضعة أيام ، ولكنها بلغت ذروتها وتقرر مصيرها في ١١ شوال
٣٢٧/ أول أغسطس ٩٣٩ عند مدينة شنت مانقش (سيمانقاس *Simancas*) وقد سميت
باسم الخندق بسبب خندق كان عبد الرحمن الناصر قد أمر بحفره تحت أسوار سيمانقاس حتى
يحصر عنده قوات العدو الهاربة في حالة الهزيمة . وكان عبد الرحمن قد احتفل بالاستعداد للمعركة
احتفالا ضخما وحشد لها نحو ١٢٠ ألف جندي وسأها لهذا «غزاة القدرة» لأنه عول على أن
يجعلها قاضية على رذير الثالث *Ramiro III* ملك ليون . ولكن معظم جيش المسلمين
كان من المتطوعة والقوات غير النظامية ، ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين
وصقالبة عبد الرحمن ، ولهذا فعندما شدت قوات ليون على المسلمين في اليوم الأخير للمعركة
تراجعوا وتحاذل بعضهم وولوا الأدبار ، حتى إذا وصلوا إلى الخندق تساقطوا فيه وقتلوا =

الإسلام على يدى المنصور ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . خرج غازياً ، وقد وقع فى مرضه الذى مات فيه ، فافتحم جليقية من تلقاء مدينة طليطلة ، ومرضه يخف وقتاً ويثقل أوقاناً ، وقويت عليه العلة بأرض قشتيلة ، فاتخذ له سرير من خشب يُحمل على أعناق الرجال ، قطع بذلك أربعة عشر يوماً ، حتى وصل إلى مدينة سالم ، فوجه ابنه عبد الملك ليخبر هشاماً بما ترك عليه أباه ، وتوفى ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة . قيل : ودفن بمدينة سالم وقبره بها ؛ وكان عليه مكتوباً :

آثارُهُ تُنبئُكَ عن أخبارِهِ حتى كأنكَ بالعيان تراهُ
تالله لا يأتى الزمانُ بمثله أبداً ، ولا يحصى الثغورَ سواهُ

/وعلى ما كان عليه من الهيبة والرهبة ، فقد كان له حلم واحتمال ، مع محبة [١٢٧-ب] للعلم وإيثار للأدب وإكرام لمن ينتسب إليهما . يحكى أن أبا محمد الباجي الراوية دخل عليه وقال : « أصلحك الله يا حاجب ، وحفظك ووفقت وأحسن عونك » ، فرد عليه ابنُ أبي عامر أجملَ رد ، وبجَلَّه ووقَّره وأدنى مكانه حتى أقعده إلى جانبه ، وقال له : « كيف أنت اليوم وحالك ؟ » فقال له : « بخير ما كنت به »^(١) ثم قال له الباجي : « أى والدٍ كان لك رحمة الله عليه ! كان والله

== بالألوف ، وأسرع عبد الرحمن ناجياً بنفسه فى قل الجيش . وتلك هى المعركة الوحيدة التى خسرها

عبد الرحمن الناصر ، وكانت آخر غزوة غزاها بنفسه .

انظر : الأخبار المجموعة ، ١٥٥ - ١٥٦ .

نفع الطيب (طبعة أوربا) ٢٢٨/١ .

ابن عبد المنعم الحميرى ، الروض الماطر ، ٩٩ - ١٠٠ .

DOZY, *Recherches*, I, 156-170.

LÉVI-PROVENÇAL, *op. cit.*, 56-59.

والمراجع الوافية المعطاة فى هذين المرجعين .

(١) الأصل : فكنت به .

— ما علمتُ — من أهل الخير والعافية ، والصلاح والعفة ، والحرص على الطلب والمعرفة . اختلف معي إلى محمد بن عمر بن لبابة ، وإلى أحمد بن خالد ، وإلى محمد بن فطيس اللبيري وغيرهم . وكان لي خيرَ صديق وصاحب : أنتفعُ به ، وينتفعُ بي ، وأقابلُ معه كَتَبَهُ وكتَبِي^(١) . ولم يكن فضوليًّا البتة . وأما أنت فلم تَمَثِّلْهُ ، وأدخلتَ يدك في الدنيا ، فانغمست في لُجَّهَا . وطلبتَ الفضول ، فعلمتَ أخباراً كثيرة^(٢) ، وأوبقتَ نفسك والله يا مغرور ، وعزَّ على انتشابك » ، فقال له ابنُ أبي عامر : « يا فقيه ، هكذا صاحب الدنيا : لا بد أن يخطأ خيراً بشر ، ويأتي معروفاً ومنكراً ؛ والله يتوب على من يشاء برحمته » . وسأله الباجي إثر هذا رفع الغرامة عن ماله بإشبيلية ، فأمر بإسقاطها ، ووصله ببدره دراهم كاملة ، ومنديل كسوة^(٣) تشاكله ، فيها خلعة تامة . ومن شعره يفخر :

رَمِيتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ ، وَالْحَرَّ الْكَرِيمَ مَخَاطِرُ
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مَشِيعٌ وَأَسْمَرُ خَطِي وَأَبْيَضُ بَاتِرُ
وَمَنْ شِئِمِي أَنِّي عَلَى كُلِّ طَالِبٍ أَجُودُ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ الْمَعَاذِرُ
وَأَنِّي لَزَجَاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَغَى أَسُودُ تَلَاقِيهَا أَسُودُ خَوَادِرُ
لَسَدْتُ بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سَيَادَةٍ وَكَانَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مِنْ أَكَاثِرُ

(١) أورد ابن الأبار هذه الفقرة في ترجمته لأبي حفص عبد الله بن محمد بن أبي عامر (رقم ١٢٥١ ج ١ ص ٤٣٧) ، وقد ذكرناه في تعليقاتنا آنفاً .

(٢) انظر عن نظام الجاسوسية الذي وضعه المنصور : أعمال الأعلام لابن الخطيب (بتحقيق ليثي پروغنسال ، بيروت ١٩٥٦) ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) الأصل : منديل كثره ، والصواب ما أثبتناه . وليس المراد بالمنديل ما نريده به اليوم في الاستعمال الجاري ، وإنما قطعة قماش كبيرة توضع فيها الأشياء وتلف ، والمراد أنه أعطاه كسوة لائقة به ملفوفة في منديل . انظر عن استعمال اللفظ في هذا المعنى :

DOZY, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, p. 416.

وما شِدْتُ بنيانًا ، ولكن زيادةً على ما بنى عبدُ الملِك وعامرُ
رفعنا المعالي بالعوالي حديثه وأورثناها في القديم .مَعافِرُ

قال ابن حَيَّان : هذا لأنه محمد بن عبد الله ، ونسبه كما تقدم . قال :

وعبد الملك جده هذا هو الداخل إلى الأندلس / مع طارق بن زياد ، مولى موسى [١٢٨-١] ابن نصير ، في أول الداخلين من المغرب ؛ وهو في قومه وسيط .

وقال الحَمِيدِي : قال لي أبو محمد علي بن أحمد — يعني ابن حزم — الفقيه :

كان المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر مَعافِرِيَّ النسب من حَجَرٍ ، وأمه تميمية
وهي بُرَيْهَةٌ بنت يحيى بن زكرياء التميمي المعروف بابن بُرْطَال ، ولذلك قال فيه
أحمد بن دَرَّاج — هو أبو عمر التسطلي — من قصيدة له فيه :

تلاقت عليه من تَمِيمٍ وَيَعْرُبٍ شَمْسٌ تَلالًا في العلا وبدورُ
من الحَمِيرِين الذين أَكْفَهُمْ سَحَابٌ تَهْمى بالندى وبحور^(١)

وللمنصور — لما اشتد سلطانُه وتوالى ظفرُه — وكتب به إلى صاحب

مصر يتوعده :

مَنَعَ العَيْنَ أن تذوقَ النَما حُبُّها أن ترى الصَّما والمَما
لى ديون بالشرق عند أناسٍ قد أحلوا بالمَشْعَرَيْن الحراما
إن قَضَوْها نالوا الأمانى وإلا جملوا وزنها رقابًا وهاما
عن قريبٍ ترى خيولَ هشامٍ يبلغُ النَيلَ خطوها والشَّما
وله :

ألم ترني بعثُ الإقامة بالشرى ولينَ الحشايا بالخيولِ الضوامِرِ ؟

تبدلتُ بعد الزعفرانِ وطيبه صدا الدرع من مستحكات المسامر
أروني فتى يحمي حمائى وموقفى إذا اشتجر الأقرانُ بين العساكر
أنا الحاجب المنصور من آل عامر بسيفي أقدُّ الهامَ تحت المغافر
تِلَاهُ أمير المؤمنين وعبدُهُ وناصحُهُ المشهودُ يومَ المفاخر
فلا تحسبوا أنى شُغلت بغيركم ولكنَّ عهدتُ^(١) الله فى قتل كافر

وأهدى المنصور إلى أبى مروان عبد الملك بن أحمد^(٢) بن شهيد الوزير
عقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار — وقد سأله ذلك عند صدره من
بعض غزواته — وكتب إليه معهن يداعبه :

قد بعثنا بها كشمسِ النهار فى ثلاثٍ من الليالي أبكارٍ
فاجتهدْ واتَّددْ فإنك شيخٌ خفىَ الليلُ عن بياض النهار^(٣)
صانك الله عن كلالك فيها فمن المار^(٤) كَلَّةُ المسامر [١٢٨-ب]
فافتضهن أجمع فى ليلته ، وكتب إليه :

قد قضضنا ختامَ ذاك السَّوار^(٥) واصطبغنا من النجيع الجارى

(١) كذا فى الأصل ، وفى يتيمة الدهر لأبى منصور عبد الملك الثعالبي (طبعة محيى الدين ، القاهرة ، بدون تاريخ) ، ٦٢/٢ :
* ولكنَّ أطعتُ الله فى كل كافر *

(٢) الأصل : عمر بن شهيد وهو خطأ ، وقد صوبت الاسم من الذخيرة ، قسم ٤ جلد ١ ص ١٦ ، وقد وردت نفس الأبيات هناك ، ص ١٨ - ١٩ . وقد سبقت ترجمته .
(٣) الذخيرة ، قسم ٤ جلد ١ :

فاتتد واجتهد فإنك شيخ قد جلا الليلَ عن بياض النهار
(٤) الأصل : الصدر ، والتصويب من الذخيرة .

(٥) كذا فى الأصل وفى مخطوط الذخيرة ، وقد صوبه المحققون إلى : الصوار .

ونعنا في ظل أنعم ليل ولهونا بالدر أو بالدراري^(١)
 وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء غضب الظبي بتار
 فاصطنعه ، فليس يُجزيك كفرةً واتخذهُ سيفاً على الكفار
 قال ابن حَيَّان : وكانت حجابة المنصور خمساً وعشرين سنة ، وعمره خمساً
 — أوستاً — وستين سنة .

١٠٢ — عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص

كان أبوه عمرو — وهو الملقب بـ « عَسْكَلاجة » — صاحب المدينتين^(٢)
 في أيام هشام المؤيد ، بتقديم ابن عمه المنصور محمد بن أبي عامر . ثم ولى بلاد
 المغرب بعد ذلك فاشتد سلطانه هناك ، واستنزل حسن بن القاسم العلوي
 الإدريسي وأنفذه إلى الأندلس . وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً^(٣) ، وقتله^(٤)
 ابنُ عمه المنصور بدمعه إياه وغضبه منه وتسخيه عليه واحتجاز الأموال دونه

(١) الذخيرة :

وصبونا في ظل أطيب عيش ولعبنا بالدر أو بالدراري
 (٢) أقام المنصور بن أبي عامر ابن عمه عمرو بن عبد الله بن أبي عامر على مدينة قرطبة
 عقب توليه هو الشرطة العليا لكي تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة في العاصمة ،
 وكان محمد بن أبي عامر قد سلك في حكومة المدينة سياسة العنف والشدّة حتى أقر الأمن فيها ،
 ثم استتاب عن نفسه ابن عمه هذا فسار سيرته (ابن عذارى، البيان : ٢٦٦/٢ - ٢٦٧)
 وعند تمام بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها ، فأصبح يلقب بصاحب المدينتين .

(٣) كان ذلك في الغالب سنة ٣٧٥ ، وقد روى ابن عذارى لإرسال المنصور جيشاً
 كثيفاً في تلك السنة إلى المغرب للقضاء على ما كان يحاوله حسن بن كنون من الخروج عن طاعة
 الأمويين كما سبق أن رويناها . وحسن بن القاسم المذكور هنا هو حسن بن كنون بن القاسم ،
 وقد قتله المنصور غدرًا بعد أن استسلم على أمان وقبل أن يذهب إلى قرطبة . البيان المغرب :

٢٨١/٢ .

(٤) أى قتل عمرًا أبا المترجم له هنا .

[بعد أن]^(١) استقدمه من المغرب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة .

ومن شعر أبي حفص هذا يذم المظفرَ عبدَ الملك ، لما زوّج « حبيبة » بنت ابن عمه عبد الله بن يحيى بن عبيد الله بن أبي عامر — وهي بنت أخته « بُرَيْهَةَ » — من عبد الملك بن قند مولاها :

عـربىٌّ مزوّجٌ عبده بنتَ أخيه

قبّحَ الله فعلَ ذا ورماء بمقتـه

وقد قيل لانهما لعبد الملك بن يحيى ، أخى عبد الله بن يحيى المذكور .

١٠٣ — زياد بن أفلح

مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد

كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها ، وتوفي في أولها سنة ثمان وستين وثلاثمائة — ذكر ذلك ابنُ حَيَّان في تاريخه الكبير ، وذَكَر في « الدولة العامرية »^(٢) أنه كان على المدينة ، وأن جُودراً الفتى الحسكى تحيّن ركوبَ

(١) أضغت هاتين الكلمتين للسياق .

(٢) إشارة إلى كتاب ابن حيان الخاص بالدولة العامرية ، وهو المعروف بـ « البطشة الكبرى » وقد احتفظ لنا بأجزاء منه ابن بسم في الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٩ وما بعدها ، وابن الخطيب في أعمال الأعلام (بيروت ١٩٥٦) ص ٤٨ وما يليها ، وابن عذارى في البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٣ وما يليها . ولكن ما ينقله ابن الأبار هنا لا يوجد في أى من تلك المراجع . وله لهذا أهمية كبرى ، رغم إيجازه . وإليك تفصيله :

بعد أن استقر الأمر على أن يظل هشام المؤيد خليفة بعد أن تخلص جعفر المصحفى ومحمد بن أبي عامر من المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، شعر صقالبة القصر وعلى رأسهم الفتّان =

زياد هذا إلى داره بطرف المدينة ، حين توصل إلى هشام المؤيد ، عازماً على الفتك به ، عند مداخلته الجماعة الذين اجتمعوا على خلعه ، بتدبير عبد الملك ابن القاضي منذر بن سعيد صاحب خطة الرد ، قبّطش بجوذر / وقبض عليه بمبادرة [١٢٩-١]

جوذر وفاقق بأن الأمر صار في الحقيقة إلى المصحفي وابن أبي عامر ، تعاونهما صبح أم المؤيد . فأخذوا يعارضان هذا الثالث الذي استأثر بالحكم . وتنبه ابن أبي عامر لخطر الصقالة ، فما زال يضايقهم حتى استصدر من هشام أمراً بعزل جوذر وفاقق عن رياستهما ، فعرضاً للانصراف عن القصر مع أتباعهما فأجيبا إلى ما طلبا وانتقلا إلى دورهما في المدينة . وكان يلي المدينة إذ ذاك زياد بن أفلح المترجم له هنا ، وكان في الباطن من الناقمين على الثالث الحاكم المتوجسين شراً من ابن أبي عامر .

وبعد أن تمكن محمد بن أبي عامر من إسقاط جعفر المصحفي والانفراد بالحجابة سنة ٣٦٧/ ٩٧٨ تبين لجوذر وفاقق وشركائهما أنه لا بد من معاجلة ابن أبي عامر ، فدبروا في السنة التالية مؤامرة ترمي إلى أقصاء هشام المؤيد عن الخلافة والمناداة بحفيد لعبد الرحمن الناصر يسمى عبد الرحمن ابن عبيد الله . وقد اشترك في المؤامرة زياد بن أفلح وعبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي ، وكان يلي خطة الرد في قرطبة ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي . وفشلت المؤامرة ، وخاف زياد بن أفلح أن يفتضح أمره فآلى بزملائه المتآمرين في السجن . ويفهم من رواية ابن الأبار أن جوذراً لم يسجن ، وحاول أن يغتال زياد بن أفلح انتقاماً منه على الصورة الواردة في النص . ولم يوفق جوذر في ذلك لأن أحمد بن محمد بن عروس (ويبدو أنه كان يتولى وظيفة كبرى من وظائف الشرط) قبض عليه ، فأسرع زياد بن أفلح - وكان في داره - مخافة أن يتكلم جوذر ويفضحه ، ولكن يبدو أن هذا تكلم ، ولهذا ويخ ابن عروس زياد بن أفلح « وتعاوننا في النازلة » أي على كتمان الأمر . وقد قتل عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر بعقب ذلك . أما عبد الملك بن منذر فقد اتهم بالزندقة والا عتزال ، وأُفتي عليه بآية الحراة كما يقول ابن الأبار ، فأشار زياد بن أفلح بصلبه تقرباً لابن أبي عامر ، فُصلب عند باب السدة في منتصف جمادى الثانية ٣٦٨/ ١٨ يناير ٩٧٧ . وتوفي زياد بن أفلح بعقب ذلك . أما الشاعر الرمادي فقد هرب واختفى حتى عفا عنه المنصور .

انظر : طوق الحمامة لابن حزم ، طبعة ليون برشير مع ترجمة فرنسية (الجزائر ١٩٤٩)

ص ١١٤ - ١١٥ .

ASIN PALACIOS, *Abenmasarra y su escuela, en [Obras Escogidas]*, 1, 124.

LÉVI - PROVENÇAL, *op. cit.* II, 216 - 218.

بالإضافة إلى المراجع المذكورة في أول هذا التعليق .

أحمد بن محمد بن عروس إلى تلافى الأمر . قال : ووافى زياد على إثر ذلك فوبخه ابن عروس ، فأخذ في الاعتذار وتعاوننا على النازلة ، وما سلم زياد من التهمة . وحكى أن عبد الملك بن منذر في هذه القصة — لما أفتى عليه بآية الحرابة ورد إلى الخليفة الأمر فيما يختار له من العقوبة — أشار صاحب المدينة زياد بن أفلح هذا بأن يُصلب ، استبلاغاً في المثلة — يبنى بذلك التقرب إلى ابن أبي عامر ونفى التهمة عنه — فعمل برأيه ، وذلك في سنة سبع وستين وثلاثمائة . وزياد هو القائل :

وأصبحت الدنيا بأوثقك الرضا لدى كوصل صافح لقفا الصدد
ولم لا ، ودهرى كله بك موقن ؟ أرق — إذا ما شئت — من طرقت بردي

١٠٤ — فرحون بن عبد الله

يعرف بابن الوبلة^(١)

وهو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويشهر بفرحون . كان والياً على شتريين بغرب الأندلس ، في أيام الحكم المستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله ، وقدم عليه أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى منتجعاً ، فأمر بإنزاله ، فقصر به متولّي ذلك ، فكتب إليه الرمادى :

أيها العارض والمُهْدَى لِمَسْتَقِيهِ وَبَلَا
حين لا يهدى إذا ما أُنْشِئْتُ العارض طَلَا

(١) الأصل : الدبلة ، والتصويب من دوزى ، ص ١٥٥ .

قائداً أفنت مغازير به العدا سبياً وقتلاً
 إنَّ ضيفاً قاصداً قد ت له : أهلاً وسهلاً
 قد توسعت له فيه ما يسرُّ الضيفَ نزلًا^(١)
 ما له فرش على الأر ض سوى وجه مُصَلَّى
 فأنا لولا [اصطبار]^(٢) ردَّ منه الوعرَ سهلاً
 لم تجدد عيني لنومٍ بميتِ السوء كخلاً
 فوردت الأبيات على فرحون وهو خارج إلى النزو ، ففجل من ذلك ، وأمر
 له بما طلب ، وقرن ذلك بجارية ، وكتب إليه معتذراً من التقصير :

أيها السيد أهلاً بالذي أهديت أهلاً
 ما يُناوِيك مُناوٍ إن وصلت القول وصلاً
 شاعراً نذباً نبلاً محسناً جِداً وهزلاً
 ما تولى الشعرَ إلا ردَّ منه الوعرَ سهلاً
 شعره سَحَّ ووبل إذ يكون الشعرُ طلاً
 محكمٌ غَضٌّ بديعٌ لا يكادُ الدهرَ ينلُ
 / فله ما قلتُ أهلاً ثم رجلاً ثم سهلاً
 أيها السيد مهلاً بأخيك المحض ، مهلاً^(٣)
 إن شكواك إلينا ولدت في النفس خبلاً
 ونفت نومي فله تكتحل عيناى كخلاً

(١) قرأها دوزى : خزلاً ، وصوبها إلى : خذلاً .

(٢) بياض بالأصل ، وقد أكلته بما يناسب الوزن والمعنى .

(٣) الأصل : أهلاً ، ولكن السياق والمقابلة مع الشطر الأول يقتضيان هذا التعديل .

ما على عميدٍ ولكنَّ (م) لَ جَهَانَا الأَمْرَ جهلاً
وظننَّا بالمكازي^(١) إنه أكرمُ بذلاً
فابسطنْ عذري وإن لم أَلْكَ لِلْأَعْدَارِ^(٢) أهلاً
يا أخى أنت ومولى وقليلٌ لك مولى
قد بعثنا بفراشٍ فاهجرنْ وجهَ المصلَّى
ووصلناه بغيداً ء كبدٍ يتجلى
فتفضلْ بقبولٍ لا عدمت الدهرَ فضلاً
ووزاً ذلك منى سترى فضلاً وفضلاً

وله أيضاً :

يارسولى أبلغْ إليها شكاتى واستنلها ولو بقاء حياتى
قل لها : قد قضى هواك عليه فهو ميت ، أو مؤذنٌ بالماتِ
فالخِطيه تَرى إذا شئتَ مَيِّتاً كان يحيا بأيسر اللحظاتِ
واعجبي أن تكونَ لحظة عينٍ منك تهدى الحياةَ للأمواتِ

١٠٥ — على بن وداعة بن عبد الودود السلمي ، أبو الحسن

قال فيه الحُمَيْدِي : أميرٌ كان قريباً من الأربعمائة . وقال ابن بسام ،
وذَكَرَ صاعداً اللغوى : انتهت به الحال إلى أن أغْرِمَ ، فاستغاث على بن وداعة ،
أحدَ الفرسان الأبطال ، ونهّاء الدولة كان في ذلك الأوان . قال : ومن شعره فيه :

(١) كذا في الأصل ، ولعله اسم الشخص الذى وُكِّلَ إليه إنزال الشاعر والخفاوة به .

(٢) الأصل : فابسطن عذرى وإني لم أكن للأعدار أهلاً

والبيت على هذه الصورة يختل الوزن ، وقد أبدل دوزى (ص ١٥٧) كلمة « للأعدار »
بـ « للعدو » ، وما أثبتناه أصلح وأقوم .

أبا حسن ، ربيعة من سليم سنان زان عالية الرياح
 وإني عائد بك من هنا^(١) تحش دأئى تحت القداح
 فكر على ابن عمك وانتشله فليس حى ابن عمك بالمباح
 فإن الجار عندك بين جنبي عقاب الدجن كاسرة الجناح
 نظنك طالما ببني سليم عليها عند مفتضح الصباح
 إذا ساورت قرنك فى مكر جعلت له ذراعك كالوشاح

ومن شعر ابن أبى وداعة :

زار الحبيب فرحاً بالزائر أهلاً ببدر فوق غصنٍ ناضر
 / قبلت من فرحى تراب طريقه ومسحت أسفل نعليه بمحاجرى
 وخشيت أن ينقذ إخص رجله من رقة فبسطت أسود ناظرى

(١) فى الأصل بالتاء المفتوحة ، وصحتها كما أثبتناه . والحناء الداهية ، وقد حسب ناشرو الذخيرة أنها مستعملة هنا جمعاً لأنهم قرأوا الكلمة الواردة بعدها فحشش . وصحة قراءتها كما هى هنا . انظر : الذخيرة (قسم ٤ مجلد ١) ص ٣٨ .

وقد روى ابن بسام فى الذخيرة (نفس المرجع ص ٣٧ وما بعدها) تفصيل ما جعل صاعدا يستغيث بهلى بن وداعة ، وخلاصته أن صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي ساءت حاله بعد العز الذى كان فيه أيام المنصور ، و « طولب فى أخريات تلك الدولة ، وانتهت به الحال إلى أن أغرم فى خبر طويل » فاستغاث بهلى بن وداعة شعراً وثرأ ، فاستغاث بهلى بن وداعة ، ولا كانت فيه شفاعه ، فتوجه إلى الخليفة هشام يرجوه معاونته ، ثم قتل ابن وداعة ولم يبق عند صاعد أمل ، إذ اضطربت الأحوال وارتجت الفتنة وضاع أمر صاعد « بين غلاء السعر ورخص الشعر » . ورفض رجال هشام المؤيد أن يأذنوا لصاعد فى مبارحة الأندلس خوفاً من لسانه ، فخرج مستخفياً . ولجأ إلى أبى زيد البكرى صاحب جزيرة شلطيلى سنة ٤٠٣ هـ ، ومن هناك ذهب إلى صقلية حيث تحسنت حاله ، ثم عاد إلى الأندلس ليأخذ أهله وعياله ، ومدح الخليفة المستعين فلم يظفر منه بطائل ، فعاد إلى صقلية وتوفى فيها سنة ٤١٠ هـ .

١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى

كان أبوه من رؤساء الدولة الأموية وقوادها الجِلَّة ، وكان يعلى هذا
 فى دولة المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر . ومن شعره ، وقد بعث إليه
 بورد مبكر :

بعثتُ من جَنَّتِي بوردٍ غَضَّ لَه منظرٌ بديعُ
 قال أناس رأوه عَفْدَى : أعجَلَه عامُنَا المُرْبِعُ
 قلتُ : أبو عامرِ المَعْلَى أيا مَه كلُّها ربيعُ

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . وله يرثى أبا على البغدادى من أبيات :

أَمَاتَ العَلمَ مَوْتُ أبى عَلى مَنَارِ العِلمِ والْفَضْلِ الرَضِىُّ
 سَابِكى بَعْدَه سَرًّا وَجَهْرًا كَمَا يَبْكى الوَلِىُّ عَلَى الوَلِىُّ
 وَلَوْ لَمْ أَبْكِهِ حَزَنًا وَوَجْدًا إِذَا مَا كُنْتُ بِالرَّجْلِ الوَفِىُّ
 إِذَا قَلْبٌ خَلَا مِنْ حُبِّ مَيِّتٍ فَقَلْبِى لَبَسَ عَنْهُ بِالْخَلِىُّ
 وله :

إِنِّى هَجَرْتُ العَانِيَاتِ جَمِيعًا وَنَزَعْتُ عَنْ كَلْفِى بَهْنُ نَزْوَعًا
 وَرَفَضْتُ لَذَاتِى فَصَرْتُ لِنَاصِحٍ بَعْدَ الإِبَابَةِ (١) سَامِعًا وَمُطِيعًا
 وَنَهَى التَّهَى قَلْبِى فَأَقْصَرَ وَارْعَوَى وَاعْتَاضَ بَعْدَ الكِبْرِيَاءِ خَشْوَعًا

ورأيتُ رشدِي واضحاً بعد العمى فنكصتُ عن غيِّ الضلالِ رجوعاً
يا حسرةً ساعاتُها ما تنقضي كيف النجاةُ وقد أسأتُ صنيعاً ؟

ومن ملوك إفريقيا ورجالهم في هذه المائة :

١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله

/ قد تقدم الاختلافُ في نسب عبيد الله إلى الحسين بن علي ، رضوان الله [١٣٠-ب] عليه ، فمن مُسلمٍ ما ادعاه ومن دافعٍ له فيما حكاه ، وهو الأكثر وهو الأصح والأظهر .

واختلف أيضاً في اسم القائم هذا ، فقليل عبد الرحمن وقيل حسن وقيل محمد ، وبهذا الاسم كان يُذكر في الأمداح^(١) ، قال علي بن محمد الإيادي التونسي :
عجبتُ بأسطولِ الإمامِ محمدٍ وبحسنه وزمانه المستغربِ
لبستُ به الأمواجُ أحسنَ منظرٍ يبدو لعينِ الفاطرِ المعجبِ
وتقدم أيضاً ذكرُ وروده المغربَ مع أبيه وما قيل في تبنيّه وهو يؤمّد

(١) أشار إلى الاختلاف في اسمه محمد بن علي بن حمّاد في كتابه « أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم » (بتحقيق م . فوندرهايدن ، باريس - الجزائر ، ١٩٢٧) ص ١٢ ، ورجح أن صحة الاسم محمد واستدل على ذلك بأن أبا القاسم القائم عندما سار إلى المغرب الأوسط في حياة أبيه في صفر سنة ٣١٥ لحرب محمد بن خزر الزناتي ومن تبعه من زناتة اختط مدينة المسيلة وسماها « المحمدية » باسمه ، وهذا يدل على أن اسمه محمد ، بخلاف من يقول إن اسمه عبد الرحمن .

حَدَّث . ثم بويع له بالخلافة بعد عبيد الله للنصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وأخفى القائم موته^(١) سنة .

وكان في حياة أبيه — على الخلاف فيه^(٢) — أظهر منه في خلافته ومصير الأمر إليه : غزا قبل ذلك الإسكندرية في عسكر عظيم فلما معها مع الفيوم وصار في يديه أكثر خراج مصر وضيّق على أهلها وحاربه مؤنس الخادم بها . وكان خروجه من رقّادة في سنة إحدى وثلاثمائة ، ولست بقين من جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وصله جيش حباسة^(٣) بن يوسف صاحب المهدي في مائتي مراكب فنزل فسطاط مصر والإسكندرية ، وقوى على مؤنس^(٤) بالرجال والأموال ، وشخص لحربه فكانت بينهما وقعة قتل فيها خلق من الفريقين ، ثم انصرف حباسة^(٥) ومن معه عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد هزيمة وقعت على المغاربة .

(١) أي أنه أخفى موت أبيه سنة . وقد أشار ابن عذارى إلى حزن القائم على أبيه حزناً شديداً في ص ٢٠٨ (ج ١) من البيان المغرب .

(٢) أي على رغم الخلاف في بنوته له . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : على الخلاف في أمر عبيد الله نفسه .

(٣) الأصل : حباشة ، والأصح ما أثبتناه . وقد كتبه ناشرو « النجوم الزاهرة » حباسة بفتح الحاء ، والأغلب الضم . راجع المناقشة في ضبط الاسم في « النجوم » : ٣/١٧٢ .

(٤) مؤنس الخادم القائد العباسي الطائر الصيت ، وقد سماه ابن حمّاد^(٥) « مؤنس الخادم الذي يعرف بالفحل أو يدعى المظفر » (ص ١٢) .

(٥) هذا التفصيل من ابن الأبار يحل خلافاً كبيراً بين المؤرخين ، فبعضهم (مثل الطبري والكندي) يقولون إن القائد كان حباسة بن يوسف ، وبعضهم الآخر (مثل عريب بن سعد وابن خلكان والمقريزي) يقولون إن القائد كان القائم ، وانفرد أوتيسخا بالقول بأن عبيد الله المهدي أرسل ابنه القائم بجيش مدداً لحباسة بعد استيلائه على الإسكندرية والفيوم (انظر المناقشة عند حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١١٣ هامش ١) . وقد فصل ابن عذارى (البيان المغرب : ١/١٧١ - ١٧٢) أخبار هذه الحملة تفصيلاً شافياً ، وذكر السبب في قتل المهدي لحباسة بن يوسف وعروبة بن يوسف وجميع قرابتهما . وهناك تفاصيل أخرى عن هذه الحملة في « أخبار بني عبيد » لمحمد بن علي بن حمّاد ، ص ١١ - ١٢ .

ثم غزا في حياة أبيه ثانية ، وعند وصوله إلى الإسكندرية — وذلك في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثمائة — خرج عاملُ المقدر عنها ودخل الجيزة^(١) من أرض مصر في خلق عظيم .

وكتب القائمُ إلى مكة وإلى مَنْ حولها يدعوهم إلى طاعته ويعدهم الجيل ، وقال : « نحن أهل بيت الرسول ، ومن أحق بهذا الأمر منا ؟ » ، وضَعَن الكتابَ أبياتاً يقول فيها :

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم أم اصّدت من قلة الفهم والأدب ؟
فويحاً لكم خالفتُم الحقَّ والهُدى ومن حاد عن أم الهداية لم يُصَبْ
/ فيا مُعرضاً عني وليس بمنصفي وقد ظهر الحق المبين لمن رغب [١٣١-١]
ألم ترني بعثتُ الرفاهةَ بالشرى وقتُ بأمر الله حقاً وقد وجب
فلما وصل إليهم الكتاب بعثوا به إلى المنتدر ، فأرسل إلى أبي بكر الصّولي
بعد قراءته الرسالة والشعر ، فدفع إليه الشعر وقال له : جاوبه عنه ،
فكتب إليه :

عجبتُ وما يخلو الزمانُ من العجبُ لقول امرئٍ قد جاء بالعين والكذبُ

(١) الأصل : الجيزة ، والتصحيح من « القضاة والولاة » للكندى ، بتحقيق روفن جست ، ص ٢٧٥ . والثابت من مراجعنا أن القائم لم يستطع دخول الجيزة ، إذ ظل فيها « تسكن » عامل مصر حتى وصلت عساكر المهدي ومراكبه في النيل قادمة من الإسكندرية ، وانتصرتُ تكين على القائم وظفر بمراكبه في شوال ٣٠٧ ، ثم أقبل إلى مصر مدد بغداد يقوده مؤنس الخادم في محرم ٣٠٨ ، واستمر القتال بين الجانبين ، وفي أثنائه استولى القائم على الفيوم وجيزة الأشمونين وعدة بلاد ، فأنتت نجدة أخرى من بغداد يقودها جيمى الخادم المعروف بالصفوانى ، فكانت بين الجانبين حروب طويلة في الفيوم والإسكندرية ، ثم انصرف القائم عن مصر إلى برقة عائداً إلى إفريقية ، وعزل تكين عن ولاية مصر في ١٣ ربيع الأول ٣٠٩ .

انظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٥ - ١٩٧ .

وجاء بملحونٍ من الشعر ناقصٍ فسحقاً له من مدحٍ أفضل النسبِ
فمن أنت يامهدي السفاهةِ والخنا فقد قت بالدين الخبيث وبالريبِ
فلم يمينوه . وهي قصيدة طويلة ، منها في ذكر الخلفاء من بنى العباس :

ومعتَمِد من بعده وموفقٍ يردُّ من إرثِ الخلافة مذهبِ
نوازلهم^(١) في كلِّ فضلٍ وسودٍ وإن لم يكن في القدر منهم لمن حسبِ
أنشدهما أبو إسحاق إبراهيم بن تميم القيرواني الحصري في كتاب « زهر
الآداب ونور الأبواب » من تأليفه . وقد أجرى ذكر الموفق أبي أحمد بن المتوكل
ومدح ابن المعتزله ، قال : ويلقب بالناصر وبالموفق ، كانت حاله قد تروقت في
أيام المعتمد إلى غاية لم يبلغها الخليفة^(٢) . وقد ذكره الصولي في قصيدته لصاحب
المغرب ، وقد اقتص^(٣) خلفاء بنى العباس من أولهم ، وذكر البيتين . والموفق
هذا هو الذي قتل صاحب الزنج القائم بالبصرة ، بعد مواعمت كثيرة ومحاربات
شديدة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدته الطويلة الجليلة :

أبا أحمدٍ أبلت أمةَ أحمدٍ بلاءٍ سيرضاه ابنُ عمكَ أحمدُ
حصرتَ عميدَ الزنج حتى تماذلت قواه وأودى زاده المتزود
فظلَّ - ولم تقتله - يلفظ نفسه وظلَّ - ولم تأسره - وهو مقيد
فما رُمته حتى استقلَّ برأسه مكانَ قناةِ الظهر أسمرُ أجرد

(١) الأصل : موازٍ لم . والتصويب من « زهر الآداب » للحصري القيرواني ،
بتحقيق زكي مبارك ، ١٩٣/٣ .

(٢) في « زهر الآداب » للحصري القيرواني (بتحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ،
يدون تاريخ) ، ٣ ص ١٩٣ : خليفة .

(٣) في الأصل : اقتصر ، والتصويب من زهر الآداب ، نفس الجزء والصحيفة .

/ وكان صاحب الزنج يدعى الانتماء إلى بيت على رضى الله عنه ، ومنجاءه [١٣١-ص] نحا العبيديون بعده ، وينال من بنى العباس نيل هؤلاء منهم ، وفي ذلك يقول :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورِ بَغْدَا دَ وَمَا قَدْ حَوَتْهُ مِنْ كُلِّ عَاصٍ
وَحُشُورِ هُنَاكَ تُشْرِبُ جَهْرًا وَرِجَالٍ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصٍ
لَسْتُ لَابِنِ الْفَوَاطِمِ الْغُرِّ إِنْ لَمْ أُجِلِّ الْخَلِيلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ

وقرأتُ في كتاب أبي الحسن على بن بحر بن أبي السرور الروحي الإسكندري أن المهدي عبيد الله سَيَّرَ وَلِيَّ عَهْدِهِ أَبَا الْقَاسِمِ ابْنَهُ إِلَى مِصْرَ دَفْعَتَيْنِ : الأولى في سنة إحدى وثلاثمائة ، قال : وعاد في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والثانية سنة ست وثلاثمائة ، وحكى أنه ملك الإسكندرية فيهما .

وقال غيره : في أيام عبيد الله بَطَلَ الْحَجُّ وَأُخِذَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ، أَخَذَهُ الْقَرَامِطَةُ وَأَقَامَ عَنْدهُمْ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا ، وَقَتَلَ الْمُقْتَدِرَ بِبَغْدَادَ وَأَظْهَرَ عَبِيدُ اللَّهِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ الْخَبْرُ أَنَّ دَعَاةَ قَتَلُوهُ بِأَمْرِهِ ، وَجَلَسَ لِذَلِكَ مَجْلَسًا ^(١) .

وحكى الصولي أن الذي قتله رجل من أهل المغرب بربري يقال له عليون الصنهابي ، رماه بحربة — وهو على فرسه يصلح بين الجند — في ظهره فخرجت من صدره ووقع ميتًا .

وكان « القائم » في حياة عبيد الله القائم بالأمور والد[ولة] ، فلما أفضت

(١) وردت نفس العبارة في تاريخ بنى عبيد لابن حماد ، فأكلتها منها (ص ١٧) . وما قاله عبيد الله الشيعي لا يستبعد ، والخبر الذي يرويهِ ابن الأبار عن الصولي بعد ذلك يقوى هذا الاحتمال . ويقويه كذلك ما جاء في النجوم الزاهرة (٢٣٣/٣) : « وكان غالب عسكر مؤنس (القائد الذي خرج على المقتدر وقتل المقتدر وهو يحاربه ، وهو نفسه مؤنس الخادم) من البربر ، فلما انكشف عن المقتدر أصحابه ، جاءه واحد من البربر فضره من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض ، فقال : ويلك ! أنا الخليفة ! ، فقال : أنت المطلوب ! وذبحه بالسيف ، وشال رأسه على رمح . . . » .

الخلافة إليه ظهر أبو يزيد^(١) الخارجي مخلد بن كيداد عليه فعجز عن مقاومته ولم يستقل بمداومته ، فتغلب على البلاد في جموع البربر الملتفة عليه إلى أن حصره في المهديّة . وأبو يزيد من بني يَفْرَن^(٢) ، ويُقال إن الذي قُتل في فتنته أربعمائة ألف . وللإنذار به والتحدث بخروجه^(٣) بنى « المهديّة » عبيدُ الله وجعلها دار ملكه وقرار سلطانه . وقال بعد تحصينها وعند انتقاله إليها : « اليوم أمنت على الفواطم »^(٤) ، يريد حُرّمه .

وكان قيام أبي يزيد في آخر خلافة القائم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي القائم يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من شوال سنة [أربع وثلاثين وثلاثمائة] .
[١٣٢-١] وكان^(٥) القائم ولّى ابنه إسماعيل عهدَه وفوضَ إليه أمرَه ، وذلك في سنة أربع وثلاثين ، وأدخل عليه جماعة من وجوه كتامة ورؤسائهم فقال : « هذا مولاكم وولى عهدى والخليفة من بعدى ، وهو صاحب هذا الفاسق وقائله » ، يعنى أبا يزيد^(٦) .

وقال ابن حبان في تاريخه « المقتبس من أنباء أهل الأندلس » : وفي العشر الأواخر من ذى الحجة منها — يعنى سنة أربع وثلاثمائة — قدم محمد بن محمد ابن كليب من القيروان فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعى صاحب المهديّة

(١) المشهور « أبو يزيد » بدون أداة التعريف .

(٢) الأصل : يفرن ، والصواب بالفاء كما أثبتناه ، واسمه الكامل كما أورده ابن عذارى (البيان المغرب ، ١ / ٢١٦) : مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان ابن وريّمت بن تبقراسن (في نسخة أخرى : تنفراس) بن سميدان ابن يَفْرَن .

(٣) يقال إن عبيد الله المهدي تنبأ بخروج أبي يزيد بن كيداد ، وأنه بنى « المهديّة » لتكون حصناً له ولدولته عند قيامه .

(٤) المشهور أنه قال : « الآن أمنت على الفاطميات » .

(٥) الأصل إن .

(٦) وردت نفس العبارة عند ابن حمّاد في تاريخ بنى عبيد ، ص ٢١ .

هلك فيها وهو محصور من قبل أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى النكارى المعروف بصاحب الحمار القائم عليه فى جموع البرابرة ، وأن شيعته قدّمت لإسماعيل ولده ، وأنه فارس شجاع أبى النفس ، أقدم على أبى يزيد وجموعه ولاقاه بمدينة سوسة فانهزم أبو يزيد قدّامه إلى القبروان ثم إلى سبيبة . زاد غير ابن حيان : وما زال يتبعه إلى أن ظفر به حيّاً وقيذاً بالجراح فمات منها وهو فى أسره ، فأمر به فسلخ وطيف به .

وإسماعيل المنصور هذا أبو الطاهر ، وابنه أبو تميم معد بن إسماعيل المعز لدين الله ، كانا خطيبين مفوهين ، ولم أقف لهما على شعر أكتبه فى هذا المجموع ، وسيأتى ذكرهما بعدُ إن شاء الله . وكانت خلافة القائم اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر ، وتوفى وهو ابن خمس وخمسين سنة ومولده بسلمية .

١٠٨ — تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو علي

شاعر أهل بيت العبيديين غير منازع ولا مدافع ، وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس غزارة علم ومعانة أدب وحسن تشبيه وإبداع تخيل ، وكان يقتنى آثاره ، ويصوغ على مناحيه فى شعره أشعاره . ولّاه أبوه المعز لدين الله معد بن إسماعيل المنصور عهداً ، وبه كان يُكنى ، فخُلع برأى جوهر الصقلى لأنه كان عقيماً لا يولد له ، وولّى أخوه عبد الله فتوفى فى حياة أبيه ، ثم ولّى العهد أخوه أبو المنصور نزار العزيز بالله ، وانتقلا من إفريقية إلى مصر بانتقال أبيهما معد ابن إسماعيل فى آخر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

وشعر تميم مدوّن ، ومحاسنه كثيرة ، وتصرفاته بديعة . ووقع منه فى كتابين

الحصري « زهر الآداب وثمر الألباب » و « نور الطارف ونور الظرف » كل نادر غريب .

[١٣٢-ب] / وكان تميم لما استقر بمصر وتوفي أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين [وثلاثمائة] وولى أخوه نزار يمدحه ويداريه طلباً للسلامة منه ، لأنه لم يكن يأمن عاديته^(١) بسبب انخلائه عن العهد . وكذلك كان ابن المعتز يداري المعتضد والمكتفي ابنه ويمدحهما ويمدح عمه الموفق رغبة في التخلص منهم ، لأنه كان أهلاً للخلافة فعصمه الله بذلك من هؤلاء ، وقدر أن طاح على يدى المقتدر بعد أن بويج له من الليلة التي قبض عليه في صبيحتها ، ولقب بالراضى بالله — وقيل بالمتصف بالله — وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

ومن شعر تميم في أخيه نزار :

يا ابن الوصى المرتضى ، يا ابن الإمام
ما بال مالك ليس يرميه الندى
أنت المحصل^(٢) في زمان أصبحت
لو لم تكن في جحفل لغدوت من
عجبا لأبصار تراك ولو درت
مقدار فضلك كن عنك بمعزل

(١) في الهامش بخط مخالف : غائلته .

(٢) راجعت هذه الأبيات على أصل القصيدة كما وردت كاملة في « ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي » (دار الكتب المصرية) ١٩٥٧ ، ص ٣١١ وما بعدها ، وقد أورد ابن الأبار مختاراته منها على غير نسقها في القصيدة ، وهذا البيت والأربعة الأبيات التالية له وردت في آخر صفحة ٣١٣ وأول ٣١٤ .

(٣) المحصل ، كما ورد في الشروح الضافية المعلقة على متن الديوان : المميز ، وأصل التحصيل إظهار اللب من القشر وتمييزه عنه .

(٤) الديوان ، ص ٣١٤ : وحدها .

وهي قصيدة طويلة . ومنها في وصف فرس له يدعى السرور :

نعم المعين على الوغى في مآزقٍ لَبَسَتْ به الأبطالُ نَقَعَ الْقَسْطِلِ^(١)
فرسٌ أَشْمٌ^(٢) الْمُنْكِبَيْنِ مُقَابِلِ^(٣) يرمى الجنادل من يديه بجندلٍ
تُغْنِيكَ^(٤) عن أنسابه أعضاءهُ حُسْنًا ، وعن أخراه عِتْقُ الْأَوَّلِ
وكأنما مبيضٌ أعلى وجهه وجبينه ضوؤه الصباح المقبل
وكان دَفَقَ [سَرَجِه وِلْجَامِه]^(٥) [شُدًّا]^(٦) على ظهر السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ
ويسابق البرق [المُنَارَ بِحَطْوِه]^(٧) ويزيدُ فيه على الصبا والشَّمَالِ
صافي الصهيل كأنَّ [في ترجيعه]^(٨) غرد يغنى في الثقل الأول
ذوقونسٍ [مالت نواحي عُرفه]^(٩) مستشرفُ الأعلى رحيبُ الأسفل
وكأنما فَلَقُ الصباحِ بوجهه مالا بدا مترفقا في جدول

(١) هذا هو مطلع القصيدة كما وردت في الديوان ، ص ٣١١ ، وعنوانها هناك :
وقال يمدح الخليفة العزيز بالله ، ويصف فرسا يدعى « السرور » .
والمآزق : الموضع الضيق الذي يُقْتَتَل فيه ، والنقع : الغبار الساطع المرتفع ، والقسطل :
الغبار في الحرب .

(٢) الأشم : العالي المرتفع .

(٣) مقابل : كريم النسب من أبويه ، أصيل في طرفيه .

(٤) الأصل : تغنيك ، والتصويب من الديوان (ص ٣١١) .

(٥) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا : وكان ذو ، فصححته وأكلته من الديوان

(ص ٣١٢) .

(٦) ساقطة في الأصل .

(٧) ساقطة في الأصل .

(٨) لم يرد من هذا الشطر في الأصل إلا الكلمات الثلاث الأولى ، هكذا : صافي الصهيل

كأنه .

(٩) وهذا أيضاً لم يرد منه إلا الكلمتان الأوليان ، هكذا : ذو قوس .

والقونس : أعلى الرأس ومقدمه ، وقونس الفرس : ما بين أذنيه ، وهو عظم فاقٍ

بينهما .

وله يمدح أخاه :

ألسنا [بنى] بنتِ النبيِّ الذى به
أليس أبونا خِـدْنَه ووصيَّه
فكفُّوا بنى العباسِ عنا جَمَاحَكُمُ ^(٢)
[١-١٣٣] / متى لم تكونوا دوننا وتُـسَاقِـبُوا
بِمَنْ نَصَرَ الإسلامُ فى يومٍ خيبرٍ
أليس علىَّ كان كاشفَ غَمِّها
وَمَنْ فَرَجَ الغَمَّاءَ عن وجهِ أحمدٍ
فبات على ظهر الفراش بديلَه
وكم مثلها من مفخر وفضيلة
وإن ^(٥) قلتم إنا جميعاً لهاشم
فلِمَ ^(٧) تدفعون الحقَّ والحقُّ واضحٌ ؟
أمية كانت قبلكم فى اغتصابها
تخلَّص من زَيْنِجِ العمى الثَقَلانِ ^(١)
وفارسَه فى كلِّ يومٍ طِـعَمانِ
فقد طالما خُـنِـمَ بكلِّ مكانٍ ^(٣)
بصالحنا ^(٤) فى كلِّ يومٍ رهان
ويومَ حُنَيْنٍ والقنا مُتَّـدَنانِ ؟
وما كان للعباسِ نَمٌّ يَدانِ
بمكةَ لما رِيحَ كلِّ جَنانِ
يقيمهُ ردى الأعداءِ غيرَ جَبانِ
حواها علىَّ وهو ليس بِوَائِ
فما تستوى ^(٦) فى الجُـثَّةِ العَضُدانِ
دنا منكم ما كان ليس بـدانِ
أحقَّ ، فبات ^(٨) وارتدتَ بهوانِ

(١) اختار ابن الأبار هذه الأبيات من قصيدة تميم فى مدح أخيه العزيز مطلعها :

دعاني ، فليس الرأى ما تريان نهاني الحجا من كل ما تصفان
وقد ورد المصراع الأول من هذا البيت فى الأصل محرّفاً هكذا :

* ألسنا بيت النبي الذى به *

(٢) الأصل : جاكم .

(٣) ورد هذا الشطر فى الديوان ، ص ٤٤٩ هكذا :

* فقد آن أن نفزو بكل مكان *

(٤) الديوان : لصالحنا .

(٥) الديوان (ص ٤٥٠) : فإن .

(٦) الديوان : يستوى .

(٧) الديوان : فكم .

(٨) الديوان : فبات .

أخذتم بغصبٍ إرثنا وصمدتمْ منابرَ ما كانت لكم بأمان^(١)
وجئتم بأسماء يروق استماعها وألفاظٍ حُسنٍ ما لها من معان :
رشيدٌ ولم يرشدْ ، وهاديٌ وما هدى لحقٍ ، ومأمونٌ بغير أمان
ومعتصمٌ لم يعتصم باللهِ ومقتدرٌ لم يقتدرْ ببيان
ومعتضدٌ بالإفكِ خاب اعتضادهُ ومنقصرٌ بالبغْيِ غير معان
أصيحخوا فقام « المزيرُ » الذي له^(٢) تذللُ خطوبُ الدهر بعد حران
كأنَّ رواقَ العزِّ^(٣) من نور وجهِ سماء بدا في أفقها القمران
أغرُّ كنفِ السيفِ يُمضي اعتزامة بكل رقيقِ الشفرتين يمان
كأن المنايا والعطايا نوافلٌ يجود بها من مُنْصِلٍ وبنان
حويت أبا المنصور كلَّ فضيلةٍ وأمسكتها دون الورى بعنان
كأنك في سياك إذ قتت خاطباً وأعيننا طراً إليك رَوان
شبيهُ نبيِّ الله جدِّك أحمدٍ وبشبهُ فرعُ البانةِ الغُصنان
وكم علويٍّ فاطميٍّ مفضَّل ولكنهم ما فيهمُ لك ثمان
ومن يدعى منهم مكانك في العلا فقد جاء بالبهتان والهذيان
إذا ما كفأك الله ما أنت متَّقٍ شغاني مما أنقى وكفاني
وإني لسهمٌ من سهامك ماطره^(٤) على كل من عاداك مُسمَّ سِفان
// أراك بعينِ النصحِ في كل حالةٍ على كل ما فيه^(٥) اعتقدت ترائي [١٢٢-٧]

(١) الأصل : بأمان ، والتصويب من الديوان .

(٢) الديوان : [الذي] به .

(٣) الديوان : الملك .

(٤) الأصل : قاطر ، والتصويب من الديوان ، ص ٤٥١ .

(٥) الديوان : فيك .

ومن ذا الذى يراك رعيًا تودُّه^(١) على كل غيثٍ أو بكل عيان^(٢)
أخ وولىّ مشفق وابنٌ والدٍ شفيقٌ ومُدَّاحٌ بكل لسان^(٣)
وكان العزيز يوالى إكرامه ويُجزل عطاءه ويعامله بما قتله^(٤) علماً من صدق
وده وإخلاصه فى مدحه .

ويحكى أنه تنزه إلى « بركة الحبش » فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل
عنه ، فأسرع إليه من عرفه ، فخرج راجلاً حافياً حتى لقيه ، فسلم عليه بالخلافة ،
وقال : « يا أمير المؤمنين ، قد وجبت على عبدك الضيافة » ، قال : « نعم » ،
ودخل إلى بستانه وقد أمر بجنيمة من الجنائب التى كانت بين يديه ، وأقسم
على تميم أن يركبها ويسيره ، فلما توسط البستان نظر إلى ثمر يلوح الذهب عليه ،
فتمعجب منه واستطرفه ، ودنا من شجرة فأخذ منها ليمونة واحدة ، فقرأها وإذا
عليها مكتوبٌ بالذهب :

أنا الليمونُ قد غُذيتُ عروقي ببرِدِ الماءِ فى حرزِ حريرِ
حَسُنْتُ فليس يُحْسَنُ أن يُحَيِّيَ بأمثالى سوى املكِ العزيزِ

فجعلها فى كفه وقال : هذه ضيافتى عندك . وانصرف إلى قصره فبعث إلى
أبي جعفر بن مهذب^(٥) صاحب بيت المال ، فقال له : « ما عندك من الدنانير
ضرب هذه السفة ؟ » — وكان ذلك فى أولها — فقال له : « مائة ألف وستون

(١) الديوان : عنى بوده .

(٢) فى الأصل : عيانى .

(٣) فى الأصل : لسانى .

(٤) كذا فى الأصل ، والمعنى مفهوم رغم نيو كلمة « قتل » هنا ، إذا صحت قرائن لها .

(٥) ورد الاسم فى الأصل : جعفر بن مغرب ، وجعلها مولر : قهرّب . وقد غلب

على ظنى أن المراد هنا هو أبو جعفر بن حسين (أو أبو جعفر حسين) بن مهذب ، وقد ذكره

المقرئزى (الخطط ٢ / ١٦٤) واتعاط الخنفا ، ص ١٣٩) ووصفه بأنه صاحب بيت المال أيام

المعز . والغالب أنه استمر على هذه الوظيفة أيام ابنه العزيز .

ألفاً » ، فأمره بحملها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزي ، وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : استعن بهذا على مؤوتتك . فقبل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره .

وكانت أيام العزيز بمصر أعياداً ، رفاهية ودعةً وتمهداً . فكان تميم إذا جاء الليل أمر مائتي فارس من عبيده بحراسة الناس الخارجين في أيام النيروز والميلاد والمهرجان وعيد الشّعنانيين ؛ وبغير ذلك من أيام اللهو التي كانوا ينحون فيها على أموالهم رغبةً ويخرجون إلى بركة الحبش متزهين ، فيضربون عليها المضارب الجليلة والسرادات / والقباب ، ومنهم من يخرج بالقيان والمُسَمِّعات والمُحَدَّرَات ، [١٣٤-١] وخيلُ تميم تحرسهم في كل ليلة إلى أن ينصرفوا ويركب تميم في عُشاري^(١) تتبعه أربعة زوارق وأكثر ، مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً ، فإن كانت الليالي مقمرة وإلا كان معه من الشمع ما يعود به الليل نهاراً ، فإذا سر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً أسرهم بإعادته ، وسألهم عما ينقصهم فيعطيه ، وربما رغبوا إليه أن يُسمعهم من غنائه ، فيقف عليهم ويأمر من يغنى لهم ، وينتقل عنهم إلى غيرهم فيفعل هذا عامةً ليله ، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه على هذه البركة ، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضي هذه الأيام ويفترق الناس^(٢) .

ولتميم يفخر :

(١) العشارى طراز من السفن متوسطة الحجم كان يستعمل في الأنهار والبحار للرحلات الصغيرة . وقد تلحق بالسفن الكبيرة لتكون قوارب نجاة ، وقد ورد ذكرها عند المقرئى والنويرى وابن جبير وابن بطوطة وعبد اللطيف البغدادي ، أى أنها كانت معروفة في الشرق والغرب على السواء ، وعن العرب أخذها الأوروبيون ، فسميت في إيطاليا باسمها العربي *usciera* (أوشيري) وفي إسبانيا *esquife de nave* . ويبدو أنها سميت عشاريات لأنها كانت تتسع لمئرة أشخاص .

انظر : دوزى ، ملحق القواميس : ١٣٠/٢ .

(٢) روى هذا الخبر بنصه المقرئى في الخطط : ١٤٥/٣ .

لا تُبْطِرُ السَّراةَ لِي خَلْقًا وَلَا أَغْدُو عَلَى ضَرَائِهَا مَتَخَشَعًا
لِي فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ جَوْلَةً يَغْدُو بِهَا قَلْبُ الزَّمَانِ مُصَدَّعًا
وله :

لَيْتَنِي الْمَعَالِي أَنْتَى أَنَا رَبُّهَا وَأَنْتَى إِذَا مَارُمْتُ صَدَبًا تَيْسِرًا
غَذَّتْنِي - مَذْكَنتُ - النَّبُوَّةُ وَالْهُدَى فَخَسِبَ أَنْ كَانَا هُمَا لِي عُنْصَرًا
وله :

وإِنِّي لَأَلْقَى كُلَّ خُطْبٍ بِمُهْجَةٍ يَهْوَنُ عَلَيْهَا مِنْهُ مَا يَتَصَعَّبُ
وَأَسْتَصْحَبُ الْأَهْوَالَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَيُزْجِجُ لِي السَّمُّ الزَّعَافُ فَأُشْرَبُ
فَمَا الْحَرْءُ إِلَّا مَنْ تَدَرَّعَ حَزْمَهُ وَلَمْ يَكْ إِلَّا بِالْقَنَاءِ يَنْتَكِبُ^(١)
خَلِيلٌ مَا فِي أَكْوَسِ الرِّاحِ رَاحَتِي وَلَا فِي الْمَثَانِي لَذَّتِي حِينَ تُنْضَرِبُ^(٢)
وَلَكِنِّي لِلْمَدْحِ^(٣) أَرْتَاحُ وَالْعَلَا وَلِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ أَصْبُو وَأُطْرِبُ
وَمَنْ بَيْنَ جَنْبَيْهِ كَنَفْسِي وَهَمَّتِي يُرْجِي لَهُ^(٤) فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَرْكَبُ
وله في التشبيه :

عَلَّلَانِي بِهَا فَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ لُ كُلُّونِ الصَّدُودِ مِنْ بَعْدِ وَصَلِ

(١) الأصل : يتكسب ، والتصويب من يتيمة الدهر للثعالبي ، ٤٢٧/١ . وقد وردت في الديوان أيضاً : يتكسب (ص ٤١) .

(٢) كذا أيضاً في مخطوطين مما اعتمد عليه في نشر الديوان ، وفي الباقي : تُطْرِبُ ، وقد أخذ المحققون بهذه الرواية الأخيرة .

(٣) الديوان (ص ٤٢) : للمجد ، وهو أجود .

(٤) الديوان : يروح له ، وقد وضعها المحققون بين قوسين ، للدلالة على أنهم لا يرتاحون لهذه القراءة .

وانجلى الغيمُ بعد ما أضحك الروضَ بكاءِ السحابِ فيه بوبلٍ
عن هلال كصولجانٍ نُصارٍ في سماء كأنها جامٌ ذبلٌ^(١)

[١٣٤-٣]

/وله :

[رب صفراء عللتنى] بصفرا ، وجنح الظلام مُرخى الإزار^(٢)

وكانَّ الدُّجى غداً رُ شعراً وكان النجوم فيها مدارى^(٣)

وله :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدَّى في يد الأفق مثلَ نصف سوارٍ

وله :

كان السحاب الغر أصبحن أكوساً لنا ، وكان الراح فيها سنا البرق

إلى أن رأيتُ النجم^(٤) وهو مغربٌ وأقبل راياتُ الصباح من الشرق

كان سوادَ الليل والصبحُ طالعٌ بقايا مجالِ الكحل في الأعين الزرق

وله :

ما ترى الليلَ كيف رقَّ دُجاءُ وبدا طيلسانهُ ينجابُ

(١) الدبل (كما ورد في شروح الديوان ، ص ٣٣٨) عظام ظهر دابة بحرية يتخذ منها

الأسورة والأمشاط والخواتم وغيرها .

(٢) لم يرد من الشطر الأول من هذا البيت إلا « جى صفر » ، فأكلته وقومته من الديوان

(ص ١٨٣) ، وقد ورد الشطر الثاني من هذا البيت هكذا :

* ء وجنح الظلام جون الإزار *

وفي نسخة أخرى : مُرخى الإزار .

(٣) ورد لفظ « مدارى » في الأصل دون ياء ، وقد قومته من الديوان (ص ١٨٣) .

وورد في هامش الديوان المطبوع : المدارى جمع مدرأة ، وهى المشط .

والبيتان من قصيدة في الغزل ، وقد ترك ابن الأبار بين البيت الأول والبيت الثاني بيتين ووردا في الديوان .

(٤) الأصل : النجوم ، والتصويب من الديوان .

وَكأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الأفقِ بَازٍ^١ والدجى بين مخليبه غرابٌ
وله :

ألا سَقْنِيهَا^(١) قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً فقد أَلَسَ الأفَاقَ جُنْحُ الدجى دَعَجٌ
كَأَنَّ الثَرِيَا وَالظَّلَامُ يُخَفُّهَا^(٢) فصوصُ لجينٍ قد أحاط بها سَبَجٌ
كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ تَحْتَ سَوَادِهِ - إِذَا جَنَّ - زَنْجِيٌّ تَبَسُّمٌ عَنْ فَلَجٍ
وله :

كَأَنَّ كُؤُوسَ الشَّرْبِ وَهِيَ دَوَائِرُ قَطَائِعُ مَاءٍ جَامِدٍ تَحْمِلُ اللَّهَبُ
فَبِتَنَا نَسَقِي الشَّمْسَ وَاللَّيْلُ رَاكِدٌ وَنَقْرُبُ مِنْ بَدْرِ السَّمَاءِ وَمَا قَرُبُ
وَقَدْ حَجَبَ الْغَيْمُ الْهَلَالَ كَأَنَّهُ سِتَارَةُ شَرْبٍ^(٣) خَلْفَهَا وَجْهُ مَنْ نُحِبُ
كَأَنَّ الثَرِيَا تَحْتَ حُلُكَةِ لَيْلِهَا مَدَاهِنُ بِلَوْرِ عَلَى الأفقِ تَضْطَرِبُ
وله :

خُذْهَا إِلَيْكَ - وَدَعِ لَوْمِي - مُشْفَعَةً مِنْ كَفِّ أَحْوَى^(٤) أَسِيلِ الْخَدِّ ذَهَبِيَّةِ
وَانْظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَأَنَّ زَنْجِيَّ مَنْهَزِمًا وَالصَّبْحُ فِي إِثَرِهِ يَعْدُو بِأَشْبَهِيَّةِ
وَالْبَدْرُ مُتَصِفٌ^(٥) مَا بَيْنَ أَنْجَمِهِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي صَدْرِ مَوَكِبِهِ
وله :

أَوْفَى فَأَشْرَقَ الْبَلَادُ لِنُورِهِ حُسْنًا وَأَرْسَلَ بِالشِّفَاءِ رَسُولًا^(٦)

(١) الديوان (ص ٨٦) : أَلَسَّ قِيَانِي .

(٢) الديوان (ص ٨٦) : يَخَفُّهَا .

(٣) الديوان (ص ٦٢) : سِرْبٍ ، وشرحها الناشران ، هامش ه ، هكذا : وَيَعْفِي بها جماعة .

(٤) الديوان (ص ٧١) : أَقْنِي .

(٥) الديوان (ص ٧١) . مُتَصَبِّبٌ .

(٦) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

/ ما كنتُ أحسبُ أنَّ بَدْراً قبلَهَا نقل الخطي كرمًا وعاد غليلا [١-١٣٥]
يا علة زار الحبيبُ من أَجلِهِ — لله أنتِ ، لقد شَفَّيتِ غليلا

وله ، وهو من مختار شعره في النسب :

أأعذل قلبي ؟ وهو لي غيرُ عاذِلٍ وأعصى غرامى وهو ما بين أضلعي^(١)
ومن لي بصبرٍ أستزِيلُ به الجَوَى ولا^(٢) جَلَدَى طَوْعى ولا كَبِدَى معى
نأوا والأسى عنى بهم غيرُ مُنتَأٍ وودعتهم والقلبُ غيرُ مودَّعٍ^(٣)
وله :

يا مُعطِشى من ——— الِ كفت وارده
هل فيك لي رحمة إن صِحتُ : « واعطَشى^(٤) ! » ؟
أنتَ الحياةُ التى تحيا النفوسُ بها حقًّا فإن فقدتكَ النفسُ لم تعشِ
توفى تيمم في خلافة أخيه العزيز سنة أربع وسبعين ، وتوفى العزيز سنة ست
وثمانين وثلاثمائة^(٥) .

(١) الديوان ، ص ٢٦٧ :

أأعذر قلبي وهو لي غير عاذر أم اعصى غرامى ، وهو ما بين أضلعي

(٢) الديوان : وما .

(٣) الديوان : مودعى .

(٤) هذه الأبيات غير واردة في الديوان .

(٥) قال ابن خلكان في الوفيات (٢٧٠/١) إنه « توفى في ذى القعدة سنة ٣٧٤ ، وزاد العتقى في تاريخه أنه توفى يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث خلت من الشهر المذكور ، وأن أخاه العزيز نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه ، وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً . . وقال عبد الملك الهمداني في كتابه الذى سماه « المعارف المتأخرة » إنه توفى سنة ٣٧٥ والله أعلم . وقال غيرهما إنه ولد سنة ٣٣٧ » .

١٠٩ — خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس

مولده بطرابلس وهو من أبناء جندها ، وكان في أول أمره يطلب العلم والأدب ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد ، إلى أن خالف أهل طرابلس بلده سنة تسع وتسعين ومائتين ، فكان هو المتولى لعذابهم وأخذ أموالهم ، وذلك في أول دولة عبيد الله المهدي . واتبع القائم أبا القاسم محمد بن عبيد الله المهدي في مسيره إلى محاربة أهل مصر ، وهو إذ ذاك ولي عهد فلقه بالإسكندرية ، وكان المتولى لجباية الأموال والنظر فيها ، وانصرف إلى المهدي فقدم على خيل إفريقية ، وكان أمر جندها إليه مع النظر في البحر .

وخرج إلى صقلية والياً على أهلها فأهلكهم جوعاً وقتلاً ، وهرب كثير منهم إلى بلد الروم . وكان يقول بعد وصوله إلى إفريقية مفتخراً : « المكث يقول إني قتلت وأهلك ألف ألف ، والمقل يقول ستائة ألف » . وكان خروجه إليها في أول دولة القائم سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وقد كان المهدي عبيد الله سخط عليه في آخر دولته بخاف ، ولما توفى أمته القائم واستعمله ، فجار أشد الجور ، « ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ! » ^(١) .

[١٣٥-ب] ثم إن القائم / صرفه عن صقلية واستقدمه منها ، وقدمه لحرب أبي يزيد الخارجى ، وأخرجه إلى مدينة القيروان في ألف فارس من وجوه العبيد ، فأساء معاملتهم حتى أضغنهم ، ودبروا عليه . وقصده أبو زيد فدخل القيروان وحصره بداره إلى أن أخذه وأصحابه فاعتقلهم ثم قتلهم جميعاً بباب أبي الربيع وأمر بهم فصلبوا .

(١) حديث نبوى شريف ، والحور هو النقصان ، والكور الزيادة .

ومن شعره يمدح المهدي ويناقض مروان بن أبي حفصة :

قف بالمازل واسألن أطلالها ماذا يضرُّك إن أردت سؤالها ؟
هل أنت أول من بكى في دمنة درست وغيَّرتِ الحوادث حالها ؟
يا دار زينب هل تردُّين البكا عن مقلّة سفحت عليك سجالها ؟
بذلت بالإنس الخرائد كالدهى وحش الفلاة ظباءها ورثالها
ولقد عهدت لآل زينب حبرة فيها ، ودنيا أقبلت إقبالها
بيضاء ناعمة يحول وشاحها وتهزُّ دقة خصرها أكفالها
ولها قوام كالقضيب وفوقه جعدٌ يصفاح كفه خلاها
وكان في فيها بعيد رقادها عسلاً أصاب من السماء زلالها
ولقد عصيت عواذلي في حبها والنفس تعصى في الهوى عذالها
ومنها :

صلى الإله على النبي محمد
إن الإمام أقام سنة جدّه
أحيا شرائعها وقوم كتبها
وهدى به الله البرية بعدما
إن الخلافة يا ابن بنت محمد
وله وقد اقتصد القائم :

قل للطبيب الذي أوصى ليفصده
رفقاً ولا زلت بالإسعاد ترتفق
/ كيف استطعت ترى بالله طاعته
ومن سنا نوره ما يشرق الأفق ؟
أم كيف تخرج من كف نقبها
دماً ومنها بحار الجود تندفق ؟

إني لأعجبُ من كفِّ مَسَسَتْ بها خَيْرَ الوري كيفَ لم يَنْبُتْ بها الْوَرِقُ
 وله عند توديع القائم في خروجه إلى القيروان وكتب بها إليه :
 وما ودعتُ خَيْرَ الناسِ طُرًّا ولا فارقتهُ عن طيبِ نفسٍ
 وكيف تطيبُ نفسى عن حياتى أفارقها ، وعن قمرى وشمسى ؟
 ولكنى طلبتُ رضاهُ جَهْدى وعفوَ الله يومَ حلولِ رمسى
 فعاش مملّكاً ملاح شمسٍ على الثّقَلَيْنِ من جنِّ وإنسٍ
 وبعد وروده القيروان كان من قتله وصلبه ما كان ، وما أفضع^(١) مصرع
 من احتقب الاثم والعدوان ا

١١٠ - جعفر بن فلاح^(٢) الكتامي ، أبو الفضل

هذا من رجال الدولة العبيدية ، ولم يقع إلى من خبره ما أذكره هاهنا سوى
 امتداح أبي القاسم بن هانىء إياه ، وحسبه بذلك نباهة وكفاه ، وذَكَر ابنه
 إبراهيم معه فى مدحه . وفى بعض النسخ التى وقفت عليها من شعر ابن هانىء

إ (١) الأصل : ولما أفضع .

(٢) الأصل : بلّاح . وجعفر بن فلاح بن أبي مرزوق قائد مشهور من قواد الدولة
 الفاطمية فى عهدها الأول ، وكان يعمل أولات تحت إمرة جوهر الصقل ، وقد بعثه هذا إلى الشام
 ليقضى على بقايا الإخشيديين ، وكان الحسن بن طغج قد تحصن بالرملة وملكها ، فسار إليه
 جعفر بن فلاح وهزمه فى القعدة ٣٥٨ / سبتمبر ٩٦٩ وأسرّه وبعث به إلى القسطنطينية ، حيث
 أرسل إلى المغرب ومات هناك سنة ٣٧١ / ٩٨٢ . وأخذ جعفر يستعد للمسير إلى دمشق ، فشعر
 الحسن بن أحمد القرمطى بأن الفاطميين خطر يهدد سلطانه ، خاصة وقد سار جعفر بن فلاح
 إلى طبرية ثم دمشق ودخلها سنة ٣٥٩ ، وأسقط الدعوة للخليفة العباسى ، وخطب للمعز
 الفاطمى ، فسار إليه القرمطى والتقى به فى ٦ ذى القعدة ٣٦٠ / سبتمبر ٩٧١ فأمر جعفر بقتله =

أن المدوح إبراهيم بن جعفر لا أبوه جعفر ، ووجدتُ منسوباً إليه :
 ويومٍ كأنَّ الغيمَ تحتَ سمانهٍ حكي مقلتي سحاً ولم يَحْكِنِي ضَنَا
 كأنَّ الغواصي بالثماني نضحتهُ والبسنه ثوباً من الخَزْ أدكنا

١١١ - يحيى بن على بن حمدون الجذامي بن الأندلسي^(١)

وله ولأبيه ولأخيه جعفر بن على رئاسة معروفة ونباهة في أيام العبيدية
 مذكورة ، وعلى بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها
 ابنه جعفر فعظم شأنه .

ولأبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي فيه وفي أخيه يحيى مدائح شهيرة ،
 وكان^(٢) لما خرج من الأندلس إلى بني علي هؤلاء وقع ، وإليهم قصد ، / إلى [١٣٦-ب]
 أن أغلقوه بالمعر معد بن إسماعيل فاستفرغ فيه شعره وقصر عليه مدحه^(٣) .

= وجعفر من زعماء الكتاميين ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية . وكان ابنه أبو الحسن
 على بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان يلقب بوزير الوزراء
 خي الرياستين ، الأمر المظفر قطب الدولة .

المقريزي ، اتماظ الحنفا (بتحقيق الدكتور جمال الدين للشيال) ص ١٥٥ (هامش ٥) -
 ١٦٧ - ١٨٠ - ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ابن منجب الصيرفي ، الإشارة إلى من قال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) ص ٣٠ - ٣٢ .
 البيان المغرب لابن عذارى : ٢٣١ / ١ .

(١) الأخبار التي يوردها ابن الأبار هنا تكمل ما لدينا من أخبار بيت بني حمدون ،
 ومعظمها عند ابن عذارى (البيان المغرب ، ٢ / ٢٤٢ - ٢٤٤) وابن الخطيب (أعمال الأعلام ،
 ٦٠ - ٦٢) . وقد نقل ابن عذارى عن محمد بن يوسف الوراق (ص ٢٤٣) نسبهم وطرفا
 من أوليتهم فقال إن جدهم الأكبر عبد الحميد كان الداخل إلى الأندلس من الشام ، ونزل في البيرة ،
 ثم انتقل حفيده حمدون ، جد جعفر ويحيى ، إلى بجاية ودخل في دعوة الشيعة . انظر بقية
 الخبر هناك .

(٢) المراد هنا ابن هاني الشاعر .

(٣) هذه الفقرة ظاهر فيها أسلوب ابن حيان مؤرخ الأندلس .

وهرب جعفر إلى الأندلس بعد مقتل زيري بن مذاد الصنهاجي ، ولحق به أخوه يحيى فأقاما مكرمين عند الحَكَم المستنصر بالله إلى أن سعى بهما إليه ، فسخط عليهما وأمر بإزاعهما ومَن معهما رَجَالَةً من منازلهم إلى المُطبق بمدينة الزهراء ، والنداء عليهم بما كفروا من النعمة . وظهر من شهامة يحيى وتجلده في هذه الحنة ما شُهر ، فكان ينادى على نفسه معارضا للعداى : « لا ، بل جزاء مَن آثر بني مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ونُمِيتَ في الوقت إلى مَعَدِّ بن إسماعيل وهو في القيروان فأرَضَتْهُ وعَطَفَتْهُ على آل علي بن الأندلسي .

ثم إن الحَكَم عفا عنهما بسعى عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البُلُوْطِيّ صاحب خطة الردّ وتلطُّفه في الاستشفاع بهشام بن الحَكَم فيهما ، وهو إذ ذاك طفل ، فأطلقا من مُعتقلهما ، وتراجعت حالهما .

وحظيَ جعفر في أيام هشامٍ عند المنصور محمد بن أبي عامر — بعد وفاة الحَكَم — وخصَّ به ، ثم قُتل في طريقه إلى قصر العقاب^(١) حسبا يُذكر في آخر هذا المجموع بحول الله ، فرجَمَ الناسُ فيه الظنون ، وأظهر ابنُ أبي عامر الحزنَ عليه وهو المتهم به .

(١) عندما أراد المنصور بن أبي عامر التخلص من غالب الناصري قائد الثغر وشيخ الموالى ، فكر في استقدام جعفر وعلى ابني حمدون ، وهما من موالى بني أمية ، وكانا يحكان منطقة طنجة وسبّتا باسم هشام المؤيد الأموي ، فأخذ المنصور يستحثهما على الحجى إليه ، فعبّر إليه جعفر منهما ، تاركاً شُؤون العدة بيد أخيه يحيى . وأنزله المنصور عند مجيئه في قصر العقاب بقرطبة « بعد أن أعد له ما يصلح له فيه » ، وكان جعفر قد أتى بقوة من مقاتلة البربر تبلغ ٦٠٠ فارس ، فاشتد بهم ساعد محمد بن أبي عامر على غالب . وبعد أن تخلص المنصور من غالب ، دبر الخلاص من جعفر بن حمدون ، فدعاه إلى وليمة وقدم له الشراب فأفرط فيه ، وأرصد له من قتلوه وهو عائد بالليل إلى منزله في قصر العقاب سنة ٣٧٤ ، وقد تظاهر المنصور بالحزن عليه .

ودعا يحيى بن علي أخاه وألماه^(١) إلى أن قال لابن أبي عامر أولَ لَقِيَةٍ
الْقِيَةِ غِبَّ قَتْلَ أَخِيهِ : « قد علمنا مَنْ قَتَلَهُ ، وهذا جزاءِ مثله ، ولا مُقامَ بأرضك
بعده » ، فقال له ابنُ أبي عامر : « لولا أن أصدّق ظَنِّكَ في أخيك لألحقْتُك به ،
فاخرج إلى لُصَّةِ اللَّهِ غيرَ مكلوء ولا مصاحب ! » ووكّل به من أزعجه فخرج إلى
الْعُدُوَّة . وسبق الإخبار عنه حذراً من بَلَقَيْنَ بن زيري بن مناد فصار إلى
سَجْلَمَاسَةَ ثم ركب الصحراء إلى مصر ، فقبّله العزيز بالله أبو المنصور نزار ،
وهو يومئذ الخليفة بها ، وأدخله في يوم زينة ، ثم جعل يعترف بالزلة ، ويسأل
الصفح والإقالة ، فقال له نزار : « كَلِمَتُكَ بالزهراء قد أتت على ذلك كله »

وعلم بَلَقَيْنَ — واسمه يوسف^(٢) ، ويكنّى أبا الفتوح — نفوذَ يحيى إلى مصر
فقامت عليه القيامة ، وعثر على ابن له عامر^(٣) تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه

(١) العبارة هنا مضطربة . وقد ورد اللفظ هنا : وله ، فقومته على هذا النحو للسياق .
وواضح أن هنا شيئاً ساقطاً ، والمعنى مفهوم على أى حال . فإن المنصور دعا على بن حمدون
ليطمئن من ناحيته ، وكان يخشى ثورته عليه وانضمامه إلى العبيديين بعد أن قتل أخاه . ولكن
يحيى ظل على إيمانه بأن المنصور قتل أخاه ، فجعل يلمح بذلك . وكان يحيى أكبر من أخيه
وأعظم ، وقد سبق أن وفد على الخليفة المستنصر سنة ٣٦٠ خالماً طاعة العبيديين وقادماً إليه بطاعة
زناتة — وكانوا أتباعه — فاستقبله الحكم استقبالا عظيماً وولاه العدو هو وأخاه جعفر ، فظلا
هناك إلى أن استعان بهما المنصور ، فقدم عليه جعفر منهما .

ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) هو بلقين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي القائد المعروف الذي استخلفه
الفاطميون على المغرب عند انتقال المعز إلى مصر ، وهو منشيء دولة بني زيري في إفريقية .
انظر عنه : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١/٢٢٨ وما بعدها .

ومن الطبيعي أن يغضب بلقين عندما يسمع أن العزيز نزار قد استقبل خصمه يحيى بن علي
ابن حمدون زعيم زناتة وعدو الصنهاجيين وأنه عفا عنه وأكرمه بعد الذي كان منه .

(٣) لفظ عامر هنا غير مفهوم ، وقد يكون اسم ابن جعفر بن علي بن حمدون . وقد تكون
صححة اللفظ « غامر » بمعنى مغمر .

وقتلته . ولم تطل به^(١) المسرة بمد قتل جعفر حتى فاجأته المنية ، فهلك فى سنة
ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

[١-١٣٧] ومن شعر يحيى بن حل ، وأنشده أبو عامر السالى فى كتاب التشبيهات /
من تأليفه قوله يصف فرساً :

ومتماً فى خَلْقِهِ لم يُنْخَسِ عارى الأديم من الملاحه مُكْتَسِ
صَلَّتْ إليه الخليلُ فهو إمامها وهو المقدمُ عندها فى الأنفسِ
وكانَ لونَ أديمه من سَوَسَنِ وكانَ لونَ لجامه من نَزَجِسِ

تم بعون الله

الجزء الأول من كتاب

الحلة السيرة

وبليه الجزء الثانى وأوله ترجمة :

سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المستعين بالله ،
أبى أيوب ،

(١) أى بابى الفتوح يوسف (بلقين) بن زيرى ، فقد توفى فى موضع يسمى واركنفو
فى المغرب فى ٢١ ذى الحجة ٣٧٠ (ابن عذارى ، ١/٢٣٩) .

فهرس الجزء الأول

صفحة

...	مقدمة الكتاب
٣	أول النص

المائة الأولى من الهجرة

١٣	١ - عمرو بن العاصي ، أبو عبد الله
١٧	٢ - ابنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، أبو محمد
٢٠	٣ - عبد الله بن عباس ، أبو العباس
٢٤	٤ - عبد الله بن الزبير ، أبو بكر وأبو خبيب
٢٨	٥ - مروان بن الحكم ، أبو عبد الملك
٢٩	٦ - ابنه عبد الملك بن مروان ، أبو الوليد

المائة الثانية

٣٣	٧ - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
٣٥	٨ - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٤٢	٩ - ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية
٤٣	١٠ - ابنه الحكم بن هشام المعروف بالريضي ، أبو العاصي
٥٠	١١ - إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٥٣	١٢ - ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله ، أبو داود
٥٦	١٣ - عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، أبو مروان - وقيل أبو الوليد
٥٨	١٤ - عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم
٥٩	١٥ - حبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أبو سليمان
٦١	١٦ - الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ، أبو الخطار
٦٧	١٧ - الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي ، أبو جوشن
٦٨	١٨ - الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي ، أبو جعفر
٧٢	١٩ - الحسن بن حرب الكندي

صفحة

- ٨٢ - محمد ابن الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ،
 أبو عبد الله ٢١٢
- ٨٣ - الحكم بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ٢١٣
- ٨٤ - عمر بن أحمد ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢١٤
- ٨٥ - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي ،
 أبو بكر - الملقب بالحجر ٢١٥
- ٨٦ - مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، أبو عبد الملك ٢٢٠
- ٨٧ - إبراهيم بن إدريس الحصى ٢٢٦
- ٨٨ - أحمد بن محمد بن أضحى الحمداني ٢٢٨
- ٨٩ - لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية ، أبو عيسى ٢٣٠
- ٩٠ - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى ٢٣٢
- ٩١ - أحمد بن عبد الملك بن شهيد الوزير ، أبو عمر ٢٣٧
- ٩٢ - ابنه عبد الملك بن أحمد الوزير ، أبو مروان ٢٣٩
- ٩٣ - عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الوزير ، أبو وهب ٢٤٠
- ٩٤ - أخوه غالب بن محمد بن عبد الوهاب ، أبو عبد السلام ٢٤٤
- ٩٥ - جهوز بن عبيد الله بن أبي عبدة الوزير ، أبو الخزم ٢٤٥
- ٩٦ - أخوه محمد بن عبيد الله ٢٥٢
- ٩٧ - عبد الرحمن بن بدر بن أحمد ٢٥٢
- ٩٨ - إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد ، أبو بكر ٢٥٤
- ٩٩ - عبيد الله بن أحمد بن يعلى بن وهب ٢٥٦
- ١٠٠ - جعفر بن عثمان المصحقى الحاجب الوزير ، أبو الحسن ٢٥٧
- ١٠١ - محمد بن عبد الله بن أبي عامر الحاجب ، المنصور أبو عامر ٢٦٨
- ١٠٢ - عبد الله بن عمرو بن أبي عامر ، أبو حفص ٢٧٧
- ١٠٣ - زياد بن أفلح ، مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد ٢٧٨
- ١٠٤ - فرحون بن عبد الله ، يعرف بابن الوبلة ٢٨٠
- ١٠٥ - علي بن وداعة بن عبد الودود السلمى ، أبو الحسن ٢٨٢
- ١٠٦ - يعلى بن أحمد بن يعلى ٢٨٤
- ١٠٧ - محمد القائم أبو القاسم بن المهدي عبيد الله ٢٨٥
- ١٠٨ - تميم بن معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، أبو على ٢٩١
- ١٠٩ - خليل بن إسحاق بن ورد ، أبو العباس ٣٠٢
- ١١٠ - جعفر بن فلاح الكتانى ، أبو الفضل ٣٠٤
- ١١١ - يحيى بن على بن حمدون الجذائى بن الأندلسى ٣٠٥



IBN AL - ABBĀR

Al - Hulla al - Siyarā

Edition Critique

par

HUSSAIN MONÉS

Professeur à l'Université du Caire,

Directeur de l'Institut d'Etudes Islamiques de Madrid.

Volume I

Editeur

La Société Arabe de Publications, 47 Rue Naguib al Riḥānī.

Le Caire, 1963.